العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الثاني
مخاطبة الملوك والعلم والأدب

مكتبة صادر بيروت
مكتبة لسان العرب

V.2 no. 5-8

العقد الفريد

٥

(no. 5)
V.2

مخاطبة الملوك

مكتبة صادر
بيروت

7541-134-8

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

مخاطبة الملوك

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب،
فيه أدب — وأقوال — ونوادر — وملح —
وتاريخ — واخبار الخ . الخ . . . .

•

مخاطبة الملوك

هو كتاب المرجانة الأولى من العقد،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

Ibn 'Abd Rabbih.

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٥

al-'Iqd al-farīd.

v. 2

مخاطبة الملوك

مكتبة صادر
بيروت

Near East
PJ
7745
I15
I5
v.2
c.1

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٥٩ — ١٩٥١

كتاب المرجانة

في مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولنا في الوفود والوافدات ومَقاماتهم بين يدي نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبين يدي الخُلفاء والملوك ، ونحن قائلون بعَون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده في مُخاطبة الملوك والتزلّف إليهم بسحْر البيان ، الذي يُمازج الرُّوح لطافة ويجري مع النفَس رقة ؛ والكلامُ الرَّقيق مَصايد القلوب ، وإنّ منه لما يَستَعْطف المُستشيط غيظاً ، والمُندَمل حِقداً ، حتى يُطفىء جَمرة غيظه ، ويَسُلّ دفائن حِقْده ؛ وإنّ منه لما يَستميل قلبَ اللئيم ، ويأخذ بسَمْع الكريم وبصره ؛ وقد جعله الله تعالى بينه وبين خَلْقه وسيلةً نافعةً ، وشافعاً مَقبولاً ، قال تبارك وتعالى : « فتلقَّى آدمُ مِن رَبّهِ كَلِماتٍ فتابَ عَلَيْهِ إنَّهُ هو التَّوّابُ الرَّحِيم . »

وسنذكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى مَن تخلّص من أنشوطة الهلاك وتفلّت من حبائل المنيّة ، بحُسْن التنصّل ، ولَطيف التوصل ، ولِين الجواب ، ورقيق الاستعتاب ، حتى عادت سَيّئاته حسنات ، وعيضَ بالثّواب بدلاً من العقاب . وحِفْظ هذا الباب ، أوجبُ على الانسان من حِفْظ عِرْضه ، وألزمُ له من قوام بدنه .

البيان

كلُّ شيءٍ كَشَفَ لك قِناع المَعْنى الخفيّ حتى يتأدّى الى الفهم ويَتقبّله العقل ، فذلك البيانُ الذي ذَكره الله ، عز وجل ، في كتابه ، ومَنّ به على عباده ، فقال تعالى : « الرّحْمَن عَلّمَ القُرآنَ خَلَقَ الانسانَ عَلّمَهُ البَيان . »

•

وسُئِل النبي ، صلى الله عليه وسلم : فِيم الجمالُ ؟ فقال : في اللّسان ، يريد البيان .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : إنّ من البيان لَسِحْراً .

•

وقالت العرب : أنفذُ من الرميّة كلمة فصيحة .

•

وقال الراجز :

لقد خَشِيتُ أن تكونَ ساحِرا ،
راويــةً طَوْراً وطوراً شاعِرا

•

وقال سهل بن هارون :

العَقل رائدُ الرُّوح ، والعِلم رائد العَقْل ، والبيان تَرجُمان العِلم .

•

وقالوا : البيانُ بَصر ، والعِيُّ عَمى ؛ كما أنَّ العِلم بصر ، والجَهْل عَمى . والبيانُ من نِتاج العلم ، والعِيُّ من نتاج الجهل .

•

وقالوا : ليس لمَنْقوص البيان بَهاء ، ولو حكَّ بيافوخه عَنان السماء .

•

وقال صاحب المَنْطق[1] : حَدّ الانسان : الحيُّ الناطق المبين . وقال : الرُّوح عِماد البَدن ، والعِلم عِماد الروح ، والبيان عِماد العلم .

•

١ هو ارسطاطاليس الفيلسوف اليوناني .

تبجيل الملوك وتعظيمهم

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه .

•

وقالت العلماء :

لا يُؤمُّ ذو سُلطان في سُلطانه ، ولا يُجلَس على تكرمته إلاّ بإذنه .

•

وقال زياد ابن أبيه :

لا يُسلَّم على قادم بين يدي أمير المؤمنين .

•

وقال يحيى بن خالد بن برمك :

مُساءلة الملوك عن حالِها من سجيّة النّوكى[1] ، فإذا أردتَ أنْ تقول : كيف أصبَحَ الأمير ؟ فقل : صَبّح الله الأميرَ بالنعمة والكرامة ؛ وإذا كان عليلاً ، فأردت

---

١ النوكى ، واحدها انوك : الأحمق .

أن تسأله عن حاله، فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرَّحمة، فإن الملوك لا تُسأل ولا تُشمَّت ولا تُكيَّف. وأنشد:

إنَّ الملوك لا يُخاطَبونا، ولا إذا مَلُّوا يُعاتَبونا
وفي المَقال لا يُنازَعونا، وفي العُطاس لا يُشمَّتونا[1]
وفي الخطاب لا يُكيَّفونا، يُثنى عليهم ويُبَجَّلونا[2]
فافهم وَصاتي لا تكن مجنونا

•

اعتلَّ الفَضْلُ بن يحيى، فكان إسماعيل بن صُبَيح الكاتب اذا أتاه عائداً لم يَزِدْ على السلام عليه والدعاء له، ويُخفف في الجلوس، ثم يَلْقى حاجبه فيسأله عن حاله ومأكله ومَشربه ونومه، وكان غَيرُه يُطيل الجلوس. فلمّا أفاق من عِلّته قال: ما عادني في عِلّتي هذه إلاّ إسماعيل بن صُبيح.

•

وقال أصحابُ معاوية له:
إنّا ربما جَلَسنا عِندك فوق مِقدار شَهْوتك، فنُريد أن

---

١ يشمتون، من شمت العاطس: دعا له بقوله: يرحمك الله.
٢ يكيفون: يقال لهم كيف حالكم.

تجعل لنا علامةً نَعْرف بها ذلك ، فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شِئْتم .

•

وقيل ذلك ليزيد ، فقال : إذا قلتُ : على بركة الله .

•

وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إذا وضعتُ الخَيزرانة من يدي .

•

ومن تمام خدمة الملوك أن يُقرِّبَ الخادمُ إليه نعلَيه ، ولا يَدعه يمشي إليهما ، ويجعل النّعل اليُمنى مُقابلة الرِّجل اليُمنى ، واليُسرى مقابلة اليسرى ، وإذا رأى مُتكأً يحتاج الى إصلاح أصلحه قبل أن يُؤمر ، فلا يَنتظر في ذلك أمرَه ، ويتفقد الدّواة قبل أن يأمره ، ويَنفُض عنها الغُبار إذا قرّبها إليه ، وإنْ رأى بين يديه قِرطاساً قد تباعد عنه قرّبه ووَضعه بين يديه على كِسْره .

•

ودخل الشّعبيّ على الحجّاج ، فقال له : كم عطاك ؟

قال : ألفين .

قال : ويحك ! كم عطاؤك ؟

قال : ألفان .

قال : فلِمَ لَحنت فيما لا يَلحن فيه مثلك ؟

قال : لَحَنَ الأميرُ فلحنت ، وأعرب الأمير فأعربت ، ولم أكن ليَلْحن الأمير فأعرب أنا عليه ، فأكون كالمُقَرِّع له بلحنه ، والمُسْتَطيل عليه بفضل القول قبلَه .

فأعجبه ذلك منه ووهبه مالاً .

•

قبلة اليد

ذكر عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال :

كنا نُقبّل يدَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

•

ومن حديث وكيع عن سفيان قال قال :

قبّل أبو عُبيدة يدَ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

•

ومن حديث الشعبي قال :

لقي النبي، عليه الصلاة والسلام، جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فالتزمه وقبّل ما بين عينيه .

•

قال إياس بن دَغفل :

رأيتُ أبا نَضرة[1] يُقبّل خدّ الحسين .

•

---

١ ابو نضرة : المنذر بن مالك العبدي .

الشَّيباني عن أبي الحسن عن مُصعب قال :

رأيتُ رجلًا دخل على عليّ بن الحُسين في المَسجد فقبَّل يده ووَضعها على عَينيه فلم يَنْهَه .

•

العُتْبي قال :

دخلَ رجلٌ على عبد الملك بن مروان فقبّل يدَه، وقال : يَدكَ يا أمير المؤمنين أحقُّ يدٍ بالتقبيل ، لعُلوّها في المكارم ، وطُهْرها من المآثم ؛ وإنك تُقِلُّ التَّثْريب ، وتَصْفح عن الذنوب ، فمن أراد بك سوءاً جعله الله حَصيدَ سَيْفك ، وطريدَ خَوْفك .

•

الاصمعيُّ قال :

دخل أبو بَكْر الهَجَريّ على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نَغَض فَمي[1] ، وأنتم أهلَ البيت بركة ، فلو أذنت فقبّلتَ رأسك ، لعلّ اللهَ يمسكُ عليّ ما بقي من أسناني .

قال : اخْتَر بينها وبين الجائزة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أيْسر عليّ من ذَهاب الجائزة أنْ لا تبقى في فمي حاكّة[2] .

---

١ نغض فمي : أيْ تحركت أسناني وقلقت .

٢ الحاكّة : السن .

فضَحِكَ المنصور وأمر له بجائزة .

•

ودخل جعفر بن يحيى في زيّ العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ، ومعه ثُمامة بن أشرس ؛ فقال ثُمامة : هذا أبو الفضل ؛ فنَهض إليه سُليمان فقبَّل يدَه ، وقال له : بأبي أنت ، ما دعاكَ الى أن تُحمِّل عبدَكَ ثِقَل هذه المِنَّة التي لا أَقوم بشُكْرها ولا أقدر أن أُكافىء عليها ؟

•

الشعبيّ قال :

ركِبَ زيدُ بن ثابت ، فأخذ عبدُ اللهِ بنُ عبّاس بركابه ؛ فقال : لا تَفعل يابن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بعُلمائنا .

فقال زيد : أرِني يدَكَ .

فأخرج إليه يده ، فأخذها وقبَّلها ، وقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بَيْت نبيّنا .

•

وقالوا :

قُبلة الإمام في اليد ، وقُبلة الأب في الرأس ، وقُبلة الأخ في الخد ، وقبلة الأخت في الصدر ، وقبلة الزوجة في الفم .

من كره من الملوك

تقبيل اليد

العتبيّ قال :

دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبّل يده ؛ فقال : أفٍّ له ! إنّ العرب ما قبّلت الأيدي إلا هلوعاً[١]، ولا فعلته العجم إلا خضوعاً .

•

واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده ، فقال له : إنّ قُبلة اليد من المسلم ذِلة ، ومن الذمّي خديعة ، ولا حاجة بك أن تذل ، ولا بنا أن نُخدع .

•

واستأذن أبو دُلامةَ الشاعر المهديّ في تقبيل يده ؛ فقال : أمّا هذه فدعْها ؛ قال : ما منعتَ عيالي شيئاً أيسَر فقداً عليهم من هذه .

---

١ الهلوع : الخوف .

حسن التوفيق

في مخاطبة الملوك

قال هارون الرشيد لِمَعْن بن زائدة : كيف زمانُك يا مَعن ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أنت الزمان ، فإن صلَحْتَ صَلُحَ الزمان ، وإن فسدت فسد الزمان .

•

وهذا نظير قول سَعيد بن سَلْم ، وقد قال له أميرُ المؤمنين الرشيد : مَن بَيْتُ قَيْس في الجاهلية ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فَزارة .

قال : فَمَن بيتهُمْ في الإسلام ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، الشريفُ من شرّفتموه .

قال : صدقت أنت وقومُك .

•

ودخل معن بن زائدة على أبي جعفر ، فقال له : كَبِرت يا معن .

قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنك لَجَلْد[1] .

قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنّ فيك لبقيةً .

قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

قال : أيّ الدولتين أحبُّ إليك أو أبغض : أدولتنا أم دولة بني أمية ؟

قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد بِرُّك على برّهم كانت دَوْلتك أحبّ إليّ ، وإن زاد بِرُّهم على برّك كانت دولتُهم أحبّ إليّ .

قال : صدقت .

•

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلُك ؟ قال : هو لأمير المؤمنين ولي به ؛ قال : كيف ماؤه ؟ قال : أطْيب ماء ؛ قال : فكيف هواؤه ؟ قال : أصَح هواء .

•

وقال أبو جعفر المنصور لجرير بن يزيد : إني أردتُك لأمر ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، قد أعدّ الله لك منّي قلباً معقوداً بطاعتك ،

---

[1] الجلد : الشديد القوي .

ورأياً موصولاً بنصيحتك ، وسيفاً مشهوراً على عدوك ، فإذا شئت فقل .

•

وقال المأمون لطاهر بن الحسين : صِفْ لي ابنك عبدَالله ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن مدحتُه عِبْته ، وإن ذممتُه اغتبته ، ولكنه قِدْح في كفّ مثقِف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين .

•

وأمر بعض الخلفاء رجلا بأمر ؛ فقال : أنا أطوع لك من الرِّداء ، وأذلّ لك من الحذاء .

وهذا قاله الحسن بن وَهْب لمحمد بن عبد الملك الزيات .

وقال آخر : أطوع لك من يدك ، وأذلُّ لك من نعالك .

•

وقال المنصور لمسْلم بن قُتَيبة : ما ترى في قتل أبي مُسلم ؟ قال : لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لَفسدتا . قال : حسبك أبا أمية .

•

وقال المأمون ليزيدَ بن مَزْيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ! قال : بلى ، ولكنّ منابرهم الجُذوع .

•

وقال المنصور لإسحاق بن مُسلم : أفرطتَ في وفائك لبني

أمية ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنه من وفّى لمن لا يُرجى كان لمن يُرجى أوفى .

•

وقال هارون لعبد الملك بن صالح : صِف لي مَنبِج ؛ قال : رقيقة الهواء ، ليّنة الوطاء ؛ قال : فصِفْ لي منزلك بها ؛ قال : دون منازل أهلي ، وفوق منازل أهلها ؛ قال : ولِمَ وقَدْرك فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك خُلق أمير المؤمنين أتأسى به وأقفو أثرَه وأحذو مثاله .

•

ودخل المأمون يوماً بيتَ الديوان ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا النّاشىء في دولتك ، والمتقلّب في نِعمتك ، والمؤمّل لخِدْمتك ، الحسن ابن رَجاء ؛ قال المأمون : بالاحسان في البَديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مَرْتبته .

•

علي بن يحيى قال :

إني عند المتوكل حين دخل عليه الرّسول برأس إسحاق بن إسماعيل ، فقام عليّ بن الجَهْم يَخْطِر بين يدي المتوكل ، ويقول :

أهلاً وسهلاً بك من رَسولِ ، جِئْتَ بما يَشْفي من الغليلِ

برأس إسحاق بن إسماعيلِ

فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لئلا يَضيع .

•

ودخل عَقال بن شَبّة على أبي عُبيد الله كاتب المهديّ ، فقال : يا عَقال ، لم أرَك منذ اليوم ؟ قال : والله إني لألقاك بشَوق ، وأغيب عنك بتَوق .

•

وقال عبد العزيز بن مروان لنُصيب بن رَباح ، وكان أسود : يا نُصيب ، هل لك فيما يُثمر المحادثة ؟ يريد المُنادمة ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، اللون مُرَمَّد[1] ، والشَّعر مُفلفَل[2] ، ولم أقعد إليك بكريم عُنصر ، ولا بحُسْن مَنظر ، وإنما هو عَقلي ولساني ، فإن رأيتَ أن لا تفرّق بينهما فافعل .

•

ولما ودّع المأمون الحسنَ بن سهل عند مخرجه من مدينة السلام ، قال له : يا أبا محمد ، ألك حاجة تعهد إليّ فيها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أن تحفظ عليّ من قلبك ما لا أستعين على حِفظه إلاّ بك .

•

---

١ مرمد : أي لون الرماد .

٢ شعر مفلفل : مجعد .

وقال سعيد بن سَلْم بن قتيبة للمأمون : لو لم أشكر الله إلاّ على حُسن ما أبلاني في أمير المؤمنين من قصْده إليّ بحديثه وإشارته إليّ بطَرْفه ، لكان ذلك من أعظم ما توجبه النعمة وتَفرضه الصنيعة ؛ قال المأمون : ذلك والله لأن الأمير يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حَدّثتَ ، وحُسن الفَهم اذا حُدّثت ، ما لا يجده عند غيرك .

مدح الملوك والتزلف اليهم

في سِيَر العَجَم أن أَردشير بن يَزْدَجِرْد لما استوثق له أمرُه ، جمع الناس ، فخطبَهم خُطبَةً حضّهم فيها على الألفة والطاعة وحَذّرهم المَعْصية ومُفارقة الجماعة ، وصَنّف لهم الناس أربعة أصناف ، فخرّوا له سُجّداً. وتكلّم مُتكلّمهم ، فقال : لا زلتَ أيها الملك مَحْبُوّاً من الله بعزّ النصر ، ودَرَك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النّعمة ، وحُسن المَزيد .

ولا زلتَ تَتابَعُ لديك المكرُمات ، وتَشْفَع إليك الذّمامات[1] ، حتى تبلغَ الغاية التي يُؤمَن زوالها ، ولا تَنقطع زهرتها ، في دار القرار التي أعدّها الله لنُظرائك من أهل الزُّلفى عنده ، والحُظوة لديه .

ولا زال مُلكك وسُلطانك باقيَين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البُحور والأنهار ، حتى تستوي أقطارُ الأرض كلّها في عُلوّك عليها ، ونَفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نُورك ما عمّنا عُموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من

---

١ الذمامات : أراد بها الحقوق والحرمات .

عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم ، فأصبحت قد جمع الله بك الأيادي بعد افتراقها ، وألّف بين القلوب بعد تباغُضها ، وأذهب عنّا الإحَن والحَسائف[1] بعد توقُّد نيرانها ، بفضلك الذي لا يُدرك بوصف ، ولا يُحَدُّ بنَعْت .

فقال أردشير : طُوبى للممدوح إذا كان للمدح مُستحقاً ، وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً .

•

ودخل حسّان بن ثابت على الحارث الجفْني فقال : أنْعِم صباحاً أيها الملك ، السّماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي ووالدتي فِداؤك ، أنّى يناوئك المُنذر[2] ، فوالله لَقذالُك أحسنُ من وَجْهه ، ولأمُّك أحسنُ من أبيه ، ولظلّك خير من شَخْصه ، ولَصمتك أبلغ من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه . ثم أنشأ يقول :

ونُبّئتُ أنّ أبا مُنْذر ... يُساميك لِلحدَث الأكبرِ
قَذالك أحسنُ من وجْهه ، ... وأمُّك خيرٌ من المنذرِ[3]

---

[1] الحسائف ، واحدتها حسيفة : العداوة .
[2] المنذر : هو ابن المنذر بن ماء السماء اللخمي .
[3] القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

وينشري يديك إذا أعسرت، كيُمنى يديه، فلا تَمتَرِ[1]

•

ودخل خالدُ بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما وَلِيَ الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرّفته فأنت قد شرّفتها، وأنت كما قال الشاعر:

وإذا الدرُّ زانَ حُسْنَ وجوهٍ، كانَ للدُّرِّ حسنُ وجهكَ زَيْنا

فقال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله: أعطي صاحبُكم مَقُولاً ولم يُعْطَ مَعْقولاً.

•

ذكر ابن أبي طاهر قال:

دخل المأمون بغداد فتلقّاه وجوهُ أهلها، فقال له رجل منهم: يا أمير المؤمنين، باركَ الله لك في مَقْدمك، وزادكَ في نعمتك، وشكرَكَ عن رَعيتك، تَقدَّمتَ مَنْ قَبلك، وأتعبتَ مَن بعدكَ، وآيستَ أن يُعايَن مثلُك؛ أما فيما مضى فلا نَعرفه، وأما فيما بَقِيَ فلا نرجوه، فنحنُ جميعاً ندعو لك، ونُثني عليك؛ خَصِبَ لنا جنابكَ، وعذُبَ شرابكَ؛ وحسُنَت نظْرتكَ، وكرمت مَقْدرتكَ؛ جبَرْتَ الفقير، وفككْتَ الأسير، فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الأوَّل:

---

[1] لا تمتر: لا تشك.

مـا زلْتَ في البَـذْل للسّوال ،
وإطْلاقِ لِعانٍ ، بجُرْمِه ، عَلِقِ[1]

حتّى تمنّى البِــرَاءُ أنهمُ
عِنْدكَ أسْرَى ، في القيْد والحلَق[2]

•

ودخل رجلٌ على خالد بن عبد الله القَسْري فقال : أيها الأمير ، إنك لَتبْذُل ما جلّ ، وتَجْبُرُ ما اعتلّ ، وتُكْثر ما قلّ ؛ ففَضْلك بديع ، ورَأيك جميع .

•

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرتُ لا أستكثر كثيرَك ، ولا أستقلُّ قليلك ؛ قال : وكيف ذلك؟ قال : لأنك أكثرُ من كثيرك ، ولأن قليلك أكثر من كثير غيرك .

•

وقال خالدُ بن صَفْوان لوالٍ دخل عليه : قدمت فأعطيت كلاًّ بقِسْطه من نظرك ومجلسك ، وصِلاتك وعِدَاتك ، حتى كأنّك من كلّ أحد ، وكأنك لستَ من أحد .

•

---

١ العاني : الاسير .

٢ البراء : البريئون .

وقال الرشيدُ لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، المديحُ كلُّه دون قَدْرك ، والشعرُ فيك فوق قَدْري ، ولكنّي أستحسن قولَ العتّابي :

ماذا عَسَى مادحٌ يُثْني عليك ، وقد
نادَاكَ ، في الوَحْيِ ، تقديسٌ وتَطْهيرُ

فُتَّ المَـادحَ ، إلاّ أنَّ ألسُنَنا
مُسْتَنطقـاتٌ بما تُخْفي الضّمايِرُ[1]

•

مدح خالدُ بن صفوان رجلاً فقال : قَريعَ المَنْطق ، جَزْل الألفاظ ، عربيّ اللّسان ، قليل الحركات ، حَسَن الإشارات ، حُلْو الشمائل ، كثير الطّلاوة ، صَمُوتاً قؤولاً ، يَهْنأ الجرَبَ[2] ، ويداوي الدَّبَرَ[3] ، ويُقِلّ الحزّ[4] ، ويُطَبّق المِفصل ، لم يكن بالبَرِم[5]

---

١ الضمايِر : الضمائر .

٢ يهنأ : يطلي بالهناء ، القطران ، اراد انه لا يتكلم الا فيما يجب الكلام فيه مثل الطالي الرفيق الذي يضع القطران على الجرب .

٣ الدبر : واحدتها دبرة ، قرحة الدابة .

٤ الحز : القطع . شبه البليغ الموجز الذي يقل الكلام ويصيب الفصول والمعاني بالجزار الرفيق الذي يقل حز اللحم ويصيب مفاصله .

٥ البرم : الملول .

في مُروءته ، ولا بالهذرِ في مَنْطقه ، مَتْبوعاً غير تابع .

كأنّـــه عَلمٌ في رأسه نار[1]

●

دخل سَهل بن هارون على الرشيد ، فوجده يُضاحك ابنه المأمون ، فقال : اللهم زِدْه من الخيْرات ، وابسُط له في البركات ، حتى يكون كلُّ يوم من أيّامه مُوفياً على أمسه ، مُقصّراً عن غده .

فقال له الرشيد : يا سَهْل ، من رَوى من الشعر أحسنَه وأجودَه ، ومن الحديث أصحّه وأبلغه ، ومن البيان أفصحه وأوْضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعْجزه ؟

قال سَهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننتُ أنّ أحداً تقدّمني سَبَقني إلى هذا المعنى .

فقال : بل أعشى هَمْدان حيث يقول :

وجدتُك أمسِ خيرَ بَني لؤيّ ،
وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ

وأنت غداً تَزيد الخيرَ ضِعْفاً ،
كذاك تَزيد سادةُ عبدِ شَمْسِ

●

---

١ هذا عجز بيت للخنساء في صخر اخيها ، صدره : وان صخراً لتأتم الهداة به .

وكان المأمون قد استثقل سهلَ بنَ هارون ، فدخل عليه يوماً والناسُ عنده على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كلَّ مذهب ؛ فلما فرغ أقبل سهلُ بن هارون على ذلك الجمع ، فقال لهم : ما لكم تسمعون ولا تعُون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تصِفون ؟ أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ، مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمهم ، وعجمهم كعرب بني تميم ، ولكن كيف يشعر بالدّواء من لا يعرف الدّاء ؟

قال : فرجع له المأمون الى رأيه الأول .

•

وكان الحجّاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكيّ ، فلما أتى الوفدُ على الحجّاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجّاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومةُ لائم .

فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفّ على الحجّاج ولا أحبّ إليه منه .

•

حدّث الشيباني قال :

أقام المنصورُ صالحاً ابنه ، فتكلّم في أمر فأحسن ، فقال

شَبيب بنُ شَيْبة : تالله ما رأيتُ كاليوم أبينَ بياناً ، ولا أعربَ لِساناً ، ولا أرْبط جاشاً ، ولا أبلّ ريقاً ، ولا أحسن طريقاً ، وحَقّ لمن كان المنصور أباه ، والمهديُّ أخاه ، أن يكون كما قال زُهير :

هو الجَوادُ ، فإن يَلْحق بشأوهما ،
على تَكاليفه ، فمِثْله لَحقا

أو يَسْبِقاه على ما كان من مَهَلٍ ،
فمِثْلُ ما قدّما من صالحٍ سَبَقا

•

وخرج شَبيب بن شَيْبة من دار الخلافة يوماً ، فقيل له : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتُ الداخل راجياً ، والخارج راضياً .

•

وقيل لبعض الخلفاء : إن شَبيب بن شَيْبة يستعمل الكلامَ ويَسْتعدّ له ، فلو أمرته أن يَصْعد المنبر فجأةً لافتضح .

قال : فأمر رسولاً فأخذ بيده فصعّده المِنْبر ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : فمنها الأسد الخادر ، والبحرُ الزّاخر ، والقمر الباهر ، والرّبيع النّاضر ؛ فأما الأسد

الخادر ، فأشبه منه صولته ومضاءه ، وأما البحرُ الزاخر فأشبه منه جُودَه وعطاءه ، وأما القمرُ الباهر فأشبه منه نُورَه وضياءه ، وأما الربيع الناضر فأشبه منه حسنَه وبهاءه ؛ ثم نزل .

•

وقال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلّم بحاجتك .

قال : يا أمير المؤمنين ، بُهْرُ الدّرجة وهَيْبة الخلافة يمنعاني من ذلك .

قال : فعلى رِسْلك ، فإنّا لا نُحب مَدْح المُشاهدة ، ولا تزكية اللّقاء .

قال : يا أمير المؤمنين ، لستُ أمدحك ، ولكن أحمد الله على النّعمة فيك .

قال : حَسْبك فقد أبلغت .

•

ودخل رجل على المنصور ، فقال له : تكلّم بحاجتك .

فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين .

قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تقدِرُ على هذا المقام كلّ حين .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصرُ أجلك ، ولا أخاف بُخْلك ، ولا أغتنم مالك ، وإنّ عطاءَك لشرف ، وإن سؤالك

لتزين ، وما لامرىء بذّل وجهه إليك نقصٌ ولا شين .

قال : فأحسن جائزته وأكرمه .

•

حدّث إبراهيم بن السّندي قال :

دخل العمانيّ على المأمون ، وعليه قلنسوة طويلة وخفٌّ ساذَج[١] ، فقال له : إيّاك أن تُنشدني إلاّ وعليك عِمامة عَظيمة الكَوْر وخُفّان رائقان[٢] . قال : فغدا عليه في زيّ الأعراب فأنشده ، ثم دنا فقبّل يدَه ، وقال : قد والله يا أمير المؤمنين أنشدتُ يزيدَ بن الوليد، وإبراهيمَ بن الوليد ، ورأيتُ وجوههما ، وقبّلت أيديهما وأخذتُ جوائزهما ؛ وأنشدتُ مروان ، وقبّلت يده وأخذتُ جائزته ؛ وأنشدتُ المنصور ، ورأيتُ وجهه ، وقبّلت يده وأخذت جائزته ؛ وأنشدت المهديَّ ، ورأيت وجهه ، وقبلت يده وأخذت جائزته ؛ الى كثير من أشباه الخلفاء ، وكُبراء الأمراء ، والسادة الرؤساء ، فلا والله يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسن وجهاً ، ولا أنعمَ كفّاً ، ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين .

قال : فأعظم له الجائزة على شعره ، وأضعف له على كلامه ،

---

١ الساذج : البسيط ، ما لا نقش فيه .

٢ رائقان : حسنان .

وأقبل عليه بوجهه وبِبِشْرِه فبَسَطه ، حتى تمنّى جميعُ مَن حضره أنهم قاموا مَقامه .

•

حَدَّث العُتبيّ عن سُفيان بن عُيَيْنة قال :

قدم على عُمر بن عبد العزيز ناسٌ من أهل العراق ، فنظر الى شابّ منهم يَتَحوّش[1] للكلام، فقال : أكْبِروا أكبروا ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس بالسنّ، ولو كان الأمر كلّه بالسن لكان في المُسلمين من هو أسنّ منك .

فقال عمر : صدقتَ رَحِمك الله ، تكلّم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا لم نأتِك رغبةً ولا رَهبة ، أما الرّغبة فقد دخلَت علينا منازلَنا ، وقدِمَت علينا بلادَنا ، وأما الرّهبة فقد أمّننا الله بعَدْلك من جوْرك .

قال : فما أنتم ؟

قال : وَفد الشُّكر .

قال : فنظر محمد بن كَعْب القُرَظِيّ الى وجه عُمر يتهلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يَغلبنّ جهلُ القوم بك معرفتَك بنفسك ، فإن ناساً خَدَعهم الثناءُ ، وغرّهم شكرُ الناس فهلكوا ، وأنا أُعيذك بالله أن تكون منهم .

فألقى عُمرُ رأسَه على صَدره .

---

[1] يتحوش : يتأهب .

التنصل والاعتذار

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من لم يقبل من مُتَنصِّل عُذراً صادقاً كان أو كاذباً لم يَرِد على الحوض .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : المُعترف بالذنب كمن لا ذنبَ له .

وقال : الاعترافُ يَهْدِم الاقتراف .

•

وقال الشاعر :

إذا ما امرؤ ، مِن ذَنبه ، جاء تائبا
إليك ، فلم تَغْفِر له فلك الذَّنْبُ

•

واعتذر رجلٌ الى إبراهيم بن المهديّ ، فقال : قد عذرتك غير مُعْتذر ، إنّ المعاذيرَ يشوبها الكَذِب .

•

واعتذر رجل الى جعفر بن يحيى ، فقال : قد أغناك الله بالعُذْر عن الاعتذار ، وأغنانا بحُسن النيّة عن سوء الظن .

•

وقال إبراهيم المَوْصِلي: سمعتُ جعفرَ بن يحيى يَعْتذر الى رجل مِن تأخُّر حاجة ضَمِنها له وهو يقول: أحتجُّ إليك بغالب القضاء، وأعتذرُ إليك بصادق النيَّة.

•

وقال رجل لبعض الملوك: أنا مَن لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يغالِطك في جُرْمه، ولا يَلتمس رضاك إلاَّ من جهة عَفوك، ولا يَستعطفك إلاَّ بالإقرار بالذَّنب، ولا يَستَميلك إلاَّ بالاعتراف بالزلّة.

•

وقال الحسنُ بن وهب:

ما أحسن العَفْوَ مِنَ القادرِ، لا سيَّما عن غيرِ ذي ناصرِ
إن كان لي ذنبٌ، ولا ذنبَ لي، فما له غيرُكَ من غافِرِ
أعوذُ بالودّ، الذي بيننا، أن يَفْسُدَ الأوَّلُ بالآخِرِ

•

وكتب الحسن بن وَهْب إلى محمد بن عبد الملك الزيات:

أبا جعفرٍ ما أحسنَ العفوَ كلَّه، ولا سيَّما عن قائلٍ: ليس لي عُذْرُ

•

وقال آخر:

اقبل معاذيرَ مَن يأتيك مُعْتذِراً،
إن بَرَّ عندك فيما قال، أو فجَرا[1]

[1] فجر: عدل عن الحق.

فقد أطاعك مَن أرضاكَ ظاهرُه،
وقد أجلّك من يَعْصيك مُستترا

خَير الخَليطين من أغضى لصاحبه،
ولو أراد انتصاراً منه لانتصرا

•

وقالت الحكماء: ليس من العدل سُرعة العَذْل.

•

وقال الأحنف بن قيس: رُبَّ مَلوم لا ذنب له.

•

وقال آخر:

لعلّ لهُ عذْراً وأنتَ تَلومُ

•

وقال حَبيب:

البِرُّ بي منك وَطّى العُذْرَ عندكَ لي،
فيما أتاكَ فلم تَقْبَل ولم تَلُمِ[1]

وقام عِلْمُكَ بي، فاحتجّ عندك لي،
مَقام شاهِدِ عَدلٍ غيرِ مُتّهمِ

•

---

[1] وطى، مسهل وطأ: مهد.

وقال آخر :

إذا اعتذر الجاني مَحا العُذرُ ذَنبَه،
وكلُّ امرىء لا يَقبـل العذرَ مُذنِبُ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

عَذِيرِيَ ،من طُول البُكا ،لوعةُ الأسى،
وليس لِمن لا يَقْبل العُذرَ من عُذرِ

•

وقال آخر :

فهَبْني مُسيئاً ، كالذي قُلْتَ ، ظالِماً،
فَعفْواً جميلاً كي يكونَ لك الفَضلُ

فإن لم أكُن ، للعَفو عنـدكَ للّذي
أتيتُ بـه ، أهـلاً ، فأنتَ له أهْلُ

•

ومن الناس من لا يَرى الاعتـذارَ ويقول : إياك وما يُعتذر منه .

•

وقالوا : ما اعتذر مُذنب إلا ازداد ذَنباً .

•

وقال الشاعر محمود الوراق :

إذا كان وَجهُ العُذرِ ليس بِبيّنٍ،
فإنّ اطّراحَ العُذرِ خَيرٌ من العُذرِ

•

قال ابن شهاب الزُّهريّ :

دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان في رجالٍ من أهل المدينة، فرآني أحدَثَهم سِنًّا ، فقال لي : من أنتَ ؟ فانتسبتُ له ؛ فقال : لقد كان أبوك وعمُّك نَعّاقَين في فِتْنَة ابنِ الأشعث ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ مثلَكَ إذا عفا لم يعدّد ، وإذا صَفح لم يثرّب .

فأعجبه ذلك ، وقال : أين نشأت ؟

قلت : بالمدينة .

قال : عند من طَلَبت ؟

قلت : سعيد بن المسيّب ، وسليمان بن يَسار ، وقَبيصة ابن ذُؤيب .

قال : فأين أنت من عُروة بن الزُّبير ؟ فإنه بحر لا تكدّره الدِّلاء .

فلما انصرفتُ من عنده لم أبارح عُروةَ بنَ الزُّبير حتى مات .

•

ودخل ابنُ السمّاك على محمد بن سليمان بن عليّ فرآه مُعرضاً عنه ، فقال : ما لي أرى الأمير كالعاتِب عليّ ؟

قال : ذلك لشيء بَلغني عنك كَرِهته .

قال : إذاً لا أبالي .

قال : ولِمَ ؟

قال : لأنه إذا كان ذَنباً غفرته ، وإن كان باطلًا لم تَقْبله .

•

ودخل جريرُ بن عبد الله على أبي جعفر المنصور ، وكان واجداً عليه ، فقال له : تكلّم بحُجتك ؛ فقال : لو كان لي ذنبٌ تكلمت بعُذري ، ولكنّ عَفْوَ أمير المؤمنين أحبُّ إليّ من براءتي .

•

وأُتِي موسى الهادي برجل ، فجَعل يُقرّعه بذُنوبه ؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين ، إنّ اعتذاري مما تُقرّعني به ردّ عليك ، وإقراري به يُلزمني ذنباً لم أجْنِه ، ولكنّي أقول :

فإن كنتَ ترْجو في العقُوبة راحةً ،
فلا تزْهدنّ ، عند المُعافاة ، في الأجْرِ

•

سُعِي بعبد الملك بن الفارسيّ إلى المأمون ، فقال له المأمون :

إنَّ العَدل من عَدَّله أبو العبّاس ، وقد كان وصَفك بما وصَفك به ، ثم أتتني الأخبارُ بخلاف ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الذي بلغك عنّي تَحْمِيل عليّ ، ولو كان كذلك لقلتُ : نعم ، كما بلغك ، فأخذتُ بحظّي من الله في الصّدق ، واتكلت على فَضْل أمير المؤمنين في سَعة عفوه .

قال : صدقت .

•

محمد بن القاسم الهاشميّ أبو العيناء قال :

كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولّى صَدقات البَصْرة ، فجار فيها وظلَم ، فكَثر الشاكي له والدّاعي عليه ، ووافى بابَ أمير المؤمنين زُهاءُ خمسين رجلاً من جِلّة البصْريين ، فعزله المأمون ، وجلس لهم مجلساً خاصاً ، وأقام أحمدَ بن يوسف لمناظرتهم . فكان مما حُفِظ من كلامه ، أن قال : يا أمير المؤمنين ، لو أن أحداً ممن وَليَ الصّدقات سَلِم من الناس لسلِم رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم؛ قال الله ، عزّ وجل : «ومِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ في الصّدقاتِ فإنْ أُعطُوا منها رَضُوا وإن لم يُعطَوا منها إذا هم يَسْخَطون .»

فأعجبَ المأمونَ جوابُه ، واستجزل مَقاله ، وخلّى سبيلَه .

•

محمد بن القاسم الهاشميّ أبو العَيْناء قال : قال لي أبو عبد الله أحمد بن أبي دُواد : دخلتُ على الواثق ، فقال لي : ما زال قومٌ في ثَلْبِك ونَقْصِك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، « لكلّ امرئٍ منهم ما اكتسَبَ من الإثمِ والذي تَوَلّى كِبْرَه منهم له عَذابٌ عظيم » ، والله وليّ جَزائه ، وعِقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلّ من كنتَ ناصرَه ، ولا ضاع من كنتَ حافظَه ، فماذا قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟

قال : قلتُ أبا عبد الله :

وسَعَى إليّ بعَيْبِ عَزّةَ نِسْوةٌ ،
جَعَلَ الالهُ خُدودَهنّ نِعالَها[1]

•

قال أبو العَيناء : قلتُ لأحمد بن أبي دُواد : إنّ قوماً تَظافروا عليّ .

قال : « يدُ الله فوقَ أيْديهم . »

قلت : إنهم عَدد وأنا واحد .

قال : « كم من فئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرة . »

---

[1] الشعر لكثير عزة .

قلت : إن للقوم مَكْراً .

قال : « ولا يَحِيقُ المكرُ السيّىء إلاّ بأهله . »

قال أبو العيناء : فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يَرى ابن أبي دُواد إلا أن القرآن أُنزل عليه .

•

قال : وهجا نَهارُ بن تَوسِعة قُتيبة بن مُسلم ، وكان وليّ خُراسان بعد يزيد بن المهلّب ، فقال :

كانت خُراسان أرْضاً ، إذ يزيدُ بها،
وكلُّ بابٍ من الخيْرات مَفتوحُ

فبُدّلَتْ بعده فِرْداً نَطوف به،
كأنما وَجْهه بالخلّ مَنْضوح

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه بكتاب أُمّه[١] ، فقال له : ويحك ! بأي وَجْه تَلْقاني ؟

قال : بالوجه الذي ألقَى به ربي وذُنوبي إليه أكثرُ من ذنوبي إليك .

فقرّبه ووَصله وأحسن إليه .

•

---

١ امه : أي أم قتيبة .

وأقبل المنصور يوماً راكباً والفرجُ بن فَضالة جالسٌ عند باب الذهب[1] ، فقام الناسُ إليه ولم يَقُم ، فاستشاط المَنصور غيظاً وغَضباً ودعا به ، فقال : ما مَنعك من القيام مع الناسِ حين رأيتَني ؟

قال : خِفتُ أن يسألني الله تعالى لمَ فعلتَ ، ويسألك عنه لمَ رَضيتَ ، وقد كَرِهه رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم.

فسَكن غضبُه وقرّبه وقضى حوائجه .

•

يحيى بن أكثم قال :

اني عند المأمون يوماً ، حتى أُتي برجل تَرْعَد فرائصه ، فلمّا مَثَل بين يديه ، قال له المأمون : كَفرتَ نِعْمتي ولم تَشكُر معروفي .

قال له : يا أمير المؤمنين ، وأين يَقع شُكْري في جَنب ما أنعم الله بك علي ؟

فنظر المأمون إليّ وقال متمثّلاً :

فلو كان يَستغني عن الشكر ماجدٌ،
لِكَثرة مــالٍ ، أو عُلُوّ مكانِ

---

[1] باب الذهب في بغداد .

لما نَدب الله العِبـــاد لشُكْره،
فقال : اشكُروا لي أيا الثّقَلانُ[1]

ثم التفت إلى الرجل ، فقال له : هلاّ قلت كما قال أصْرم ابن حُميد :

رَشّحتَ حَمْدي ، حتى إنني رجلٌ ،
كُلّي ، بكلّ ثَناء فيك ، مُشْتَغِلُ[2]

خَوّلتَ شُكْريَ ما خَوّلتَ من نِعم،
فحُرّ شُكري لما خَوّلتني خَوَلُ[3]

•

---

١ الثقلان : الانس والجن .

٢ رشحت حمدي : تعهدته وقويته وقمت عليه .

٣ خوله الشيء : اعطاه إياه متفضلا . الخول ، واحدهم خولي : وهم الاماء والعبيد وغيرهم من الحاشية .

الاستعطاف والاعتراف

لما سَخِط المهديّ على يعقوبَ بن داود ، قال له : يا يعقوب .

قال : لبَّيك يا أمير المؤمنين ، تلبيةَ مكروب لموجدتك .

قال : ألم أرفع من قَدْرِك إذ كنتَ وضيعاً ، وأبْعِد من ذِكْرِك إذ كنت خاملاً ، وألْبِسك من نِعْمَتي ما لم أجِد لك بها يدَين من الشكر ، فكيف رأيتَ الله أظهر عليك ، وردّ إليك منك .

قال : إن كان ذلك بعِلْمك يا أميرَ المؤمنين فتصْدِيقُ مُعْترف مُنيب ، وإن كان مما استَخْرجته دفائنُ الباغِين فعائِذ بفَضْلك .

فقال : والله لولا الحِنْث في دَمك بما تَقدم لك ، لألبستك منه قَميصاً لا تَشُدُّ عليه زِرّاً .

ثم أمر بِه إلى الحَبس . فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كَرم ، والمودّة رَحِم ، وأنت بهما جَدير .

أخذت الشعراء معنى قول المهدي : لأُلبسنّك منه قميصاً لا تشُدُّ عليه زرّاً ، فقال مُعلّى الطائي :

طَوَّقته بحُسام طَوق داهيةٍ ، ما يَسْتَطيع عليه شَدّ أزْرارِ

وقال حَبيب :

طَوَّقتَه بالحُسام طَوق ردًى، أغناه عن مسّ طَوْقه بيده

ومن قولنا :

طَوَّقته بالحُسام مُنصلِتاً ، آخرَ طَوْقٍ يكُون في عُنُقه

•

ولما رَضِيَ الرشيدُ عن يزيدَ بنِ مَزْيد ، أذِن له بالدُّخول عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، قال : الحمد لله الذي سَهّل لي سبيلَ الكرامة بلِقائك ، وردّ عليّ النّعمة بوَجه الرّضا منك ، وجَزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سُخْطك جَزاء المُحسنين المُرَغِّبين[1] ، وفي حال رِضاك جزاءَ المُنْعمين المُتطوِّلين[2] ، فقد جَعلك الله ، وله الحمد ، تَتَثَبّتُ تحرُّجاً عند الغضب ، وتَمْتَنّ[3] تطوُّلاً بالنّعم ، وتَستبقي المعروف عند الصنائع تفضُّلا بالعَفْو .

•

ولما ظَفِر المأمون بإبراهيم بن المهديّ ، وهو الذي يقال له ابن شِكْلة ، أمر بإدخاله عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، قال : وَلِيّ

---

١ المرغبين : من يعطون غيرهم ما يرغبون فيه .

٢ المتطولين : الممتنين ، المنعمين .

٣ تمتن : تنعم .

الثأر مُحكّم في القِصاص ، والعَفْو أقربُ للتقوى ، وقد جعل الله كلّ ذنب دون عَفْوك ، فإن صَفحتَ فبكَرمك ، وإن أخذتَ فبحقّك .

قال المأمون : إني شاورتُ أبا إسحاق والعبّاس[1] في قَتْلك، فأشارا عليّ به .

قال : أمّا أن يكونا قد نَصحاك في عِظَم قَدْر المُلك ، وما جَرَت عليه عادةُ السّياسة ، فقد فعلا ، ولكنك أبيتَ أن تستجْلب النصرَ إلا من حيثُ عوّدك الله .

ثم استَعبر باكياً ؛ فقال له المأمون : ما يُبكيك ؟

قال : جَذَلاً إذ كان ذَنْبي الى مَن هذه صِفته .

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّه وإن كان جُرمي يبلغ سَفْك دمي ، فحِلْم أمير المؤمنين وتفضّله يُبلغاني عَفْوه ، ولي بعدهما شفاعةُ الإقرار بالذّنب وحُرمة الأب بعد الأب .

قال المأمون : لو لم يكن في حقّ نَسبك ما يُبلّغ الصّفح عن زلّتك ، لبلّغك إليه حسنُ توصّلك ، ولَطيف تَنصّلك .

وكان تَصْويبُ إبراهيم لرأي أبي إسحاق والعبّاس ألطف في طلب الرضا ودَفْع المكروه عن نفسه من تَخطئتهما .

●

---

[1] أبو اسحاق : المعتصم بن الرشيد . العباس : ابن المأمون .

وقال المأمون لإسحاق بن العبّاس : لا تحسبَنّي أغفلتُ إجلابَكَ[1] مع ابن المهلّب، وتأييدك لرأيه، وإيقادك لناره .

قال : يا أمير المؤمنين ، والله لَإجرامُ قُريش إلى رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم، أعظم من جُرمي إليك ، ولَرَحِمي أمسّ من أرحامهم ، وقد قال كما قال يوسُف لإخوته : « لا تَثريبَ عليكم اليوم يَغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين . »

وأنت يا أميرَ المؤمنين أحقُّ وارث لهذه المنّة ومُمتثل لها .

قال : هيهات ، تلك أجرام جاهليّة عفا عنها الاسلام ، وجُرمك جُرم في إسلامك وفي دار خِلافتك .

قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله لَلمسلم أحق بإقالة العثْرة ، وغُفران الزّلة من الكافر ، هذا كتاب الله بيني وبينك ، يقول الله تعالى : « وسارِعوا إلى مَغفِرَةٍ مِنْ رَبّكم » الى « والكاظِمينَ الغيظَ والعافينَ عَن النّاس والله يُحِبّ المُحسنين . » فهي للناس يا أميرَ المؤمنين سنّة دخل فيها المُسلم والكافر والشّريف والمشروف .

قال : صدقت ، اجلس ، وَرِيَتْ بك زِنادي ، فلا بَرِح نادماً من القادرين مَن أهلك أمثالك .

●

---

١ اجلابك : من اجلب القوم : تجمعوا من كل وجه للحرب .

العُتبيّ عن أبيه قال :

قَبض مَروان بن محمد من معاوية بن عمرو بن عُتبة ماله بالفِرسان[1]، وقال : إنّي قد وجَدت قَطيعة عمّك لأبيك: إنّي أقطعتُك بُستاني . والبُستان لا يكون إلا عامراً، وأنا مُسلِّم إليك العامرَ وقابض منك العامر .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سلفك الصالح لو شَهِدوا مجلسنا هذا كانوا شُهوداً على ما ادّعيتَه ، وشُفعاء فيما طلبتُه ، يسألونك بإحسانك إليّ ، مكافأةَ إحسان سَلفي إليهم، فَشَفِّع فينا الأموات واحفظ منّا القرابات ، واجعل مَجلسَك هذا مجلساً يُلزِم مَن بعدنا شُكرَه .

قال : لا والله إلاّ أن أجعلها طُعمة منّي لك ، لا قَطيعة من عمّك لأبيك .

قال : قد قَبِلتُ ذلك .

ففعل .

•

العُتبي قال :

أمر عبدُ الملك بن مروان بقَطْع أرزاق آل أبي سُفيان وجوائزهم لِمَوجِدة وَجَدها على خالد بن يزيد بن مُعاوية ،

---

[1] فرسان : من قرى اصبهان .

فدخل عليه عمرو بن عُتبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أدنى حقّك مُتعب ، وبعضَه فادح لنا ، ولنا مع حقّك علينا حقّ عليك ، بإكرام سَلفنا لسَلفِك ، فانظر إلينا بالعَين التي نظروا بها إليهم ، وَضَعْنا بحيثُ وضَعتنا الرَّحم منك .

قال عبدُ الملك : إنما يَستحق عطيّتي من استَعْطاها ، فأما من ظنّ أنه يَكْتفِي بنفسه ، فسنَكِلُه الى نفسه .

ثم أمر له بعطيّته .

فبَلغ ذلك خالداً فقال : أبالحِرْمان يُهدّدني ! يدُ الله فوق يده باسطة ، وعَطاء الله دونه مبذول ، فأما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ لها .

•

العُتْبي قال : حدّثنا طارق بن المُبارك عن عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عُتبة قال :

جاءت دولة المُسوّدة[1]، وأنا حديثُ السن كثيرُ العيال مُتفرّق المال ، فجعلت لا أنزل قبيلةً من قبائل العرب إلاّ شُهرت فيها ، فلما رأيت أمري لا يُكْتم ، أتيتُ سليمانَ بن عليّ ، فاستأذنتُ عليه قُربَ المغرب ، فأذن لي وهو لا يعرفني ،

---

[1] المسودة : العباسيون ، سموا كذلك لاتخاذهم السواد شعاراً لهم .

فلما صِرْتُ إليه ، قلت : أصلحك الله ، لَفَظتني البلاد إليك ، ودلَّني فضلُك عليك ، فإمّا قبِلتَني غانماً ، وإمّا رددْتني سالماً .

قال : ومن أنت ؟

فانتسبت له ، فعرفني ، وقال : مَرْحباً ، اقعُدْ ، فتكلَّم غانماً .

قلت : أصلحك الله ، إنّ الحُرَمَ اللاتي أنت أقربُ الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهن بَعْدنا ، قد خِفْنَ بخوفنا ، ومن خافَ خِيف عليه .

قال : فاعتمد سليمانُ على يديه ، وسالت دُموعه على خدّيه ، ثم قال : يابن أخي ، يَحْقِن الله دمَك ، ويستُر حُرَمك ، ويُسلِّم مالك إن شاء الله ، ولو أمكنني ذلك في جميع قَومك لفعلت .

فلم أزل في جِوار سُليمان آمناً .

•

وكتب سليمان الى أبي العبّاس أمير المؤمنين : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإنّا إنما حاربْنا بني أمية على عُقوقهم ، ولم نحاربْهم على أرحامهم ، وقد دفّت إليّ منهم دافّة[١] ، لم يشهروا

---

١ الدافة : الجماعة من الناس .

سلاحاً ، ولم يكثروا جمعاً ، وقد أحسن الله إليك فأحسن ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لهم أماناً ويأمر بإنفاذه إليّ فليفعل .

فكتب لهم كتاباً منشوراً ، وأنفذه إلى سليمان بن عليّ في كل من لجأ إليه من بني أمية ، فكان يسميه أبو مسلم : كهف الأبّاق .

•

ودخل عبد الملك بن صالح يوماً على الرشيد ، فلم يلبث في مجلسه أن التفت الرشيد ، فقال متمثلاً :

أريد حياته ويريد قتلي ، عذيرك من خليلك من مراد[1]

ثم قال : أما والله لكأني أنظر الى شؤبوبها[2] قد همع[3] ، وعارضها[4] قد لمع ، وكأني بالوعيد قد وقع ، فأقلع عن براجم[5] بلا معاصم ، وجماجم بلا غلاصم[6] ، فمهلاً مهلاً ، فبي والله يسهل لكم الوعر ، ويصفو لكم الكدر ، وألقت إليكم

---

١ هذا البيت لعمرو بن معديكرب .

٢ الشؤبوب : الدفعة من المطر .

٣ همع : سال وانصب .

٤ العارض : السحاب المعترض في السماء .

٥ البراجم : مفاصل الاصابع ، الواحدة : برجمة .

٦ الغلاصم : واحدتها غلصمة ، والغلصمة رأس الحلقوم .

الأمورُ مَقاليدَ أزمّتها ، فالتداركَ التداركَ قبل حُلول داهية خَبُوط باليد لَبُوط بالرّجل .

قال عبدُ الملك : أفذّاً ما تكلّمت أم تَوْأماً يا أمير المؤمنين ؟

قال : بل فذّاً .

قال : اتقِ الله في ذي رَحِمك ، وفي رَعيّتك التي استرعاك الله ، ولا تجعل الكُفْر مكانَ الشُّكر ، ولا العِقاب موضع الثّواب ، فقد محضتُ لك النصيحة ، وأدّيت لك الطاعة ، وشددت أواخيّ مُلكك بأثقل من رُكْنَيْ يَلَملَم[1] ، وتركت عدوّك سبيلاً تتعاوره الأقدام ، فاللهَ الله في ذي رَحِمك أن تَقطعه بعد أن وصلته ، إنّ الكتاب لنَميمةُ واشٍ وبَغْي باغٍ ، يَنهش اللحم ، ويَلَغ[2] في الدّم ، فكم ليلٍ تمام فيك كابدته ، ومَقام ضيّق فرّجته ، وكنت كما قال الشاعرُ أخو بني كِلاب :

ومَقامٍ ضيّقٍ فرّجته ، بِلساني ، ومَقامي ، وجَدَلْ
لو يقوم الفيلُ ، أو فيّالُه ، زلّ عن مِثل مَقامي ، وزَحل

فرضي عنه ورحّب به ، وقال : وَرِيَتْ بك زِنادي .

•

---

١ يلملم : جبل

٢ يلغ : يشرب .

والتفت الرشيدُ يوماً إلى عبد الملك بن صالح ، فقال : أكُفراً بالنعمة ، وغَدراً بالإمام ؟

قال : لقد بُؤتُ[1] إذاً بأعباء النَّدم ، وسَعَيتُ في استجلاب النِّقم ، وما ذلك يا أمير المؤمنين إلا بَغْيُ باغٍ نافسني فيك بقَديم الوِلاية ، وحقّ القرابة .

يا أمير المؤمنين ، إنك خَليفة الله ورسولِه ، صلى الله عليه وسلّم ، في أمته ، وأمينُه على رعيَّته ، لك عليها فَرْضُ الطاعة ، وأداءُ النصيحة ، ولها عليك التثبُّت في حادِثها ، والعدلُ في حُكمها .

فقال له هارون : تَضع لي من لسانِك ، وتَرفع عليّ من جنانِك بحيث يَحفظ الله لي عليك ، هذا قُمامة كاتبك يخبرني بفعلك .

فقال عبدُ الملك : أحقّاً يا قُمامة ؟

قال : نعم ، لقد أردتَ خَتْلَ أمير المؤمنين والغدرَ به .

فقال عبدُ الملك : كيف لا يَكذِب عليّ مِن خَلفي مَن بَهتني في وجهي !

قال الرشيد : هذا ابنُك عبد الرحمن شاهدٌ عليك .

قال : يا أمير المؤمنين ، هو بين مأمورٍ أو عاقّ ، فإن كان مأموراً فمَعذور ، وإن كان عاقّاً فما أخاف من عُقوقه أكثر .

●

---

١ بؤت : رجعت .

وقال له الرشيدُ يوماً ، وكان مُعتلاً عليه : أتُبَقِّقُونَ[1] بالرَّقة ؟ قال : نعم ، ونُبَرغث ؛ قال له : ما حَملك على أن سألتُك عن مسألة ، فرددتَ عليَّ في مسألتين ؟ وأمر به الى الحبس . فلم يَزل في حَبْسه حتى أطلقه الأمين .

•

إبراهيم بن السِّندي قال : سمعتُ عبدَ المَلك بن صالح يقول بعد إخراج المَخلوع له من الحبس ، وذَكر الرشيد وفِعله به ، فقال :

والله إن المُلكَ لشيءٌ ما نَوَيته ولا تَمنّيته ، ولا نَصبت له ولا أرَدْته ، ولو أردتُه لكان إليّ أسرعَ من الماء الى الحُدور ، ومن النار إلى يَبَس العَرفج[2] .

وإني لمأخوذ بما لم أجْنِ ، ومسؤول عمّا لم أعرف ؛ ولكن حين رآني للمُلك قَميناً[3] ، وللخِلافة خَطيراً ، ورأى لي يداً تنالها إذا مُدّت ، وتبلُغها إذا بُسطت ، ونَفساً تَكمُل لخصالها ، وتستحقّها بفعالها ، وإنْ كنت لم أجنِ تلك الخصال ،

---

١ تبقون ، من ابق ولد فلان : كثروا . وأبق البيت : كثر فيه البق . وأريد بالسؤال المعنى الاول وبالجواب المعنى الثاني .

٢ العرفج : نبات سهلي .

٣ قميناً : حقيقاً .

ولم أصْطنع تلك الفَعال ، ولم أترشّح لها في السرّ ، ولا أشرتُ إليها في الجَهْر ، ورآها تَحِنّ حَنين الوالدة الوالهة ، وتَميل مَيْل المَلُوك[1] ، خاف أن تَرغب إلى خَيْر مَرْغب ، وتَنْزِع إلى أخصب مَنْزِع ، وعاقبني عقابَ مَنْ سَهر في طَلبها ، وجَهِد في التماسها .

فإن كان إنما حَسِبني أنّي أصْلُح لها وتَصلُح لي ، وأليق بها وتَليق بي ، فليس ذلك بذَنْب جَنيتُه فأتوبَ منه ، ولا تَطاولتُ له فأحُطّ نفسي عنه .

وإن زَعَم أنه لا صَرْفَ لعقابه ، ولا نجاة من عذابه ، إلا أن أخرُج له من حدّ العلْم والحِلْم والحزْم ، فكما لا يستطيع المضْياع أن يكون مُصْلِحاً ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً ، وسواء عليّ أعاقَبني على عِلْمي وحِلمي أم عاقبني على نَسَبي وسنّي ، وسواء عليّ عاقَبني على جَمالي أو عاقبني على محبّة الناس لي ، ولو أردتُها لأعجلته عن التفكير ، وشَغلته عن التّدبير ، ولما كان فيها من الخَطْب إلا اليسير .

•

ابراهيم بن السِّندي قال : كنت أساير سعيدَ بن سَلْم حين قيل له : إن أمير المؤمنين قد غَضب على رَجاء بن أبي الضحّاك

---

[1] الملوك ، من النساء : الفاجرة .

وأمر بأخذ ماله ، فارتاع بذلك وجزع ؛ فقيل له : ما يروعك منه ؟ فوالله ما جعل الله بينكما نسباً ولا سبباً ؛ فقال : بلى ، النعمة نسبٌ بين أهلها ، والطاعةُ سببٌ مؤكد بين الأولياء .

●

وبعث بعضُ الملوك إلى رجل وَجَد[1] عليه ، فلما مثل بين يديه قال : أيها الامير ، إنّ الغضب شيطان ، فاستعذ بالله منه ، وإنما خُلِق العفو للمذنب ، والتجاوزُ للمسيء ، فلا تضِق عما وَسِع الرعيةَ من حِلمك وعفوك .

فعفا عنه ، وأطلق سبيله .

●

ولما اتهم قتيبةُ بن مسلم أبا مِجلز على بعض الأمر ، قال : أصلح اللهُ الأميرَ ، تثبَّت فإن التثبتَ نصفُ العفو .

●

قال الحجاج لرجل دخل عليه : أنت صاحبُ الكلمة ؟ قال : أبوء بالذنب وأستغفر الربّ ، وأسأل العافية ؛ قال : قد عفَونا عنك .

●

---

١ وجد عليه : غضب عليه .

وأرسل بعضُ الملوك في رجل أراد عقوبته . فلما مثَل بين يديه ، قال : أسألك بالذي أنت بين يدَيه أذلُّ منّي بين يديك ، وهو على عقابك أقدرُ منك على عقابي ، إلاّ نظرتَ في أمري نَظَرَ مَن بُرْئي أحبّ إليه من سَقَمي ، وبَراءتي أحبُّ إليه من جُرْمي .

•

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجَد عليه : يا امير المؤمنين ، إن القُدْرة تُذْهِب الحَفيظة ، وأنت تَجِلّ عن العُقوبة ، ونحن مُقرّون بالذنب ، فإن تَعْفُ عني فأهل ذلك أنت ، وإن تُعاقِبْني فأهْل ذلك أنا .

•

وأمر معاويةُ بن أبي سُفيان بعقُوبة رَوْح بن زِنْباع ، فقال : أنْشُدك الله يا أمير المؤمنين أن تَضَع منّي خَسيسة[1] أنت رفعتَها ، أو تَنْقُض منّي مَريرة[2] أنت أبرمتَها[3] ، أو تُشمّت بي عدوّاً أنت وَقَمْتَه[4] ، إلاّ أتى حِلْمُك وصَفْحك عن خَطَئي وجَهلي .

---

١ تضع : ضد ترفع . خسيسة : أي نفسا ، او حالة محتقرة .

٢ تنقض : تحل . المريرة : طاقة الحبل .

٣ ابرمتها : فتلتها .

٤ وقمته : قهرته .

فقال معاوية : خلّيا عنه ، إذا أراد الله أمراً يسّره .

•

وَجَد عبدُ الملك بن مروان على رجل فجفاه واطّرحه ، ثم دعا به ليسأله عن شيء ، فرآه شاحباً ناحلاً ، فقال له : مُذْ متى اعتللت ؟

فقال : ما مسّني سقم ، ولكني جفوتُ نفسي إذ جفاني الأمير ، وآليتُ أنْ لا أرضى عنها حتى يرضى عني أمير المؤمنين.

فأعاده إلى حُسْن رأيه .

•

وقعد الحسنُ بن سهل لنُعيم بن حازم ، فأقبل إليه حافياً حاسراً ، وهو يقول : ذنبي أعظمُ من السماء ، ذنبي أعظمُ من الأرض .

فقال الحسن : على رِسْلك أيها الرجل ، لا بأسَ عليك ، قد تقدّمتْ لك طاعةٌ ، وحدثتْ لك توبة ، وليس للذّنب بينهما موضع ، ولئن وجد موضعاً فما ذنبُك في الذنوب بأعظمَ من عفو أمير المؤمنين في العفو .

•

أذنبَ رجلٌ من بني هاشم ذنباً إلى المأمون ، فعاتبه فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَن حمل مثلَ دالّتي ، ولبس ثوب حرْمتي ، ومتّ بمثل قرابتي ، اغتُفر له فوق زلّتي .

قال : صدقتَ يابن عمي ؛ وصَفَح عنه .

•

واعتذر رجلٌ إلى المأمون من ذنب ، فقال : إني وإن كانت زلّتي قد أحاطت بجُرْمتي فإن فضلَك مُحيط بها ، وكرَمَك مَوْقوف عليها .

أخذه صَريعُ الغَواني فقال :

إنْ كان ذنبي قد أحاط بحُرْمتي ،

فأحِطْ ، بذَنبي ، عَفْوَكَ المأمُولا

•

دخل يزيدُ بنُ عمرَ بن هُبَيْرة على أبي جعفر المنصور بعدما كتب أمانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إمارتكم بِكْر ودَوْلتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حَلاوتها، وجَنّبوهم مرارتها ، تَخِفْ على قلوبهم طاعتكم ، وتَسْرعْ إلى أنفسهم محبّتُكم ، وما زِلْتُ مُسْتَبطئاً لهذه الدعوة .

فلما قام قال أبو جعفر : عجباً من كل مَن يأمر بقَتْل هذا ! ثم قتله بعد ذلك غدْراً .

•

الهيثم بن عَديّ قال :

لما انهزم عبدُ الله بن عليّ من الشام ، قَدِم على المنصور

وفدٌ منهم ، فتكلّموا عنده ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وفدَ مُباهاة ، وإنما نحن وَفد تَوْبة ، ابتُلينا بفِتْنة استخفّت كَرِيمنا ، واستفزّت حَليمنا ، ونحن بما قَدّمنا مُعترفون ، ومما سَلَف منّا مُعتذرون ، فإن تعاقِبْنا فقد أجرمنا ، وإن تَعفُ عنّا فطالما أحسنتَ إلى مَن أساء منّا .

فقال المنصور للحَرَسيّ : هذا خَطيبهم ؛ وأمر بِرَدّ ضِياعه عليه بالغُوطة .

•

قال أحمد بن أبي دُوَاد : ما رأينا رجلاً نزل به الموتُ فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يُحب أن يَفعله إلا تَميمَ بن جَميل ، فإنه كان تَغلّب على شاطىء الفُرات ، وأوْفى به الرسولُ بابَ أمير المؤمنين المعتصم في يوم المَوْكب حين يَجلس للعامّة ، ودخل عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، دعا بالنّطع والسّيف ، فأحضرا ؛ فجعل تَميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شَيْئاً ، وجعل المُعتصم يُصعّد النظرَ فيه ويُصوّبه ، وكان جَسيماً وَسيماً[١] ، ورأى أن يَستنطقه ليَنظر

---

١ الوسيم : الجميل .

أين جَنانُه ولِسانُه من مَنظره ؛ فقال : يا تميم ، إن كان لك عُذرٌ فأتِ به ، أو حُجّة فأدْلِ بها .

فقال : أمّا إذ قد أذِن لي أميرُ المؤمنين فإني أقول : الحمد لله الذي أحسن كلّ شيء خلْقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسْلَه من سُلالة من ماء مَهين .

يا أمير المؤمنين ، إنّ الذنوب تُخرس الألسِنة ، وتَصدع[1] الأفئِدة ، ولقد عَظُمت الجَرِيرة[2] ، وكَبُر الذنبُ ، وساء الظّن ، ولم يَبْقَ إلا عَفوُك أو انتقامُك ، وأرجو أن يكون أقربُهما منك وأسرعُهما إليك أوْلاهما بإمامتك ، وأشبَهَهما بخلافتك ؛ ثم أنشأ يقول :

أرى الموتَ بين السيف والنِّطع كامناً ،
يُلاحِظني من حيثما أتلفّتُ

وأكبرُ ظنّي أنكَ اليومَ قاتِلي ،
وأيُّ امرئٍ مما قضى اللهُ يُفلِتُ ؟

ومَن ذا الذي يُدلي بعُذرٍ وحُجّة ،
وسَيفُ المنايا بين عينَيه مُصْلَتُ ؟

---

١ تصدع : تشق .
٢ الجريرة : الجريمة ، الذنب .

يعزّ، على الأوسِ بن تَغْلِبَ، موقفٌ
يُسَلُّ عليَّ السيفُ فيه، وأسكُتُ

وما جَزَعي مِنْ أن أموت، وإنّني
لأعْلَم أنّ الموتَ شيءٌ مُوَقّتُ

ولكنّ خلْفي صِبْيَةً قد تركتُهم،
وأكبادُهم مِن حسْرةٍ تَتَفَتّتُ

كأنّي أراهم حين أُنْعَى إليهم،
وقد خَمَشُوا تلك الوُجوهَ، وصَوّتوا

فإن عشتُ عاشوا خافضين بغِبْطةٍ،
أذودُ الرّدَى عنهم، وإن مِتّ مُوّتوا

فكم قائلٍ: لا يُبْعِدِ اللهُ روحَه،
وآخرَ جَذْلانٌ يُسَرُّ، ويَشْمَتُ

قال: فتبسّم المُعتصم، وقال: كاد واللهِ يا تميم أن يَسبِقَ السيفُ العَذَلَ، اذهب فقد غفرتُ لك الصَّبوة، وتركتُك للصِّبية.

•

وحُكي أن أمير المؤمنين المهديَّ قال لأبي عُبيد الله لما قَتَلَ ابنه: إنه لو كان في صالح خِدْمتك، وما تعرّفناه من طاعتك،

وفاءٌ يجب به الصفحُ عن ولدك ، ما تجاوز أميرُ المؤمنين ذلك به الى غيره ، ولكنه نَكَص على عَقِبَيه ، و كفر بربّه .

قال أبو عُبيد الله : رِضانا عن أنفسنا وسُخْطُنا عليها مَوصول برضاك وسُخْطك ، ونحن خدَم نِعمتك ، تُثِيبنا على الإحسان فنَشْكُر ، وتُعاقبنا على الإساءة فنَصبِر .

•

أبو الحسن المَدائني قال :

لما حجّ المَنصور مَرّ بالمدينة ، فقال للرّبيع الحاجب : عليّ بجعفر بنِ محمد ، قَتلني اللهُ إن لم أقتُلْه .

فمَطِل به ، ثم ألحّ عليه فحَضر ، فلما كُشف السترُ بينه وبينه ومَثَل بين يديه ، هَمس جعفرٌ بشَفَتَيْه ، ثم تقرّب وسلّم ؛ فقال : لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله ، تَعْمل عليّ الغوائل في مُلكي ، قَتلني الله إن لم أقتلْكَ .

قال : يا أمير المؤمنين ، إن سُليمان ، صلى الله على محمد وعليه ، أعطي فشَكَر ، وإنّ أيوب ابتُلي فَصبر ، وإن يُوسُف ظُلم فَغفَر ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقّ من تأسّى بهم .

فنَكَس أبو جعفر رأسه مَلياً ، وجعفر واقف ، ثم رَفع رأسه فقال : إليّ أبا عبد الله ، فأنت القَريب القَرابة ، وذو الرّحم الواشجة ، السّليم الناحية ، القليل الغائلة .

ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسائله ، ثم قال : يا ربيع ، عجّل لأبي عبد الله كسوته وجائزته وإذنه .

قال الربيع : فلما حال السّتر بيني وبينه أمسكتُ بثوبه ؛ فقال : ما أرانا يا ربيع إلا وقد حُبِسنا .

فقلت : لا عليك ، هذه مني لا منه .

فقال : هذه أيسرُ ، سَلْ حاجتَك .

فقلت له : إني منذ ثلاث أدْفع عنك وأداري عليك ، ورأيتُك إذ دخلتَ همستَ بشفتيك ، ثم رأيتُ الأمر انجلى عنك ، وأنا خادم سُلطان ولا غنى لي عنه ، فأحب منك أن تُعلِّمنيه .

قال : نعم ؛ قلت : اللهم احرُسني بعينك التي لا تنام ، واكنُفْني بحفظك الذي لا يُرام ، ولا أهلِك وأنت رجائي ، فكم من نِعْمة أنعمتَها عليّ قلّ لك عندها شُكري فلم تحرِمْني ، وكم من بَلِيّة ابتُليت بها قلّ عندها صَبري فلم تَخذُلني ، اللهم بك أدْرأ في نحره ، وأستعيذُ بخيرك من شرّه ، فإنك على كل شيء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

•

المدائني قال :

كان يَزيد بن راشد خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خلع سُليمان بن عبد الملك والبَيْعة لعبد العزيز بن الوليد ، فنَذر سليمانُ قطعَ لسانه . فلما أفضتِ الخلافةُ إليه دخل عليه يزيدُ ابنُ راشد، فجلس على طَرَف البساط مفكّراً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كُنْ كنبيّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابتُلي فصَبر ، وأُعطِي فشكر ، وقَدَر فغفر .

قال : ومن أنت ؟

قال : يزيدُ بن راشد .

فعفا عنه .

•

حبس الرشيدُ رجلا ، فلما طال حَبْسه كتب إليه : إنّ كلّ يوم يَمضي من نَعيمك يَمضي من بُؤسي مثلُه ، والأمَدُ قريب ، والحُكم لله . فأطلقه .

•

ومَرّ أسدُ بن عبد الله القَسريّ ، وهو والي خُراسان ، بدار من دُور الاستخراج ودِهْقانٌ يعذَّب في حَبْسه ، وحول أسد مساكينُ يَستجدونه ، فأمر لهم بدراهمَ تُقسَّم فيهم ؛ فقال الدّهقان : يا أسد ، إن كنتَ تُعْطي من يُرْحم فارحم من يُظلم ، فإن السموات تَنفرج لدَعوة المَظلوم .

يا أسد ، احذَر مَن ليس له ناصر إلا الله ، واتّقِ من لا جُنّة له إلا الابتهالُ إليه ، إنّ الظلم مَصرعه وَخيم ، ولا تَغتر بإبطاء الغِيَثاتِ من ناصر متى شاء أن يُجيب أجاب ، وقد أملى لِقوم ليزدادوا إثماً . فأمر أسدٌ بالكفّ عنه .

•

عَتَب المأمون على رجل من خاصّته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ قديم الحُرمة ، وحديث التّوبة ، يَمحُوان ما بينهما من الإساءة ؛ فقال : صدقتَ ؛ ورَضي عنه .

•

وكان مَلِك من مُلوك فارس عَظيمَ المَملكة شَديد النّقمة ، وكان له صاحبُ مَطبخ ، فلما قرّب إليه طَعامَه صاحبُ المطبخ سَقطت نُقطةٌ من الطعام على يَدَيه ، فَزَوى لها الملك وَجهَه ، وعَلِم صاحبُ المطبخ أنه قاتله ، فكفأ الصحفَةَ على يديه ؛ فقال الملك : عليّ به ! فلما أتاه ، قال له : قد علمتُ أنّ سُقوط النقطة أخطأت بها يدُك ، فما عذرُك في الثانية ؟

قال : استَحيَيتُ للملك أن يَقتل مِثلي في سِنّي وقَديم حُرمَتي في نُقطة ، فأردتُ أن أعَظّم ذنبي ليَحسُن به قَتلي .

فقال له الملك : لئن كان لُطف الاعتذار يُنجيك من القتل ، ما هو بمُنجيك من العُقوبة ، اجلدوه مائة جلدة وخلّوه .

•

الشَّيباني قال :

دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قَبَض ضِياعهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، محمدُ بن عبد الملك بين يَدَيك ، رَبيب دَوْلتك ، وسَليل نعمتك ، وغُصْن من أغصان دوْحتك ، أتأذنُ لي في الكلام ؟

قال : نعم .

قال : نستمتع الله حِياطةَ ديننا ودُنيانا ورِعاية أدنانا وأقصانا ببَقائك ، ونسأله أن يزيد في عُمرِك من أعمارنا ، وفي أثرِك من آثارنا ، ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا ، هذا مَقام العائذ بفَضلك ، الهارب الى كَنَفِك وظلّك ، الفقير الى رَحمتك وعَدْلك .

ثم تكلم في حاجته فقضاها .

•

وقال عُبيد بن أيوب ، وكان يَطلُبه الحجّاج لجِناية جناها ، فهرب منه وكتب إليه :

أذِقني طَعْمَ النوم ، أو سَلْ حقيقةً
علي ، فإن قامت ففصِّل بَنانيا

خَلَعتَ فؤادي ، فاستَطار ، فأصبحتْ
ترامى به البِيدُ القِفار تَراميا

ولم يقل أحد في هذا المعنى أحسنَ من قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر :

أتاني ، أبيتَ اللعنَ ، أنك لمتني ،
وتلك التي تستكّ منها المسامع[1]

فبتُّ كأنني ساورتني ضئيلةٌ
من الرُّقشِ ، في أنيابها السمُّ ناقعُ[2]

أكلفتني ذنبَ امرئٍ وتركته ،
كذي العرّ يُكوى غيرُه وهو راتعُ[3]

فإنك كالليل الذي هو مُدرِكي ،
وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

وقال فيه أيضاً :

ولستَ بمستبقٍ أخاً ، لا تلمّه
على شعثٍ ، أيّ الرجال المهذّبُ ؟

فإنْ أكُ مظلوماً ، فعبدٌ ظلمته ؛
وإن تكُ ذا عتبى ، فمثلك يُعتِبُ[4]

---

١ استكت المسامع : صمت وضاقت .
٢ ساورتني : واثبتني . ضئيلة : حية .
٣ العر : الجرب .
٤ يعتب : يرضى .

حَلَفْتُ، فلم أترُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً،
وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جِنايةً،
لَمُبْلِغُكَ الواشي أغشُّ وأكذَبُ

ألم ترَ أنّ اللهَ أعطاكَ سُورةً،
ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذَبْذَبُ[1]

فإنكَ شمسٌ، والملوكُ كواكبٌ،
إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

•

وقال ابن الطَّثْرِيّة:

فَهَبْني امرأً إمّا بريئاً علِمْتَه،
وإمّا مُسيئاً تابَ منه، وأعْتَبا

وكنتُ كذي داءٍ يُبَغّي لدائِهِ
طبيباً، فلمّا لم يَجِدْهُ تَطَبَّبا

•

١ السورة: المنزلة الرفيعة والشرف. يتذبذب: يتحرك، يتردد، لبنالها فلا يستطيع.

وقال المُمزّق العَبْدي لعمرو بن هند :

تَرُوح وتَغدو، ما يُحَلُّ وَضينُها،
إليك، ابنَ ماء المُزْن، وابنُ مُحَرّقِ[1]

أحقاً، أبيتَ اللعنَ، أنّ ابن مُزْننا،
على غيرِ إجرام، بريقيَ مُشرقي ؟

فإن كنتُ مأكولاً، فكُنْ خيرَ آكلٍ،
وإلاّ فأدركني ولَمّا أُمزّقِ

فأنت عَميد الناس، مهما تَقُلْ نَقُلْ،
ومهما تضَع من باطلٍ لا يُحقّقِ

وتمثّل بهذه الأبيات عثمانُ بن عفان في كتابه الى عليّ بن أبي طالب يومَ الدار[2]

•

وكتب محمد بنُ عبد الملك الزيّات، لما أحسّ بالموت وهو في حَبس المتوكل، برقعة الى المتوكل؛ فيها :

هي السبيلُ، فمِن يومٍ الى يومٍ،
كأنه ما تُريكَ العَينُ في النومِ

---

[1] الوضين للهودج : بمنزلة الحزام للسرج .

[2] يوم الدار : هو يوم مقتل عثمان بن عفان .

لا تَعْجلنَّ، رُويداً، إنَّها دُوَل؛
دُنيـا تَنَقَّلُ من قومٍ الى قومِ

إنَّ المَنـايا، وإن أصبحتَ ذا فرح،
تَحُوم حولَـك حَوْماً أيَّمـا حَومِ

فلمَّـا وصلتْ الى المتوكل وقرأها، أمر بإطلاقـه، فوَجَدوه ميتاً.

•

وقال عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة للمنصور وقد أراد عُقوبة رجل: يا أمير المؤمنين، إنَّ الانتقام عَدْل، والتجاوزَ فَضْل، والمتفضل قد جاوز حَدَّ المُنْصِف، ونحن نُعيذ أمير المؤمنين أن يَرضى لنفسه أوكَس[1] النَّصيبين، دون أن يبلغ أرفع الدَّرجتين.

•

جَرى بين أبي مُسلم صاحب الدعوة[2] وبين قائد من قُوَّاده يقال له شَهْرام كلام، فقال له قائده كلمةً فيها بعض الغِلَظ، ثم نَدِم على ما كان منه، فجَعل يتضرَّع ويتنصَّل إليه؛ فقال له أبو مُسْلم: لا عَلَيك، لِسَان سَبق، ووَهْم أخطأ،

---

١ أوكس: اخس، انقص.
٢ هو ابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية.

وإنما الغَضب شيْطان ، وأنا جرّأتك عليّ بطول احتمالي منك ، فإن كنتَ للذنب متعمّداً ، فقد شاركتُك فيه ، وإن كنتَ مَغلوباً ، فإن العُذر يَسَعك ، وقد عفَونا على كل حال .

فقال : أصلح اللهُ الأمير ، إنّ عَفو مثلك لا يكون غُروراً .

قال : أجل !

قال : فإنّ عِظَم الذّنب لا يدَع قلبي يَسكن .

وألحّ في الاعتذار ؛ فقال له أبو مسلم : عجباً لك ، إنّك أسأتَ فأحسنتُ ، فلمّا أحسنتَ أُسيءُ !

•

دخل أبو دُلَف على المأمون ، وقد كان عتَب عليه ثم أقاله ، فقال له وقد خلا مجلِسُه : قلْ أبا دُلَف ، وما عَسَيت أن تقول وقد رَضِي عنك أمير المؤمنين وغَفر لك ما فعلت ؟

فقال : يا أمير المؤمنين

لَيالِيَ تُدْني منكَ بالبِشرِ مَجْلسي،
ووَجْهُك ، من ماء البَشاشة ، يَقْطُرُ

فَمَن ليَ بالعَيْن التي كنتَ ، مَرّةً ،
إليّ بها ، في سالف الدّهر ، تنْظر

قال المأمون : لك بها رجوعُك إلى المُناصَحة ، وإقبالك على الطّاعة ؛ ثم عاد له إلى ما كان عليه .

وقال له المأمون يوماً : أنت الذي تقول :

إنّني امرؤٌ كِسْرَويُّ الفَعال،
أصيف الجبالَ ، وأشتو العِراقا

ما أراكَ قَدَّمت لحقّ طاعة ، ولا قضيتَ واجبَ حُرْمة . قال له : يا أمير المؤمنين ، إنما هي نِعْمتك ، ونحن فيها خَدَمك ، وما هِراقة دَمي في طاعتك ، إلا بعضُ ما يجب لك .

ودخل أبو دُلَف على المأمون ، فقال : أنت الذي يقول فيك ابنُ جَبَلة :

إنّما الدُّنيا أبو دُلَف ، بين بادِيه ومُحْتَضرِه
فإذا ولّى أبو دُلَف ، وَلّتْ الدنيا على أثَرِه

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادة زُور ، وكَذِب شاعر ، ومَلَق مُسْتَجْدٍ ، ولكني الذي يقول فيه ابنُ أخيه :

دَعِيني أجوبُ الأرضَ في طَلَبِ الغِنَى ،
فما الكَرْج بالدُّنيا ، ولا النّاسُ قاسِمُ

الكرج[1] : منزل أبي دُلَف ، وكان اسمه القاسم بن عيسى .

•

---

[1] الكرج: مدينة بين همذان واصبهان واول من مصرها ابو دلف وجعلها منزله.

وقال المنصور لِمَعْن بن زائدة : ما أظنّ ما قيل عنك من ظُلْمك أهلَ اليمن واعتسافِك عليهم إلا حقّاً !

قال : كيف ذلِك يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : بلغني عنك أنك أعطيتَ شاعراً لبيت قاله ألفَ دينار ؛ وأنشده البيت ، وهو :

مَعْن بن زائدَةَ ، الذي زيدتْ به
فخراً الى فخر ، بنو شَيْبانِ

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد أعطيتُه ألفَ دينار ، ليس على هذا البيت ، ولكن على قوله :

ما زلتَ يوم الهاشميّة مُعلِماً
بالسّيف دون خَليفة الرّحمنِ

فمنعتَ حوْزَته وكنتَ وقاءَه
مِن وَقْع كلّ مهنّد وسِنان

قال : فاستحْيا المنصور وجعل ينكُتُ بالمِخْصرة ، ثم رفع رأسه وقال : اجلس أبا الوليد .

•

أُتي عبدُ الملك بن مَروان بأعرابيّ سَرَق ، فأمر بقطْع يده ، فأنشأ يقول :

يَدي ، يا أمــيرَ المؤمنين ، أعيذُها
بعَـفْوِكَ ، أنْ تَلقى مكاناً يَشينُها

ولا خيرَ في الدُّنيا ، وكانت حَبيبةً ،
إذا مــا شِمالي فارقتها يمينُها

فأبى إلا قَطْعه ؛ فقالت أمّه : يا أمير المؤمنين ، واحدي وكاسِبي .

قال : بِئس الكاسِب كان لك ، وهذا حدٌّ من حدود الله .

قالت : يا أمير المؤمنين ، اجعلْه من بعض ذُنوبك التي تَسْتغفر الله منها .

فعفا عنه .

تذكير الملوك بذمام متقدم

قال ثُمامة بن أشرس للمأمون لما صارت إليه الخلافة : إنه كان لي أملان : أملٌ لك وأملٌ بك ، فأما أملي لك فقد بلغتُه ، وأما أملي بك فلا أدْري ما يكون منك فيه .

قال : يكون أفضَلَ ما رجوتَ وأمّلتَ .

فَجعله من سُمّاره وخاصّته .

●

الأصمعي قال : لما مات يزيدُ بن عبد الملك وصارت الخِلافة الى هشام بن عبد الملك ، خَرّ أصحابُه سُجوداً إلا الأبْرَشَ الكَلْبيّ[1] ؛ فقال له : يا أبرَش ، ما مَنعك أن تَسجد كما سَجدوا ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، لأنك ذهبت عَنّا وتركتنا .

قال : فإن ذهبتُ بك معي ؟

قال : أوَتفعل يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم .

---

١ هو كاتب هشام ، واسمه سعيد بن جبلة .

قال : فالآن طاب السجود .

ثم سَجد .

●

ولما صارت الخلافة الى أبي جَعْفر كتب إليه رجلٌ من إخوانه :

إنّا بِطانَتُك ، الألى كُنّا نُكابِد ما تُكابِدْ
ونَرى ، فَنَعْرَف بالعَدا وة ، والبِعاد لمن تُباعد
ونَبِيتُ ، من شَفَقٍ عليك ، ورِبيئَةً ، والليلُ هاجِد[1]
هـذا أوانُ وفاءِ ما سَبَقَتْ به ، منك ، المَواعِد

فَوقَّع أبو جعفر على كل بيتٍ منها : صدقتَ صدقتَ ؛ ثم دعا به وألحقهُ بخاصته .

●

وقال حَبيب الشاعر[2] في هذا المعنى :

وإن أولى المَوالي أن تُواسِيَه ،
عند السُّرور ، لَمَن واساكَ في الحَزَنِ

إنّ الكِرام ، إذا ما أسْهَلوا ذَكَروا
مَن كانَ يَألفهم ، في المَوطن الخَشِنِ

---

١ الشفق : الخوف . الربيئة : الطليعة من الجيش .

٢ هو حبيب الطائي ، ابو تمام .

حسن التخلص من السلطان

أبو الحسن المدائني قال: كان العبّاس بن سَهل والي المدينة لعبد الله بن الزُّبير، فلما بايع الناسُ عبدَ الملك بن مروان، ولّى عثمانَ بن حيّان المُرّي، وأمره بالغِلظة على أهل الظِّنَّة، فعرّض يوماً بذِكر الفتْنة وأهلِها، فقال له قائل: هذا العبّاس ابن سهل على ما فيه، كان مع ابن الزبير وعمِل له.

فقال عثمان بن حيّان: ويْلي عليه، والله لأقتلنّه!

قال العبّاس: فبلغني ذلك، فتغيّبت حتى أضرّ بي التغيّب، فأتيتُ ناساً من جُلسائه، فقلت لهم: ما لي أخاف وقد أمّنني عبدُ الملك بن مروان؟

فقالوا: والله ما يذكرك إلا تَغيّظ عليك، وقلّما كُلّم على طعامه في ذنب إلاّ انبسط، فلو تنكّرت وحضَرت عَشاءَه وكلّمته.

قال: ففعلتُ، وقلت على طعامه وقد أُتي بجَفنة ضَخمة ذات ثَريد ولحم: والله لكأني أنظرُ الى جَفْنة حيّان بن مَعْبد والناسُ يَتكاوَسون[1] عليها، وهو يطوف في حاشيته،

---

١ يتكاوسون: يتزاحمون.

يتفقّد مصالِحها ، يسْحب أرْدِية الخزّ ، حتى إنّ الحَسَك ليتعلّق به فما يُميطه[1] ، ثم يُؤتى بجفْنة تَهادى بين أربعة ، ما يستقلّون بها إلاّ بمشقّة وعَناء ، وهذا بعدما يَفرُغ النّاسُ من الطّعام ويتنحّون عنه ، فيأتي الحاضرُ من أهله والطارىء من أشراف قومه ، وما بأكثرهم من حاجة الى الطعام ، وما هو إلاّ الفخر بالدنوّ من مائدته والمُشاركة ليده .

قال : هيهِ ، أنت رأيتَ ذلك ؟

قلتُ : أجل والله !

قال لي : ومَن أنت ؟

قلت : وأنا آمِن ؟

قال : نعم .

قلت : العبّاس بن سهل بن سعد الأنصاري .

قال : مرحباً وأهلاً ، أهلَ الشرف والحق .

قال : فلقد رأيتُني بعد ذلك وما بالمدينة رجلٌ أوجَه مني عنده .

فقيل له بعد ذلك : أنتَ رأيت حيّان بن معْبد يسْحب أردية الخزّ ويتكاوس الناس على مائدته ؟

---

[1] يميطه : يزيله .

فقال : والله لقد رأيتُــه ونزلنا ذلك الماء وغشِيَنا وعليه عَباءة دَكْوانيّة[1] ، فلقد جعلْنا نذوده عن رَحْلنا مخافةَ أن يسْرقه .

•

أبو حاتم قال : حدّثنا أبو عُبيدة قال : أُخِذ سُراقـة بن مِرداس أسيراً يوم جبّانة السُّبَيع[2] ، فقُـدّم في الأسرى الى المُختار ، فقال سُراقة :

امنُنْ عليَّ اليوم ، يا خــيرَ معَدّ ،
وخـيرَ من لبّى وصلى وسَجَـدْ

فعفا عنه المُختار وخلّى سبيلَه . ثم خرج مـع إسحاق بن الأشعث ، فأُتي به المختــارُ أسيراً ، فقال له : ألم أعفُ عنك وأمنُنْ عليك ؟ أما والله لأقتلنّك !

قال : لا والله لا تفعل إن شاء الله .

قال : ولِمَ ؟

قال : لأن أبي أخـبرني أنك تفتح الشامَ حتى تَهدِم مدينة دمشق حجراً حجراً وأنا معك ؛ ثم أنشده :

---

١ لعلها منسوبة الى نوع من الصوف المنسوج .

٢ جبانة السبيع : بالكوفة . وكان بها يوم للمختار بن عبيد .

ألا أبْلِغ أبا إسحاق أنّا
حَملنا حَمْلةً ، كانت علينا[1]

خرجنا لا نرى الضُّعفاء شيئاً ،
وكان خُروجنا بطَراً وحَيْنا

تراهم في مَصَفّهمُ قليلاً ،
وهُم مِثل الدَّبى لما التقَيْنا[2]

فأسْجِح ، إذ قدَرْت ، فلو قدَرْنا
لَجُرْنا في الحُكومة ، واعتَدَيْنا[3]

تقبَّلْ توبةً مني ، فإني
سأشكرُ ، إن جعلتَ النقدَ دَيْنا

قال : فخلّى سبيله ، ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه سُراقة ، فأخِذ أسيراً وأُتي به المختار ؛ فقال : الحمد لله الذي أمْكنني منك يا عدوّ الله ، هذه ثالثة .

فقال سُراقة : أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني ، فأين هم

---

١ ابو اسحاق : كنية المختار .
٢ الدبى ، واحدتها دباة : اصغر الجراد ، النمل .
٣ أسجح : أحسن العفو .

لا أراهم ؟ إنّا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض .

فقال المختار : خلّوا سبيله ليَخبُرَ الناس ؛ ثم دعا لقتاله فقال :

ألا أبْلِغْ أبا إسْحاق أنّي
رأيتُ البُلْق دُهْماً ، مُصْمَتاتِ[1]

أري عينيّ ما لم ترْأياه ،
كِلانا عالم بالتُّرّهات[2]

كفرْتُ بوَحْيِكم وجعلتُ نذراً
عليّ قِتالَكم ، حتى المَمات

•

كان مَعْنُ بنُ زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرى ، فقام إليه أصغر القوم ، فقال له : يا معن ، أتقتل الأسرى عِطاشاً ؟

فأمر لهم بالماء ، فلما سُقوا قال : يا معن ، أتقتلُ ضِيفانك ؟ فأمر مَعن بإطلاقهم .

•

---

١ الدهم : السود . المصمتات : التي لا يخالط لونها لون آخر .
٢ الترهات : الاباطيل .

لما أُتي عمر بن الخطاب بالهُرْمزان أسيراً دعاه الى الاسلام، فأبى عليه، فأمر بقَتْله، فلما عُرِض عليه السيف، قال: لو أمرتَ لي يا أمير المؤمنين بشَرْبة من ماء فهو خير من قتْلي على الظمأ.

فأمر له بها، فلما صار الإناء بيده، قال: أنا آمن حتى أشرب؟

قال: نعم.

فألقى الإناء من يده، وقال: الوفاء يا أمير المؤمنين نور أَبْلج.

قال: لك التوقف حتى أنظرَ في أمرك، ارفعا عنه السيف.

فلما رُفع عنه، قال: الآن أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسوله.

فقال له عمر: وَيحك! أسلمتَ خيرَ إسلام، فما أخَّرك؟

قال: خشيت يا أمير المؤمنين أن يُقال إن إسلامي إنما كان جَزَعاً من الموت.

فقال عمر: إنّ لفارسَ حُلوماً بها استحقت ما كانت فيه من المُلك.

ثم كان عمر يُشاوره بعد ذلك في إخراج الجُيوش الى أرض فارس ويَعمل برأيه.

•

لما أتي الحجّاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر بقتلهم ؛ فقال رجل : أصْلح الله الأمير ، إن لي حُرمة .

قال : وما هي ؟

قال : ذُكِرتَ في عسكر ابن الأشعث فشُتِمتَ في أبويك ، فعرضت دونهما ، فقلت : لا والله ما في نسبه مَطْعن ، فقولوا فيه ودَعوا نسبه .

قال : ومن يعلم ما ذكرتَ ؟

فالتفتُ الى أقرب الأسرى إليّ ، فقلتُ : هذا يعلمه .

قال له الحجّاج : ما تقول فيما يقول ؟

قال : صدق ، أصْلح الله الأمير ، وبرّ .

قال : خلّيا عن هذا لنُصرته وعن هذا لحِفظ شهادته .

•

عمرو بن بَحر الجاحظُ قال : أُتي رَوْح بن حاتم برجل كان مُتلصّصاً في طريق الرّقاق[1] فأمر بقتله ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، لي عندك يدٌ بيضاء .

قال : وما هي ؟

قال : إنّك جئت يوماً الى مَجمع موالينا بني نَهشل والمجلس

---

[1] الرقاق : موضع في جبل بمكة يقال له عامر .

مُحتفل ، فلم يتَحفّز[1] لك أحد ، فقمْتَ من مكاني حتى جلستَ فيه ، ولولا مَحْض كَرَمك ، وشرَفُ قَدْرك ، ونَباهة أوليّتك ، ما ذكَّرْتُك هذه عند مثل هذا .

قال ابنُ حاتم : صَدق ؛ وأمر بإطلاقه ، وولاّه تلك الناحية وضمّنه إياها .

•

ولما ظَفِر المأمون بأبي دُلَف ، وكان يَقْطع في الجبال ، أمر بضَرْب عنقه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، دَعْني أركع ركْعتين .

قال : افعل .

فركَع وحبّر أبياتاً ، ثم وقف بين يديه فقال :

بِعْ بيَ الناسَ ، فإنّي خلَفٌ مِمّن تَبيعُ
واتّخِذني لك دِرْعاً ، فلَصت عنه الدُّروع[2]
وارْمِ بي كلَّ عدوٍّ ، فأنا السَّهْمُ السَّريع

فأطلقه وولاّه تلك الناحية ، فأصلحها .

•

---

[1] يتحفز : يستقل على رجليه ، لا يستوي قائماً .

[2] قلصت : قصرت .

أُتي معاوية يوم صِفّين بأسير من أهل العراق ، فقال : الحمدُ لله الذي أمكنني منك .

قال : لا تقُل ذلك يا مُعاوية ، فإنها مُصيبة .

قال : وأي نعمة أعظم من أن أمكنني الله ، عزّ وجل ، من رجُل قتَل جماعةً من أصحابي في ساعة واحدة ؟ اضرب عُنقَه يا غُلام .

فقال الأسير : اللهم اشْهد أنّ معاوية لم يَقتُلني فيك ، وانّك لا ترْضى بقَتْلي ، وإنما يَقتُلني في الغَلَبة على حُطام هذه الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو أهلُه ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهلُه .

قال له : ويحك ! لقد سبَبْتَ فأبلغت ، ودعوتَ فأحْسنت ، خلّيا عنه .

•

وأمر مُصعبُ بن الزُّبير برَجُل من أصحاب المختار أن يُضرب عُنقه ؛ فقال : أيها الأمير ، ما أقبَح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحَسَنة ، ووَجهك هذا الذي يُستضاء به ، فأتعلّق بأطرافك ، وأقول : أي رب ، سلْ هذا فيمَ قتلني .

قال : أطلِقوه فإني جاعل ما وهَبت له من حياته في خفض ، أعطوه مائة ألف .

قال الأسير : بأبي أنت وأمي ، أشهدُ أنّ لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً .

قال : ولم ؟

قال : لقوله :

إنما مُصْعبٌ شهابٌ من الله ،
تَجَلَّتْ عن وَجْهه الظَّلْماءُ

مُلْكه ، مُلْكُ عِزّة ، ليس فيه
جبروتٌ منه ، ولا كِبْرياءُ

يَتّقي الله في الأمور ، وقد أفلح
من كان ، همّه ، الاتقاءُ

•

أمر عبدُ الملك بقتل رجل ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعزُّ ما تكون أحوجُ ما تكون الى الله ؛ فعفا عنه .

•

أُتي الحجاج بأسرى من الخوارج ، فأمر بضَرْب أعناقهم ، فقُدّم فيهم شاب ، فقال : والله يا حجّاج لئن كُنّا أسأنا في الذّنب فما أحسنتَ في العَفْو .

فقال : أفّ لهذه الجِيَف ، ما كان فيهم من يقول مثلَ هذا ! وأمسك عن القتل .

•

وأُتي الحجّاج بأَسرى فأمر بقتلهم ، فقال له رجل منهم : لا جَزاكَ الله يا حجّاج عن السُّنة خيراً ، فإن الله تعالى يقول : « فإذا لَقِيتُمُ الذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إذا أثْخَنْتُمُوهم فَشُدُّوا الوَثاقَ فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فِداء . »

فهذا قول الله في كتابه . وقد قال شاعرُكم فيما وصف به قومَه من مكارم الأخلاق :

وَما نقْتل الأسْرى ، ولكن نَفُكُّهم ،
إذا أثْقل الأعْناقَ حَمْلُ القلائِدِ

فقال الحجّاجُ : ويحكم ! أعَجَزْتم أن تُخْبروني بما أخْبرني هذا المُنافق !

وأمْسك عمَّن بَقِي .

•

الهيثمُ بن عديّ قال : أُتي الحجّاج بحَرورِيّة ، فقال لأصحابه : ما تقولون في هذه ؟

قالوا : اقتُلْها ، أصْلَح الله الأمير ، ونَكِّل بها غيرها .

فتبسَّمتِ الحَروريّةُ ؛ فقال لها : لِمَ تَبَسَّمتِ ؟

فقالت : لقد كان وُزراء أخيك فِرْعون خَيراً من وُزرائك

يا حجّاج ، استشارهم في قَتْل موسى ، فقالوا : أرْجِه[1] وأخاه ، وهؤلاء يأمرونك بتَعْجيل قَتْلي .

فَضَحِكَ الحجّاج ، وأمر بإطلاقها .

•

وقال مُعاوية ليُونس الثّقفي : اتّقِ الله ، لأطَيّرنك طيرةً بطيئاً وقُوعُها .

قال : أليسَ بي وبك المَرجع الى الله ؟

قال : نعم .

قال : فاستغفِر الله .

•

ودَخل رجلٌ من بني مَخْزوم على عبد الملك بن مَرْوان ، وكان زُبيْريّاً ، فقال له عبدُ الملك : أليس الله قد رَدّك على عقبَيك ؟

قال : ومن رُدّ إليك يا أمير المؤمنين فقد رُدّ على عقِبَيه ؟

فسكت عبدُ الملك وعَلِم أنها خطأ .

•

دخل يزيدُ بن أبي مُسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال له سُليمان : على امرىء أمّرك وجرّأك وسَلّطك على الأمة لعنةُ

---

١ أرجه : مهل أرجئه ، والارجاء التأجيل ، والتأخير .

الله ، أتظنُّ الحجّاج استقرَّ في قعْرِ جهنم أم هو يَهْوي فيها ؟

قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الحجّاج يأتي يومَ القيامة بين أخيك وأبيك ، فضَعْه من النار حيث شئت .

•

وقال عُبيدُ الله بن زِياد لقَيْس بن عَبّاد : ما تقول فيَّ وفي الحُسين ؟

قال : أعفِني عافاك الله .

قال : لا بُدَّ أن تقول .

قال : يجيء أبوه يومَ القيامة فيَشْفع له ويجيء أبوك فيَشْفع لك .

قال : قد عَلِمت غِشّك وخُبْثك ، لئن فارقتَني[1] يوماً لأضعنَّ أكثرك شَعراً[2] بالأرض .

•

الأصمعيّ قال : بَعث الحجّاج الى يحيى بن يَعْمَر ، فقال له : أنت الذي تقول : إن الحُسين بن علي ابن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابنُ رسول الله ، لَتأتيَنّي بالمَخْرج مما قلتَ أو لأضربنّ عنقك .

---

١ فارقتني : بعدت عني ، وخرجت عن طاعتي .

٢ أي رأسك ، أراد انه يقطع رأسه .

فقال له ابنُ يَعْمر : وإن جئتُ بالمَخْرج فأنا آمِن ؟

قال : نعم .

قال : اقرأ : « وتلك حُجَّتُنا آتيناها إبراهيمَ على قومِه . » الى قوله : « ومِنْ ذُرّيتِه داودَ وسُليمانَ وأيُّوبَ ويوسفَ وموسى . » الى قوله : « وعيسى . » فمن أقرب : عيسى من إبراهيم ، وما هو ابنُ بنته ، أو الحسين من محمد ، صلى الله عليه وسلم ؟

فقال له الحجّاج : والله لكأني ما قرأتُ هذه الآية قط ؛ وولاّه قضاء بلده . فلم يزل به قاضياً حتى مات .

•

أبو بكر بن أبي شَيْبة قال : دخل عبدُ الرحمن بن أبي ليلى على الحجّاج ، فقال لجُلسائه : إن أردتم أن تنظُروا الى رجل يَسُبُّ أميرَ المؤمنين عُثمان بن عَفّان فهذا عندكم ، يعني عبدَ الرحمن .

فقال عبدُ الرحمن : مَعاذ الله أيها الأمير أنْ أكون أسُبّ أميرَ المؤمنين ، إنه ليَحْجزُني عن ذلك ثلاثُ آيات في كِتاب الله ، قال الله تعالى : « للفُقَراء المُهاجرين الذين أُخرِجوا من ديارهم وأموالهِم يَبْتَغُون فضلاً مِنَ الله ورِضواناً ويَنْصُرُون اللهَ ورسولَه ، أولئك هم الصّادِقون . » فكان عثمان منهم .

ثم قال : « والذين تبوَّأوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحبّون مَنْ هاجرَ إليهم ولا يجدون في صُدُورهم حاجةً مما أوتوا ويُؤثِرون على أنفُسِهم ولو كان بهم خَصاصة ، ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المُفلِحون . » فكان أبي منهم .

ثم قال : « والذين جاؤوا من بَعْدِهم يقولون ربَّنا اغفِر لنا ولإخوانِنا الذين سبقُونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاً للَّذين آمنوا ، ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم . » فكنتُ أنا منهم .

فقال : صدقت .

•

أبو عَوانة عن عاصم بن أبي وائل قال : بَعث إليَّ الحجاجُ فقال لي : ما اسمُك ؟

قلتُ : ما أرسل إليَّ الأمير حتى عَرف اسمي .

قال : متى هَبطتَ هذا البلد ؟

قلت : حين هَبط أهلُه .

قال : ما تقرأ من القرآن ؟

قلتُ : أقرأ منه ما لو تَبِعتُه كَفاني .

قال : إني أريد أن أستعين بك في عَملي .

قلت : إنْ تستعِنْ بي تستعِنْ بِكبير أخرق ضَعيف يَخاف أعوان السوء ، وإن تَدعْني فهو أحبّ إليَّ ، وإن تُقحِمني أتقحّم .

قال : إن لم أجد غيرَك أقحمتُك ، وإن وجدتُ غيرَك لم أقحمك .

قلتُ : وأخرى ، أكرم الله الأمير ، إني ما علمت الناسَ هابوا أميراً قطّ هيبتَهم لك ، والله إني لأتعارّ[1] من الليل فما يأتيني النومُ من ذِكرك حتى أصبح ، هذا ولستُ لك على عمل .

قال : هيه ، كيف قلتَ ؟

فأعدتُ عليه .

فقال : إني والله لا أعلم على وجه الأرض خَلقاً هو أجرأ على دَمٍ مني ، انصرف .

قال : فقمتُ فعَدلتُ عن الطريق كأني لا أبصر ؛ فقال : أرشدُوا الشيخ .

•

لما أتي الحجاجُ بأسرى الجَماجم[2] أتي فيهم بعامر الشّعبيّ ، ومُطرّف بن عبد الله الشّخّير ، وسعيد بن جُبير ، وكان الشّعبي ومُطرّف يَرَيان التّقيّة ، وكان سَعيد بن جُبير لا يراها ، وكان قد تَقدّم كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجّاج

---

١ التعار : السهر والتقلب على الفراش ليلاً مع كلام .

٢ الجماجم : اي دير الجماجم ، موضع بظاهر الكوفة كانت الوقعة فيه بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث وكسر فيها ابن الأشعث .

في أسرى الجماجم أن يَعْرِضهم على السيف ، فمن أقرّ منهم بالكُفر في خُروجهم علينا فيُخلّي سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضْرب عُنقه ؛ فقال الحجّاج للشعبيّ : وأنت ممن ألّب علينا مع ابن الأشعث ؟ اشهد على نفسك بالكفر .

فقال : أصلح الله الأمير ، نَبا بنا المنزلُ ، وأحْزَنَ بنا الجَناب ، واستحلَسنا الخَوف[1] ، واكتَحلْنا السَّهر ، وخبَطتنا فِتْنة لم نكن فيها بَرَرة أتقياء ، ولا فَجَرة أقوياء .

قال : لله أبوك ، لقد صدقت ، ما بَررْتم بخروجكم علينا ولا قَويتم ، خَلّوا سَبيلَ الشيخ .

ثم قال لمطَرّف : أتُقِرّ على نفسك بالكُفر ؟

قال : أصلح الله الأمير ، إن من شَقّ العصا ، وسَفك الدّماء ، ونَكث البَيْعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، لجديرٌ بالكُفر .

فخلّى سبيله . ثم قال لسعيد بن جُبير : أتُقِرّ على نفسك بالكفر ؟

قال : ما كفرت منذُ آمنت بالله .

فضَرَب عُنقه . ثم استعرض الأسرى ، فمن أقرّ بالكُفر

---

١ استحلسنا الخوف : لزمنا ولم يفارقنا .

خلّى سبيلَه ، ومن أبى قتلَه ، حتى أُتي بشيخ وشابٌ ، فقال للشاب : أكافر أنتَ ؟

قال : نعم .

قال : لكنّ الشيخَ لا يرضى بالكفر .

فقال له الشيخ : أعن نفسي تُخادعني يا حجّـاج ؟ والله لو علمتُ أعظمَ من الكُفر لقلتُه .

فضحك الحجاج ، وخلّى سبيله .

فلما مات الحجّاج ، وقام سُليان ، قال الفرزدق :

لئن نَفَر الحجّاجَ آلُ مُعتّب،
لَقُوا دولةً كان العـدوُّ يُدالها[1]

لقد أصبح الأحيـاءُ منهم أذلّةً،
وموتاهمُ في النار، كَلْحاً سِبالُها[2]

وكانوا يَرَون الدائراتِ بغَيرهم،
فصار عليهم بالعَـــذاب انفتالها

---

١ آل معتب : رهط الحجاج . يدالها ، من أدال الله هذا من ذاك : نزع الدولة من ذاك وحولها الى هذا .

٢ السبال ، واحدتها سبلة : ما على الشارب من الشعر .

ألكني الى من كان بالصين، أو رمت
به الهندَ ألواحٌ ، عليها جِلالها[1]

هلمّ الى الاسلام، والعدلُ عندنا ،
فقد مات عن أهل العراق خَبالها

•

لما وَلي سُليمان بن عبد الملك كتب الى عامله بالأردنّ : اجمع يَدَي عديّ بن الرّقاع الى عُنقه وابعث به إليّ على قَتَب بلا وِطاء[2] ، ووكّل به من يَنْخُس به .

ففعل ذلك . فلما انتهى الى سليمان بن عبد الملك ألقي بين يديه وهو لقىً[3] لا حَراك فيه ولا رُوح ، فتركه حتى ارتدّ اليه رُوحه ، ثم قال له : أنت أهلٌ لما نزل بك ، ألستَ القائلَ في الوليد :

مَعاذَ ربيَ أن نَبقى ونَفقِدَه ،
وأن نكونَ لراعٍ بعده تَبَعَا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلتُ ، وإنما قلت :

---

١ ألكني : أبلغ رسالتي . الالواح : اراد بها السفن . الجلال ، واحدها جل : شراع السفينة .
٢ القتب : الرحل . الوطاء : ما يفترش .
٣ اللقى : الشيء المطروح .

مَعاذَ ربيَ أن نَبقى ونَفقِدَهم،
وأن نكونَ لراعٍ بعدهم تَبَعَا

فنظر إليه سُليمان واستضحك، ثم أمر له بصِلَة وخلّى سبيله.

•

العُتبيّ قال: كان بين شريك القاضي والرّبيع حاجب المَهديّ مُعارضة، فكان الرّبيع يَحْمِل عليه المهديّ، فلا يلتفت إليه، حتى رأى المهديُّ في مَنامه شريكاً القاضي مَصروفاً وجهه عنه، فلما استيقظ من نومه دعا الرّبيع، وقصّ عليه رؤياه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ شَريكاً مُخالف لك وإنه فاطميّ محض.

قال المهديّ: عليّ به.

فلما دخل عليه، قال له: يا شَريك، بلغني أنك فاطِميّ.

قال له شَريك: أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غيرَ فاطميّ، إلاّ أن تَعْني فاطمةَ بنت كِسرى.

قال: ولكني أعْني فاطمةَ بنت محمد، صلى الله عليه وسلم.

قال: أفتَلْعنها يا أمير المؤمنين؟

قال: مَعاذ الله.

قال: فماذا تقول فيمن يَلْعنها؟

قال: عليه لعنةُ الله.

قال : فالْعَن هذا ، يعني الربيع ، فإنه يلعنها ، فعليه لعنة الله .

قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ما ألعنها .

قال له شَريك : يا ماجن ، فما ذِكْرُك لسيدة نساء العالمين ، وابنة سيّد المُرسلين ، في مَجالس الرجال ؟

قال المهدي : دعْني من هذا ، فإني رأيتُك في مَنامي كأن وَجْهك مصْروف عنّي وقَفاك إليّ ، وما ذلك إلا بخِلافك عليّ ، ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقاً .

قال شَريك : إن رُؤياك يا أمير المؤمنين ليست برُؤيا يوسُف الصّديق ، صلواتٌ على محمد وعليه ، وإنّ الدماء لا تُستحل بالأحلام ، وإنّ علامة الزّندقة بيّنة .

قال : وما هي ؟

قال : شُرب الخمر والرّشا في الحكم ومَهْر البَغيّ[1] .

قال : صدقت والله أبا عبد الله ، أنت والله خيرٌ من الذي حَمَلني عليك .

•

ودخل شريكٌ القاضي على المهديّ ، فقال له الربيع : خُنْتَ مالَ الله ومالَ أمير المؤمنين .

قال : لو كان ذلك لأتاك سَهْمك .

•

العُتْبيّ قال :

دخل جامعٌ المُحاربيّ على الحجّاج ، وكان جامعٌ شيخاً صالحاً خَطيباً لَبيباً جَرِيئاً على السُّلطان ، وهو الذي قال للحجّاج إذ بنى مدينةَ واسط : بَنَيْتَها في غير بَلدك ، وتُورِثُها غيرَ ولدك ؛ فجَعل الحجّاج يشكو سُوءطاعة أهلِ العِراق وقُبْح مَذْهَبِهم . فقال له جامع : أما إنه لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شَنِئوك لِنَسبك ولا لِبَلدك ، ولا لذاتِ نَفْسك ، فدَعْ عنك ما يُبْعِدُهم منك إلى ما يُقرّبهم إليك ، والتَمِس العافية مِمّن دونك تُعْطَها ممن فوقكَ ، وليكُن إيقاعُك بعد وعيدك ووعيدُك بعد وعْدك .

قال الحجّاج : ما أرى أن أرُدَّ بني اللَّكيعة[1] إلى طاعتي إلا بالسّيف .

قال : أيها الأمير ، إنّ السيف إذ لاقى السيفَ ذَهب الخيار .

قال الحجّاج : الخِيار يومئذ لله .

قال : أجل ، ولكنّك لا تَدْري لمن يجعله الله .

فغَضِب وقال : يا هَنَاه[2] ، إنك مِن مُحارب .

---

١ اللكيعة : اللئيمة .

٢ يا هناه : كلمة يكنى بها عن اسم الانسان .

فقال جامع :

ولِلحَرْب سُمِّينا ، وكُنّا مُحارِباً ،
إذا ما القَنا أمسَى من الطَّعْنِ أحْمَرا

فقال الحجّاج : والله لقد هَممت بأن أخلع لسانك فأضربَ به وجْهك .

قال جامع : إن صَدَقناك أغضبناك ، وإن غَشَشْناك أغضبنا الله ، فغَضَبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله .

قال : أجل ؛ وسَكَن .

وشُغِل الحجّاج ببعض الأمر ، فانسلّ جامع ، فَمرّ بين الصُّفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صُفوف العِراق ، فأبصر كَبْكَبَة[1] فيها جماعة من بَكْر العراق ، وقَيْس العِراق ، وتَميم العراق ، وأزْد العراق ، فلمّا رأوه اشرَأبُّوا إليه ، وقالوا له : ما عِندك ؟ دَفع الله عنك .

قال : وَيحكم ! عُمّوه بالخَلْع كما يَعُمّكم بالعداوة ، ودَعُوا التعادي ما عادَاكم ، فإذا ظَفِرتم تراجعتم وتعاديتم ، أيها التَّميميّ هو أعْدَى لك من الأزْديّ ، وأيها القَيْسي هو

---

١ الكبكبة : الجماعة المتضامة من الناس .

أعدَى لك من التغْلبي ، وهل ظَفِرَ بمن ناوأه منكم إلا بمن بَقِي معه منكم ؟

وهَرب جامع من فَوْره ذلك إلى الشام ، واستجار بزُفَر ابن الحارث فأجاره .

•

العُتْبِيّ قال : كان هارون الرشيد يقتل أولادَ فاطمة وشيعتهم ، وكان مُسلم بن الوليد صَريع الغَواني ، قد رُمي عنده بالتشيّع ، فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس ابن أبي شَيخ كاتب البرامكة ، فهَرب منه ، ثم وُجد هو ومُسلم ابن الوليد عند قيْنة ببغداد ، فلما أُتي بهما ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، قد أُتي بالرجلين .

قال : أيّ الرجلين ؟

قيل : أنس بن أبي شَيخ ، ومُسلم بن الوليد .

فقال : الحمد لله الذي أظفرني بهما ، يا غلام ، أحضِرهما .

فلما دخلا عليه ، نظر الى مُسلم ، وقد تغيّر لونُه ، فرقّ له وقال : إيه يا مُسلم ، أنت القائل :

أنسَ الهوى ببني عليّ في الحشا ،
وأراه يَطمح عن بني العبّاس

قال : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين :

أنِسَ الهوى ببَنِي العُمومة في الحشا،
مُستوحِشاً من سائِرِ الايناسِ

وإذا تكاملت الفَضائل كُنتمُ
أولى بذلك ، يا بَني العبَّاسِ

قال : فعجب هارون من سُرعة بَديهته ، وقال له بعضُ جلسائه : استَبْقِه يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر النـاسِ ، وامتحِنهُ فسترى منه عجباً .

فقال له : قلْ شيئاً في أنس .

فقال : يا أمـير المؤمنين ، أفـرخْ رَوعي ، أفـرخ الله رَوعك يوم الحاجة الى ذلك ، فإني لم أدخُل على خليفة قط ؛ ثم أنشأ يقول :

تلَمَّظَ السيفُ من شوقٍ الى أنَسٍ ،
فالموتُ يلحظُ ، والأقـدار تَنْتظِرُ

فليس يَبلُغ منـه ما يُؤمّله ،
حتى يُؤامِرَ فيه رَأيَكَ القَدَرُ

أمضى من الموتِ ، يعفو عند قُدرَته ،
وليس للموت عَفْو حين يقتـدرُ

قال : فأجلسه هارون وراء ظهره، لئلا يرى ما همّ به ، حتى اذا فرغ من قتل أنس ، قال له : أنشِدني أشعرَ شعر لك ؛ فكلما فرَغ من قصيدة ، قال له : التي تقول فيها الوَحل ، فإني رَويتها وأنا صغير ؛ فأنشده شعرَه الذي أوّله :

أديرَا عليَّ الراحَ لا تشربا قبلي،
ولا تطلُبا من عند قاتِلتي ذَحْلي

حتى انتهى الى قوله :

اذا ما علَتْ منّا ذُؤابةَ شاربٍ،
تمشّتْ به مَشْيَ المُقيَّد في الوَحْلِ

فضحك هارون وقال : وَيْحك يا مُسلم ! أما رَضيتَ أن قيّدته ، حتى جعلته يمشي في الوَحْل ؟

ثم أمر له بجائزة وخلّى سبيله .

•

قال كِسرى لبُوشت المُغنّي ، وقد قتل الفهليذ تلميذَه : كنتُ أستريح منك إليه ومنه إليك ، فأذهبَ حسدُك ، ونغَلُ صدرك شطرَ تمتّعي .

وأمر أن يُطرح تحت أرجل الفيلة . فقال : أيها الملك ، اذا كنتُ أنا قد أذهبتُ شطرَ تمتُّعك ، وأذهبتَ أنت الشطر الآخر ، أليس جنايتُك على نفسك ، مثلَ جنايتي عليك ؟

قال كِسرى : دَعُوه ، فما دلّه على هـذا الكلام إلاّ ما جُعل له من طول المدة .

●

يعقوب بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس قال : دخلتُ يوماً على الرشيد ، أمـيرِ المؤمنين ، وهو مُتَغَيِّظ مُتربِّد ، فنَدِمتُ على دخولي عليه ، وقد كنتُ أفهم غضبه في وجهه ، فسلّمت ، فـلم يَرُدّ ؛ فقلتُ : داهيةٌ نآدٌ[1] ، ثم أومـأ إليّ فجلستُ . فالتفتَ إليّ وقال : لله عبـدُ الله بن جعفر بن أبي طالب ، فلقد نَطق بالحِكمة حيث يقول :

يأيها الزّاجري عن شِيمَتي سَفهاً ،
عَمْداً عصيتُ مَقال الزّاجر النّاهي

أقصِر ، فإنـك من قومٍ أرُومتهم
في اللّؤم ، فافخَر بهم ما شِئت ، أو باهِ

يُزَيّن الشعرُ أفواهـاً ، إذا نَطقت
بالشّعر يوماً ، وقـد يُزْري بأفـْواه

قد يُرْزَق المرءُ لا من فَضْل حِيلته ،
ويُصرَف الرّزقُ عن ذي الحِيلة الداهي

---

[1] نآد : شديدة .

لقـد عَجِبتُ لقومٍ لا أُصول لهم،
أثْرَوْا ولَيْسوا وإن أثْرَوْا بأشْباهي

ما نالَني من غِنىً يَوْماً ولا عُدُم،
إلا وقَوْلي عليه الحمدُ لله

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ومن ذا الذي بلغت به المقدرةُ أن يُسامي مِثلكَ أو يُدانيه ؟

قال : لعلّه من بني أبيك وأمك .

•

كان الكُميت بن زيد يَمدح بني هاشم ويُعَرّض ببني أمية ، فطَلبه هشام ، فهرب منه عشرين سنةً ، لا يستقرّ بـه القَرار من خَوف هشام ، وكان مَسْلمة بن عبد الملك له على هِشام حاجة في كل يوم يَقْضيها له ، ولا يرده فيها ، فلما خرج مَسلمة ابن عبد الملك يوماً الى بعض صُيوده ، أتى الناسُ يُسلِّمون عليه ، وأتاه الكُميت بن زيد فيمن أتى ، فقال : السلام عليـك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالدّيار وقوفَ زائِرْ ، وتأنَّ ، إنـك غيرُ صاغِرْ

حتى انتهى إلى قوله :

يا مَسْلم بن أبي الوَلِيـد ، لِميِّتٍ ، إن شِئْتَ ، ناشِرْ

عَلِقَتْ حبالي من حبا   لك ذِمّةَ الجار المُجاور
فالآن صِرْتُ إلى أميّـ   ة ، والأمورُ إلى المَصاير
والآن كنتُ بـه المُصيـ   بَ ، كمُهْتَدٍ بالأمسِ حائر

فقال مَسْلمة : سُبحان الله ، من هذا الهِنْدِكيُّ الجِلْحَاب[1] الذي أقبل من أخريات الناس فبدأ بالسلام ثم أمّا بعد ثم الشعر ؟

قيل له : هذا الكُميت بن زيد .

فأعجب به لفصاحته وبلاغته ، فسأله مَسْلمة عن خَبَره ، وما كان فيه طُولَ غَيْبَته ، فذكر له سُخط أمير المؤمنين عليه ، فضَمِن له مَسلمة أمانه ، وتوجّه به حتى أدْخله على هشام ، وهشام لا يعرفه . فقال الكميت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله .

قال هشام : نعم ، الحمد لله يا هذا .

قال الكُميت : مُبتدىء الحمد ومُبْتدعه ، الذي خَصّ بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، وجَعله فاتحة كِتابه ، ومُنْتهى شُكْره ، وكلامَ أهل جَنّته ، أحمده حَمْدَ من عَلِم يَقيناً ، وأبصر مُسْتبيناً ، وأشهدُ له بما شَهِد به لنفسه قائماً بالقِسط ، وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه العربيُّ ، ورسوله

---

[1] الهندكي : الرجل من اهل الهند . الجلحاب : الشيخ الكبير .

الأميّ ، أرسله والناس في هَبَوات[1] حَيْرة ، ومُدْلَهِمّات ظُلْمة ، عند استمرار أُبْهة الضلال ، فبَلّغ عن الله ما أمر به ونَصح لأمته ، وجاهد في سَبيله ، وعَبَد ربّه حتى أتاه اليقين ، صلّى الله عليه وسلم .

ثم إني يا أميرَ المؤمنين تِهْت في حَيْرة ، وحِرت في سَكرة ، إدلأمّ[2] بي خَطَرُها ، وأهاب[3] بي داعيها ، وأجابني غاويها ، فاقْطَوْطيت[4] إلى الضّلالة ، وتَسكّعت[5] في الظُّلمة والجَهالة ، حائداً عن الحق ، قائلاً بغير صِدْق ، فهذا مَقام العائذ ، ومَنْطق التائب ، ومُبْصَر[6] الهدى بعد طول العَمى .

ثم يا أميرالمؤمنين ، كم من عاثر أقلتم عثْرته ، ومُجْترم عفَوتم عن جُرمه .

فقال له هشام ، وأيقن أنه الكُمَيت : ويحك ! من سَنّ لك الغَوَاية ، وأهاب بك في العَماية ؟

---

١ الهبوات ، واحدتها هبوة : الغبار اذا سطع واعمى الابصار .
٢ ادلأم : ادلهم .
٣ اهاب : دعا .
٤ اقطوطى : قارب في مشيه مع نشاط .
٥ تسكعت : تعثرت .
٦ مبصر : مكان الابصار .

قال : الذي أخرج أبي آدمَ من الجنّة فنَسِي ولم يَجِد له عَزْماً ، وأميرُ المؤمنين كَرِيح رَحْمة أثارت سَحاباً مُتفرِّقاً فلفّقت بعضه إلى بعض حتى التحم فاستَحْكم ، وهَدَرَ رَعْده ، وتَلألأ بَرْقه ، فنزل الأرض فرَوِيت واخضلّت[1] واخضرّت ، وأسقيت ، فرَوي ظمْآنُها ، وامتلأ عَطشانها ، فكذلك نَعُدُّك أنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظُّلمة الدّاجية بعد العُموس[2] فيها ، وحقَن بك دماء قوم أشعر خوفُك قلوبَهم ، فهم يَبْكون لما يَعلمون من حَزمك وبصيرتك ، وقد عَلِموا أنك الحرْب وابن الحرْب ، إذا احمرّت الحدَق ، وعَضّت المغافر[3] بالهَام ، عزّ بأسُك ، واستَرْبط جأشُك ، مِسعارٌ هَتّاف ، وكافٍ بصير بالأعداء ، مُغري الخيل بالنّكراء ، مُستغنٍ برأيه عن رأي ذوي الألباب ، برأي أريب ، وحِلم مُصيب ، فأطال الله لأمير المؤمنين البَقاء ، وتمّم عليه النّعماء ، ودَفع به الأعداء .

فرضي عنه هشام وأمر له بجائزة .

•

---

١ اخضلت : نديت .

٢ العموس : اشتداد الظلام .

٣ المغافر ، واحدها مغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة .

العُتْبي قال : لما أُتي بابن هُبيرة الى خالد بن عَبد الله القَسري وهو والي العراق ، أُتي به مَغلولاً مُقيّداً في مِدْرَعة[1] ، فلما صار بين يَدَي خالد ألقته الرجالُ الى الأرض ، فقال : أيها الأمير ، إنّ القوم الذين أنعموا عليك بهذه النّعمة قد أنعموا بها على مَن قَبلك ، فأنْشُدك الله أن تَسْتَنّ فيّ بسُنّة يَسْتَنّ بها فيك مَن بعدك .

فأمر به الى الحبس ؛ فأمر ابنُ هُبيرة غِلمانه فحَفَروا له تحت الأرض سِرداباً حتى خرج الحَفْرُ تحت سريره ، ثم خرج منه ليلا وقد أُعِدّت له أفراسٌ يُداولها[2] ، حتى أتى مَسلمة ابن عبد الملك ، فاستجار به فأجاره ، واستوهبه مَسْلمةُ من هشام بن عبد الملك فوَهبه إيّاه . فلما قدم خالدُ بن عبد الله القَسْريّ على هشام وَجد عنده ابنَ هُبيرة ، فقال له : إباقَ العَبْد أبِقْتَ[3]

قال له : حين نِمْتَ نَومة الأمَة .

فقال الفرزدق في ذلك :

لمّا رأيتَ الأرضَ قد سُدّ ظَهْرها ،
فلم يبقَ إلاّ بَطْنُها لك مَخرجا

---

١ المدرعة : ثوب من صوف .
٢ يداولها : اي يركب فرساً بعد آخر .
٣ ابق العبد : هرب من سيده .

دعوتَ الذي ناداه يُونُسُ ، بَعدما
ثَوى في ثلاثٍ مُظلِماتٍ ، ففَرَّجا[1]

فأصبحتَ تحتَ الأرض ، قد سِرتَ ليلةً ،
وما سارَ سارٍ مثلَها حينَ أدلَجا

خرجتَ ولم تَمْنُنْ عليكَ شفاعةٌ ،
سِوى حَثِّكَ التّقريبَ مِن آلِ أعوَجا[2]

•

ودخل الناسُ على ابن هُبيرة بعدما أمّنه هِشام بن عبد الملك يُهنئونه ويَحْمَدون له رأيه ، فقال مُتمثّلاً :

مَن يَلقَ خيراً يَحْمَد الناسُ أمرَه ،
ومن يَغوَ لا يَعْدَم على الغَيّ لائما

ثم قال لهم : ما كان قولكم لو عُرِض لي أو أُدرِكت في طريقي ؟

---

١ يونس : يونان . ثوى في ثلاث مظلمات : كناية عن بقائه في بطن الحوت ثلاثة ايام .
٢ التقريب : السير السريع . آل اعوج : الخيول المنسوبة الى اعوج ، فرس لبني هلال .

ومثل هذا قول القُطاميّ :

والناسُ مَن يَلقَ خيراً قائلُون له
ما يَشتهي ، ولأمّ المُخطِىء الهَبَلُ

•

عبدُ الله بن سَوّار قال : قال لي الربيعُ الحاجب : أتُحِبّ أن تَسْمع حديثَ ابن هُبيرة مع مَسْلمة ؟

قلت : نعم .

قال : فأرسلَ لخصيّ كان لمسلمة يقوم على وَضُوئه ، فجاءه فقال : حَدّثنا حديث ابن هُبيرة مع مسلمة .

قال : كان مَسلمة بنُ عبد الملك يقوم من الليل فيتوضأ ويتنفّل حتى يُصبح فيدخل على أمير المؤمنين ، فإني لأصبّ الماء على يدَيه من آخر الليل وهو يتوضأ إذ صاح صائح من وراء الرُّواق : أنا بالله وبالأمير ؛ فقال مَسلمة : صوت ابن هُبيرة ، اخرُج إليه . فخرجتُ إليه ورَجعت فأخبرته ؛ فقال: أدخِله ، فدخل ؛ فإذا رجل يَميد نُعاساً ، فقال : أنا بالله وبالأمير .

قال : أنا بالله وأنت بالله .

ثم قال : أنا بالله وبالأمير .

قال : أنا بالله وأنت بالله ، حتى قالها ثلاثاً .

ثم قال : أنا بالله ، فسكتَ عنه ، ثم قال لي : انطلق به فوَضّئه وليُصَلّ ، ثم اعرِض عليه أحبّ الطعام إليه

فأتِه به وافْرِش له في تلك الصُّفَّة، لصُفَّة بين يدي بُيوت النساء، ولا تُوقِظْه حتى يقوم متى قام.

فانطلقتُ به فتوضأ وصلّى وعرضتُ عليه الطعام، فقال: شَرْبة سَوِيق، فشَرِب، وفرشتُ له فنام؛ وجِئت الى مَسلمة فأعلمتُه، فغدا الى هشام، فجلس عنده، حتى إذا حان قِيامُه، قال: يا أمير المؤمنين، لي حاجة.

قال: قُضِيت إلا أن تكون في ابن هُبيرة.

قال: رَضِيت يا أمير المؤمنين؛ ثم قام مُنصرفاً، حتى إذا كاد أن يخرج من الايوان رَجع، فقال: يا أمير المؤمنين، ما عوّدتني أن تَستثني في حاجة من حوائجي، وإني أكْره أن يتحدّث الناس أنك أحدثت علي الاستثناء.

قال: لا أستثني عليك.

قال: فهو ابن هُبيرة.

فعفا عنه.

•

بلغ هشامَ بن عبد الملك عن رجل كلامٌ غليظ، فأحضره. فلما وقف بين يديه جعل يتكلّم.

فقال له هشام: وتتكلّم أيضاً؟

فقال الرجل: يقول الله عز وجل: «يوم تأتي كلُّ نفس تُجادل عن نفسها» فنُجادل الله تعالى جدالاً ولا نكلمك كلاماً؟

فقال هشام بن عبد الملك: ويحك! تكلم بحاجتك.

فضيلة العفو والترغيب فيه

كان للمأمون خادم ، وهو صاحب وَضُوئه ، فبينما هو يَصبّ الماء على يديه ، إذ سَقَط الإناء من يده ، فاغتاظ المأمونُ عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله يقول : « والكاظِمينَ الغيظ . »

قال : قد كَظمت غَيظي عنك .

قال : « والعافِينَ عن النّاس . »

قال : قد عفوتُ عنك .

قال : « واللهُ يُحِبّ المُحسنِين . »

قال : اذهب فأنت حُر .

•

أمر عمرُ بن عبد العزيز بعُقوبة رجل ، فقال له رَجاء بن حيْوة : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فعل ما تُحب من الظّفر ، فافعل ما يُحبه من العفو .

•

الأصمعيّ قال : عزم عبدُ الله بن عليّ على قَتل بني أمية بالحجاز ؛ فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله

عنهم : إذا أسرعت بالقتل في أكفائك ، فمن تباهي بسلطانك ؟ فاعفُ يَعْفُ اللهُ عنك .

•

دخل ابن خُريم على المهديّ ، وقد عتب على بعض أهل الشام ، وأراد أن يغزيهم جيشاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن تُطيعك العرب طاعةَ محبّة ، خيرٌ لك من أن تطيعك طاعةَ خوْف .

•

أمر المهديّ بضرْب عنق رجل ، فقام إليه ابنُ السمّاك ، فقال : إن هذا الرجل لا يَجب عليه ضربُ العنق .

قال : فما يجب عليه ؟

قال : تَعفو عنه ، فإن كان من أجْر كان لك دُوني ، وإن كان من وِزْر كان عليّ دونك .

فخلّى سبيله .

•

كلّم الشعبيُّ ابنَ هُبيرة في قوم حبسهم ، فقال : إن كنتَ حبستَهم بباطل فالحقّ يطلقهم ، وإن كنتَ حبستهم بحقّ فالعفو يسعهم .

•

العُتْبيّ قال : وَقعت دماءٌ بين حيّين من قُريش ، فأقبل أبو سُفيان ، فما بقِي أحدٌ واضعٌ رأسه إلا رَفعه ، فقال : يا معشر قُريش ، هل لكم في الحقّ أو فيما هو أفضل من الحق ؟

قالوا : وهل شيء أفضل من الحق ؟

قال : نعم ، العفو ؛ فتهادنَ القوم واصطلحوا .

•

وقال هُزَيم بن أبي طَخمَة ليزيد بن عاتكةَ بعد ظَفَره بيزيدَ بن المُهلّب : ما ظُلِم أحدٌ ظُلْمَك ، ولا نُصِر نَصْرَك ، فهل لك في الثالثة نَقلها ؟

قال : وما هي ؟

قال : ولا عفا عَفوَك .

•

وقال المُبارك بن فُضالة : كنت عند أبي جعفر جالساً في السِّماط ، إذ أمر برجل أن يُقتل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قال رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم : « إذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ بين يدي الله : ألا مَن كانت له عند الله يد فليتقدّم ؛ فلا يتقدّم إلا مَن عفا عن مُذنب . فأمر بإطلاقه :

•

وقال الأحْنف بن قَيْس : أحقُّ الناسِ بالعَفْوِ أقدرُهم على العُقوبة .

•

وقال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « أقربُ ما يكون العبدُ من غَضبِ الله إذا غضِب . »

•

وتقول العربُ في أمثالها : ملكتَ فأسْجِح ، وارْحم ، تُرْحم ، وكما تَدين تُدان ، ومن برّ يوماً بُرَّ به .

•

بعد الهمة وشرف النفس

دخل نافع بن جُبير بن مُطعِم على الوليد ، وعليه كِساء غَليظ ، وخُفّان جاسِيان[1] ، فسلَّم وجَلس ، فلم يَعْرِفه الوليد ، فقال لخادم بين يَدَيه : سَلْ هذا الشيخ مَن هو . فسأله ، فقال له : اعزُب ؛ فعاد الى الوليد فأخبره ؛ فقال : عُدْ إليه واسأله ؛ فعاد إليه ، فقال له مثلَ ذلك . فضحك الوليدُ ، وقال له : من أنت ؟ قال : نافع بنُ جُبير بن مُطعم .

•

وقال زياد بن ظَبيان لابنه عُبيد الله : ألا أوصي بك الأميرَ زياداً ؟ قال : يا أبت ، إذا لم يكن للحيّ إلا وصيّة الميّت فالحيّ هو الميّت .

•

وقال مُعاوية لعمرو بن سَعيد : الى من أوصى بك أبوك ؟

قال : إنّ أبي أوصى إليّ ولم يوصِ بي .

قال : وبِمَ أوصى إليك ؟

---

١ جاسيان : غليظان .

قال : أن لا يَفْقد إخوانُه منه إلا وَجْهه .

•

وقال مالك بن مِسْمع لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : ما في كِنانتي سهم أنا به أوثق مني بك .

قال : وإني لفِي كنانتك ! أما والله لئن كنتُ فيها قائماً لأطولنّها ، ولئن كنتُ فيها قاعداً لأخْرقنّها .

قال : كثّر الله مثلك في العَشِيرة .

قال : لقد سألتَ الله شَططاً .

•

وقال يزيد بن المُهلّب : ما رأيتُ أشرفَ نفساً من الفرزدق ، هَجاني مَلِكاً ، ومَدحني سُوقة .

•

وقَدِم عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان على عتّاب بن وَرْقاء الرِّياحيّ ، وهو والي خراسان ، فأعطاه عشرين ألفاً ، فقال له : والله ما أحسنتَ فأحمدَك ، ولا أسأت فألومَك ، وإنك لأقرب البُعداء ، وأحبُّ البُغضاء .

وعُبيد الله بن زياد بن ظبيان هذا هو القائل : والله ما نَدِمت على شيء قطُّ نَدمي على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيته برأس مُصعب بن الزُّبير فخرّ لله ساجداً ، أن لا أكون قد

ضربتُ عُنقه ، فأكونَ قد قتلتُ ملكين من ملوك العرب في يوم واحد .

•

ومن أشرف الناسِ همّة عَقيل بن عُلّفة المُرّي . وكان أعرابياً يسكُن البادية ، وكان تُصهِر إليه الخُلفاء ، وخَطب إليه عبدُ الملكِ بن مروان ابنَته لأحد أولاده ، فقال له : جَنّبني هُجناء ولدك .

•

وقال عمرُ بن عبد العزيز لرجل من بني أمية كان له أخوال في بني مُرّة : قَبّح الله شَبَهاً غلب عليك من بني مُرّة. فبلغ ذلك عَقيل بن عُلّفة ، فأقبل إليه فقال له قبل أن يَبتدئه بالسلام : بَلغني يا أمير المؤمنين أنك غَضِبت على رجل من بني عمّك له أخْوال في بني مُرّة ، فقلت : قبّح الله شبهاً غلب عليك من بني مُرّة ، وأنا أقول قبّح الله ألأم الطّرفين ؛ ثم انصرف .

فقال عمرُ بن عبد العزيز : من رأى أعجبَ من هذا الشيخ الذي أقبل من البادية ليست له حاجة إلاّ شَتْمنا ثم انصرف؟

فقال له رجل من بني مُرّة : والله يا أمير المؤمنين ما شَتمك وما شتم إلاّ نفسه وقومه ، نحن والله ألأمُ الطرفين .

•

أبو حاتم السِّجستاني عن محمد بن عبيد الله العُتْبي قال : سمعتُ أبي يحدّث عن أبي عمرو المُرّي ، قال : كان بنو عَقيل ابن عُلّفة بن مُرّة بن غَطفان يتناقلون ويتجعون الغيث ، فسَمِع عقيل بن عُلّفة بنتاً له ضَحِكت فشَهِقت في آخر ضَحِكها ، فاخترط السيفَ وحمَل عليها وهو يقول :

فَـرِقْتُ ، إني رَجُلٌ فَروقٌ ، بضُحْكةٍ آخرُها شَهيقُ

وقال عَقيل :

إني وإن سيق إليّ المَهْرُ : ألفٌ وعُبدان وذَوْدٌ عشر[1]

أحبّ أصهاري إليّ القبر

•

وقال الأصمعي :

كان عَقيل بن عُلّفة المُرّي رجلاً غيوراً ، وكان يُصْهِر إليه الخلفاء ، وإذا خرج يمتار خرج بابنته الجَرباء معه . قال : فنزلوا دَيراً من دِيَرة الشام يُقال له دَير سعد[2] ، فلما ارتحلوا قال عَقيل :

---

١ الذود : ثلاث نياق وقيل اكثر .

٢ دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

قَضَتْ وَطَراً من دير سعدٍ، وطالما
على عُرُضٍ ناطَحْنَهُ بالجَماجمِ [1]

ثم قال لابنه: يا عَمَلَّس، أجِزْ؛ فقال:

فأصْبَحْنَ بالمَوماة، يَحمِلْنَ فِتيةً
نشاوى من الإدلاج، مِيلَ العَمائمِ [2]

ثم قال لابنته: يا جَرْباء، أجيزي؛ فقالت:

كأنَّ الكرى سَقاهمُ صَرخَدِيَّةً،
عُقاراً، تَمَشَّى في المَطا والقوائمِ [3]

قال: وما يُدريكِ أنتِ ما نَعتُ الخَمْرِ! فأخذ السيف وهوى نحوها، فاستعانت بأخيها عَمَلَّس، فحال بينه وبينها.

قال: فأراد أن يَضربه. قال: فرَماه بسَهْم فاختَلَّ فَخِذيه [4]؛ فَبرك، ومَضوا وتركوه، حتى إذا بَلغوا أدنى ماء للأعراب، قالوا لهم: إنا أسقطنا جَزُوراً فأدرِكوها وخُذوا معكم الماء؛ ففعَلوا، فإذا عقيل بارك وهو يقول:

---

١ ناطحنه بالجماجم: اي ابين المقام فيه فهززن رؤوسهن تكرهاً.

٢ الادلاج: سير الليل.

٣ صرخدية: نسبة الى صرخد، بلد في جبل الدروز كانوا ينسبون اليه الخمر.

٤ اختل فخذيه: نفذ فيهما وانتظمهما.

إنَّ بَنيَّ زَمَّلوني بالدَّمِ ، شِنْشِنةٌ أعْرِفها من أخزمِ

من يلْقَ أبطالَ الرِّجالِ يُكْلَمِ

والشِّنْشِنة : الطَّبيعة ، وأخزم : فحل مَعْروف ، وهذا مَثَل للعرب .

•

ومن أعزّ الناس نفساً وأشرَفهم هِمَماً الأنصار، وهم الأوس والخَزرج ، ابنا قَيْلة ، لم يُؤدّوا إتاوَةً قطُّ في الجاهليّة الى أحد من المُلوك ، وكتب إليهم تُبّع يَدعوهم الى طاعته ، ويَتوعّدُهم إن لم يَفعلوا أن يَغزُوَهم . فكتبوا إليه :

العبدُ تُبّعُكم يَروم قِتالَنا ،
ومكانُه بالمَنزِل المُتَذَلّلِ

فغَزاهم تُبّع أبو كَرِب ، فكانوا يقاتلونه نهاراً ويُخرجون إليه القرى ليلاً ، فتَذمّم من قِتالهم ورَحل عنهم.

•

ودخل الفرَزْدَقُ على سُليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهّم له كأنّه لا يعرفه .

فقال له الفرزدق : وما تعْرِفني يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : لا .

قال : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسْود العرب ، وأجْوَد العرب ، وأحْلم العرب ، وأفْرَس العرب ، وأشْعر العرب .

قال : والله لَتُبَيِّنَنَّ ما قلتَ أو لأوجِعَنَّ ظَهرك ولأهْدِمَنَّ دارك .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أمّا أوفى العرب ، فحاجبُ ابن زُرارة ، الذي رَهَنَ قَوْسَه عن جميع العرب فوَفَى بها ؛ وأما أسْوَد العرب ، فقَيس بن عاصم ، الذي وَفَد على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبَسط له رداءه ، وقال : هذا سيّد الوبَر ؛ وأما أحْلَم العَرَب ، فعتّاب بن وَرْقاء الرّياحيّ ؛ وأما أفرس العرب ، فالحَريش بن هِلال السّعْدي ؛ وأمّا أشْعَر العرب ، فهأنذا بين يدَيك يا أمير المؤمنين .

فاغتمّ سُليمان مما سَمِع من فَخرِه ولم يُنْكِره ، وقال : ارجع على عَقِبَيك ، فما لك عندنا شيء من خَير .

فرجع الفرزدق وقال :

أتيناكَ لا من حاجةٍ عَرضت لنا
إليك ، ولا من قِلّةٍ في مُجاشع

وقال الفرزدق في الفَخْر :

بَنُو دارمٍ قَومِي ترى حُجُزاتِهم ،
عِتاقاً حَواشِيها ، رِقاقاً نِعالُها[1]

يَجُرُّون هُدّابَ اليَماني ، كأنَّهم
سُيوفٌ جَلا الأطْباعَ عنها صِقالُها[2]

•

وقال الأحوص في الفخر ، وهو أفخر بيت قالته العرب :

ما مِن مُصيبةِ نَكْبةٍ أُرْمى بِها ،
إلا تُشَرِّفُني وتَرْفَــعُ شاني

وإذا سألتَ عن الكِرام وَجدتَني ،
كالشمس ، لا تَخفى بكلِّ مكان

•

وقال أبو عُبيدة : اجتمعت وفودُ العرب عند النُّعمان بن المُنذر ، فأخرج إليهم بُرْدَيْ مُحرِّق ، وقال : ليَقُمْ أعزُّ العَرب قبيلةً فَلْيَلْبسهما . فقام عامر بن أُحَيْمِر السَّعْدي

---

١ الحجزات ، واحدتها حجزة : معقد السروال والازار من الانسان . عتاقاً ، من العتق : الحسن . وفي الكلام كناية عن البعد عن الفجور . رقاق النعال : ملوك لا يخصفون نعالهم .

٢ الأطباع ، واحدها طبع : الصدأ .

فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ فقال له النعمان : بِمَ أنت أعزُّ العرب ؟

قال : العِزُّ والعَدَد من العرب في مَعَدّ ، ثم في نِزار ، ثم في تميم ، ثم في سَعد ، ثم في كَعْب ، ثم في عَوْف ، ثم في بَهْدَلة ، فمن أنكر هذا من العَرَب فَلْيُنافِرْني .

فسَكتَ الناس . ثم قال النعمان : هذه حالك في قومك ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟

قال : أنا أبو عشرة ، وخال عشرة ، وعمّ عشرة ؛ وأما أنا في نفسي فهذا شاهدي ؛ ثم وضع قَدَمه في الأرض ، ثم قال : من أزالها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل .

فلم يَقُم إليه أحد ، فذَهب بالبُرْدَيْن .

ففيه يقول الفَرَزدق :

فما تمّ في سَعْدٍ ، ولا آل مالكٍ ،
غلامٌ إذا ما سِيلَ لم يَتَبَهْدَلِ[1]

لهم وَهَبَ النعمانُ بُرْدَيْ مُحرِّق ،
بمَجْدِ مَعَدٍّ ، والعَديدِ المُحَصَّلِ

وفي أهل هذا البيت من سَعد بن زيد مَناة كانت الإفاضة

---

١ سيل : مسهل سئل . يتبهدل : ينتسب الى بهدلة .

في الجاهليّة . ومنهم بنو صَفوان الذين يقول فيهم أوس بن مَغْراء السَّعْدِيّ :

ولا يَرِيمُون في التّعريف مَوْقِفَهم،
حتى يُقال أجيزُوا آل صَفْوانا[1]

ما تَطْلُعُ الشمسُ إلاّ عند أوّلِنا،
ولا تَغَيَّبُ إلا عند أخْرانا

وقال الفرزدق في مثل هذا المعنى :

تَرى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا ،
وإن نحنُ أوْمأنا إلى الناس وقَفُوا

وكانت هُنَيدة بنت صَعْصعة عَمّة الفَرزدق تقول : من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتي يَحِلّ لها أن تَضع خِمارها عندهم ، فِصرمتي[2] لها : أبي صَعْصَعة ، وأخي غالب ، وخالي الأقرَع بن حابس ، وزوجي الزّبْرقان بن بَدْر ؛ فسمّيَت ذات الخِمار .

●

---

١ التعريف : الوقوف بعرفة .

٢ الصرمة : القطعة من الابل .

ومن شَرُفت نفسه ، وبَعُدت هِمَّته : طاهر بن الحُسين الخُراسانيّ ، وذلك أنه لما قتل محمدَ بنَ زُبيدة ، وخاف المأمون أن يَغدِر به ، امتنع عليه بخُراسان ولم يُظهر خلعه.

وقال دِعبل بن عليّ الخُزاعيّ يفتخر بقتل طاهر بن الحُسين محمداً ، لأنه كان مولى خُزاعة ، ويُقال إنه خزاعيّ :

أيسومني المأمونُ خُطّةَ عاجزٍ ،
أوَما رأى بالأمسِ رأسَ محمدِ؟

تُوفي على رُوس الخلائق ، مِثْلما
تُوفِي الجبالُ على رؤوس القرددِ[1]

إني من القَوْم الذين هُمُ هُمُ ،
قتلوا أخاكَ ، وشرّفوك بمقعَد

رفَعوا مَحلّك ، بَعد طُول خُموله ،
واستَنقَذوك من الحضِيض الأوهد

•

وقال طاهرُ بن الحُسين :

غَضِبتُ على الدنيا ، فأنهبتُ ما حوَتْ ،
وأعتبتُها مني بإحدى المتالفِ[2]

---

١ توفي ، من اوفى : اشرف . القردد : ما ارتفع من الارض .
٢ أعتبتها : أرضيتها .

قَتلتُ أميرَ المؤمنين ، وإنما
بَقيتُ عَناةً ، بَعْده ، للخَلائفِ

وأصبحتُ في دارٍ مُقيماً ، كما ترى ،
كأنيَ فيها من مُلوكِ الطوائفِ

وقد بَقيَتْ في أمّ رأسيَ فَتكةٌ ،
فإمّا لرُشدٍ ، أو لرأيٍ مُخالف

فأجابه محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مَسْلَمة :

عَتبتَ على الدُّنيا فلا كنتَ راضياً ،
فلا أعتبتْ إلاّ بإحدى المتالفِ

فمن أنت ، أو ما أنت يا فَقْع قرقرٍ ،
إذا أنت ، منّا ، لم تُعلَّق بكانفِ؟[1]

فنحنُ بأيدينا هرَقْنا دِماءَنا ،
كثَولٍ تَهادى الموتَ عند التزاحفِ[2]

سَتَعلم ما تَجْني عليك ، وما جَنتْ
يَداكَ ، فلا تَفْخَر بقَتل الخلائفِ

---

١ الفقع : من اردأ الكمأة . القرقر : ارض مرتفعة الى جنب وهدة . ويقال للرجل الذليل : هو فقع بقرقر ، اي ان الدواب تطأه بارجلها .
٢ الثول : جماعة النحل .

وقد بقِيتْ في أمّ رأسـك فتكة،
سنُخرجها منه بأسمَر راعِفِ

•

وقال عبدُ الله بن طاهر :

مُدْمِن الإغضاء مَوْصولُ، ومُدِيم العتْبِ مَملولُ
ومَدين البِيض في تعَب، وغرِيم البِيض مَمْطول[1]
وأخو الوجهين حيثُ رمى بهواه، فهو مَدْخُول[2]
أقصِري عما لهِجْتِ به، ففراغي عنكِ مَشغُول
سائلي، عمّن تُسائلني، قد يَرُدّ الخبَرَ مسؤول
أنا من تُعرف نِسبتُه، سلَفي الغرُّ البهاليل[3]
سَلْ بهم تُنبيك نَجدتُهم، مَشرفيّات مَصاقيل
كلّ عضب مُشرَبٌ علَقاً، وغرارُ الحدّ مَفلُول
مُصْعَب جَدّي، نَقِيب بني هاشمٍ، والأمرُ مجبول[4]
وحُسَين رأسُ دعْوتهم بعده، والحقُّ مقبُول

---

١ المدين : المديون . الغريم : الدائن .

٢ المدخول : من طرأ على عقله دخل، فساد .

٣ البهاليل، واحدها بهلول : السيد الجامع لكل خير .

٤ مجبول : طبيعة وخلقة .

وأبي من لا كِفــاء له ،   من يُسامِي مجده ؟ قولوا !

صاحبُ الرَّأي ، الذي حصَلت ،   رَأيه ، القَوْمُ المَحاصيـل

حَلَّ منهم بالذُّرَى شرَفاً ،   دُونَه عِزٌّ وتبْجيــل[1]

تُفْصِحُ الأنباءُ عنـه ، إذا   أسكتَ الأنباءَ مجْهول

سَلْ به الجبَّارَ يومَ غدا ،   حولَـه الجُرْدُ الأبابيـل[2]

إذ علَتْ من فَوْقه يدُهُ ،   نَوْطُها أبيضُ مَصْقـول

أبْطَنَ المَخلوعَ كَلكلَه ،   وحَواليــه المَقـاويل[3]

فَثَوى ، والتُّربُ مَصرَعه ،   غـالَ منه ، مُلكَه ، غُول

قادَ جَيْشاً نحو بابلــه ،   ضاقَ عنه العَرْضُ والطُّول

وَهَبُـوا للهِ أنفُسَهم ،   لا مَعازيلٌ ولا مِيل[4]

مَلِكٌ تَجتاحُ صَولتُه ،   ونَداه ، الدهرَ ، مَبـذول

---

١ دونه : اي يحيط به .

٢ الابابيل : المتجمعة المتابعة .

٣ المخلوع : اراد به الامين . كلكله : صدره . المقاويل ، واحدها مقول : الملك او السيد .

٤ المعازيل : الذين لا رماح معهم ، الواحد : معزال . الميل : الجبناء ، الواحد : أميل .

نُزِعَتْ مِنْه تمائمُه ، وهو مَرهُوب ومَأمُول
وتُرُه يُسعَى إليهِ بِهِ ، ودَمٌ يَجنيهِ مَطلول

فأجابه محمدُ بنُ يزيد بن مَسلمة ، وكان من أصحابه وآثرهم عنده ، ثم اعتذر إليه وزَعم أنه لم يدعه الى إجابته إلا قولُه :

من يُسامِي مجده ؟ قولوا !

فأمر له بمائة ألف وزاده أثرة ومنزلة :

لا يَرُعكِ القالُ والقيلُ ، كلُّ ما بلّغتِ تَضليلُ
ما هَوًى لي ، كنتُ أعرفه ، بِهوى غَيرِكِ مَوصولُ
أيخونُ العهدَ ذو ثِقةٍ ؟ لا يخون العهدَ مَتبولُ[1]
حَمّلتِني كلَّ لائمةٍ ، كلُّ ما حمّلتِ محمول
واحكمي ، ماشئتِ ، واحتكمي ، فحرامي لكِ تحليلُ
أين لي عنكِ الى بدلٍ ؟ لا بديلٌ منكِ مقبول
ما لداري مِنكِ مُقفِرةٌ ، وضميري منكِ مأهول
وبَدَت ، يومَ الوداع لنا ، غادةٌ كالشمس عُطبُول[2]
تتعاطى شدَّ مِئزَرِها ، ونطاقُ الخصر محلول

---

١ المتبول ، من تبله الحب : اسقمه ، ذهب بعقله .
٢ العطبول : المراة الجميلة الفتية الطويلة العنق .

شَمْلُنا ، إذ ذاك ، مجتمع ،   وجناح البَين مَشكول[1]

ثم ولّت ، كي تودّعنا ،   كُحلها بالدّمع مَغسول

أيُّها البادي بِطيّته ،   ما لأغلاطك تحصِيل

قد تأوّلت على جِهة ،   ولنا وَيْحك تأويل

إنّ دِلّيلاك ، يومَ غدا   بك في الحَيّيْن ، لَضِلّيل[2]

قاتلُ المخلوع مَقتول ؛   ودَمُ القاتل مَطْلول[3]

قد يخون الرُّمحَ عامله ،   وسِنان الرُّمح مَصقول[4]

وينال الوترَ طالبه ،   بعدما تَسلو المثاكيل

بأخي المخلوع طُلْتَ يداً ،   لم يكن في باعها طول

وبنُعماه التي كُفِرت ،   جالت الخيلُ الأبابيل

وبِراعٍ غير ذي شَفق ،   فُعِلت تلك الأفاعيل

يابن بَيْت النّار مُوقدها ،   ما لحاذَيه سراويل[5]

مَن حُسَين وأبوه ، ومَن   مُصعب ، غالتهمُ غُول[6]؟

إن خَير القول أصدقه ،   حين تَصطكّ الأفاويل

---

١ مشكول : مقيد .

٢ الدليلى : الدليل .

٣ المطلول : المهدور .

٤ عامل الرمح : صدره دون السنان .

٥ الحاذان : لحمتان في ظاهر الفخذين .

٦ غالتهم : اهلكتهم. الغول : الداهية .

مراسلات الملوك

العُتْبيُّ عن أبيه قال :

أهدَى ملكُ اليمن عَشْر جزائر إلى مكة ، وأمر أن يَنحرها أعزُّ قُرشيّ . فقَدِمتْ وأبو سفيان عَروس بهِنْد بنت عُتبة ، فقالت له : أيها الرجل ، لا يشغلنّك النّساء عن هذه المَكرمة التي لعلها أن تَفُوتك ؛ فقال لها : يا هذه ، دَعِي زوجَك وما يختاره لنفسه ، والله ما نَحرها غيري إلا نَحرتُه . فكانت في عَقْلها حتى خرج أبو سُفيان في اليوم السابع فنَحرها .

•

زُهير عن أبي الجُوَيْرِية الجَرْمِيّ قال :

كتب قَيْصر إلى معاوية : أخبِرني عما لا قِبْلة له ، وعمّن لا أبَ له ، وعمّن لا عَشِيرة له ، وعمن سار به قَبْرُه ، وعن ثلاثة أشياء لم تُخْلق في رَحِم ، وعن شيء ونِصْف شيء ولا شيء ، وابعَث إليّ في هذه القارُورة ببَزْر كلّ شيء .

فبعث معاوية بالكتاب والقارُورة إلى ابن عبّاس . فقال

ابن عبّاس : أما ما لا قِبْلة له فالكعبة ؛ وأما مَن لا أبَ له فعيسى ؛ وأما مَن لا عَشيرة له فآدم ؛ وأما مَن سار به قَبْره فيُونس ؛ وأما ثلاثة أشياء لم تُخلق في رَحِم: فكَبْش إبراهيم، وناقة ثمود ، وحيّة موسى ؛ وأما شيء ، فالرجل له عقل يَعمل بعقْله ؛ وأما نِصْف شيء ، فالرجل ليس له عقْل ويَعمل برأي ذَوي العقول ؛ وأما لا شيء ، فالذي ليس له عقْل يَعمل به ولا يَستعين بعقْل غيره ؛ وملأ القارورة ماء ، وقال : هذا بَزْر كلّ شيء .

فبعَث به إلى مُعاوية ، فبعَث به معاوية إلى قيصر . فلما وصَل إليه الكتابُ والقارورة ، قال : ما خرج هذا إلا من أهل بَيْت النبُوّة .

•

نُعَيم بن حمّاد قال :

بعث ملك الهِنْد إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه : مِن مَلِك الأمْلاك الذي هو ابنُ ألْف ملك ، والذي تحته ابنةُ ألف ملك ، والذي في مَربَطِه ألفُ فِيل ، والذي له نَهران يُنْبِتان العُود والألُوّة[1] والجَوْز والكافور ، والذي يوجد ريحه على مَسيرة اثني عَشَر ميلا ، إلى مَلِك العَرَب الذي

---

١ الألوة : ضرب من العود يتبخر به .

لا يُشرك بالله شيئاً ، أما بعد : فإني قد بعثتُ إليك بهديّة ، وما هي بهديّة ، ولكنها تحيّة ، وأحببتُ أن تبعث إليّ رجلاً يُعلّمني ويفهّمني الاسلام ، والسلام. يعني بالهديّة الكتاب .

•

الرياشي قال :

لما هَدم الوليدُ كنيسةَ دِمشق كتب إليه ملكُ الروم : إنك هَدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأ فما عُذْرك ؟

فكتب إليه : « ودَاوُدَ وسُليمان إذ يحكمان في الحرثِ إذ نفَشَت فيه غنَم القوم وكنّا لحُكْمِهم شاهِدين ، ففهّمناها سُليمان ، وكُلاًّ آتينا حُكْماً وعِلْماً . »

•

وكتب ملكُ الرُّوم الى عبد الملك بن مروان : أكلتُ لحم الجمل الذي هَرب عليه أبوك من المدينة لأغزينّكَ جنوداً مائةَ ألف ومائة ألف .

فكتب عبد الملك الى الحجّاج أن يَبعث الى عبد الله بن الحسن ويتوعّده ويكتب إليه بما يقول ، ففعل . فقال عبدُ الله بن الحسن: إنّ لله ، عز وجلّ ، لوحاً محفوظاً ، يَلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يُحيي فيها ويُميت ويُعزّ ويُذلّ

ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفينيك منها بلحظة واحدة .

فكتب به الحجّاج الى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبدُ الملك الى ملك الروم ، فلما قرأه قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

•

بعث ملك الهند الى هارون الرشيد بسيوف قَلْعيّة[1] ، وكلاب سيورية[2] ، وثياب من ثياب الهند ؛ فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراك فصُفّوا صفّين ، ولَبِسوا الحديد حتى لا يُرى منهم إلا الحدق ، وأذِن للرُسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ؟

قالوا : هذه أشرف كُسْوة بلدنا .

فأمر هارون القطّاعَ بأن يَقطع منها جِلالاً وبَراقع كثيرة لخَيْله ، فَصَلَّبَ الرُسل على وجوههم ، وتذمّموا من ذلك ونكّسوا رُؤوسهم .

ثم قال لهم الحاجب : ما عندكم غيرُ هذا ؟

قالوا له : هذه سُيوف قَلْعيّة لا نظير لها .

فدعا هارون بالصَّمصامة سيف عمرو بن معديكرب ،

---

١ قلعية ، نسبة الى القلعة : موضع ببلاد الهند واليه تنسب السيوف .

٢ سيورية : لعلها منسوبة الى موضع في الهند .

فقُطعت به السيوف بين يديه سَيْفاً سَيْفاً ، كما يُقَطّ الفُجل ، من غير أن تنثني له شَفْرة . ثم عرض عليهم حدّ السَّيف فإذا لا فَلّ فيه ، فصلَّب القوم على وجوههم .

ثم قيل لهم : ما عندكم غير هذا ؟

قالوا : هذه كلاب سيورية لا يلقاها سَبُع إلا عقرته .

فقال لهم هارون : فإنّ عندي سَبُعاً فإن عَقَرَتْه فهي كما ذكرتم .

ثم أمر بالأسد فأخرج إليهم . فلما نظروا إليه هالهم ، وقالوا : ليس عِندنا مثلُ هذا السَّبع في بلدنا .

قال لهم هارون : هذه سباع بلدنا .

قالوا : فنُرسلها عليه ؛ وكانت الأكلب ثلاثة ، فأرسلت عليه فمزّقته . فأعجب بها هارون ، وقال لهم : تمنَّوا في هذه الكلاب ما شئتم من طرائف بلدنا .

قالوا : ما نتمنى إلا السيف الذي قطعت به سيوفنا .

قال لهم : ما كنا لنَبخلَ عليكُم ، ولكنه لا يجوز في ديننا أن نُهاديكم بالسّلاح ، ولكن تمنوا غيرَ ذلك ما شِئتم .

قالوا : ما نتمنى إلا السيف .

قال : لا سبيل إليه ؛ ثم أمر لهم بتُحف كثيرة وأحسن جائزتهم .

•

أبو جعفر البغدادي قال :

لما انقبض طاهرُ بن الحسين بخراسان عن المأمون وأخذ حِذره ، أدّب له المأمون وصيفاً بأحسن الآداب وعلّمه فنون العلم ، ثم أهداه إليه مع ألطاف كثيرة من طرائف العراق ، وقد واطأه على أن يَسُمَّه ، وأعطاه سَمّ ساعة ، ووعده على ذلك بأموال كثيرة .

فلما انتهى الى خُراسان وأوصل الى طاهر الهدية ، قَبل الهدية ، وأمر بإنزال الوصيف في دارٍ ، وأجرى عليه ما يحتاج إليه من التّوسعة في النّزالة[1] وتركه أشهراً . فلما بَرِم الوَصيفُ بمكانه كتب إليه : يا سيدي، إن كنتَ تقبلُني فاقبلْني وإلا فَرُدَّني الى أمير المؤمنين .

فأرسل إليه وأوصله الى نفسه . فلما انتهى الى باب المجلس الذي كان فيه ، أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس على لِبْدٍ أبيض وقَرّع رأسه[2] ، وبين يديه مُصحف مَنْشور وسَيف مَسْلول ، فقال : قد قبلنا ما بعث به أميرُ المؤمنين

١ النزالة : الضيافة .

٢ قرع رأسه : أذهب شعره .

غيرَكَ فإنا لا نقبلك ، وقد صَرفناكَ إلى أمير المؤمنين ، وليس عندي جوابٌ أكتبه ، إلاّ ما ترى من حالي ، فأبلغْ أمير المؤمنين السلام ، وأعلمه بالحال التي رأيتني فيها .

فلما قَدِم الوصيفُ على المأمون ، وكلّمه بما كان من أمره ، ووصف له الحالَ التي رآه فيها ، شاور وزراءه في ذلك وسألهم عن معناه ، فلم يُعلمه واحد منهم ؛ فقال المأمون : لكني قد فَهِمتُ معناه : أمّا تَقْريعه رأسه وجلوسُه على اللبد الأبيض ، فهو يُخبرنا أنّه عبدٌ ذليل ؛ وأما المُصحف المنشور ، فإنه يذكّرنا بالعهود التي له علينا ؛ وأما السيف المَسْلول ، فإنه يقول : إن نكثتَ تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك ، أغْلِقوا عنا باب ذِكْره ، ولا تَهيجوه في شيء مما هو فيه .

فلم يَهِجه المأمون حتى مات طاهرُ بن الحسين ، وقام عبد الله بن طاهر بن الحُسين مكانه ، فكان أخفَّ الناس على المأمون .

•

وكتب طاهرُ بن الحسين إلى المأمون في إطلاق ابن السِّندي من حَبْسه ، وكان عامله على مصر فعزله عنها وحَبسه ، فأطلقه له وكتب إليه :

أخي أنتَ ومَولاي، فما ترضاه أرضاهُ
وما تَهوى من الأمر، فإني أنا أهواه
لكَ اللهُ على ذاكَ؛ لك اللهُ لك اللهُ

مخاطبة الملوك

العقد الفريد

١٧ أخبار الخلفاء ١

١٨ أخبار الخلفاء ٢

١٩ أخبار الخلفاء ٣

٢٠ أمراء المسلمين

٢١ أيام العرب ١

٢٢ أيام العرب ٢

٢٣ طرائف الشعراء ١

٢٤ طرائف الشعراء ٢

•

١٥٠ غ.ل.

v.2 (no.6

العقد العربي
٦

ابناء النور

١

مكتبة صادر
بيروت

ابناء النور

١

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

ابناء النور

هو كتاب الياقوتة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٦

ابناء النور

١

مكتبة صادر
بيروت

Near East

PJ
7745
.I15
.I5
v.2
c.1

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٦٠ – ١٩٥١

كتاب الياقوتة

في العلم والادب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولُنا في مُخاطبة الملوك ومقاماتهم ، وما تفنّنوا فيه من بديع حِكَمهم، والتّلطّف إليهم بحسن التوصُّل ولطيف المعاني ، وبارع مَنطقهم ، واختلاف مذاهبهم ، ونحن قائلون ، بحمد الله وتوفيقه ، في العلم والأدب ، فانهما القُطبان اللذان عليهما مَدار الدين والدنيا ، وفَرْقٌ ما بين الانسان وسائر الحيوان ، وما بين الطّبيعة المَلَكية والطبيعة البهيمية . وهما مادّة العقل وسِراج البدن ونُور القلب وعماد الرُّوح .

وقد جعل اللهُ بلطيفِ قُدْرته ، وعظيم سُلطانه ، بعضَ الأشياء عَمَداً لبعض ومتولّداً من بعض ، فإجالةُ الوَهم فيما تُدْركه الحواسُّ تَبعث خواطرَ الذّكر، وخواطر الذكر تنبّه روية الفِكْر ، ورويةُ الفِكر تثير مكامن الارادة ، والارادة تُحْكم أسباب العمل ، فكلُّ شيء يقومُ في العقل ويمثّلُ في الوهم يكون ذِكْراً ، ثم فِكْراً ، ثم ارادة ، ثم عملاً .

والعقل متقبّلٌ للعِلم لا يعمل في غير ذلك شيئاً. والعلم علمانِ: علمٌ حُمِل، وعلم استُعمل، فما حُمل منه ضرَّ، وما استُعمل نفع.

والدليل على ان العقل إنما يعملُ في تقبّلِ العُلوم كالبصرِ في تقبّل الألوان، والسمع في تقبّل الأصوات، أن العاقل إذا لم يُعلَّم شيئاً كان كمن لا عقلَ له، والطّفلَ الصغير لو لم تُعرّفه أدباً وتلقنه كتاباً كان كأبله البهائم وأضلّ الدواب. فإن زعم زاعم فقال: إنا نجد عاقلاً قليلَ العِلم، فهو يَستعمل عقله في قلّة علمه، فيكون أشدّ رأياً، وأنبهَ فِطنْةً، وأحسنَ مواردَ ومَصادرَ من الكثير العِلم مع قلّة العَقْل، فإنّ حُجَّتنا عليه ما قد ذكرناه من حَمْل العِلم واستعماله، فقليل العِلم يستعمله العَقل خيرٌ من كثيره يحفظه القلب.

•

قيل للمُهلَّب: بِمَ أدركتَ ما أدركتَ؟ قال: بالعِلم؛ قيل له: فإنّ غيرك قد عَلم أكثر مما عَلِمتَ، ولم يُدرك ما أدركت؛ قال: ذلك عِلم حُمل، وهذا علم استُعْمل.

•

وقد قال الحكماء: العِلمُ قائد ، والعَقل سائق، والنَّفس ذَوْدٌ[1] ، فإذا كان قائدٌ بلا سائقٍ هلكت الماشية ، وإن كان سائقٌ بلا قائدٍ أخذتْ يميناً وشِمالاً ، وإذا اجتمعا أنابت[2] طوْعاً أو كَرْهاً .

١ الذود : من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة ، وقيل غير ذلك .

٢ انابت : رجعت .

فنون العلم

قال سهل بن هارونَ يوماً ، وهو عند المأمون : من أصناف العلِم ما لا ينبغي للمُسلمين أن يَرغبوا فيه ، وقد يُرغب عن بعض العِلم كما يُرغب عن بَعض الحلال .

فقال المأمون : قد يُسمّي بعضُ الناس الشيء عِلماً وليس بعِلم ، فإن كان هذا أردتَ فوَجْهُه الذي ذَكرتُ ؛ ولو قلت أيضاً : إنّ العلم لا يُدْرَك غَوْرُه[١] ، ولا يُسْبَر[٢] قَعْرُه ، ولا تُبلغ غايتُه ، ولا تُستقصى أصوله ، ولا تَنْضَبِط أجزاؤه ، صدقتَ ، فإن كان الأمرُ كذلك فابدأ بالأهمّ فالأهمّ ، والأوكد فالأوكد ، وبالفَرْض قبل النّفل ، يكن ذلك عَدلاً قصداً ومذْهباً جَميلاً. وقد قال بعضُ الحكماء : لستُ أطلُب العلم طمعاً في غايته والوقوف على نِهايته ، ولكن التماسَ ما لا يَسع جَهلُه ؛ فهذا وَجهٌ لما ذكرت .

•

وقال آخرون : عِلْمُ المُلوكِ النّسبُ والخَبرُ ، وعِلمُ

---

١ الغور : القعر من كل شيء .

٢ يسبر : يمتحن غوره ليعرف مقداره .

أصحاب الحروب دَرْسُ كُتُبِ الأيّام والسِّيَر، وعِلمُ التجّار الكِتابُ والحِسابُ، فأما أن يُسمّى الشيء عِلماً ويُنهى عنه من غير أن يُسأل عما هو أنفع منه فلا .

•

وقال محمد بن ادريس، رضي الله عنه : العِلم علمان : عِلم الأبدان ، وعلم الأديان .

•

وقال عبدُ الله بن مُسلم بن قُتيبة : من اراد أن يكون عالماً فليطلب فنّاً واحداً ، ومن أراد ان يكون أديباً فليتّسع في العلوم .

•

وقال أبو يُوسُف القاضي : ثلاثةٌ لا يسلمون من ثلاثة : مَن طلب الدِّينَ بالفلسفة لم يَسلم من الزَّندَقة ، ومَن طلب المالَ بالكيمياء لم يَسلم من الفَقر، ومن طلب غرائب الحديث لم يَسلم من الكذب .

•

وقال ابن سيرين ، رحمه الله تعالى : العِلْم أكثرُ من أن يُحاط به ، فخُذوا من كلّ شيء أحسنه .

•

وقال ابن عبّاس، رضي الله عنهما : كَفاكَ من عِلم الدِّين ان تَعرف ما لا يسعُ جهله، وكفاك من علم الادب أن تروي الشاهد والمثل ، قال الشاعر :

وما من كاتبٍ إلا ستَبْقى كِتابتُه ، وإن فَنِيَتْ يَداهُ

فلا تكتُبْ بكفِّكَ غيرَ شيءٍ يَسرُّكَ، في القِيامة، أن تَراه

•

قال الاصمعيّ : وَصلتُ بالمُلَحِ ، ونِلتُ بالغريب .

•

وقالوا : مَن أكثر من النّحو حَمّقه[1] ، ومَن أكثر من الشعر بَذّله[2] ، ومَن أكثر من الفقه شرّفه .

•

وقال أبو نواس الحسن بن هانىء :

كم من حَديثٍ مُعْجِبٍ عندي لكما،
لو قد نَبذتُ به إليكَ لَسرّكا

ممّا تَخيّره الرواة مُهذّب،
كالدُّرّ مُنتظماً بِنَحْرٍ فلَكا[3]

أتتبّع العُلماءَ أكتُبُ عَنهمُ،
كيما أُحدّثَ من لقيتُ ، فيَضْحكا

---

١ حمقه : نسبه الى الحمق ، قلة العقل .

٢ بذله : عرضه للابتذال ، الامتهان .

٣ فلك : استدار .

الحض على طلب العلم

قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم : لا يزال الرجلُ عالماً ما طلب العِلم ، فإذا ظنَّ أنه قد عَلِم فقد جَهِل .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : النـاسُ عالمٌ ومتعلّم ، وسائرُهم هَمج[1] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : إنّ الملائكة لتضَعُ أجنحتَها لطالبِ العِلم رِضاً بما يَطلب ، ولَـمِدادٌ جَرت به أقلامُ العُلماء خيرٌ من دماء الشُّهداء في سبيل الله .

•

وقال داود لابنه سُليمانَ ، عليهمـا السلام : لُفَّ العِلْم حولَ عُنقك ، واكتُبه في ألواح قَلبك .

وقال أيضاً : اجعل العِلْم مالَك ، والأدبَ حِلْيتك .

•

وقال عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : قيمة كلّ إنسان ما يُحْسن .

•

---

١ الهمج : الرعاع من الناس ، الحمقى.

وقيل لأبي عمرو بن العَلاء : هل يَحْسُن بالشَّيخ أن يتعلَّم؟ قال : إن كان يَحسُن بـه أن يعيشَ ، فإنه يحسن بـه أن يتعلَّم .

●

وقال عُرْوة بن الزُّبير ، رحمه الله تعالى ، لبَنيه : يا بَنيَّ ، اطلبوا العِلم ، فإن تكونوا صِغار قوم لا يُحتاج إليكم ، فعسى أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين لا يُستغنى عنكم .

●

وقال ملك الهِنْد لولده ، وكان له أربعون ولداً : يا بَنيَّ ، أكثروا من النظر في الكتب ، وازدادوا في كل يوم حرفاً ، فإن ثلاثةً لا يستوْحشون في غُربة : الفقيـه العالم ، والبَطل الشجاع ، والحُلوُ اللسان الكثير مَخارج الرأي .

●

وقال المُهلَّب لبَنيـه : إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زرَّادٍ أو ورَّاق . أراد الزرَّاد للحرب ، والورَّاق للعلم .

●

وقال الشاعر :

نِعْمَ الأنيسُ، إذا خلوتَ ، كِتابُ،
تَلْهو بـه إن خانَك الأحبابُ

لا مُفشِياً سِرّاً ، إذا استودعتَه ،
وتُفادُ منه حكمــةٌ وصَواب

•

وقال آخر :

ولكلّ طـالبِ لــذّةٍ مُتنزّهٌ ،
وألذُّ نُزهةِ عالمٍ في كُتْبِـه

•

ومَرّ رجل بعَبد الله بن عبد العزيز بن عبـد الله بن عمر ، وهو جالس في المَقْبرة ، وبيده كتاب ، فقال له : ما أجلسك ها هنا ؟ قال : إنه لا أوعظَ من قبر ، ولا أمتعَ من كتاب .

•

وقال رُؤْبة بن العجّاج : قال لي النسّابة البكري : يا رؤبة ، لعلك من قوم إن سَكَتُّ عنهم لم يَسألوني ، وإن حدّثتُهم لم يَفْهموني ؟

قلتُ : إني أرجو أن لا أكون كذلك .

قال : فما آفة العلم ونَكَده وهُجْنته[1] ؟

قلتُ : تُخبرني ؛ قال : آفته النّسيان ، ونَكده الكذب ، وهُجْنته نَشْرُه عند غير أهله .

•

---

١ الآفة : ما يفسد . النكد : الشدة والعسر ، وقلة الخير . الهجنة : العيب والقبح.

وقال عبدُ الله بن عبّاس ، رضوان الله عليهما : مَنْهومان لا يَشبعان : طالب علم وطالب دنيا .

وقال : ذَلَلتُ طالباً فعَزَزْتُ مَطلوباً .

•

وقال رجل لأبي هُريرة : أريد أن أطلب العلْم وأخاف أن أضيّعه ؛ قال : كفاك بتركِ طَلب العِلم إضاعةً له .

•

وقال عبدُ الله بن مسعود : إن الرجلَ لا يولد عالماً ، وإنما العِلمُ بالتعلّم .

وأخذه الشاعر فقال :

تَعلّم ، فليس المرءُ يولد عالماً ،
وليس أخو عِلمٍ كمن هو جاهلُ

•

ولآخر :

تَعلّم ، فليس المرءُ يُخلق عالماً ،
وما عالمٌ أمراً كمن هو جاهلُ

•

ولآخر :

ولم أرَ فرْعاً طالَ إلاّ بأصْله ؛
ولم أرَ بَدْءَ العِلم إلا تعلُّمَا

•

وقال آخر :

العِلْم يُحيي قلوبَ الميّتين ، كما
تَحيا البلادُ إذا ما مَسَّها المَطَرُ

والعِلْم يَجلو العَمى عن قَلب صاحبه،
كما يُجلّي سوادَ الظُلْمةِ القمرُ

•

وقال بعضُ الحكماء : اقصِد من أصناف العِلم إلى ما هو أشهى لنفسك ، وأخفُّ على قَلبك ، فإن نفاذَك فيه على حَسب شَهوتك له وسُهولتِه عليك .

•

فضيلة العلم

علي بن ابي طالب وكميل النخعي

حدّثنا أيوب بن سليمان قال : حدّثنا عامر بن معاوية عن أحمد بن عِمران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشميّ عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي عن أبي مخنف عن كُمَيل النّخعيّ ، قال :

أخذ بيدي عليُّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه ، فخرج بي إلى ناحية الجبّانة ، فلما أصحر تنفّس الصُّعداء ، ثم قال : يا كُميل ، إنّ هذه القلوبَ أوْعِية ، فخيرُها أوعاها ، فاحفظ عنّي ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نَجاة ، وهَمَجٌ رَعاع ، أتْباع كلّ ناعق ، مع كلّ ريح يَميلون ، لم يَستضيئوا بنور العِلْم ، ولم يَلجأوا إلى رُكن وَثيق .

يا كُميل : العِلْم يَحرسك وأنت تحرسُ المال ، والمال تَنقصه النّفقة ، والعِلْم يزكو على الإنفاق ، ومَنفعة المالِ تزول بزواله .

يا كُميل : محبّةُ العلمِ دينٌ يُدانُ به ، يَكْسِبُ الإنسانُ الطاعةَ في حياته ، وجَميلَ الأحدوثة بعد وَفاته . والعِلْمُ حاكمٌ ، والمالُ مَحكومٌ عليه .

يا كُميل : مات خُزّانُ المالِ وهم أحياء ، والعُلماءُ باقونَ ما بَقِيَ الدهر ، أعيانُهم مَفقودة ، وأمثالُهم في القلوب مَوجودة .

ها إنّ ها هنا لعِلْماً جمّاً ، وأشار بيده إلى صَدْرِه ، لو وَجدتُ له حَمَلة ؛ بلى ، أجدُ لَقِناً غير مأمون ، يستَعمل آلة الدّين للدُّنيا ، ويستظهر بنِعَم الله على عِباده ، وبحُجَجه على أوْليائه ؛ أو مُنقاداً لحملة الحقّ ولا بَصيرةَ له في أحنائه ، يَنْقدِحُ الشكّ في قلْبه لأوّلِ عارضٍ من شُبهة ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ أو مَنهوماً باللذّة سَلِسَ القِياد للشهوة ، أو مُغرماً بالجمعِ والادخار ، ليسا من رُعاة الدين في شيء ، أقربُ شبهاً بهما الأنعامُ السائمة ، كذلك يموت العِلْم بموت حامِليه ؛ اللهم بلى ، لا تخلو الأرضُ من قائمٍ بحجة الله ، إما ظاهراً مشهوراً ، وإما خائفاً مَغموراً ، لئلا تبطلَ حُجج الله وبيّناته ، وكم ذا وأين ؟

أولئك ، والله ، الأقلّون عدداً ، والأعظمون ، عند الله ، قدراً ، بهم يحفظ الله حُججَه وبيّناته ، حتى يودِعوها نُظراءهم ويَزْرعوها في قلوب أشباهِهم ، هَجمَ بهم العِلْم على حَقيقة

الايمان ، حتى باشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استَخْشن المُتْرَفون ، وأَنِسوا بما استوْحش منه الجاهلون ، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلّقة بالرّفيق الاعلى .

يا كُميل : أولئك خُلفاء اللهِ في أرضه ، والدُّعاة إلى دينه ؛ آه آه شَوْقاً إليهم ، انصرف يا كُميل إذا شئت !

•

قيل للخليل بن أحمد : أيهما أفضل ، العِلْم أو المال ؟

قال : العِلم .

قيل له : فما بالُ العُلماء يَزْدحمون على أبواب المُلوك ، والمُلوك لا يَزْدحمون على أبواب العُلماء ؟

قال : ذلك لِمَعْرفة العُلماء بحقّ الملوك ، وجَهْلِ الملوك بحق العلماء .

•

وقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ العِلم خيرٌ من فَضْل العبادة .

وقال عليه الصلاة والسلام : إنّ قليلَ العَمل مع العِلم كثيرٌ ، كما أنّ كثيرَه مع الجهل قليل .

وقال عليه الصلاة والسلام : يَحمِل هذا العِلمَ من كل خَلَف عُدولُه ، يَنفون عنه تحريفَ القائلين ، وانتحالَ المُبْطِلين ، وتأويلَ الجاهلين .

•

وقال الأحنف بن قيس : كاد العُلماء أن يكونوا أرْباباً ، وكلُّ عزّ لم يُوكَّد بعِلم فإلى ذُلّ ما يَصير .

•

وقال أبو الأسْود الدُّؤلي: المُلوك حُكامٌ على الدُّنيا، والعلماء حكامٌ على الملوك .

•

وقال أبو قِلابة : مَثلُ العُلماء في الارضِ مَثل النُّجوم في السماء ، مَن تركها ضَلّ ، ومن غابت عنه تَحَيَّر .

•

وقال سُفيان بن عُيينة : إنما العالم مثلُ السِّراج ، مَن جاءه اقتبس من عِلمه ، ولا يَنْقُصه شيئاً ، كما لا يَنْقُص القابسُ من نور السراجِ شيئاً .

•

وفي بعض الأحاديث : إنّ الله لا يَقتلُ نَفْس التَّقيّ العالم جُوعاً .

•

وقيل للحسن بن أبي الحَسن البصْريّ : لِمَ صارت الحِرفةُ مَقرونةً مع العِلم ، والثروةُ مَقرونةً مع الجهْل ؟
فقال: ليس كما قُلتم، ولكنْ طَلَبتم قليلاً في قَليل فأعجزكم: طلبتم المال، وهو قليل في الناس ، في أهـل العِلم ، وهم قليل

في النّاس. ولو نظرتم إلى من احترف من أهل الجَهْل لوَجدتموهم أكثرَ.

•

وقال الله، تبارك وتعالى: «إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلماء.» و «وما يعقِلُها إلاّ العَالِمُون.»

•

وقيلَ: لا تَمْنعوا العِلم أهلَـه فتَظلمُوهم، ولا تُعْطوه غير أهله فتظلموه.

•

ولبعضهم:

من مَنع الحِكْمَةَ أربابَها، أصْبح، في الحُكْم لهم، ظالِمَا
وواضعُ الحِكمَةَ في غيرهم، يكون، في الحُكْم لها، غاشِما
سمِعتُ يوماً مَثلاً سائراً، وكنتُ في الشّعر له ناظِما:
لا خيرَ في المرْء، إذا ما غدا لا طالباً عِلْماً، ولا عالِمَا

•

وقيل لبَعض العُلماء: كيف رأيتَ العلم؟
قال: إذا اغتممتُ سَلوتي، وإذا سَلَوت لذّتي.

•

وأنشد لسابق البَرْبري :

العلم زَيْنٌ وتشريفٌ لصاحبه ؛
والجَهْل والنَّوك مَقْرونان في قَرَنِ[1]

•

ولغيره :

وإذا طَلبتَ العِلم، فاعْلَم أنّه حِمْلٌ، فأبْصر أيّ شيء تَحمِلُ
وإذا علمتَ بأنه متفاضِلٌ، فاشْغَل فؤادَك بالذي هو أفضل

•

الأصمعي قال :
أوّل العلم الصّمتُ، والثاني الاستماعُ، والثالث الحِفْظُ، والرابع العَملُ، والخامس نَشرُه.

•

ويُقال : العالم والمُتَعلّم شريكان، والباقي هَمَج.

•

وأنشد :

لا يَنفعُ العِلمُ قلباً قاسياً أبداً ؛
ولا يَلين لفَكّ الماضِغ الحجرُ

•

---

١ النوك : الحمق.

وقال مُعاذ بن جَبل : تعلّموا العِلم فإنَّ تَعَلُّمَه حسنةٌ، وطَلَبَه عِبادة ، وبَذْلَه لأهله قُرْبة .

والعلم منار سبيل أهل الجنّة، والأنيسُ في الوحشة، والصاحبُ في الغربة، والمُحدِّثُ في الخلوة، والدليلُ على السَّراء والضراء، والزَّينُ عند الأخلاّء ، والسّلاحُ على الاعداء . يرفع الله به قوماً فيجعلُهم قادةً أئمّةً تُقْتَفى آثارُهم ، ويُقْتدى بفعالهم .

والعلم حياةُ القَلب من الجهـل ، ومِصْبـاحُ الأبْصار من الظُّلمة ، وقُوّة الابدان من الضّعف . يبلـغُ بالعَبْد مَنازلَ الاخيار ، والدّرجاتِ العُلا في الدُّنيا والآخرة . الفِكْرُ فيه يَعدِلُ الصّيامَ ، ومُذاكرتُه القِيامَ ، وبه توصَل الأرحام ، ويُعرف الحلال من الحرام .

ضبط العلم والتثبت فيه

قيل لمحمّد بن عبد الله بن عُمَر ، رضي الله عنه : ما هذا العلم الذي بِنْتَ به عن العالم ؟

قال : كنتُ إذا أخذتُ كتاباً جعلته مِدْرَعة .

•

وقيل لرقبةَ بن مَصقَلة : ما أكثرَ شكَّك ؟

قال : محاماةٌ عن اليقين .

•

وسأل شُعبةُ أيوبَ السّختيانيّ عن حديث ، فقال : أشُكُّ فيه . فقال : شكُّك أحبُّ اليَّ من يقيني .

•

وقال أيوب : إنّ من أصحابي من أرتجي بركةَ دُعائه ، ولا أقبلُ حديثَه .

•

وقالت الحكماء: عَلّم عِلْمك من يجهل وتعلّم ممّن يعلم، فإذا فعلت ذلك حَفِظت ما عَلمت ، وعلمت ما جهلت .

•

وسأل ابراهيم النّخعيُّ عامراً الشعبيّ عن مسألة ، فقال : لا

أدْري ؛ فقال : هذا والله العالِم ، سئل عما لا يدري ، فقال: لا أدري .

•

وقال مالك بن أنس : إذا ترك العالمُ لا أدْري أصيبت مَقاتله .

•

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدري فقال : لا أدري ، فقد أحْرز نِصْفَ العِلم .

•

وقالوا : العِلمُ ثلاثة : حَديثٌ مُسْنَد ، وآيةٌ مُحْكَمة ، ولا أدْري. فَجَعلوا لا أدْري من العِلم، إذ كان صواباً من القول.

•

وقال الخليل بن أحمد : إنك لا تعْرف خَطأ مُعلّمك حتى تَجْلِس عند غيره .

وكان الخليلُ قد غَلَبت عليه الاباضيّة[1] حتى جالسَ أيّوب.

•

وقالوا : عَواقبُ المَكاره محمودة .

•

وقالوا : الخَير كلّه فيما أكْرِهت النفوسُ عليه .

---

[1] الاباضية : فرقة من الخوارج منسوبة الى عبد الله بن اباض التميمي .

انتحال العلم

قال بعض الحكماء : لا يَنبغي لأحد أن يَنتحل العِلْم ، فإن الله ، عزّ وجلّ ، يقول : وما أُوتيتُمْ مِنَ العلمِ إلا قليلاً. وقال عز وجل : وفَوْقَ كُلّ ذي عِلْمٍ عَليم .

•

وقد ذُكر عن موسى بن عِمران ، عليه السلام ، أنه لما كلّمه الله تعالى تَكليماً ، ودَرس التوراةَ وحَفِظها ، حدّثته نفسُه : أنّ الله لم يَخلق خلقاً أعلمَ منه . فهَوّن الله عليه نفسَه بالخِضْر عليه السلام .

•

وقال مُقاتل بن سُليمان ، وقد دَخلتْه أُبّهة العلم : سَلوني عما تحت العَرْش إلى أسفل الثرى . فقام إليه رجلٌ من القوم فقال : ما نسألك عما تحت العرش ، ولا أسفل الثرى ، ولكن نسألك عمّا كان في الأرض ، وذَكَره الله في كتابه ، أخبرني عن كلب أهل الكَهْف ، ما كان لونُه ؟ فأفحمه[1] .

•

•

---

[1] افحمه : اسكته .

وقال قَتادة : ما سمعتُ شيئاً قطُّ إلاَّ حفظتُه ، ولا حفظتُ شيئاً قطُّ فنسيتُه ؛ ثم قال : يا غلام ، هاتِ نعليَّ ؛ فقال : هما في رجليك ، فَفضحه الله .

•

وأنشد أبو عمرو بنُ العلاء في هذا المعنى :

مَنْ تَحلّى بغيرِ ما هو فيهِ ، فَضَحَتْهُ شواهدُ الامتحانِ

•

وفي هذا المعنى :

مَن تحلّى بغيرِ ما هو فيهِ ، شانَ ما في يديهِ ما يدّعيه

وإذا قلّل الدعاوى لما فيه أضافوا إليه ما ليس فيه

ومحكُّ الفتى سيظهر للناسِ ، وإن كان دائباً يُخفيه

ويحسبُ الذي ادّعى ما عداه ، أنّه عالمٌ بما يفتريه

•

وقال شَبيب بن شَيْبة لفتى من دَوْس :

لا تُنازع مَن فوقك ، ولا تَقُل إلا بعلم ، ولا تتعاطَ ما لم تَنَلْ ، ولا يخالف لسانُك ما في قلبك ، ولا قولُك فعلَك ، ولا تدَع الامرَ إذا أقبل ، ولا تطلبه إذا أدبر .

•

وقال قَتادة : حفِظتُ ما لم يَحْفظ أحَدٌ ، وأُنسيتُ ما لم يَنسَ أحدٌ ، حَفِظتُ القرآنَ في سَبعة أشهر ، وقَبضت على لِحْيتي وأنا أُريد قَطع ما تحت يدي فقطعتُ ما فوقها .

•

ومرّ الشّعبي بالسُّدّيّ ، وهو يُفسّر القُرآن ، فقال : لو كان هذا ، الساعةَ ، نشوانَ يُضرَب بالطّبل ، أما كان خيراً له ؟

•

وقال بعض المُتنحلين :

يُجَهّلني قَوْمي ، وفي عَقْد مِئْزَري
تَمَنّون أمثالاً لهم مُحكم العِلْمِ

وما عَنّ لي من غامِض العِلمِ غامضٌ،
مَدَى الدّهر ، إلا كنتُ منه على فَهْم

•

وقال عَديُّ بن الرّقاع :

وعَلِمتُ ، حتّى ما أُسائل عالماً
عن عِلْم واحدةٍ لكيْ أزْدادَها

شرائط العلم

وقالوا : لا يكون العالم عالماً ، حتى تكونَ فيه ثلاثُ خِصال : لا يَحْتقر مَن دونه، ولا يَحْسد مَن فوقه، ولا يأخذ على العِلم ثمناً .

•

وقالوا : رأسُ العِلم الخَوْفُ من الله تعالى .

•

وقيل للشّعبي : أفتِني أيُّها العالم ؛ فقال : إنما العالِم مَن اتّقى الله .

•

وقال الحسن: يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً، ويكون عابداً ولا يكون عاقلاً .

وكان مُسلم بن يسار عالماً عابداً عاقلاً .

•

وقالوا : ما قُرِن شيء الى شيء أفضل من حِلمٍ إلى عِلم ، ومن عَفْوٍ الى قُدْرة .

•

وقالوا : من تمام آلة العالم أن يكون شديدَ الهَيبة ، رَزينَ المجْلس، وَقُوراً صَموتاً ، بطيءَ الالتفات ، قليلَ الإشارات، ساكنَ الحَرَكات ، لا يَصْخَبُ ولا يَغضب ، ولا يُبْهَرُ[1] في كلامه ، ولا يمسح عُثنونه[2] عند كلامه في كل حين ، فإنَّ هذه كلّها من آفات العيِّ[3] .

•

وقال الشاعر :

مَلِيءٌ بِبُهْرٍ ، والتفَاتٍ وَسعْلَةٍ ،
ومَسْحَةِ عُثنونٍ ، وفَتْلِ الأصابعِ

•

ومدح خالدُ بن صَفْوان رجلاً، فقال : كان بديعَ المنْطق، جزلَ الألفاظ[4]، عربيَّ اللسان، قليلَ الحركات، حَسنَ الاشارات، حُلوَ الشمائل ، كثيرَ الطّلاوة، صموتاً وقوراً ، يهنأ[5] الجرب،

---

١ يبهر : ينقطع نفسه من شدة الجهد .
٢ عثنونه : لحيته .
٣ العي : العجز عن الكلام .
٤ جزل الالفاظ : غير ركيكها .
٥ يهنأ : يطلي بالهناء ، والهناء : القطران .

ويداوي الدَّبْر[١] ، ويُقِلُّ الحزّ[٢] ، ويُطبّق المَفْصِل، لم يكن بالزَّمِر[٣] المروءة ، ولا الهَذِرِ المنطق[٤] ، مَتبوعاً غيرَ تابع .

كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارُ[٥]

•

وقال عبدُ الله بن المُبارك في مالك بن أنس، رضي الله عنه:

يأبى الجوابَ ، فما يُراجَع هَيْبَةً،
فالسائلون نَواكِسُ الأذْقانِ

هَدْيُ الوَقار ، وعِزُّ سُلطان التُّقى،
فهو المَهيب ، وليس ذا سُلْطانِ

وقال عبدُ الله بن المبارك فيه أيضاً :

صَموتٌ، اذا ما الصَّمْتُ زَيَّن أهلَه،
وفَتّاقُ أبكار الكلام المُخَتَّمِ

---

١ الدبر، واحدتها دبرة : قرحة الدابة .

٢ الحز : القطع ، واراد بها قلة ايجاز الكلام مع الاصابة.

٣ الزمر : القليل المروءة .

٤ هذر المنطق : هاذ اي يخلط في منطقه ويتكلم بما لا ينبغي .

٥ عجز بيت للخنساء صدره : وانّ صخراً لتأتم الهداة به . العلم : الجبل ، كنت الخنساء بذلك عن شهرة اخيها وظهوره .

وَعَى ما وعَى القرآنُ من كلِّ حِكمة،
وسِيطَتْ له الآدابُ باللّحْم والدَّم

•

ودخل رجلٌ على عبد الملك بن مَروان ، وكان لا يسأله عن شيء إلا وَجد عنده منه علماً ، فقال له : أنّى لك هذا ؟ فقال : لم أمْنع قطُّ يا أميرَ المؤمنين علماً أفيده ، ولم أحتقر علماً أستفيده ، وكنتُ إذا لقيت الرّجلَ أخذتُ منه وأعطيتُه .

•

وقالوا : لو أنّ أهل العلم صانوا عِلمهم لسادوا أهلَ الدُّنيا، لكنّ وَضعوه غيرَ مَوضعه فقصّر في حقّهم أهلُ الدُّنيا .

•

حفظ العلم واستعماله

قال عبد الله بن مَسعود : تَعلّموا فإذا عَلِمتم فاعملوا .

•

وقال مالكُ بن دِينار : العالم إذا لم يَعمل بعِلمه زلّت مَوعظته عن القلب ، كما يَزِلُّ الماءُ عن الصّفا .

•

وقالوا : لولا العَمَل لم يُطلَبِ العِلم ، ولولا العِلم لم يُطلَب العَمَل .

•

وقال الطائيُّ :

ولم يَحْمَدوا من عالمٍ غيرِ عاملٍ ؛
ولم يَحْمَدوا من عاملٍ غيرِ عالِم

•

وقال عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليه : أيها الناس ، تعلّموا كتابَ الله تُعْرَفوا به ، واعمَلوا به تكونوا من أهله .

•

وقالوا : الكلمة اذا خرجتْ من القلب وقعتْ في القلب ، وإذا خرجتْ من اللسان لم تُجاوز الآذان .

•

وروى زياد عن مالك قال : كُنْ عالماً أو مُتعلّماً أو مُستمعاً ، وإيّاك والرابعة[1] فإنها مَهلكة ، ولا تكونُ عالماً حتى تكون عاملاً ، ولا تكون مؤمناً حتى تكون تقيّاً .

•

وقال أبو الحسن : كان ابن الجَرّاح يَستحفظ كلّ يوم ثلاثة أحاديث .

•

وكان الشّعبي والزّهري يقولان : ما سَمِعنا حديثاً قَطّ وسألنا إعادته .

•

١ لعله اراد بالرابعة الادعاء للعلم .

رفع العلم وقولهم فيه

قال عبد الله بن مسعود : تعلّموا العِلم قبل أن يُرفع .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إنّ الله لا يَقبِض العِلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يَقبضه بقَبض العُلماء .

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس ، رضوان الله عليهما ، لمّا ووري زيدُ بن ثابت في قبره : مَن سرّه ان يرى كيف يُقبَض العلم فهكذا يُقبض .

•

تحامل الجاهل على العالم

قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: وَيلٌ لعالمٍ أمْرٍ من جاهله!

•

وقالوا: إذا أردت أن تُفْحِم عالماً فأحضِره جاهلاً.

•

وقالوا: لا تناظر جاهلاً.

•

وقالوا: لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شُكر.

•

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: ارحموا عزيزاً ذلّ، ارحموا غنياً افتقر، ارحموا عالماً ضاع بين جُهّال.

•

وجاء كَيْسان الى الخليل بن احمد يسأله عن شيء، ففكر فيه الخليل ليُجيبَه، فلما استفتح الكلام، قال له: لا أدري ما تقول؛ فأنشأ الخليل يقول:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني،
أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذلتُكا

لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتَني،
وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

•

وقال حبيب :

وعاذلٍ عذلتُه في عذْله،
فظنَّ أنّي جاهلٌ من جهْلِهِ

ما غَبَنَ المغبونَ مثلُ عقْله،
مَن لك يوماً بأخيكَ كلِّه؟

•

تبجيل العلماء وتعظيمهم

الشعبي قال: رَكِبَ زيدُ بن ثابت، فأخذ عبدُ الله بن عبّاس بركابه، فقال: لا تَفعل يابن عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ فقال: هكذا أُمرنا أن نَفعل بعلمائنا.

قال زيد: أرِني يدك؟ فلما أخرج يدَه قبّلها، وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بابن عمّ نبيّنا.

•

وقالوا: خِدْمة العالم عبادة.

•

وقال عليُّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه: من حقّ العالم عليكَ، إذا أتيتَه، أن تُسلّم عليه خاصّة، وعلى القوم عامة، وتَجلِسَ قُدّامه، ولا تُشر بيدك، ولا تَغمز بعَينيك، ولا تَقُل: قال فلان خلافَ قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تُلحّ عليه في السؤال، فإنما هو بمنزلة النّخلة المُرطبة[1]، التي لا يزال يَسقط عليك منها شيء.

•

وقالوا: إذا جلستَ إلى العالم فَسَلْ تفقّهاً ولا تَسل تعنّتاً.

---

[1] المرطبة، من ارطب النخل: حان اوان رطبه، اي نضج بسره قبل ان يصير تمراً.

عويص المسائل

الأوزاعيُّ عن عبد الله بن سعد عن الصُّنابحيّ عن معاوية ابن أبي سُفيان قال: نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الأغلوطات. قال الأوزاعيّ: يعني صِعاب المسائل.

•

وكان ابن سيرين إذا سُئل عن مسألة فيها أغلوطة، قال للسائل: أمْسكها حتى تَسأل عنها أخاك إبليس.

•

وسأل عُمرُ بن قيس مالكَ بن أنس عن مُحرِم نَزَعَ نابَي ثعلَب، فلم يَردَّ عليه شيئاً.

•

وسأل عمرُ بن الخطّاب، رضي الله عنه، عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، فقال: ما تقول في رجُل أمَته عند رجل آخر؟ فقال: يُمسك عنها. أراد عمر أنّ الرجل يموت وأمته عند رجل آخر. وقولُ عليّ يُمسك عنها، يريد الزوج يُمسك عن أمّ الميت حتى تَستَبرىء من طريق الميراث.

•

وسأل رجلٌ عمرَ بن قيس عن الحَصاة يجدها الانسان في ثوبه أو في خُفته أو في جَبْهته من حَصى المسجد؛ فقال: ارم

بها ؛ قال الرجل : زعموا أنها تَصيح حتى تُرَدَّ الى المسجد ؛ فقال : دَعها تصيح حتى يَنْشقَّ حَلقها ؛ فقال الرجل : سبحان الله ! ولها حَلق ؟ قال : فمن أين تَصيح ؟

•

وسأل رجلٌ مالكَ بن أنس عن قوله تعالى : الرَّحْمَنُ على العَرْشِ استَوى ، كيف هذا الاستواء ؟ قال : الاستواء مَعقول والكَيْف مجهول ، ولا أظنُّك إلاّ رجلَ سَوء .

•

وروى مالكُ بن أنَس الحديثَ عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إذا استيقظ أحدُكم من نومه ، فلا يُدخل يدَه في الإناء حتى يَغسِلها ، فإن أحدَكم لا يَدري أين باتت يدُه . فقال له رجل : فكيف نَصنع في المِهراس أبا عَبد الله ؟ والمِهْراس : حَوض مكة الذي يتوضّأ الناس فيه ؛ فقال : مِن الله العِلم ، وعلى الرسول البلاغ ، ومنّا التسليم ، أمِرُّوا الحديث .

•

وقيل لابن عبّاس ، رضي الله عنهما : ما تقول في رجل طلّق امرأته عددَ نجوم السماء؟ قال : يَكفيه منها كوكب الجوزاء .

•

وسُئِل عليُّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه : أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال : أين توجب المكان ، وكان الله ، عزّ وجلّ ، ولا مكان .

التصحيف

وذكر الأصمعيّ رجلاً بالتّصحيف[1]، فقال : كان يَسمع فيَعِي غيرَ ما يسمع ، ويكتب غير ما وَعى، ويقرأ في الكتاب غير ما هو فيه .

•

وذكر آخر رجلاً بالتصحيف ، فقال : كان إذا نسخ الكتاب مرّتين عاد سُريانياً .

•

١ التصحيف ، من صحف الكلمة : اخطأ في قراءتها او حرفها عن وضعها .

طلب العلم لغير الله

قال النبي، صلى الله عليه وسلم : إذا أُعطي الناسُ العِلم ومُنِعوا العمل ، وتحابُّوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، وتقاطعوا في الأرحام ، لعَنهم الله فأصَمَّهم وأعمى أبصارَهم.

•

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: ألا أُخبركم بشرّ الناس؟ قالوا : بلى يا رسولَ الله ؛ قال : العلماء إذا فَسدوا.

•

وقال الفُضَيل بن عِياض : كان العلماء ربيعَ الناس ، اذا رآهم المريضُ لم يسرّه أن يكون صحيحاً ، واذا نظر إليهم الفقيرُ لم يودّ أن يكون غنياً ، وقد صاروا اليوم فتنة للناس.

من اخبار العلماء والادباء

أملى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخُشَنيّ ، أن عبد الله ابن عبّاس سُئِل عن أبي بكر ، رضي الله عنه ، فقال : كان والله خيراً كله مع الحِدّة التي كانت فيه .

قالوا : فأخبِرنا عن عمر ، رضوانُ الله عليه .

قال : كان والله كالطير الحَذِر الذي نُصِب فخٌ له فهو يخاف أن يقع فيه .

قالوا : فأخبرنا عن عثمان ، رضوانُ الله عليه .

قال : كان والله صَوّاماً قوّاماً .

قالوا : فأخبرنا عن عليّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه .

قال : كان والله ممن حَوى علماً وحلماً ، حَسْبُك من رجل أعزّته سابقتُه وقدّمته قرابتُه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقلما أشرف على شيء إلاّ ناله .

قالوا : يقال إنه كان مجدوداً[1] .

قال : أنتم تقولونه .

•

---

[1] المجدود : العظيم الحظ .

وذكروا أن رجلاً أتى الحسنَ[1]، فقال : أبا سعيد ، إنهم يَزعمون أنك تُبْغِض علياً .

فبكى حتى اخضلَّت لِحْيته ، ثم قال : كان عليُّ بنُ أبي طالب سهماً صائباً من مَرامي الله على عدوّه ، ورَبّانيَّ هذه الأمة ، وذا فضلِها ، وذا قرابةٍ قريبة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنَّئومة عن أمر الله ، ولا بالمَلُولة في حق الله ، ولا بالسَّروقة لمال الله ، أعطى القرآنَ عزائمَه ففاز منه برياض مُونِقة ، وأعلام بيّنة ، ذاك عليُّ بن أبي طالب يا لُكَع[2] .

•

وقال عيسى بن مريم ، عليه السلام : سيكونُ في آخر الزمان علماءُ يُزَهّدون في الدُّنيا ولا يَزهدون ، ويرَغّبون في الآخرة ولا يَرغبون ، يَنْهَوْنَ عن إتيان الوُلاة ولا ينتهون ، يُقرّبون الأغنياء ، ويُبْعدون الفقراء ، ويَتَبسّطون للكبراء ، ويَنْقبضون عن الحُقراء ، أولئك إخوانُ الشياطين وأعداء الرحمن .

•

وقال محمد بن واسع : لأن تَطلُب الدنيا بأقبح ممّا تطلب به الآخرة خيرٌ من أن تطلبها بأحسن مما تطلب به الآخرة .

•

---

١ اراد الحسن البصري .

٢ اللكع : اللئيم .

وقال الحسن : العِلم عِلمان ، عِلم في القلب ، فذاك العِلم النافع ، وعِلم في اللسان ، فذاك حجة الله على عباده .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إن الزَّبانية[1] لا تخرج الى فقيه ولا الى حَمَلة القرآن إلا قالوا لهم : اليكم عنّا ، دونكم عَبَدَةَ الأوثان . فيَشتكون الى الله ، فيقول : ليس مَن عَلِم كمن لم يَعلم .

•

وقال مالك بن دينار : مَن طلب العلم لنفسه فالقليل منه يَكفيه ، ومن طَلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

•

وقال ابن شُبْرمة : ذهب العِلم الا غُبّرات[2] في أوعية سوء .

•

وقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : مَن طلب العِلم لأربع دخل النار : من طلبه ليُباهي به العُلماء ، وليُماري به السُّفهاء ، وليَستَميل به وجوه الناس اليه ، أو ليَأخذ به من السلطان .

•

---

١ الزبانية : اسم لبعض الملائكة الذين يدفعون اهل النار اليها .

٢ الغبرات ، واحدها غبر : البقية .

وتكلم مالكُ بن دينار فأبكى أصحابه ، ثم افتقد مصحفه ، فنظر الى أصحابه وكلُّهم يبكي ، فقال : ويحكم ! كلكم يبكي ، فمن أخذ هذا المصحف ؟

•

وسُئل خالدُ بن صفوان عن الحَسن البصْريّ ، فقال : كان أشبه الناس علانيةً بسَريرةٍ ، وسريرةً بعَلانية ، وآخذَ الناسِ لِنَفْسه بما يَأمُر بـه غيرَه . يا له من رجل استَغنى عمّا في أيدي الناس من دُنياهم ، واحتاجوا إلى ما في يَدَيْه من دِينهم .

•

ودَخل عُروة بن الزبير بُستاناً لعبد المَلِك بن مَرْوان ، فقال عُروة : ما أحسنَ هـذا البستان ! فقال له عبدُ الملك : أنت والله أحسنُ منه ، إنّ هذا يُؤتي أُكُلَه كلَّ عام ، وأنت تُؤتي أُكُلَك كلَّ يوم .

•

وقال محمدُ بن شهاب الزُّهريّ : دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان في رجال من أهل المدينة ، فَرآني أحدثَهم سنّـاً ، فقال : من أنت ؟ فانتسبت إليه ، فَعرفني ؛ فقـال : لقد كان أبوك وعمُّك نعّاقَيْن في فِتْنة ابن الزُّبير .

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، مثلُك إذا عفا لم يَعُدْ ، وإذا صَفح لم يُثرِّب[1] .

قال لي : أين نشأتَ ؟

قلتُ : بالمدينة .

قال : عند مَن طلبت ؟

قلت : عند ابن يَسار وقَبيصة بن ذؤيب وسَعيد بن المُسيِّب .

قال لي : وأين كنت من عُروة بن الزُّبير ؟ فانه بَحر لا تُكدِّره الدِّلاء .

•

وذُكر الصحابةُ عند الحَسن البصريّ ، فقال : رَحِمَهم الله ، شَهِدوا وغِبْنا ، وعَلِموا وجَهِلنا ، فما اجتمعوا عليه اتَّبعنا ، وما اختلفوا فيه وَقَفنا .

•

وقال جعفرُ بن سُليمان : سمعتُ عبدَ الرحمن بن مهديّ يقول : ما رأيتُ أحداً أقشفَ من شُعبة ، ولا أعبدَ من سُفيان ، ولا أحفظَ من ابن المُبارك .

•

---

١ لم يثرب : لم يلم.

وقال : ما رأيتُ مثلَ ثلاثة : عَطاء بن أبي رَباح بمكة ، ومحمد بن سِيرين بالعراق ، ورجاء بن حَيوة بالشام .

•

وقيل لأهل مكة : كيف كان عَطاء بن أبي رَباح فيكم ؟ فقالوا : كان مِثلَ العافية التي لا يُعرف فَضلُها حتى تُفقد .

وكان عَطاء بن أبي رَباح أسوَدَ أعوَرَ أفطسَ أشلَّ أعرج ثم عَمِي ، وأمُّه سوداء تُسمَّى بَرَكة .

•

وكان الأحنفُ بن قَيس : أعورَ أعرج ، ولكنّه إذا تكلّم جلا عن نفسه .

•

وقال الشّعبي : لولا أنّي زُوحمت في الرَّحم ما قامت لأحد مَعي قائمة ؛ وكان تَوْأماً .

•

وقيل لطاووس : هذا قَتادة يُريد أن يأتيك ؛ قال : لئن جاء لأقومنّ ؛ قيل : إنه فَقيه ؛ قال : ابليس أفقَه منه ؛ قال : رَبِّ بِما أغْويتَني .

•

وقال الشّعبيّ : القُضاة أربعة : عُمر وعليّ وعبد الله وأبو موسى .

•

وقال الحَسَن : ثلاثة صَحبوا النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، الابنُ والأب والجدّ : عبد الرحمن بنُ أبي بكر بن أبي قُحافة ، ومَعن بن يَزيد بن الأخنس السُّلميّ .

•

وكان عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود فقيهاً شاعراً ، وكان أحدَ السَّبعة من فُقهاء المدينة .

وقال الزُّهريّ : كنتُ إذا لقيتُ عُبيْد الله بن عبد الله ، فكأنما أفجِّر به بَحْراً .

وقال عمرُ بن عَبد العزيز : وَدِدْتُ لو أنّ لي مجلساً من عُبيد الله بن عَبد الله بن عُتبة بن مَسْعود لم يَفُتْني .

ولقيه سعيدُ بن المُسيِّب فقال له : أنت الفقيه الشاعر ؟ قال : لا بد للمَصْدور أن يَنْفُث .

وكتب عُبيد الله بن عبد الله إلى عُمَر بن عبد العزيز ، وبلغه عنه شيءٌ يكرهه :

أبا حَفْصٍ ، أتاني عَنك قَولٌ قُطعتُ به ، وضَاق به جَوابي
أبا حفص ، فلا أدْري أرَغْمِي تُريد بما تُحاول أم عِتابي
فإنْ تكُ عاتباً نُعْتِبْ ، وإلاّ فما عُودي إذاً بيَراع غاب
وقد فارقتُ أعظمَ منكَ رُزءاً ، وواريتُ الأحِبَّة في التراب
وقد عَزُّوا علي وأسْلَموني معاً ، فلَبِسْتُ بعدهُم ثِيابي

•

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم عالماً كثيرَ الدِّراسة لكتب ، وربما قال الشعر ، ومن قوله :

هلْ أنت مُنتفِعٌ بعِلمك مَرّةً ، والعِلم نافِعْ
ومِنَ المُشيرِ عليك بالرَّأي المُسدَّد أنتَ سامِع
الموتُ حَوْضٌ ، لا مَحالة ، فيه كلُّ الخَلْق شارع
ومِنَ التُّقَى فازْرَع ، فإنك حاصدٌ ما أنتَ زارع

•

وقال عمرُ بن عبد العزيز : ما ولدتْ أميّةُ مثل خالد بن يزيد ، ما أستَثْني عثمان ولا غيره .

•

وكان الحسن في جنازة فيها نوائح ، ومعه سعيدُ بن جُبير ، فهمّ سعيد بالانصراف ، فقال له الحسن : إنْ كنتَ كلّما رأيت قبيحاً تركتَ له حسناً اسرعَ ذلك في دينك .

•

وعن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة عن ابن المُبارك قال : علّمني سُفيان الثّوريّ اختصار الحديث .

•

وقال الأصمعيّ : حدّثنا شُعبة قال : دخلتُ المدينة فإذا

لمالك حلقة ، وإذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة ، وذلك سنة ثماني عشرة ومائة .

•

وقال أبو الحسن بن محمد : ما خلق الله أحداً كان أعرف بالحديث من يحيى بن معين ، كان يؤتى بالأحاديث قد خلطت وقلبت ، فيقول : هذا الحديث لذا وذا لهذا ، فيكون كما قال .

•

وقال شريك : إني لأسمع الكلمة فيتغيّر لها لوني .

•

وقال ابن المبارك : كل من ذُكر لي عنه وجدته دون ما ذُكر إلا حيوة بن شريح وأبا عون[1] .

•

وكان حَيْوة بن شُريح يقعد للناس ، فتقول له أمه : قم يا حَيْوة ألقِ الشعيرَ للدجاج ؛ فيقوم .

•

وقال أبو الحسن : سمع سليمان التيمي من سفيان الثوري ثلاثة آلاف حديث .

•

---

١ هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني ابو عون .

وكان يحيى بن اليمان يَذهب بابنه داودَ كلَّ مذهب، فقال له يوماً: كان رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، ثم كان عبد الله، ثم كان علقمة، ثم كان إبراهيم، ثم كان منصور، ثم كان سفيان، ثم كان وَكيع، قم يا داود: يعني أنه أهلٌ للإمامة. ومات داود سنة أربع ومائتين.

•

وقال الحسن: حدّثني أبي قال: أمر الحجّاجُ أن لا يؤمّ بالكوفة إلاّ عربيّ.

وكان يحيى بن وَثّاب يؤم قومَه بني أَسد، وهو مَولىً لهم؛ فقالوا: اعتزل.

فقال: ليس عن مثلي نهى، أنا لاحِقٌ بالعرب.

فأبوا، فأتى الحجاجَ فقرأ.

فقال: مَن هذا؟

فقالوا: يحيى بن وَثّاب.

قال: ما له؟

قالوا: أمرتَ أن لا يؤمّ إلا عربيّ فنحّاه قومه.

فقال: ليس عن مثل هذا نَهيتُ، يُصلّي بهم.

قال: فصلى بهم الفجر والظُّهر والعَصر والمغْرب والعِشاء،

ثم قال : اطلبوا إماماً غيري ، إنما أردتُ أن لا تستذلّوني ، فأما إذ صار الأمرُ إليّ ، فأنا أؤمّكم ؟ لا ولا كرامة .

•

وقال الحسن : كان يحيى بن اليمان يصلّي بقومه ، فتعصّب عليه قومٌ منهم ، فقالوا : لا تُصلّ بنا ، لا نرضاك ، إن تقدّمت نحّيناك . فجاء بالسيف فسَلّ منه أربعَ أصابعَ ثم وضعه في المحراب ، وقال : لا يدنو مني أحدٌ إلاّ ملأتُ السيفَ منه .

فقالوا : بيننا وبينك شريك .

فقدّموه الى شريك فقالوا : إن هذا كان يُصلّي بنا وكَرِهناه .

فقال لهم شريك : من هو ؟

قالوا : يحيى بن اليمان .

فقال : يا أعداء الله ، وهل بالكوفة أحدٌ يُشبه يحيى ؟ لا يصلي بكم غيره .

فلما حضرته الوفاة ، قال لابنه داود : يا بُني ، كاد دِيني يذهب مع هؤلاء ، فإن اضطرُّوا إليك بعدي فلا تُصلّ بهم .

•

وقال يحيى بن اليمان : تزوّجتُ ام داود وما كان عندي ليلةَ العُرس إلا بطيخة ، أكلتُ أنا نِصْفَها وهي نِصْفَها ،

وولدت داودَ ، فما كان عندنا شيء نلفُّه فيه ، فاشتريتُ له كُسوة بحبّتين ، فلففناه فيها .

•

وقال الحسن بن محمد : كان لعليّ ضفيرتان ، ولابن مسعود ضفيرتان .

•

وذكر عبدُ الملك بن مَروان روحاً ، فقال : ما أُعطِي أحدٌ ما أُعطِي أبو زُرعة[1] ، أعطي فِقْهَ الحجاز ، ودهاءَ أهل العراق ، وطاعةَ أهل الشام .

•

ورُوي أن مالكَ بن أنس كان يذكر عُثمان وعليّاً وطلحة والزُّبير ، فيقول : والله ما اقتتلوا إلاّ على الثّريد الأعفر[2] .

ذكرَ هذا محمدُ بن يزيد في الكامل ، ثم قال : فأما أبو سعيد الحَسن البصريّ فإنه كان يُنكر الحكومة ولا يرى رأيهم ، وكان إذا جَلس فتمكّن في مجلسه ذَكَر عُثمان ، فترحّم عليه ثلاثاً ولعن قَتَلته ثلاثاً ويقول : لو لم نلعنهم للُعِنّا ؛ ثم يذكر عليّاً فيقول : لم يزل عليّ أمير المؤمنين ،

---

١ ابو زرعة : روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان .

٢ الأعفر : الأبيض ، واراد الثريد المتلىء بالادام .

صلواتُ الله عليه ، مُظفَّراً مُؤيَّداً بالنعم حتى حَكَّم؛ ثم يقول : ولِمَ تُحكِّم والحقُّ معك ؟ ألا تمضي قُدماً لا أبا لك !

وهذه الكلمة وإن كان فيها جَفاء ، فإنَّ بعض العرب يأتي بها على معنى المدح ، فيقول : انظر في أمر رعيَّتك لا أبا لك وأنت على الحق .

وقال أعرابيٌّ :

رَبَّ العِباد ما لنا وما لكا ، قد كنتَ تسقِينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيثَ لا أبا لكا

•

وقال ابن أبي الحَواريّ : قلت لسُفيان : بلغني في قول الله ، عزَّ وجلَّ : إلاَّ مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليم ، أنه الذي يلقى الله وليس في قلبه أحدٌ غيره .

قال : فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا .

•

وقال ابن المُبارك : كنتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثيّ في سفينة ، فقلتُ : بأيِّ شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلتُ : ما تقول في الصوم في السَّفر ؟

قال : إنما هي المُبادرة يابن أخي . فجاءني والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشعبي .

•

وقال الفُضَيل بن عِياض :

اجتمع محمدُ بن واسع ومالكُ بن دينار في مجلس بالبصرة، فقال مالكُ بن دينار : ما هو إلاّ طاعةُ الله أو النار .

فقال محمد بن واسع لمن كان عنده : كنا نقول : ما هو إلاّ عفو الله أو النار .

قال مالكُ بنُ دينار : إنه ليُعْجبني أن تكون للانسان معيشةٌ قدرَ ما يقُوته .

فقال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول : وليس يُعجبني أن يُصبح الرجل وليس له غَداء ، ويُمسي وليس له عَشاء ، وهو مع ذلك راضٍ عن الله ، عزّ وجلّ .

فقال مالك : ما أحوجني الى أن يعِظني مثلُك .

•

وكان يجلس الى سُفيان فتىً كثيرُ الفِكرة ، طويلُ الاطراق ، فأراد سُفيان أن يحرّكه ليسمعَ كلامه ، فقال : يا فتى ، إنّ مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خَيْل عِتاق وبَقِينا على حَمير دَبِرة .

قال : يا أبا عبـــد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرعَ لحُوقنا بالقوم .

•

الأصمعيّ عن شُعْبة قال : ما أحدّثكم عن أحدٍ ممن تَعرفون وممن لا تَعرفون ، إلا وأيوب ويونس وابنُ عون وسليمان خيرٌ منهم .

•

قال الأصمعيُّ : وحدّثني سلاّم بن أبي مُطيع ؛ قال : أيوب أفقهُهم ، وسليمان التيمي أعبدُهم ، ويونس أشدُّهم زُهْداً عنـد الدراهم ، وابن عونٍ أضبطُهم لنفسه في الكلام .

•

الأصمعي قال : حدّثنا نافع بن أبي نُعَيم عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : ألفٌ عن ألف خيرٌ من واحد عن واحد ، فلان عن فلان ينتزع السنّة من أيديكم[1] .

•

وكان إبراهيمُ النَّخعيّ في طريق فلَقيه الأعمش فانصرف معه ، فقال له : يا إبراهيم ، إنّ النـــاسَ اذا رأونا قالوا : أعمش وأعور .

---

١ يشير الى أن التواتر في الرواية خير من قلته ، وأن رواية الآحاد مضيعة للسنة .

قال : وما عليك ان يأثموا ونُؤجَر .
قال : وما عليك أن يَسْلَموا وتَسْلَم .

•

وقال محمد بن مُناذر :

ومَن يَبْغِ الوصاةَ ، فإنّ عندي
وصاةٌ للكُهولِ وللشبابِ

خذوا عن مالكٍ وعن ابن عَون ،
ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ داب[1]

•

وقال آخر :

أيها الطالبُ علماً ! ايتِ حمّادَ بن زيدِ
فاقتبس حِلماً وعِلماً ، ثم قيّده بقَيْدِ

•

وقيل لأبي نواس : قد بعثوا في أبي عُبيدة والأصمعيّ ليَجْمعوا بينهما .

قال : أما أبو عُبيدة فإن مكّنوه من سِفْره قرأ عليهم أساطير الأولين ، وأما الأصمعيّ فبُلبل في قفص يُطربهم بصفيره .

•

---

١ هو عيسى بن يزيد بن دأب وكان يضع الحديث بالمدينة .

وذكروا عند المنصور محمدَ بن إسحاق وعيسى بن دأب ، فقال : أما ابن اسحاق فأعلم الناس بالسيرة ، وأمّا ابنُ دأب فإذا أخرجتَه عن داحس والغبراء لم يُحسن شيئاً .

●

وقال المأمون ، رحمه الله تعالى : مَن أراد لهواً بلا حرَج ، فليسمع كلامَ الحَسن الطاليّ .

●

وسُئِل العتّابيّ عن الحَسن الطاليّ فقال : إنّ جليسه لِطيب عِشْرته لأطربُ من الابل على الحُداء ، ومن الثَّمِل على الغِناء .

●

قولهم في حملة القرآن

وقال رجلٌ لإبراهيمَ النَّخَعيّ : إنّي أختِمُ القرآن كل ثلاث ؛ قال : ليتك تَختِمه كلَّ ثلاثين وتَدْري أيَّ شيءٍ تقرأ .

•

وقال الحارثُ الأعْور : حدَّثني عليٌّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : كتاب الله فيه خَبر ما قَبْلكم ونبأ ما بعدكم وحُكم ما بينكم ، هو الفَصْل ليس بالهَزْل ، هو الذي لا تَزيغ به الأهواء ، ولا يَشْبع منه العُلماء ، ولا يَخْلَق على كثرة الردّ ، ولا تَنْقضي عجائبُه ، هو الذي مَن تَركه من جبّار قَصمه الله ، ومَن ابتغى الهُدَى في غيره أضلَّه الله ، هو حَبْل الله المَتين ، والذِّكر العَظيم ، والصِّراط المُستقيم ، خُذْها إليك يا أعْور .

•

وقيل للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم : عجَّل عليك الشيبُ يا رسولَ الله ؛ قال : شَيَّبتني هُود وأخواتُها .

•

وقال عبدُ الله بن مَسعود : الحَواميمُ[1] ديباج القرآن .
وقال : إذا رَتعتُ رَتعتُ في رياض دَمِثة أتأنّقُ فيهن .

•

وقالت عائشةُ ، رضي الله تعالى عنها : كانت تَنْزل علينا الآيةُ في عَهْد رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فنَحْفظ حلالها وحَرامها ، وأمْرها وزَجرها ، قبل أن نَحْفظها .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : سيكون في أمّتي قومٌ يَقرأون القرآنَ لا يُجاوز تَراقِيَهم ، يَمْرقون من الدين كما يَمرُقُ السهمُ من الرميّة ، هم شرُّ الخَلقِ والخَليقة .

•

وقال : إن الزّبانية لأسْرعُ إلى فُسّاق حَمَلة القُرآن منهم إلى عَبَدة الأوثان ؛ فيَشْكون إلى ربّهم ، فيقول : ليس مَن عَلِمَ كمن لم يَعْلَم .

•

---

١ الحواميم : سور القرآن المفتتحة بحاميم . وفي القاموس المحيط : وذوات حاميم . . ولا تقل حواميم .

وقال الحسن : حَمَلة القرآن ثلاثة نَفَر : رجلٌ اتخذه بضاعةً يَنقله من مِصر إلى مصر يَطلُب به ما عند النّاس ؛ ورجل حَفِظ حُروفَه ، وضيّع حُدوده ، واستدَرّ به الوُلاة ، واستطال به على أهْل بلده ، وقد كَثر هذا الضّربُ في حَمَلة القرآن ، لا كَثّرهم الله ، عزّ وجلّ ؛ ورَجُل قرأ القرآن ، فوَضع دواءَه على داء قلبه ، فسَهِر ليلتَه ، وهَمَلت عيناه ، وتَسَرْبل الخُشوعَ ، وارتدى الوَقار ، واستَشْعر الحُزن ؛ ووالله لَهذا الضّرب من حملة القرآن اقلُّ من الكِبْريت الأحمر ، بهم يَسْقي الله الغَيْثَ ، ويُنَزّل النّصر ، ويَدْفع البَلاء .

•

العقل

قال سَحْبان وائل : العقْل بالتّجارب ، لأنّ عَقْل الغريزة سلّم إلى عَقْل التّجربة .

ولذلك قال عليٌّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه : رأي الشيخ خير من مَشْهد الغُلام .

وعلى العاقل أنْ يكون عالماً بأهل زمانه مالكاً لِلسانه مُقْبِلاً على شانه .

•

وقال الحسن البصْريّ : لسانُ العاقل من وَراء قلبه ، فإذا أراد الكلامَ تفكّر ، فإن كان له قالَ ، وإنْ كان عليه سكت . وقلب الأحمق من وراء لسانه ، فإذا أراد أن يقول قال ، فإن كان له سَكت ، وإن كان عليه قال .

•

وقال محمد بن الغاز : دخل رجل على سُليمان بن عبد الملك ، فتكلم عنده بكلام أعجب سُليمانَ ، فأراد أن يختبره لينظر أعقله على قَدْر كلامه أم لا ، فوجده مَضعوفاً فقال :

فضل العَقـل على المَنطِقِ حكمة ، وفَضْل المَنطق على العَقْل هجنة ، وخير الأمور ما صدّق بعضها بعضاً ؛ وأنشد :

وما المرءُ إلاّ الأصْغرانِ : لسانُـه
ومَعْقوله ، والجِسْم خَلْقٌ مُصوَّرُ

فإنْ تَرَ منه ما يَروق ، فربّما
أمَرَّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخْضر

•

ومن أحْسن ما قيل في هذا المعنى قولُ زُهير :

وكائنْ تَرى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ ،
زِيادتُـه أو نَقْصُهُ في التكلُّم

لسانُ الفَتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُه ،
فلم يَبْقَ إلاّ صورةُ اللحْم والدّم

•

وقال عليّ ، رضي الله عنه : العَقل في الدّماغ ، والضّحك في الكَبد ، والرّأفة في الطِّحال ، والصّوت في الرّئة .

•

وسُئل المُغيرة بن شُعْبة عن عُمَر بن الخطـاب ، رضوان الله عليه ، فقال : كان والله أفضلَ من أن يَخْدَع ، وأعقلَ

من أن يُخدع ، وهو القائل : لستُ بِخَبٍّ[١] والخبُّ لا يخدعني .

•

وقال زياد : ليس العاقلُ الذي إذا وَقَع في الأمْر احتال له ، ولكنّ العاقل يَحْتال للأمر حتى لا يقع فيه .

•

وقيل لعَمرو بن العاص : ما العَقْل ؟ فقال : الإصابةُ بالظّنّ ، ومَعْرفة ما يكون بما قد كان .

•

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه : مَنْ لم يَنْفعه ظنُّه لم ينفعه يَقينه .

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وذَكَر ابن عبّاس ، رضي الله عنهما ، فقال : لقد كان ينظرُ إلى الغَيْب من سِتْرٍ رقيق .

•

وقالوا : العاقل فَطِنٌ مُتغافل .

•

---

١ الخب : الخداع .

وقال مُعاوية : العَقل مِكيالٌ ثُلثُه فِطْنة وثلثاه تغافل .

•

وقال المُغيرة بن شُعبة لعُمَر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إذ عَزَله عن كتابة أبي موسى : أعن عَجْز عزَلتني أم عن خِيانة ؟ فقال : لا عن واحدة منهما ، ولكني كرِهتُ أن أحمِل على العامة فَضْلَ عقلك .

•

وقال مُعاوية لعَمرو بن العاص : ما بَلغ من عَقْلك ؟

قال : ما دخلتُ في شيء قطّ إلا خَرجتُ منه .

فقال مُعاوية : لكنّي ما دخلتُ في شيء قطّ أُريد الخُروجَ منه .

•

وقال الأصمعيُّ :

ما سَمِعتُ الحسنَ بنَ سهل مُذْ صار في مَرْتبة الوزارة يتمثّل إلا بهذين البيتين :

وَما بَقيتْ ، من اللذّات ، إلاّ
مُحادثةُ الرّجال ذوي العقولِ

وقد كانوا ، إذا ذُكِروا ، قليلًا ،
فقد صاروا أقلّ من القليلِ

•

وقال محمدُ بنُ عبدالله بن طاهر، ويُروى لمحمود الورّاق:

لَعَمرك ما بالعقل يُكتسب الغنى،
ولا باكتِساب المال يُكتَسب العقلُ

وكَمْ من قليلِ المال يُحمد فضلُه،
وآخرَ ذي مالٍ وليس له فضلُ

وما سبقَت من جاهلٍ قطُّ نِعمَةٌ
إلى أحدٍ، إلا أضرَّ بها الجَهلُ

وذو اللُّبِّ إن لم يُعطِ أحمدتَ عقله،
وإن هو أعطى زانه القَولُ والفِعلُ

•

وقال محمد بن مناذر:

وتَرى الناسَ كثيراً، فإذا — عُدَّ أهلُ العَقْلِ قلّوا في العَدَدْ
لا يَقِلُّ المرءُ في القصْد، ولا — يَعدَم القِلّةَ مَنْ لَم يَقتَصِدْ
لا تَعِدْ شرّاً، وعِدْ خيراً ولا — تُخلفِ الوَعد، وعَجِّل ما تَعِدْ
لا تقُلْ شِعراً، ولا تَهمُمْ به، — وإذا ما قُلتَ شعراً فأجِدْ

•

ولآخر:

يُعرَف عقلُ المرءِ في أربَع:
مِشيَتِه أوّلُها والحَرَكْ

وَدَوْرِ عينيه ، وألفاظه ،
بعدُ ، عليهنَّ يَدُور الفلك

ورُبَّما أخلفن ، إلاَّ التي
آخرُها منهنَّ سُمِّين لك

هذي دليلاتٌ على عقله ،
والعقلُ في أركانه كالمَلِك

إنْ صحَّ صحَّ المرءُ من بعده ،
ويَهْلِكُ المرءُ إذا ما هلك

فانظر إلى مَخْرج تدبيره
وعقلِهِ ، ليس إلى ما مَلَك

فرُبَّما خلَّط أهلُ الحِجا ؛
وقد يكون النَّوْكُ في ذي النُّسُك

فإنْ إمامٌ سالَ عن فاضل ،
فادلُلْ على العاقل ، لا أمَّ لك

•

وكان هَوْذَةُ بن عليّ الحنفيّ يُجيز لطيمة كِسْرى في كلّ عام ، واللَّطيمة عِير تَحمِل الطِّيب والبَزّ[١] ، فوفد على

---

١ البز : الثياب من الكتان او القطن .

كِسرى ، فسأله عن بَنيه ، فسمّى له عدداً ؛ فقال : أيهم أَحَبُّ اليك ؟

قال : الصّغير حتى يَكبُر ، والغائبُ حتى يرْجع ، والمريض حتى يُفيق .

فقال له : ما غِذاؤك في بلدك ؟

قال : الخُبز .

فقال كسرى لجلسائه : هذا عَقل الخُبز ، يُفضّله على عقول أهل البوادي الذين غِذاؤهم اللّبن والتمر .

وهوذة بن علي الحنفي هو الذي يقول فيه أعشى بكر :

مَنْ يَرَ هَوذةَ يَسجُدْ غير مُتّئِبٍ
إذا تَعصّب فوق التاج ، أو وَضَعَا[1]

له أكاليلُ بالياقوت فَصّلها
صَوّاغُها ، لا تَرى عيباً ولا طَبَعا

وقال أبو عُبيدة عن أبي عمرو : لم يَتتوّج مَعديّ قطُّ ، وإنما كانت التّيجان لليمن ، فسألتُه عن هوذة بن علي الحنفي ، فقال : انما كانت خَرَزات تُنظم له .

---

١ متئب : مستح .

وقد كتب النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، إلى هوذة بن علي يدعوه الى الاسلام كما كتب الى الملوك .

•

وفي بعض الحديث : ان الله ، عزّ وجلّ ، لما خلق العقل ، قال : أقبل ، فأقبل . ثم قال له : أدبر ، فأدبر . فقال : وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحبّ اليّ منك ، ولا وضعتُك إلاّ في أحبّ الخَلق إليّ . ولما خلق الحُمْق قال له : أقبل ، فأدبر . ثم قال له : أدْبر ، فأقبل . فقال : وعزّتي وجلالي ، ما خلقتُ خلقاً أبغض اليّ منك ، ولا وضعتك إلا في أبغض الخلق إليّ .

وبالعقل أدْركَ الناسُ معرفة الله ، عزّ وجلّ ، ولا يشُكّ فيه أحدٌ من أهل العقول ، يقول الله ، عزّ وجلّ ، في جميع الامم : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ . » وقال أهلُ التفسير في قول الله « قَسَمٌ لِذِي حِجْر » قالوا : لذي عَقل .

•

وقالوا : ظنُّ العاقل كهانة .

•

وقال الحسنُ البصْريّ : لو كان للناس كلّهم عُقول خَربت الدُّنيا .

•

وقال الشاعر :

يُعَدُّ رَفيعَ القَوْمِ مَنْ كان عاقلاً ،
وإن لم يَكُن في قَوْمِه بحَسيبِ

وإنْ حلّ أرضاً عاش فيها بعَقله،
وما عاقلٌ في بلْدة بغَريب

•

وقالوا : العاقل يَقي ماله بسُلطانه ، ونَفْسَه بماله ، ودينَه بنَفْسه .

•

وقال الأحْنف بن قَيْس : أنا للعاقل المُدبر أرجى منّي للأحْمق المُقبل .

•

قال : ولما أهبط الله ، عز وجل، آدمَ ، عليه السلام ، الى الأرض ، أتاه جبريل ، عليه السلام ، فقال له : يا آدم ، إن الله ، عزّ وجلّ ، قد حَباكَ بثلاث خِصالٍ لتختارَ منها واحدةً وتَتَخلّى عن اثنتين .

قال : وما هنّ ؟

قال : الحياء والدّين والعَقْل .

قال آدم : اللهم إني اخترت العقل .

فقال جبريلُ ، عليه السلامُ ، للحياء والدِّين : ارتفِعا .

قالا : لنْ نَرتفع .

قال جبريل ، عليه السلام : أعصيتما ؟

قالا : لا ، ولكنّا أُمِرْنا أن لا نُفارق العقل حيث كان .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تَقْتَدوا بمن ليست له عُقدة .

•

قال : وما خَلق الله خَلقاً أحبَّ اليه من العقل .

•

وكان يقال : العقل ضَربان : عَقل الطبيعة وعقل التّجربة، وكلاهما يُحتاج اليه ويؤدّي الى المنفعة .

•

وكان يقال : لا يكون أحدٌ أحبَّ اليك من وزيرٍ صالح وافر العقل كامِل الأدب حَنيك السّنّ[1] بَصير بالأمور ، فإذا ظَفِرْت به فلا تُباعده ، فإن العاقل ليس بمانِعك نَصيحَته وإن جفت[2] .

•

وكان يقال : غريزة عقل لا يَضيع معها عمل .

•

---

[1] حنيك السن : اي جعلته التجارب وتقلبات الايام حكيماً .

[2] جفت : قست وغلظت .

وكان يقال: أجلُّ الأشياء أصلاً وأحلاها ثمرة، صالحُ الأعمال، وحسن الأدب، وعقل مُستعمَل.

•

وكان يقال: التجارب ليس لها غايةٌ والعاقل منها في الزّيادة. ومما يؤكد هذا قول الشاعر:

ألم ترَ أنّ العقلَ زينٌ لأهْلِـــه،
وأنّ كمالَ العقْلِ طولُ التجاربِ؟

•

ومكتوب في الحكمة: إنّ العاقل لا يغترُّ بمودة الكذوب ولا يثق بنصيحته.

•

ويقال: من فاته العقلُ والفتوّة فرأس ماله الجهل.

•

ويقال: من عيّرَ الناسَ الشيءَ ورَضِيه لنفسه فذاك الأحمق نفسُه.

•

وكان يقال: العاقل دائمُ المودة، والأحمق سريع القطيعة.

•

وكان يقال: صديق كلّ امرئٍ عقله وعدوّه جهله.

•

وكان يقال : المُعْجَب لحوح والعاقل منه في مَؤونة . وأما العُجب فإنه الجَهْل والكِبر .

•

وقيل : اولى الناس بالعَفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلًا من ظلم من هو دونه .

•

ويقال : ما شيءٌ بأحسن من عَقل زانه حلم ، وحِلم زانه علم ، وعلم زانه صدق ، وصدق زانه عمَل ، وعمل زانه رفق .

•

وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : ليس العاقل من عرف الخير من الشرّ ، بل العاقلُ من عرف خير الشرّين .

•

ويقال : عدوّ عاقلٌ أحبُّ اليّ منْ صديقٍ جاهل .

•

وكان يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليه ، وإياك وفراقه إذا كان كريماً ، ولا عليك أن تصحب العاقل وإن كان غيرَ محمود الكرَم ، لكن احترسْ من شَين أخلاقه وانتفع بعقله ؛ ولا تدَع مواصلة الكريم وان لم تحمد عقله ، وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك ، وفِرّ الفرار كله من الأحمق اللئيم .

•

وكان يقال : قطيعة الأحمق مثل صلة العاقل .

•

وقال الحسن : ما أودع الله تعالى امرأ عقلاً ما إلا استنقذه به يوماً ما .

•

وأتى رجلٌ من بني مُجاشع الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألستُ أفضلَ قومي ؟

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ان كان لك عقل فلك فضلٌ ، وان كان لك تقى فلك دينٌ ، وإن كان لك مالٌ فلك حَسبٌ .

•

قال : تفاخر صَفوان بن أُميّة مع رجل ، فقال صَفوان: أنا صَفوان بن أُميّة، بَخٍ بَخٍ . فبلغ ذلك عمر بنَ الخطاب، رضي الله عنه ، فقال : وَيلك ! إن كان لك دِين فإن لك حَسباً ، وإن كان لك عَقل فإن لك أصلاً ، وان كان لك خُلق فلك مروءة ، والا فأنت شرٌ من حِمار .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : كَرَمُ الرجل دِينُه ، ومروءته عقله ، وحَسَبُه خُلقه .

وقال : وكّل الله، عزّ وجلّ، الحِرْمان بالعقل ، ووكّل الرّزق بالجهْل، ليَعتَبِر العاقل فيعلم أن ليس له في الرزق حيلة.

•

وقال بُزُرْجُمِهْر : لا ينبَغي للعاقل أن يَنزل بلداً ليس فيه خمْسة : سُلْطان قاهِر ، وقاضٍ عَدْل ، وسوق قائمة ، ونهر جارٍ ، وطبيب عالم .

وقال أيضاً : العاقل لا يَرْجو ما يُعنَّفُ برَجائه ، ولا يَسأل ما يخاف مَنْعَه، ولا يَمْتَهن ما لا يَستعين بالقُدرة عليه .

•

سئل اعرابي : أيُّ الأسباب أعونُ على تَذكية العقل وأيها أعون على صلاح السيرة ؟

فقال : اعونها على تذكية العقل التّعلم ، واعونها على صلاح السيرة القناعة .

وسُئل عن أجود المَواطِن أن يُختبر فيه العقل ، فقال : عند التّدْبير .

وسُئِل : هل يَعمل العاقلُ بغير الصّواب ؟ فقال : ما كل ما عُمِل بإذن العقل فهو صَواب .

وسُئل : أيُّ الأشياء أدلُّ على عَقل العاقل ؟ قال : حسن التّدْبير .

وسئل : أي مَنافع العقل اعظم ؟ قال : اجتناب الذنوب.

•

وقال بُزُرْجُمِهر : أفرهُ ما يكونُ من الدّوابّ لا غنى بها عن السّوط ، وأعفُّ مَن تكون من النساء لا غنى بها عن الزوج ، وأعقل من يكون من الرّجال لا غِنى به عن مشورة ذوي الألباب .

•

سُئل أعرابي عن العقل متى يُعرف ؟ قال : إذا نَهاكَ عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : العقل نور في القلب نفرّق به بين الحق والباطل ، وبالعَقْل عُرف الحلال والحرام ، وعرفت شرائع الاسلام ومواقع الاحكام ، وجعله الله نوراً في قلوب عباده يَهديهم الى هدى ويَصُدُّهم عن رَدى .

•

ومن جَلالة قَدْر العقل أن الله تعالى لم يُخاطب إلا ذوي العقول فقال عزّ وجلّ : إنما يتذكّرُ أولو الألباب . وقال : لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حياً . أي عاقلاً . وقال : إنّ في ذلكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ . أي لمن كان له عقل .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : العاقل يحلُم عمّن ظلم ، ويتواضع لمن هو دونه ، ويُسابق الى البِرّ مَن فَوْقه . وإذا

رأى بابَ بِرٍّ انتهزه ، وإذا عَرَضَت له فِتْنة اعتَصَم بالله وتَنَكَّبَها[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : قِوام المَرْء عَقْلُه ، ولا دِينَ لمن لا عقل له .

•

وإذا كان العَقل أشرفَ أعلاق النفس ، وكان بقَدْر تمكنه فيها يكون سُموُّها لطَلَب الفضائل وعلوُّها لابتغاء المنازل ، كانت قيمةُ كلّ امرىء عقلَه ، وحِلْيَتُه التي يَحْسُن بها في أعين الناظرين فَضْلَه .

•

ولعَبْد الله بن محمّد :

تأمَّل بعَيْنَيْكَ هذا الانام ، وكُنْ بعضَ مَن صانه نُبْلُهُ
فحِليةُ كلِّ فتىً فَضْلُــه ؛ وقِيمةُ كلِّ امرىءٍ عقلُه
ولا تَتَّكِلْ ، في طِلاب العُلا ، على نَسَبٍ ، ثابتٍ أصلُه
فما مِن فتىً زانه أهلُــه بشيءٍ ، وخالَفه فِعلُــه

•

---

١ تنكبها : تجنبها .

ويقال : العقلُ إدراكُ الأشياء على حقائقها ، فمن أدرَكَ شيئاً على حقيقته فقد كَمُلَ عقله .

•

وقيل : العقل مِرآة الرَّجُل .

أخذه بعض الشعراء فقال :

عقلُ هذا المَرْءِ مِرآةٌ، تَرى فيها فِعالَهْ
فإذا كانَ عليها صَدأ ، فَهُوَ جَهالَه
وإذا أخلَصَه اللهُ صِقالاً ، وصفَا له
فَهيَ تُعطِي كُلَّ حيٍّ، ناظرٍ فيها مِثالَه

•

ولآخر :

لا تَراني ، أبداً ، أُكرِمُ ذا المالِ لمالِه
لا ولا يُزرِي ، بمَنْ يَعقِلُ، عِندي، سُوءُ حاله
إنما أقضِي عَلى ذاكَ وهذا بِفِعالِه
أنا كالمِرآةِ ، أَلقَى كلَّ وَجهٍ بمِثاله
كيفما قلّبني الدَّهرُ ، يَجِدْني مِنْ رِجاله

•

ولبعضهم :

إذا لم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ ، فإنّه
وإن كان ذا نُبْلٍ على النّاس هَيِّنُ

وإن كان ذا عقْلٍ أُجِلَّ لعَقْله ؛
وأفضلُ عَقْلٍ عقْلُ من يتدَيّن

•

وقال آخر :

إذا كُنْتَ ذا عقْلٍ ولم تَكُ ذا غِنًى ،
فأنت كذي رَحْلٍ وليس له بَغْلُ

وإن كُنْتَ ذا مالٍ ولم تَكُ عاقلًا ،
فأنت كذي بَغْلٍ وليس له رَحْلُ

•

ويقال : انّ العَقل عين القَلب ، فإذا لم يَكُن للمرء عقل كان قلبه أكمه[1] .

•

وقال صالح بنُ جَناح :

ألا إنّ عقْلَ المَرْءِ عَيْنا فُؤادِهِ ،
وإنْ لم يكن عقْلٌ فلا يُبْصِرِ القَلْبُ

•

---

[1] الاكمه : الاعمى .

وقال بعض الفلاسفة : الهَوَى مَصاد العَقْل .

•

ولعَبْد الله بن محمد :

ثلاث مَن كُنَّ فيه حوَى الفضلَ وإن كان راغباً عن سواها : صِحة العَقْل ، والتَّمسّك بالعَدْل ، وتَنزيه نَفسه عن هَواها .

•

ولمحمد بن الحسن بن دُريد :

وآفةُ العقل الهوَى ، فمنْ علا ، على هَواه ، عقلُه ، فقد نَجَا

•

وقال بعضُ الحكماء : ما عُبِد الله بشيءٍ أحبَّ اليه من العقل ، وما عُصي بشيء أحبَّ اليه من السَّتر .

•

وقال مَسلمة بن عبد الملك : ما قرأتُ كتاباً قطُّ لأحد إلا عرفتُ عقله منه .

•

وقال يحيى بن خالد : ثلاثة اشياء تدلُّ على عُقول اربابها : الكتاب يدل على عقل كاتبه ، والرسول يدل على عقل مرسله ، والهدية تدل على عقل مهديها .

•

واستَعمل عمرُ بن عبد العزيز رجلاً ، فقيل له : انه حَديث السنّ ولا نراه يَضبط عملك ، فأخذ العهدَ منه وقال : ما أراك تضبط عملك لحداثتك ، فقال الفتى :

وليس يَزيد المرءَ جهلاً ولا عمىً ،
إذا كان ذا عَقلٍ ، حداثةُ سِنّهِ

فقال عمرُ : صَدَق ، وردّ عليه عهدَه .

•

وقال جَثّامة بن قَيْس يصِف عاقلاً :

بَصيرٌ بأعقاب الأمُور ، كأنّما
تُخاطِبه من كلّ أمرٍ عواقِبُهْ

•

ولغيره في المعنى :

بَصيرٌ بأعقاب الأمُور، كأنّما
يَرَى بصَواب الرأي ما هُو واقعُ

•

وقال شَبيب بن شَيْبة لخالد بنِ صَفوان : اني لأعرف أمراً لا يتلاقى فيه اثنان إلا وَجَبَ التَّجَحّ بينهما .

قال له خالد : ما هو ؟

قال : العقل ، فإنّ العاقل لا يسأل إلا ما يجوز ، ولا يُرَدّ عما يُمكن .

فقال له خالد : نعَيتَ إليَّ نفسي، إنّا أهل بَيْت لا يموتُ منّا أحدٌ حتى يرى خَلَفه .

•

وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد : يا بُني، احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً ، كما تَحْذر العاقل إذا كان لك عدوّاً ؛ ويوشك الجاهل ان تورّطك مَشُورته في بعض اغترارك فيَسْبِقَ اليك مَكْر العاقل ؛ وإيّاك ومُعاداة الرّجال ، فإنك لا تَعدمَنّ منها مَكر حَليم عاقل ، أو مُعاندة جاهل .

•

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه : لا مال أعْودُ من عقل ، ولا فقر أضرُّ من جهل .

•

ويقال : لا مروءة لمن لا عقلَ له .

•

وقال بعض الحكماء : لو استغنى أحدٌ عن الأدب لاسْتغنى عنه العاقل ، ولا ينتفع بالأدب من لا عقل له ، كما لا ينتفع بالرياضة الا النجيب .

•

وكان يقال : بالعقل تُنال لذّة الدُّنيا ، لأنّ العاقل لا

يسعى إلا في ثلاث : مَرَمّة لِمعاش ، أو مَنفعة لمَعاد ، أو لذة في غير مُحرّم .

•

ولبعضهم :

إذا أحْببتَ أقْواماً ، فلاصِقْ بأهْل العَقْل منهم والحَياءِ
فإنّ العقلَ ليس له ، إذا ما تفاضلتِ الفَضائلُ ، من كِفاءِ

•

لمحمد بن يزيد :

وأفْضَلُ قَسْمِ الله للمَرْءِ عقلُه ،
وليس منَ الخَيْرات شيءٌ يُقارِبُه

إذا أكْمَلَ الرّحْمن للمرءِ عقلَه ،
فقد كَمُلَتْ أخلاقُه ومآربُه

يَعيشُ الفتى بالعقل في النّاس ، إنّه
على العقل يَجْري عِلْمُه وتَجارِبُه

ومَنْ كان غَلاّباً بعقلٍ ونَجْدَة ،
فذُو الجَدّ في أمْرِ المَعيشة غالِبُه

فزَيْنُ الفتى في النّاس صِحّةُ عقله ،
وإن كان مَحْصوراً عليه مَكاسِبُه

وشَيْنُ الفتى في الناس قِلّةُ عقله،
وإنْ كَرُمتْ أعراقُه ومَناسِبُه

•

ولبعضهم :

العقلُ يأمرُ بالعَفافِ وبالتُّقى،
واليه يأوي الحِلْمُ حين يؤولُ

فإن استطعتَ فخُذْ بفَضْلك فَضْلَه؛
إنّ العقولَ يُرى لها تفضيل

•

ولبعضهم :

إذا جُمِعَ الآفاتُ، فالبُخْلُ شرُّها،
وشَرٌّ منَ البُخلِ المواعيدُ والمَطلُ

ولا خَيْرَ في عقلٍ، إذا لم يَكُنْ غنىً،
ولا خَيْرَ في غِمْدٍ، إذا لم يكُنْ نَصْلُ

وإن كان للإنسان عقلٌ، فعقلُه
هُوَ النَّصلُ، والإنسانُ مِن بعده فَضْلُ

•

ولبعضهم :

يُمَثِّل ذو العَقْل، في نَفْسه، مصائبَه ، قبل أن تنزلا
فإن نزَلت بَغْتةً لم تَرُعْه ، لِما كان في نَفْسه مَثَّلا
رأى الهمَّ يُفْضي إلى آخرٍ ، فَصيَّـــر آخِرَه أوّلا
وذو الجَهْل يَأمن أيّامَه ، ويَنْسى مَصارِعَ مَن قد خَلا

الحكمة

قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : ما أخاصَ عبدٌ العملَ لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه .

•

وقال عليه الصلاة والسلام : الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممّن سَمعها ولا يُبالي من أي وعاء خرجت .

•

وقال عليه الصلاة والسلام : لا تَضعوا الحكمة عند غير أهلها فتَظلِموها ، ولا تَمنعوها أهلها فتَظلموهم .

•

وقال الحكماء : لا يطلب الرجل حكمة إلا بحكمة عنده .

•

وقالوا : إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها .

•

وفي الحديث : خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين .

•

وقال زياد : أيها الناس لا يَمنعكم سوءُ ما تعلمون منّا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منّا ، فإن الشاعر يقول :

اعمل بعِلمي، وإن قصَّرتُ في عمَلي،
يَنفَعْكَ قولي، ولا يَضرُرْكَ تقصيري

●

نوادر من الحكمة

قيل لقُس بن ساعدة : ما أفضلُ المعْرفة ؟

قال : معَرفة الرجل نَفسَه .

قيل له : فما أفضلُ العِلم ؟

قال : وقوفُ المرء عند عِلمه .

قيل له : فما أفضلُ المروءة ؟

قال : استبقاءُ الرجل ماء وجهه .

•

وقال الحسنُ : التّقديرُ نِصفُ الكَسْبِ ، والتُّؤدة نِصف العقل ، وحُسْن طَلب الحاجة نِصْف العِلم .

•

وقالوا : لا عقل كالتّدبير ، ولا وَرَع كالكفّ ، ولا حَسَب كحُسن الخُلق ، ولا غِنى كرِضا عن الله ، وأحقُّ ما صُبِر عليه ما ليس إلى تغييره سَبيل .

•

وقالوا : أفضلُ البِرّ الرّحمة ، ورأس المودة الاسترسالُ ، ورأس العُقوق مُكاتمة الأدْنَيْن ، ورأس العقل الإصابة بالظنّ .

•

وقالوا : التفكُّر نور ، والغفلة ظُلْمة ، والجهالة ضلالة ، والعِلم حياة ، والأول سابق ، والآخر لاحِق ، والسَّعيد من وُعِظ بغيره .

•

حدَّث أبو حاتم قال : حدَّثني أبو عُبيدة قال : حدَّثني غيرُ واحد من هوازِنَ من أولي العِلم ، وبعضُهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جدُّه ، قالوا : اجتمع عامر بن الظَّرِب العَدْواني ، وحُمَمَة بن رافع الدَّوْسي ، ويزعُم النَّسَّاب أنَّ ليلى بنت الظَّرِب أمُّ دَوْس ، وزينبَ بنت الظَّرِب أمُّ ثقيف وهو قَسي ، عند مَلك من مُلوك حِمْير ، فقال : تساءلا حتى أسمع ما تقولان .

فقال عامر لحُممة : أين تُحِب أن تكونَ أياديك ؟

قال : عند ذي الرَّثية[1] العَديم ، وعند ذي الخلَّة الكريم ، والمُعْسِر الغَريم ، والمُسْتَضعَف المضيم[2] .

قال : من أحقُّ الناس بالمقت ؟

قال : الفقير المُختال ، والضَّعيف الصوَّال ، والعَيي القوَّال .

قال : فمن أحق الناس بالمنْع ؟

قال : الحَريص الكاند ، والمستميد الحاسد ، والمُلحِف الواجِد .

---

١ الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين ، أو الضعف .

٢ المضيم : الذي هضم حقه .

قال : فمن أجدرُ الناس بالصَّنيعة ؟

قال : من إذا أعطي شكر ، وإذا مُنِع عَذر ، وإذا مُطِل صَبر ، وإذا قَدُم العهدُ ذَكَر .

قال : من أكرمُ الناس عِشرة ؟

قال : من إذا قَرُب مَنَح ، وإذا بَعُد مدح ، وإذا ظُلم صَفَح ، وإذا ضُويق سَمح .

قال : من ألأم الناس ؟

قال : من إذا سأل خَضع ، وإذا سُئل مَنع ، وإذا مَلك كَنع ، ظاهره جَشع ، وباطنه طبع .

قال : فمن أحلم الناس ؟

قال : من عَفا إذا قَدَر ، وأجملَ إذا انتصر ، ولم تُطغِه عِزَّة الظَّفر .

قال : فمن أحزمُ الناس ؟

قال : مَن أخذ رِقابَ الأمور بيدَيه ، وجَعل العواقبَ نُصْب عَينيه ، ونَبذ التهيُّبَ دَبْر أُذنيه .

قال : فمن أخرقُ الناس ؟

قال : من رَكِب الخِطار ، واعتَسف العِثار ، وأسرعَ في البدَار قبلَ الاقتِدار .

قال : من أجودُ الناس ؟

قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المعهود .

قال : من أبلغ الناس ؟

قال : مـن جلّى المعنى المزيز باللفظ الوجـيز ، وطبّق المفصل قبل التحزيز .

قال : من أنعم الناس عيشاً ؟

قال : من تحلّى بالعفاف ، ورضي بالكفـاف ، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف .

قال : فمن أشقى الناس ؟

قال : من حسد على النعم ، وسخط على القسم ، واستشعر الندم ، على فوْت ما لم يحتم .

قال : من أغنى الناس ؟

قال : من استشعر اليـاس ، وأظهر التجمّل للنـاس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم .

قال : فمن أحكم الناس ؟

قال : مـن صمت فادّكر ، ونظر فـاعتبر ، ووُعظ فازدجر .

قال : من أجهل الناس ؟

قال : من رأى الخُرْق مغنماً ، والتجاوز مغرماً .

وقال أبو عُبيدة : الخلّة : الحاجة ، والخُلّة : الصداقة . والكانـد : الذي يكفر النعمـة ، والكنود : الكفور .

والمُسْتَمِيد : مثل المستَمير ، وهو المستَعطي . ومنه اشتقاق المائدة ، لأنها تُمادُ . وكَنَع : تقبَّض ؛ يُقال منه : تكنَّع جلدُه ، إذا تقبَّض . يريد أنه مُمْسك بخيل . والجَشَع : أسوأ الحِرْص . والطَّبع : الدَّنَس . والاعتساف : رُكوب الطريق على غير هداية ، وركوبُ الأمر على غير مَعرفة . والمَزيز : من قولهم : هذا أمزّ من هذا ، أي أفضل منه وأزيد . والمُطَبِّق من السُّيوف : الذي يُصيب المفاصل لا يجاوزها .

•

وقال عمرو بن العاص : ثلاثٌ لا أناةَ فيهنّ : المُبادرة بالعَمل الصالح ، ودَفْن الميِّت ، وتزويج الكُفء .

•

وقالوا: ثلاثة لا يُندم على ما سَلف إليهم : الله عزّ وجلّ فيما عُمل له ، والمولى الشَّكُور فيما أُسدي إليه ، والأرضُ الكريمة فيما بُذر فيها .

•

وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها : ظِلُّ الغَمام ، وصُحْبة الأشرار ، والثناء الكاذب .

•

وقالوا : ثلاثة لا تكون إلاّ في ثلاثة : الغِنى في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى .

•

وقالوا : ثلاثة لا تُعرف إلاّ عند ثلاثة : ذو البأس لا يُعرف إلاّ عند اللّقاء ، وذو الأمانة لا يُعرف إلاّ عند الأخذ والعَطاء ، والإخوان لا يُعرفون إلاّ عند النّوائب .

•

وقالوا : مَن طلب ثلاثة لم يَسْلم من ثلاثة : مَن طلب المالَ بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس ، ومَن طلب الدّين بالفلسفة لم يَسلم من الزّندقة ، ومَن طلب الفِقه بغرائب الحديث لم يَسلم من الكَذب .

•

وقالوا : عليكم بثلاث : جالِسوا الكُبراء ، وخالطوا الحُكماء ، وسائلوا العُلماء .

•

وقال عمرُ بن الخطاب ، رضوان الله عليه : أخوفُ ما أخاف عليكم شُحّ مُطاع ، وهَوىً مُتَّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه .

•

واجتمعت عُلماء العرب والعجم على أربع كلمات : لا تحمل على ظنّك ما لا تُطيق ، ولا تَعمل عملاً لا يَنفعك ، ولا تغترّ بامرأة ، ولا تَثق بمال وإن كثُر .

•

وقال الرِّياحي في خُطبته بالمِرْبَد : يا بَني رِياح ، لا تحقِروا صغيراً تأخذون عنه ، فإني أخذتُ من الثعلب رَوَغانَه ، ومن القِرْد حِكايته ، ومن السِّنَّوْر ضَرَعه ، ومن الكلب نُصرَته ، ومن ابن آوى حَذَره ؛ ولقد تعلَّمت من القمر سَيرَ الليل ، ومن الشَّمس ظهور الحِين بعد الحِين .

•

وقالوا : ابنُ آدم هو العالَم الكبير الذي جَمع الله فيه العالَم كلّه ، فكان فيه بَسالة الليث ، وصبر الحِمار ، وحِرْص الخِنزير ، وحَذَر الغُراب ، ورَوَغان الثعلب ، وضَرَع السِّنَّور ، وحِكاية القِرد ، وجُبْن الصِّفْرِد[1] .

•

ولما قَتل كِسْرى بُزُرْجُمِهْرَ وجد في مِنطقتِه مكتوباً : إذا كان الغدر في الناس طِباعاً فالثِّقة بالناس عَجز ، واذا كان القَدَر حقاً فالحِرْص باطل ، واذا كان الموت راصِداً فالطمأنينة حُمق .

•

وقال أبو عمرو بن العَلاء : خُذ الخير من أهله ، ودَع الشرّ لأهله .

•

---

١ الصفرد : طائر كالعصفور يضرب به المثل في الجبن .

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه : لا تَنْهَكوا وَجه الأرض فإن شَحْمتها في وَجْهها .

•

وقال : بِع الحيوانَ أحسنَ ما يكون في عَيْنك .

•

وقال : فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا من الرأس رأسين ، ولا تَلبثوا بِدار مَعْجزة .

•

وقالوا : إذا قَدُمت المُصيبة تُرِكت التعزية ، وإذا قَدُم الإخاء سَمُج الثناء .

•

وفي كتاب للهند : يَنبغي للعاقل أن يَدَع التماسَ ما لا سبيل إليه ، لئلا يُعَدّ جاهلاً ، كرَجلٍ أراد أن يُجْرِيَ السفنَ في البرّ والعَجَلَ في البحر ، وذلك ما لا سبيلَ إليه .

•

وقالوا : إحسان المُسيء أن يَكُفّ عنك أذاه ، وإساءة المُحسن أن يمنعك جَدواه .

•

وقال الحسنُ البصري : اقدَعوا[1] هذه النفوسَ فإنها طُلَعة ،

---

[1] اقدعوا : اراد بها اردعوا ، و كفوا .

وحادِثوهـا بالذّكر فإنها سريعة الدُّثور ، فإنكم إلاّ تَقْدعوهـا تَنزِع بكم الى شرّ غاية .

يقول : حادِثوها بالحِكمة كما يُحادَث السيف بالصّقال ، فإنها سريعة الدُّثور ، يريد الصّدأ الذي يَعرض للسيف . واقدَعوها : مِن قدعتَ أنف الجمل ، إذا دفعتَه . فإنها طُلَعة ، يريد مُتَطلّعة الى الأشياء .

•

قال أردشير بن بابك : إن للآذان مَجّة ، وللقلوب مَللًا ، ففرّقوا بين الحِكمتين يَكُن ذلك استِجماماً .

•

البلاغة وصفتها

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟

قال : ما بَلَّغك الجنّة ، وعَدَل بك عن النار .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال : فما بَصّرك مواضعَ رُشدك ، وعواقبَ غيّك .

قال : ليس هذا أريد .

قال : من لم يُحسن أن يَسكت لم يُحسن أن يَسمع ، ومن لم يُحسن أن يَسمع لم يُحسن أن يَسأل ، ومن لم يُحسن أن يَسأل لم يُحسن أن يقول .

قال : ليس هذا أريد .

قال : قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إنّا معشر النّبيّين بِكاء ، أي قليلو الكلام ، وهو جمع بكيء ، وكانوا يكرهون أن يزيد مَنطق الرجل على عقله .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال : فكأنك تُريد تَخَيُّر الألفاظِ في حُسن إفهام .

قال : نعم .

قال : إنك إن أردت تقرير حُجة الله في عُقول المُكلّفين ، وتخفيف المَؤونة على المُستمعين ، وتزيين المعاني في قلوب

المُستفهِمين بالألفاظ الحسنة رغبةً في سُرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمَوْعظة النّاطقة عن الكتاب والسُّنّة، كُنْتَ قد أوتيتَ فَصْلَ الخِطاب .

•

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟

قال : مَعرفة الوَصْل من الفَصل .

•

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟

قال : إيجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد .

•

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟

قال : أن لا يُؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يُؤتى السّامع من سُوء بيان القائل .

•

وقال مُعاوية لصُحار العَبديّ : ما البلاغة ؟

قال : أن تُجيب فلا تُبطيء ، وتُصيب فلا تُخطيء ؛ ثم قال : أقِلْني يا أمير المؤمنين .

قال : قد أقلتكَ .

قال : لا تُبْطيء ولا تُخطيء .

قال أبو حاتم : استطال الكلامَ الأوّل فاستقال ، وتكلّم بأوجزَ منه .

•

وسمع خالدُ بن صَفْوان رجلًا يتكلم ويُكثِر فقال: اعلم، رحمك الله، أنّ البلاغة ليست بخِفة اللسان، وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى ، والقصدِ إلى الحُجّة . فقال له : أبا صفوان ، ما من ذنب أعظم من اتّفاق الصّنعة .

•

وتكلم رَبيعة الرّأي يوماً فأكثر ، وإلى جنبه أعرابيّ ، فالتفتَ إليه ، فقال : ما تعدّون البلاغة يا أعرابيّ ؟ قال : قِلّة الكلام وإيجاز الصّواب .

قال : فما تَعُدّون العِيّ ؟

قال : ما كُنتَ فيه منذُ اليوم . فكأنما ألقمه حَجراً .

•

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم: يُقِلُّ الحَزّ ويُطبّق المِفصل.

وذلك أنهم شبّهوا البَليغ المُوجز الذي يُقِلُّ الكلام ، ويُصيب الفُصول والمعاني ، بالجزّار الرّفيق يُقِلُّ حزّ اللّحم ويُصيب مَفاصله .

ومثله قولهم :

يَضع الهِناء مواضعَ النُّقْبِ

أي لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلامُ، مِثل الطالي الرَّفيق الذي يضع الهِناء مواضع النُّقب . والهِنــاء : القطران . والنُّقب : الجَرَب .

•

وقولهم : قَرْطَس فلان فأصاب الثغرة ، وأصاب عين القِرطاس[1] . كل هذا مَثل للمُصيب في كلامه المُوجز في لفظه .

•

قيل للعتّابي : ما البلاغة ؟

قال : إظهار ما غمَض من الحقّ ، وتصوير الباطل في صُورة الحق .

•

وقيل لأعرابيّ : من أبلغ الناس ؟

قال : أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة .

•

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟

قال : نَشر الكلام بمعانيه إذا قصُر ، وحُسن التأليف له إذا طال .

•

---

١ قرطس : رمى فأصاب القرطاس . والقرطاس : كل أديم ينصب للنضال .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟

فقال : قَرعُ الحُجّة ودُنوّ الحاجة .

•

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟

قال : الإيجاز في غير عَجز ، والإطناب في غير خَطَل .

•

وقيل لغيره : ما البلاغة ؟

قال : إقلال في إيجاز ، وصواب مع سُرعة جواب .

•

قيل لليونانيّ : ما البلاغة ؟

قال : تَصحيح الأقسام واختيار الكلام .

•

وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟

قال : من ترك الفُضول واقتصر على الإيجاز .

•

وكان يقال : رسولُ الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله .

•

وقال جعفر بن محمد ، عليه السلام : سُمّي البليغ بليغاً لأنه يَبلغ حاجتَه بأهون سَعيه .

•

وسُئل بعضُ الحكماء عن البلاغة فقال : من أخذ معاني كثيرة فأدّاها بألفاظ قليلة ، وأخذ معاني قليلة فولّد منها لفظاً كثيراً ، فهو بَليغ .

•

وقالوا : البلاغة ما حَسُن من الشعر المنظوم نَثره ، ومن الكلام المنثور نَظمه .

•

وقالوا : البلاغة ما كان من الكلام حسناً عند استماعه ، موجزاً عند بَديهته .

•

وقيل : البلاغة لمحة دالّة على ما في الضّمير .

•

وقال بعضُهم : إذا كفاك الايجاز فالإكثار عِيّ ، وإنما يَحسُن الايجاز إذا كان هو البَيان .

•

ولبعضهم :

خيرُ الكلامِ قليلٌ ، على كثيرٍ دَليلُ
والعِيُّ مَعنىً قصيرٌ ، يَحويه لفظٌ طويلُ

•

وقال بعضُ الكتّاب : البلاغةُ معرفة الفَصْل من الوَصْل .
وأحسن الكلامِ القَصد وإصابة المعنى .

•

قال الشاعر :

وإذا نَطقتَ فلا تكُن أشِراً ،
واقصِدْ فخيرُ الناس مَنْ قصَدا

•

وقال آخر :

وما أحدٌ يكون له مَقالٌ ،
فيَسْلَم من مَلامٍ أو أثامِ

•

وقال :

الدَّهرُ يَنقُصُ تارةً ويطولُ ،
والمرءُ يَصْمتُ مرّةً ويقولُ

والقولُ مُختلف ، إذا حصَّلتَهُ ،
بَعضٌ يُرَدّ ، وبعضُه مَقبولُ

•

وقال :

إذا وَضَح الصوابُ فلا تَدَعْهُ ،
فإنك كلما ذُقْتَ الصَّوابا

وجدتَ له على اللّهوات بَرْداً،
كبَرْدِ الماء حين صَفا وطابا

•

وقال آخر :

ليس شأنُ البليغ إرسالَه القولَ
بطول الإسهاب والإكثارِ

إنما شأنُه التّلطُّف للمَعنى
بحُسْنِ الايرادِ والاصدارِ

•

وجوه البلاغة

البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدّلالة ، وكلّ منها له حظ من البلاغة والبيان ، وموضع لا يجوز فيه غيره ، ومنه قولهم : لكل مقام مقال ، ولكل كلام جواب ، وربّ اشارة ابلغ من لفظ . فأمّا الخط والاشارة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة . وأما الدّلالة : فكل شيء دلّك على شيء فقد أخبرك به ، كما قال الحكيم : أشهد أن السموات والأرض آياتٌ دالاّت ، وشواهد قائمات ، كل يؤدي عنك الحجّة ويشهد لك بالرُّبوبية .

•

وقال آخر : سَلِ الأرضَ فقُلْ : مَن شقّ أنهارَكِ ، وغرس اشجاركِ ، وجَنَى ثمارك ؛ فإن لم تُجبك إخباراً ، أجابتك اعتباراً .

•

وقال الشاعر :

لقد جِئْتُ أبغي لِنَفْسي مُجيرا ،
فجِئْتُ الجِبالَ ، وجِئْتُ البُحورا

فقال لِيَ البحرُ ، إذ جِئْتُهُ :
وكيف يُجيرُ ضريرٌ ضَريرا !

•

وقال آخر :

نَطقتْ عَينُهُ بما في الضّمير

•

وقال نُصيب بن رباح :

فَعاجُوا فأثْنَوا بالذي أنت أهلُه ،
ولو سَكتُوا أثنت عليك الحَقائِبُ

يريد : لو سكتوا لأثنت عليك حقائب الابل التي يحتقبها الرّكب من هِباتك . وهذا الثّناء إنما هو بالدّلالة لا باللفظ .

•

وقال حبيب :

الدارُ ناطِقةٌ ، وليست تَنْطِقُ ،
بدُثورها ، أنّ الجديدَ سيَخْلَقُ

وهذا في قديم الشعر وحديثه ، وطارف الكلام وتليده ، أكثر من أن يُحيط به وصْف ، أو يأتيَ من ورائه نَعْت .

•

وقال رجل للعتّابي : ما البلاغة ؟

قال : كل من بلّغك حاجته وأفهمك معناه ، بلا إعادة ولا حُبسة ولا استعانة ، فهو بليغ .

قالوا : قد فهمنا الاعادة والحُبسة ، فما معنى الاستعانة ؟

قال : أن يقول عند مقاطع كلامه : اسمع مني ، وافهم عنّي ، أو يمسح عُثْنونه ، أو يَفْتِل أصابعه ، أو يُكثر التفاته من غير مُوجب ، أو يَتَساعل من غير سُعلة ، أو يَنبهر في كلامه[1] .

•

وقال الشاعر :

مَليء ببُهرٍ والتفاتٍ وسُعْلةٍ ،
ومَسْحةِ عُثْنونٍ وفَتْلِ الأصابعِ

وهذا كله من العيّ .

•

وقال أبرويز لكاتبه : اعلم أن دعائم المقالات أربع ، ان التمس لها خامسة لم توجد ، وإن نقصت منها واحدة لم تتمّ ، وهي : سُؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ؛ وأمرك بالشيء ، وإخبارك عن الشيء . فاذا طلبتَ فأسجح[2] ، وإذا سألتَ

---

١ ينبهر : يبالغ في الشيء ولم يدع جهداً ، أو ينقطع نفسه من الجهد .

٢ اسجح : سهل الفاظك وارفق .

فأوضح ، وإذا أمرتَ فأحكم ، وإذا أخبرتَ فحقّق . واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول . يريد الكلام الذي تقلُّ حروفه ، وتكثر معانيه .

•

وقال ربيعة الرأي : إني لأسمع الحديثَ عُطلًا فأشنّفه وأقرّطه[1] فيَحْسُنُ ، وما زدت فيه شيئاً ولا غيّرت له معنى .

•

وقالوا : خيرُ الكلام ما لم يُحتج بعده الى كلام .

•

وقال يحيى : الكلام ذو فنون ، وخيره ما وُفّق له القائل ، وانتفع به السامع .

•

وللحسن بن جعفر :

عجبتُ لإدْلالِ العَيّ بنفسه،
وصَمْتِ الذي قد كان بالحقّ أعلما

---

[1] أشنفه : ألبسه الشنف ، وهو ما علق في الاذن او اعلاها من الحلي . اقرطه : البسه القرط ، وهو ما يعلق في شحمة الاذن من درة ونحوها ، والمراد هنا تزيين الحديث .

وفي الصَّمتِ سَترٌ للعَيِّ ، وإنما
صَحيفة لُبِّ المَرْءِ أن يَتكلَّما

•

وصف اعرابيٌّ بليغاً فقال : كأنَّ الألسن رِيضَتْ فما تَنْعَقِد إلا على وُدِّه ، ولا تَنْطِق الا ببيانه .

•

وصف ابو الوجيهِ بلاغة رجل فقال : كان والله يَشول[1] بلسانه شولان البَرُوق[2] ويتخلل[3] به تخلل الحيّة .

•

وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعنى ، فصول عجيبة ، وبدائع غريبة ، وسنأتي على صدر منها إن شاء الله تعالى .

•

---

١ يشول : يرفع .
٢ البروق : الناقة اذا طلبت الفحل ، فانها حينئذ ترفع ذنبها .
٣ تخلل بلسانه : ازال به ما علق باسنانه .

فصول من البلاغة

قدم قتيبة بن مُسلم خُراسانَ والياً عليها فقال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم فَلْيَنْبِذه ، وإن كان في فيه فَلْيَلْفِظه ، وإن كان في صدره فليَنفثه . فعجب الناس من حُسن ما فصّل .

•

وقيل لأبي السَّمَّال الأسديّ أيامَ مُعاوية : كيف تركتَ الناس ؟

قال : تركتُهم بين مظلوم لا يَنْتَصف ، وظالم لا يَنتهي.

•

وقيل لشَبيب بن شَيْبة عند باب الرَّشيد : كيف رأيتَ الناس ؟

قال : رأيت الداخلَ راجياً ، والخارجَ راضياً .

•

وقال حسّان بن ثابت في عَبد الله بن عباس :

إذا قال لم يَتْرك مقالاً لقائلٍ
بمُلْتَقطاتٍ ، لا ترى بينها فَضْلاً

كفَى وشَفَى ما في النُّفوس، ولم يَدَعْ
لذي إرْبة، في القَوْل، جِدّاً ولا هَزْلا[1]

•

ولقي الحسين بن عليّ، رضوان الله عليهما، الفرزدقَ في مسيره إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر في السماء.

•

وقال مجاشع النهشلي: الحق ثقيل فمَن بَلغه اكتفى، ومن جاوزه اعتدى.

•

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام: كم بين المشرق والمغرب؟

فقال: مسيرة يوم للشمس.

قيل له: فكم بين السماء والأرض؟

قال: مسيرة ساعة لدَعوة مُستجابة.

•

وقيل لأعرابي: كم بين مَوضع كذا وموضع كذا؟
قال: بياضُ يوم وسواد ليلة.

•

---

١ الاربة: الدهاء والحيلة.

وشكا قوم الى المسيح ، عليه السلام ، ذنوبَهم ، فقال : اتركوها تُغفَر لكم .

•

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه : قيمة كلِّ انسان ما يحسن .

•

وقيل لخالد بن يزيد بن مُعاوية : ما أقربُ شيء ؟
قال : الأجل .
قيل له : فما ابعد شيء ؟
قال : الأمل .
قيل له : فما أوحش شيء ؟
قال : الميّت .
قيل له : فما آنس شيء ؟
قال : الصاحب الموافي .

•

مَرَّ عمرو بن عُبيد بسارق يُقطَع ، فقال : سارق السّريرة[1] يقطع سارق العلانية .

•

---

١ السريرة : السر .

وقيل للخليل بن أحمد : ما لك تَرْوي الشعر ولا تقوله ؟

قال : لأني كالمِسَنّ ، أشْحذ[1] ولا أقطع .

•

وقيل لعَقيل بن عُلَّفة : ما لك لا تطيل الهجاء؟

قال : يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعنق .

•

ومرّ خالد بن صفوان برجل صَلبه الخليفة ، فقال : أنبتته الطاعة ، وحصَدته المعْصية .

•

ومر اعرابي برجل صلبه السلطان ، فقال : مَن طلّق الدنيا فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحقّ فالجِذع راحلته .

•

ومن النطق بالدّلالة ما حدّث به العبّاس بن الفرج الرّياشي قال :

نزل النعمان بن المنذر ومعه عَدي بن زيد العِبادي في ظل شجرة مورقة ليلهو النعمان هناك ، فقال له عَدي: أبيتَ اللعن ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟

قال : ما تقول ؟

---

١ اشحذ : اسن .

قال تقول :

رُبَّ شَرْبٍ قد أناخوا حولنا، يَمْزُجون الخمرَ بالماء الزُّلالْ[1]
ثم أضحَوْا عصَفَ الدهرُ بهم، وكذاك الدهرُ حالٌ بعد حال

فتنغص على النعمان ما هو فيه .

•

وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : انك لتُكثر .

قال : أكثر لضربين ، أحدهما فيما لا تُغني فيه القِلّة ، والآخر لتمرين اللسان ، فإنّ حبسه يُورث العُقلة .

وكان خالد بن صفوان يقول : لا تكون بليغاً حتى تكلّم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمّة بما تتكلم به في نادي قومك .

وإنما اللسان عضو إذا مرّنته مرَن، وإذا تركته لكِن[2]، كاليد تُخشّنها بالممارسة، والبدنِ الذي تقوّيه برفع الحجر وما أشبه ، والرِّجْل إذا عُوّدت المشيَ مشت .

•

وكان نوفل بن مُساحق إذا دخل على امرأته صمت، فإذا خرج

---

١ الشرب : الشاربون ، وهو اسم جمع .
٢ لكن : ثقل وعي .

عنها تكلم ، فقالت له : إذا كنت عندي سكتْ ، وإذا كنت عند الناس تنطق ؟

قال : إني أجِلُّ عن دقيقك وتدِقّين عن جليلي .

•

وذكر شَبيب بن شيبة خالدَ بن صَفوان فقال: ليس له صديق في السّر ، ولا عدوّ في العلانية . وهذا كلام لا يُعرف قَدره إلا أهلُ صناعته .

•

ودخل معن بن زائدة على المنصور يُقارب خَطوه ، فقال المنصور : لقد كَبِرتْ سِنّك .

قال : في طاعتك .

قال : وإنك لجَلْد .

قال : على أعدائك .

قال : أرى فيك بقيّة .

قال : هي لك .

•

وكان عبد الله بن عباس بليغاً ، فقال فيه معاوية :

إذا قال لم يَترك مقالاً ، ولم يَقِفْ
لِعِيّ ، ولم يَثنِ اللسانَ على هُجْرِ

يُصَرِّفُ بالقول اللسانَ إذا انتحى،
ويَنْظُرُ في أعْطافه نَظَرَ الصَّقر

•

وتكلّم صَعْصَعةُ بن صُوحان عند مُعاوية فعَرِق، فقال له مُعاوية: بَهرك القولُ؟ قال: الجِياد نضّاحة بالعَرَق.

•

وكتب ابنُ سَيابة الى عمرو بن بانة: إن الدّهر قد كَلَح فجَرح، وطمحَ فجَمح، وأفسد ما صَلَح، فإن لم تُعِن عليه فَضَح.

•

ومَدح رجل من طَيّء كلامَ رجل فقال: هذا الكلامُ يُكتفى بأولاه، ويُشتَفى بأخراه.

•

ووصف أعرابيّ رجلًا فقال: إنّ رِفْدك لَنجيح، وإنّ خيرك لصَريح، وإنّ مَنْعك لَمريح.

•

ودخل إياسُ بنُ معاويةَ الشامَ وهو غلام، فقدّم خصماً له الى قاضٍ لعبدالملك. فقال له القاضي: أتقدّم شيخاً كبيراً؟

فقال له إياس: الحقّ أكبرُ منه!

قال له: اسكتْ.

قال : فمن يَنْطق بحُجّتي ؟

قال : ما أظنّك تقول حقاً حتى تقوم .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله .

فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر ؛ فقال : اقضِ حاجتَه الساعةَ وأخرجه من الشام لا يُفسِد عليّ الناس .

•

ومن الأسجاع قولُ ابن القِرِّيّة ، وقد دُعي لكلام فاحتَبس القولُ عليه فقال : قد طال السّمر ، وسَقَط القمر ، واشتدّ المطر ، فما أنتظر .

فأجابه فتىً من عبد القَيس : قد طال الأرَق ، وسقَط الشّفق ، فلينطِق من نطَق .

•

قال أحمدُ بنُ يوسف الكاتب : دخلتُ على المأمون وبيده كتابٌ لعمرو بن مَسْعدة ، وهو يُصَعّدُ في ذُراه ويقوم مرّة ويَقْعد أخرى ، ففعل ذلك مراراً ثم التفت إليّ فقال : أحْسَبك مُفكّراً فيما رأيتَ ؟

قلتُ : نعم ، وَقى اللهُ ، عزّ وجلّ ، أميرَ المؤمنين المكاره .

فقال : ليس بمكروه ، ولكن قرأتُ كلاماً نظير خبرٍ خبّرني به الرشيدُ ، سمعتُه يقول : إنّ البلاغة لتقاربٌ من

المعنى البعيد وتباعدٌ من حشو الكلام ، ودلالة بالقليل على الكثير . فلم أتوهم أنّ هذا الكلامَ يستتبّ على هذه الصفة حتى قرأتُ هذا الكتابَ ، فكان استعطافاً على الجُند، وهو :

كتابي الى أمير المؤمنين أيّده الله ، ومَن قِبَلي من أجناده وقُوّاده في الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعةُ جُند تأخرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم .

فأمر بإعطائهم ثمانية أشهر .

●

ووقّع جعفر البرمكي إلى كُتّابه : إن استطعتم أن تكون كُتُبكم توقيعات فافعلوا .

وأمره هارون الرشيد أن يَعزِل أخاه الفضلَ عن الخاتمِ ويأخذه إليه عَزلاً لطيفاً . فكتب إليه : قد رأى أميرُ المؤمنين أن ينقل خاتمَ خلافته من يمينك الى شمالك .

فكتب إليه الفضلُ : ما انتقلت عني نعمة صارت إليك ، ولا خصّتك دوني .

ووقّع جعفرٌ في رُقعةِ رجل تنصّل إليه من ذنب : تقدمت لك طاعة ، وظهرت منك نصيحة ، كانت بينهما نَبْوة ، ولن تغلِب سيّئة حسنتين .

●

قال الفضل بن يحيى لأبيه : ما لنا نُسدي الى الناس المعروف فلا نرى من السّرور في وجوههم عند انصرافهم ببِرّنا ما نراه في وُجوههم عند انصرافهم ببِرّ غيرنا ؟

فقال له يحيى : إن آمال الناس فينا أطول منها في غيرنا ، وانما يُسَرّ الانسان بما بَلَّغه أمله .

•

قيل ليحيى : ما الكرم ؟

قال : ملِك في زيّ مِسكين .

قيل : فما الفَرعنة[1] ؟

قال : مِسكين في بطش عِفريت .

قيل : فما الجود ؟

قال : عفوٌ بعد قدرة .

•

أُتي المأمون برجل قد وَجَب عليه الحدّ، فقال وهو يُضرَب: قتَلتني يا أمير المؤمنين .

قال : الحقّ قتلك .

قال : ارحمني .

قال : لست ارحَمَ بك ممن أوجب عليك الحد .

•

---

١ الفرعنة : التكبر ، والدهاء والمكر .

وسأل المأمونُ عبدَ الله بن طاهر في شيء، فأسرع في ذلك؛ فقال له المأمون : فإن الله، عزّ وجلّ، قد قطع عُذرَ العَجول بما مكنه من التثبّت ، وأوجب الحجة على القَلِق بما بَصّره من فضل الأناة .

قال : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أكتُبه ؟

قال : نعم ؛ فكتبه .

•

قال ابراهيم بن المهدي : قال لي المأمون : انت الخليفة الأسود؟ قلت : يا أمير المؤمنين، أنت مَنَنت عليّ بالعفو، وقد قال عبد بني الحَسحاس :

أشعارُ عَبد بني الحَسْحاس قُمْنَ له،
عند الفَخار، مَقامَ الاصْل والوَرِقِ

إنْ كنتُ عبداً فنفسي حُرّةٌ كَرَماً،
أو أسْودَ الجِلْد إني أبيضُ الخُلُقِ

فقال المأمون : يا عمّ ، خرّجك الهزلُ إلى الجِد ؛ ثم أنشأ يقول :

ليس يُزْري السوادُ بالرّجل الشّهْم،
ولا بالفَتى الأديب الأريبِ

إن يكن للسواد منك نصيبٌ،
فبياض الأخلاق منك نصيبي

•

قال المأمون : أستحسن من قول الحكماء : الجودُ بذل الموجود، والبخل بطر بالمعبود، عز وجل .

•

قالت أمُّ جعفر زبيدة بنت جعفر للمأمون حين دخلت عليه بعد قتل ابنها : الحمد لله الذي ادخرك لي لمَّا أثكلني ولدي ، ما ثكلتُ ولداً كنتَ لي عوضاً منه . فلما خرجت قال المأمون لأحمد بن أبي خالد : ما ظننتُ أن نساءً يُجبلن على مثل هذا الصبر .

•

وقال أبو جعفر لعمرو بن عُبيد : أعنّي بأصحابي يا أبا عُثمان ؛ قال : ارفع عَلم الحق يَتبعك أهله .

آفات البلاغة

قال محمد بن منصور كاتبُ إبراهيم ، وكان شاعراً راوياً وطالباً للنحو عَلاّمة ، قال : سمعتُ أبا دُواد ، وجرى شيءٌ من ذكر الخطب وتمييز الكلام ، فقال : تلخيصُ المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عَجز ، والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والنظر في عيون الناس عِيّ ، ومسُّ اللحية هَلع ، والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب .

•

قال : وسمعته يقول : رأسُ الخطابة الطّبع ، وعَمودها الدُّربة ، وحَليُها الاعراب ، وبهاؤها تخيُّرُ اللفظ ، والمحبّة مقرونة بقلة الاستكراه . وأنشدني بيتاً في خُطباء إياد :

يَرْمُونَ بالخُطبِ الطِّوالِ وتارةً وَحْيَ المَلاحظِ خِيفَةَ الرُّقباءِ

•

وقال ابن الاعرابي : قلت للفضل : ما الايجاز عندك ؟ قال : حَذف الفضول ، وتقريب البعيد .

•

وتكلم ابنُ السمّاك يوماً وجارية له تسمع ، فلما دخل قال لها : كيف سمعتِ كلامي ؟ قالت : الى أن تُفهّمه من لم يَفهمه يكون مَلّه مَن فهمه .

الحلم ودفع السيئة بالحسنة

قال الله، تباركَ وتعالى: ولا تَستَوي الحسنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بالَّتي هيَ أحْسَنُ فإذا الذي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عداوَةٌ كأنَّهُ وَليٌّ حَميم. وَمَا يُلَقّاها إلاّ الذينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيم.

•

وقال رجلٌ لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغنَّ لك.

قال: هنالك وقعتَ في الشغل.

قال: كأنك تُهدِّدُني، والله لئن قلت لي كلمةً لأقولن لك عشراً.

قال: وأنت والله لئن قلتَ لي عَشراً لم أقل لك واحدة.

•

وقال رجل لأبي بكر، رضي الله عنه: والله لأسبَّنّك سبّاً يَدخل القبرَ معك.

قال: معك يدخل لا معي.

•

وقيل لعمرو بن عبيد: لقد وقع فيك اليوم أيوب السختياني حتى رحِمناكَ؛ قال: اياه فارحموا.

•

وشتم رجل الشعبي ، فقال له : ان كنتَ صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك .

•

وشتم رجل أبا ذرّ فقال : يا هذا ، لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعاً ، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من ان نطيع الله فيه .

•

ومرّ المسيح بن مَريم، عليه الصلاة والسلام، بقوم من اليهود، فقالوا له شرّاً ، فقال خيراً ؛ فقيل له : انهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً ؟ فقال : كلّ واحد ينفق مما عنده .

•

وقال الشاعر :

ثالبَني عَمْروٌ وثالبْتُه ، فأثِم المَثْلوب والثّالبُ
قلتُ له خيراً وقال الخنى ، كلّ على صاحبه كاذب

•

وقال آخر[1] :

وذي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظفار ضِغْنه
بِحِلْمي عنه ، حينَ ليس له حِلْمُ

---

١ الابيات لمعن بن أوس .

إذا سُمْتُهُ وصلَ القَرابة سامَني
قَطيعتَها ، تلك السّفاهةُ والإثْمُ

فداويتُه بالحِلْم ، والمَرْءُ قادِرٌ
على سَهْمه ما كان في كَفّه السَّهم

•

وعن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : ما تجرّع عبد في الدنيا جرعة أحبّ الى الله من جرعة غيظ رَدّها بحلم ، أو جرعة مصيبة ردّها بصبر .

•

وكتب رجلٌ الى صديق له ، وبلغه انه وقع فيه :

لئن ساءَني أن نِلْتَني بمَساءةٍ ،
لقد سَرّني أنّي خَطَرْتُ ببالك[1]

•

وأنشد طاهر بن عبد العزيز :

إذا ما خَليلي أسا مَرّةً ، وقد كان فيما مضى مُجْمِلا
ذكرتُ المُقدّم من فِعْله ، فلم يُفسِدِ الآخرُ الأوّلا

---

١ البيت لابن الدمينة .

صفة الحلم وما يصلح له

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمّت الحِلم ؟

قال : من قيس بن عاصم المِنْقريّ ، رأيتُه قاعداً بفِناء داره مُحتبياً بحمائل سَيْفه يُحدّث قومه ؛ حتى أُتي برجل مكتوف ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابنُ أخيك قتل ابنك ؛ فوالله ما حلّ حَبْوتَه ، ولا قطَع كلامه ، ثم التفت الى ابن أخيه فقال له : يابن أخي ، أثِمتَ بربّك ، ورَمَيتَ نفسَك بسَهْمك ، وقتلتَ ابنَ عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بُني فوارِ أخاك ، وحُلّ كِتاف ابن عمك ، وسُق الى أُمّه مائة ناقة ديةَ ابنها فإنها غريبة . ثم أنشأ يقول :

إني امرؤ لا شائنٌ حسَبي دَنَسٌ يُهجّنه ، ولا أفَنُ[١]
من مِنقرٍ في بيت مكرُمة ، والغُصن يَنبُتُ حوله الغُصُنُ
خُطباء حين يقول قائلُهم ؛ بيضُ الوجوه أعفّةٌ لُسُنُ
لا يَفطَنون لعَيْب جارهمُ ، وهمُ لحِفظ جِواره فُطُنُ

---

١ شائن : عائب . يهجنه : يقبحه . الأفن : ضعف الراي .

وقال رجل للأحنف بن قيس : علّمني الحِلم يا أبا بحر ؛ قال : هو الذلّ يابن أخي ، أفتصبر عليه ؟

•

وقال الأحنف : لستُ حليماً ولكني أتحالم .

•

وقيل له : مَن أحلمُ : أنت أم مُعاوية ؟

قال : تالله ما رأيتُ أجهلَ منكم ، إنّ معاويةَ يَقدِر فيَحْلُم ، وأنا أحلُم ولا أقدِر ، فكيف أقاس عليه أو أدانيه !

•

وقال هشامُ بن عبد الملك لخالد بن صَفوان : بِمَ بلغ فيكم الأحنفُ ما بلَغ ؟

قال : إن شئتَ أخبرتك بخَلّة ، وإن شئتَ بخَلّتين ، وإن شئت بثلاث .

قال : فما الخَلّة ؟

قال : كان أقوى الناس على نفسه .

قال : فما الخَلّتان ؟

قال : كان مُوَقّى الشرّ مُلقّى الخير ؟

قال : فما الثلاث ؟

قال : كان لا يجهل ولا يبغي ولا يَبْخل .

•

وقيل لقيس بن عاصم : ما الحِلم ؟

قال : أن تَصِل مَن قطَعك ، وتُعْطي مَن حَرَمك ، وتعفو عمّن ظلَمك .

•

وقالوا : ما قُرِن شيء الى شيء أزينُ من حِلم الى عِلم ، ومن عَفو الى قُدرة .

•

وقال لُقمان الحكيم : ثلاثة لا تَعْرفهم إلاّ في ثلاثة : لا تعرف الحليم إلاّ عند الغضب ، ولا الشجاع إلاّ عند الحرب ، ولا تعرف أخاك إلاّ إذا احتجتَ إليه .

•

وقال الشاعر :

ليست الأحلامُ في حين الرّضا ، إنما الأحلامُ في حين الغَضَب

•

وفي الحديث : أقرب ما يكون المرء من غضَب الله اذا غضِب .

•

وقال الحسن : المؤمن حليم لا يَجهل وإن جُهل عليه ؛ وتلا قولَ الله ، عزّ وجلّ : وإذا خاطبَهُم الجاهِلونَ قالوا سلاماً .

•

وقال معاوية : إني لأستحي من ربي أن يكون ذنبٌ

أعظمَ من عفوي، أو جهلٌ أكبرَ من حِلمي، أو عورةٌ لا أواريها بستري .

•

وقال مُورِّق العِجْليّ : ما تكلمتُ في الغضب بكلمة ندمتُ عليها في الرِّضا .

•

وقال يزيدُ بن أبي حبيب : إنما غضبي في نعليّ ، فإذا سمعتُ ما أكره أخذتُهما ومضيت .

•

وقالوا : اذا غضِب الرجلُ فليستلقِ على قفاه ، واذا عيي فليُراوح بين رِجلَيه .

•

وقيل للأحنف : ما الحِلم ؟ فقال : قولٌ إن لم يكن فِعل ، وصمتٌ إن ضرّ قول .

•

وقال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : مَن لانت كلمته ، وجبت محبّته .

وقال : حِلمك على السَّفيه يُكثِر أنصارَك عليه .

•

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمة سَمِع كلمات .

وقال : رُبَّ غَيْظٍ تَجَرَّعتُه مخافةَ ما هو أشدُّ منه . وأنشد :

رَضيتُ ببعض الذُّلّ خوفَ جميعِه ،
كذلك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ

•

وأسمعَ رجلٌ عمرَ بنَ عبد العزيز بعضَ ما يَكره ، فقال : لا عليك ، إنما أردتَ أن يَستَفِزَّني الشيطانُ بعزّة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تنالُه مني غداً ، انصرفْ اذا شئت .

•

وقال الشاعرُ في هذا المعنى :

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كرُموا ،
حتى يَذِلّوا وإن عَزُّوا لِأقوامِ

ويُشْتَموا فترى الألوانَ كاسفةً ،
لا ذُلَّ عجزٍ ولكنْ ذُلَّ أحلامِ

•

ولآخر :

اذا قيلت العوراءُ أغضَى كأنّه
ذليلٌ بلا ذُلٍّ ، ولو شاء لانتصرْ

•

وأحسن بيت في الحِلم قولُ كعب بن زُهير :

اذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخنى،
أصبتَ حَليماً ، أو أصابك جاهلُ

•

وقال الأحنفُ : آفةُ الحِلم الذُّلّ .

وقال : لا حِلم لمن لا سَفيهَ له .

وقال : ما قلّ سُفهاء قوم إلا ذلّوا . وأنشد :

لا بُدَّ للسُّودَدِ من رِماحِ ، ومن رجالٍ مُصلتي السِّلاحِ

يُدافعون دونه بالرّاحِ ، ومن سفيهٍ دائم النُّباحِ

•

وقال النّابغة الجعديّ :

ولا خيرَ في علمٍ ، اذا لم تكن له
بَوادرُ تَحْمي صَفْوَه أن يُكَدَّرا

ولا خيرَ في جهلٍ ، إذا لم يكن له
حَليم ، إذا ما أورد الأمر أصدرا

ولما أنشدَ هذين البيتين للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يفْضُض الله فاك ؛ فعاش مائةً وثلاثين سنة لم تنغَضْ[1] له ثَنِيّة .

•

---

١ تنغض : تضطرب وتتحرك .

وقالوا : لا يَظهر الحِلم إلا مع الانتصار ، كما لا يظهر العفو إلا مع الاقتدار .

•

وقال الأصمعيّ : سمعتُ أعرابيّاً يقول : كان سِنانُ بن أبي حارثة أحلمَ من فَرخ الطائر .

قلت : وما حِلم فرخ الطائر ؟

قال : إنه يخرج من بيضة في رأس نِيق[1] ولا يتحوّل حتى يتوفر ريشُه ، ويقوى على الطيران .

•

وللأُشْنَنْداني :

وفي اللّين ضَعْفٌ ، والشّراسة هَيْبةٌ ؛
ومن لا يُهَب يُحمَل على مَرْكبٍ وَعْرِ

ولَلفقرُ خيرٌ من غِنىً في دَناءة ؛
ولَلموتُ خيرٌ من حَياة على صُغر

وما كُلّ حين يَنفع الحِلْمُ أهلَه ؛
ولا كُلّ حالٍ يَقبُح الجَهْلُ بالصّبر

---

١ النيق : ارفع موضع في الجبل .

وما بِي على مَن لانَ لِي مِن فَظاظة ،
ولكنّني فَـظٌّ أبيٌّ عـلى القَسْر

•

وقال آخر في مدح الحلم :

إني أرى الحِلْمَ مَحموداً عواقبُه ،
والجَهْلُ أفنَى من الأقوام أقواما

•

ولسابق :

ألم تَرَ أنّ الحِلْم زَيْنٌ مُسَوِّدٌ
لصاحبه ، والجَهْلَ لِلْمرء شائِنُ ؟

فكُن دافناً للجهل بالحِلْم تَسْتَرِحْ
من الجهل ، إنّ الحِلْمَ للجَهْلِ دافِن

•

ولغيره :

ألا إنّ حِلْمَ المَرْء أكبرُ نِسْبَة
يُسامي بها ، عند الفَخار ، كَريمُ

فيا ربّ هَبْ لي منك حِلْماً ، فإنني
أرى الحِلْمَ لم يندم عليه حليم

•

وقال بعضُ الحُكماء : ما حَلاَ عِنْدي افضلُ من غَيْظ أتجرَّعه .

•

وقال بعضهم :

وفي الحِلم رَدْعٌ للسَّفِيه عن الأذَى ؛
وفي الخُرْق إغراءٌ فلا تَكُ أخْرَقا[1]

فتَنْدَمَ ، إذ لا تَنْفَعَنْكَ ندامةٌ ،
كما نَدِمَ المَغْبون لَمَّا تَفَرَّقا

•

وقال عليّ ، عليه السلام : أول عوض الحليم عن حلمه أنّ الناس أنصاره على الجاهل .

•

سئل كسرى أنوشروان : ما قدر الحِلم ؟
فقال : وكيف تعرف قدر ما لم يُرَ كمالُه أحد ؟

•

وقال معاوية لخالد بن المعمَّر : كيف حُبُّك لعلي بن أبي طالب ، عليه السلام ؟

---

١ الخرق : السفه .

قال : أحبّه لثلاث خصال : على حلمه إذا غضب ، وعلى صدقه إذا قال ، وعلى وفائه إذا وعد .

•

وكان يقال : ثلاثٌ من كنّ فيه استكمل الايمان : من إذا غَضِب لم يُخرجه غضَبُه عن الحقّ ؛ ومَن إذا رَضي لم يُخرجه رِضاه إلى الظُلم والباطل ؛ ومن إذا قَدَر لم يَتناول ما ليس له .

•

وقال عمرُ بن الخطاب، رضي الله عنه : إذا سَمعت الكلمة تُؤذيك فطَأطِىء لها حتى تتخطاك .

•

وقال الحسن : انما يُعرف الحِلم عند الغضب، فإذا لم تغضب لم تكن حليماً .

•

وقال الشاعر :

وليس يَتِمُّ الحِلْم لِلْمرء راضياً،
إذا هو عند السُّخْطِ لم يَتحلَّمِ

كما لا يَتِمُّ الجُود للمرء مُوسِراً،
إذا هو عند العُسْر لم يَتجشَّم

•

وقال بعض الحكماء : إن افضل وادٍ ، تُرى به ، الحِلمُ ، فإذا لم تكن حليماً فتحلَّم ، فإذا لم تكن عَليماً فتعلَّم ، فقلَّما تشبَّه رجلٌ بقوم الا كان منهم .

•

وقال بعضهم : الحلم عُدّةٌ على السَّفيه ، لأنك لا تقابل سفيهاً بالاعراض عنه والاستخفاف بفعله الا أذللته .

•

ويقال : ليس الحليم من ظُلم فحَلُم حتى إذا قَدَر انتقم ، ولكنَّ الحَليم من ظُلم فحَلُم ثم قَدَر فعَفا .

•

وللأحنف أو غيره :

ولرُبَّما ضحِكَ الحليم من الأذى، وفؤادُه من حَرِّه يتأوَّه
ولرُبَّما تَشكَلَ الحليمُ لسانُه، حَذَرَ الجوابِ، وإنَّه لَمُفَوَّه

•

وقيل : ما استَبَّ[1] اثنان إلا غلب ألأمُهما .

•

وقال الأحنف : وجدتُ الحلم أنصرَ لي من الرِّجال .

•

---

[1] استب : تشاتم .

وقال بعضُهم : إيّاكَ وعِزَّةَ الغضب فإنها تُصيّرك الى ذلّ الاعتذار .

•

وقيل : مَن حَلُم ساد ، ومن تفهّم ازداد .

•

وقال الأحنف : ما نازعني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ امري بإحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفتُ قدرَه ؛ وإن كان دوني أكرمتُ نفسي عنه ؛ وإن كان مثلي تفضّلت عليه .

ولقد أحسن الذي أخذ هذا المعنى فنَظَمه فقال :

اذا كان دوني من بُليتُ بجَهْلِه ،
أبَيتُ لنَفسي أن تُقارع بالجَهْلِ

وإن كان مثلي ، ثم جاءَ بزَلّةٍ ،
هَويتُ لصَفْحي أن يُضاف الى العدلِ

وإن كنتُ أدنى منه قدراً ومَنصِباً ،
عرفتُ له حقّ التقدّم والفضْلِ

•

وفي مِثْله قال بعضُ الشعراء :

سألزِم نفسي الصّفحَ عن كل مُذنب ،
وإن كثُرت منه اليَّ الجرائمُ

وما النّـاسُ إلاّ واحدٌ من ثلاثةٍ :
شريفٌ ومشروفٌ ومثـلٌ مُقاومُ

فأمّا الذي فوقي فأعرِف فضلَـه ،
وأتبع فيه الحقّ ، والحقُّ قـائمُ

وأمّا الذي دوني ، فإن قال صُنتُ ، عن
إجابتـه ، نفسي ، وإن لامَ لائمُ

وأمّا الذي مِثلي ، فإنْ زلّ أو هَفا ،
تفضّلتُ إنّ الفضـلَ للحُرّ لازمُ

●

ولأصرم بن قيس ، ويُقال إنها لعليّ عليه السلامُ :

أَصَمُّ عن الكَلِم المُحفِظات ، وأحْلُم والحِلمُ بي أشبَـهُ
وإني لأترُكُ جُـلّ الكلام ، لئـلا أجابَ بمـا أكرَهُ
اذا ما اجترَرْتُ سِفاه السّفيه عليّ ، فـإني أنا الأسفَهُ
فـلا تَغترِر برُواء الرّجال ، وما زَخرَفوا لك ، أو موّهوا
فكم من فتىً يُعجِب الناظرينَ ، له ألسُنٌ وله أوجُـهُ
ينـام إذا حَضَر المَكرُمات ، وعنـد الدّناءة يَستَنبِـهُ

●

وللحَسن بن رجاء :

أُحِبّ مكارم الأخلاق جَهدي ، وأكره أن أعيب وأن أعـابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً؛ وشرُّ الناس من يهوى السِّبابا
ومن هاب الرجالَ تهيّبوه ؛ ومن حقر الرّجال فلن يُهابا
ومن قضَت الرجالُ له حقوقاً، ولم يقضِ الحقوقَ فما أصابا

•

وقال محمد بن عليّ ، رضوان الله عنهما : مَن حلُمَ وقى عِرْضَه ، ومن جادت كفّه حسُن ثناؤه ، ومن أصلح ماله استغنى ، ومن احتمل المكروه كثُرت محاسنه ، ومن صبَر حُمِد أمرُه ، ومن كظَم غيظَه فشا إحسانُه ، ومن عفا عن الذّنوب كثُرت أياديه ، ومن اتّقى الله كفاه ما أهمّه .

•

وسأل أميرُ المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، كبيراً من كُبراء الفُرس : أيُّ شيء لملوككم كان أحمدَ عندكم ؟

قال : كان لأردشير فضل السَّبْق في المملكة ، غير أنّ أحمدَهم سيرةً أنوشروان .

قال : فأيّ أخلاقه كان أغلب عليه ؟

قال : الحلم والأناة .

قال : هما توأمان يُنتجهما عُلوّ الهمة .

•

ولمحمود بن الحسن الورّاق :

إنّي وهَبْتُ لظالمي ظُلْمي، وغفَرْتُ ذاك له على عِلم

ورأيتُه أسدى إليّ يداً ، لمّا أبان بجهلِه حِلمي
رجعَت إساءتُه عليه، وإحساني إليَّ مضاعَفَ الغُنْم
وغدوتُ ذا أجرٍ ومَحْمدةٍ ؛ وغدا بكَسْب الظُّلم والإثم
وكأنما الاحسانُ كان له ، وأنا المُسيء اليه في الحُكْم
ما زال يَظلمني وأرْحَمه ، حتى رَثيتُ له من الظُّلم

•

ولمحمد بن زياد يصف حُلماء :

تَخالهُمُ في الناس صُمّاً عن الخَنى ،
وخُرْساً عن الفحشاء عند التَّهاجُرِ

ومَرْضَى ، إذا لُوقُوا ، حياءً وعِفّةً ،
وعند الحِفاظِ كاللُّيوث الحَوادِرِ[1]

كأنّ لهم وَصْماً يخافون عارَه ،
وما ذاك إلا لاتّقاء المَعايِر

وله أيضاً :

وأرْفع نفسي عن نفوسٍ ، ورُبّما
تَذَلّلتُ في إكرامها لنفوسِ

---

١ الليوث الحوادر : الاسود الملازمة عرائنها .

وإنْ رامني يوماً خسيسٌ بجَهْله،
أبى اللهُ أن أرْضى بعِرْض خسيس

•

قال وهب : مكتوب في الانجيل : لا ينبغي لامام ان يكون جائراً ومنه يُلْتَمس العَدْل ، ولا سَفيهاً ومنه يُقتبس الحلم .

•

ولبعضهم :

وإذا استشارك مَن تَوَدّ، فقُلْ له:
أطِع الحَليم ، إذا الحليمُ نهاكا

واعلم بأنّك لن تسُود، ولن ترَى
سُبل الرّشادِ، إذا أطعتَ هَواكا

•

وقال آخر :

وكن مَعْدِناً للحِلم، واصفحْ عن الأذى،
فإنّك راءٍ ، ما عملتَ ، وسامِعُ

وأحْبِب، إذا أحببتَ، حُبّاً مُقارباً،
فانّك لا تدْري متى أنتَ نازِع

وأبْغِض، إذا أبغضتَ ، غيرَ مُباين،
فإنّك لا تدْري متى أنتَ راجِع

السودد

قيل لعَدي بن حاتم : ما السُّودد ؟

قال : السيِّد الأحمق في مالِه، الذَّلِيل في عِرْضه، المُطَّرِح لِحقده .

•

وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سوَّدك قومك ؟

قال : بكَفِّ الأذى ، وبذل الندى ، ونصر المولى .

•

وقال رجلٌ للأحنف : بِمَ سوَّدك قومُك وما أنت بأشرفهم بيتاً ، ولا أصبحهم وجهاً ، ولا أحسنهم خُلقاً ؟

قال : بخلاف ما فيك يابن أخي ؛ قال : وما ذاك ؟

قال : بتَرْكي من أمرك ما لا يَعنيني كما عَناك من أمْري ما لا يَعنيك .

•

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، لرجل : مَن سيِّد قومك ؟

قال : أنا .

قال : كذبت ، لو كنت كذلك لم تقله .

•

وقال ابن الكلبي: قدم أوس بن حارثة بن لأم الطائيّ وحاتم ابن عبد الله الطائيّ على النعمان بن المنذر، فقال لإياس بن قبيصة الطائي : أيهما أفضل ؟

قال : أبَيْتَ اللعن أيها الملك، إني من أحدهما، ولكن سلهما عن أنفسهما فإنهما يخبرانك .

فدخل عليه أوسٌ ، فقال : أنت أفضل أم حاتم ؟

فقال : أبَيْتَ اللعن ، ان أدنى ولد حاتم أفضلُ مني ، ولو كنتُ أنا وولدي ومالي لحاتم لأنهَبَنا في غداة واحدة .

ثم دخل عليه حاتم ، فقال له : أنت افضل أم أوس ؟

فقال : أبَيْتَ اللعن ، ان أدنى ولد لأوس أفضل مني .

فقال النعمان : هذا والله السودد ؛ وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل .

•

وسأل عبدُ الملك بن مَروان روحَ بن زِنباع عن مالك ابن مِسْمع ، فقال : لو غَضِبَ مالكٌ لغضِبَ معه مائةُ ألف سيف لا يسأله واحدٌ منهم : لِمَ غضبتَ ؟

فقال عبدُ الملك : هذا والله السُّودد .

•

أبو حاتم عن العتبي قال : أهدى ملكُ اليمن سبعَ جزائر[1] الى مكة ، وأوصى أن يَنحرها أعزُّ قرشيّ بها ، فأتت وأبو سفيان عروس بهند ، فقالت له هِنْد : يا هذا ، لا تَشغلك النّساء عن هذه الأكرومة التي لعلّك أن تُسْبَق إليها ؛ فقال لها : يا هذه ، ذَري زوجك وما اختار لنفسه ، فوالله لا نحرها أحدٌ إلا نحرتُه . فكانت في عُقُلها حتى خرجَ إليها بعد السابع فنَحرها .

•

ونظر رجلٌ الى معاوية ، وهو غلام صغير ، فقال : إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومَه ؛ فسمعته أمه هند فقالت : ثكلتُه إذاً إن لم يَسُد غيرَ قومه .

•

ودخل ضَمْرة بن ضَمْرة على النّعمان بن المُنذر ، وكانت به دَمامة شديدة ، فالتفت النعمانُ الى أصحابه ، وقال : تَسمع بالمُعيديّ خيرٌ من أن تراه .

فقال : أيها الملك ، إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فإن قال قال ببيان ، وإن قاتل قاتل بجَنان .

---

١ الجزائر ، واحدتها جزيرة : كل شيء مباح للذبح .

قال : صدقت ، وبحقٍّ سوّدك قومُك .

•

وقيل لعَرابة الأوسيّ : بِمَ سوّدك قومُك ؟

قال : بأربع خِلال : أنْخدع لهم في مالي ، وأذِلّ لهم في عِرضي ، ولا أحقِر صَغيرَهم ، ولا أحسُد كبيرَهم .

وفي عَرابة الأوسيّ يقول الشمّاخ ، وهو ابن ضِرار :

رأيتُ عَرابةَ الأوسيَّ يَسْمو الى الخيراتِ ، مُنقطعَ القرين
اذا ما رايةٌ رُفعت لمجْدٍ ، تَلقّاها عَرابة باليمين

•

وقالوا : يسود الرجل بأربعة أشياء : بالعقل والأدب والعِلم والمال .

•

وكان سَلم بنُ نوفل سيّدَ بني كِنانة ، فوثَب رجلٌ على ابنه وابن أخيه ، فجرَحهما ، فأُتي به ، فقال له : ما أمّنك من انتقامي ؟

قال : فلِمَ سوّدناك إذاً ، إلا أن تكظم الغيظ ، وتَحلُم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه .

فخلّى سبيلَه . فقال فيه الشاعر :

يُسوّد أقوامٌ ، وليسوا بسادةٍ ،
بل السيّد الصّنديد سَلم بنُ نوفلِ

•

وقال ابن الكلبي : قال لي خالدُ العَنبريّ : ما تَعُدُّون السُّودد ؟

قلت : أما في الجاهليّة فالرّياسة ، وأمّا في الإسلام فالولاية ، وخير من ذا وذاك التقوى .

قال : صدقت ؛ كان أبي يقول : لم يُدرِك الأوّلُ الشرفَ إلاّ بالعقل ، ولم يُدرِك الآخرُ إلاّ بما أدرَك به الأول .

قلتُ له : صدق أبوك ، إنما ساد الأحنفُ بن قيس بحلمه ، ومالكُ بن مِسمَع بحُبّ العشيرة له ، وقُتيبةُ بن مُسلم بدَهائه ، وساد المُهلّب بهذه الخِلال كلها .

•

الأصمعي قال : قيل لأعرابي يقال له مُنتَجع بن نَبهان : ما السَّميدع ؟ قال : السيد الموطأ الأكناف .

•

وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يُفرَش له فراش في بيته في وقت خلافته ، فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطّلب ، وأبو سفيان بن حرب .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأبي سفيان : كلُّ الصّيد في جوف الفَرأ . والفرأ : الحمار الوحشي ، وهو مَهموز ،

وجمعه فِراء . ومعناه : أنه في الناس مثل الحِمار الوَحشي في الوحش .

•

ودخل عمرو بن العاص مكة ، فرأى قوماً من قريش قد تحلّقوا حَلقة، فلما رأوه رموا بأبصارهم اليه، فعدل اليهم، فقال: أحسبَكم كنتم في شيء من ذكري ?

قالوا : أجل، كنا نُماثِل بينك وبين أخيكَ هِشام، أيكما أفضل .

فقال عمرو : إن لهشام عليّ أربعة : أمه ابنة هشام بن المغيرة ، وأمي من قد عَرفتم ؛ وكان أحبّ الناس الى أبيه منّي، وقد عرفتم مَعْرفة الوالد بالولد؛ وأسْلَم قبلي؛ واستُشْهد وبقيتُ .

•

قال قيسُ بن عاصم لبَنيه لما حضرته الوفاة : يا بَنيّ ، احفظوا عني فلا أحدَ أنصح لكم مني ، أمّا إذا أنا مِتُّ فَسوّدوا كِبارَكم ولا تُسوّدوا صِغارَكم ، فيَحْقِرَ الناسُ كِبارَكم .

•

وقال الأحنف بن قيس : السودد مع السواد .

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير ، احدهما أن يكون

أراد بالسواد سوادَ الشَّعر ، يقول : من لم يَسُد مع الحداثة لم يَسُد مع الشيخوخة . والوجه الآخر ، أن يكون أراد بالسواد سواد الناس ودهمائهم ، يقول : من لم يَطِرْ له اسمٌ على ألسنة العامة بالسودد لم يَنفعه ما طارَ له في الخاصة .

•

وقال أبان بن مَسلمة :

ولَسْنا كَقَوْمٍ مُحْدَثين سِيادَةً
يُرَى ما لها ، ولا تُحَسُّ فَعالُها

مَساعِيهِمُ مَقْصُورَةٌ في بُيوتِهم ،
ومَسْعاتنا ذُبيانُ طُرّاً عِيالُها

•

الهيثم بن عَدي قال: لما انفرد سُفيان بن عُيينة ومات نُظراؤه من العلماء تكاثر الناس عليه ، فأنشأ يقول :

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ ،
ومِنَ الشَّقاء تَفَرُّدي بالسُّودَدِ

سودد الرجل بنفسه

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من أسرع به عَمله لم يُبطىء به حَسَبُه ، ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به حسبُه .

•

وقال قُسُ بن ساعدة : من فاتَه حَسَبُ نَفسه لم يَنفعه حسب أبيه .

•

وقالوا : انما الناس بأبدانهم .

•

وقال الشاعر :

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدت عِصاما، وعَلَّمته الكَرَّ والإقْداما[1]

•

وقال عبدُ الله بن معاوية :

لَسْنا، وإن كرُمت أوائِلُنا يوماً، على الأحْساب نَتَّكِلُ

نَبْني كما كانت أوائلُنا تَبْني، ونَفْعل مثلَ ما فَعلوا

•

---

١ عصام : عبد كان للنعمان بن المنذر .

وقال قُسُّ بن ساعدة: لأقضينَّ بين العرب بقضية لم يَقض بها أحدٌ قبلي، ولا يَردُّها أحدٌ بعدي، أيّما رجلٌ رمى رجلاً بِملامة دونها كرم فلا لوم عليه، وأيّما رجلٌ ادعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له.

•

وقالت عائشةُ، رضي الله عنها: كلُّ كرم دونه لؤم فاللؤم أوْلى به، وكلّ لؤم دونه كرم فالكرَم أولى به.

تريد أن أولى الأمور بالانسان خصال نفسه، فإن كان كريماً وآباؤه لِئام لم يَضره ذلك، وإن كان لئيماً وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك.

•

وقال عامر بن الطفيل العامري:

وإنّي، وإن كُنتُ ابنَ سيِّد عامرٍ
وفارسِها المَشهورِ في كلّ موْكِبِ

فما سوَّدَتني عامرٌ عن وراثة،
أبَى اللهُ أنْ أسْمُو بجَدٍّ ولا أبِ

ولكنَّني أحمِي حِمَاها، وأتَّقِي
أذاها، وأرْمِي مَن رمَاها بِمَنْكِبِي

•

وتكلم رجلٌ عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه ، فقال له : ابن من أنت ؟

قال: أنا ابنُ نَفْسي يا أميرَ المؤمنين التي بها توصلت اليك.

قال : صدقت .

فأخذ الشاعر هذا المعنى ، فقال :

مالِيَ عقلي ، وَهِمَّتي حسَبي ، ما أنا مَوْلىً ، ولا أنا عَرَبي
إذا انتمى مُنتمٍ إلى أحد ، فإنَّني مُنتمٍ إلى أدَبي

•

وقال بعض المحدثين :

رأيتُ رِجالَ بَني دالقٍ مُلوكاً ، بِفَضْلِ تِجاراتِهِمْ
وبَرْبُرنا ، عند حِيطانهم ، يَخُوضون في ذِكْرِ أمْواتِهِم

•

المروءة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا دين الا بمروءة .

•

وقال ربيعة الرأي : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضَر وثلاث في السَّفر ، فأمّا التي في السفر : فبذْل الزاد، وحُسن الخُلق، ومداعبة الرّفيق؛ وأما التي في الحضَر : فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد ، والعفاف .

•

وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : المروءة مروءتان : مروءة ظاهرة ، ومروءة باطنة ، فالمروءة الظاهرة الرياش[1] ، والمروءة الباطنة العفاف .

•

وقدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تَعُدُّون المروءة؟
قالوا : العفاف واصلاح المعيشة .
قال : اسمع يا يزيد .

•

---

١ الرياش : المال .

وقيل لأبي هريرة : ما المروءة ؟

قال : تقوى الله وتفقُّد الضَّيْعة .

•

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟

قال : العفة والحرفة .

•

وقال عبدُ الله بن عمر ، رضي الله عنهما : إنّا مَعْشَرُ قُرَيش لا نَعُدُّ الحِلم والجود سُودداً ، ونَعُدُّ العفاف وإصلاحَ المال مُروءة .

•

قال الأحنف : لا مُروءة لكَذوب ، ولا سودد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : تجاوزوا لذوي المروءات عن عَثَراتهم ، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليَعْثر وإن يده لبِيَد الله .

•

وقال العُتْبيّ عن أبيه : لا تَتِمُّ مُروءة الرجل إلاّ بخمس : أن يكون عالِماً ، صادِقاً ، عاقلاً ، ذا بَيان ، مُسْتغنياً عن الناس .

•

وقال الشاعر :

وما المرءُ إلاّ حيثُ يجعلُ نفسَه ،
ففي صالِحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجعلِ

•

وقيل لعبد الملك بن مَروان : أكان مُصعب بن الزُّبير يَشرب الطِّلاء ؟

فقال : لو عَلِم مُصعب أنّ الماءَ يُفسِدُ مُروءته ما شَرِبه .

•

وقالوا : من أخذ من الدِّيك ثلاثةَ أشياء ، ومن الغُراب ثلاثةَ أشياء ، تمّ بها أدبُه ومروءته : مَن أخذ من الدِّيك سَخاءه وشجاعته وغَيرته ، ومن الغُراب بُكوره لطَلب الرِّزق وشدَّة حَذَره وسَتر سِفاده .

•

طبقات الرجال

قال خالدُ بنُ صفوان : الناسُ ثلاثُ طبقات : طبقة علماء، وطبقة خطباء، وطبقة أُدباء ؛ ورِجْرِجة[1] بين ذلك يُغلُون الأسعار ، ويُضَيِّقون الأسواق ، ويُكَدِّرون المِياه .

•

وقال الحسن : الرِّجال ثلاثة : فرَجُل كالغِذاء لا يُستَغنى عنه ، ورجُل كالدَّواء لا يُحتاج إليه إلاّ حيناً بعد حين ، ورجُل كالدّاء لا يُحتاج إليه أبداً .

•

وقال الخليل بن أحمد : الرجالُ أربعة : فرجل يدري ويدري أنه يدري ، فذلك عالم فسَلُوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك النّاسي فذكِّروه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري ، فذلك الجاهل فعلِّموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، فذلك الأحمقُ فارفضوه .

•

---

١ الرجرجة : ضعفاء العقول .

وقال الشاعر :

أليس من البلوى بأنك جاهلٌ،
وأنك لا تدري بأنك لا تدري؟

اذا كنت لا تدري ولست كمن درى،
فكيف إذاً تدري بأنك لا تدري؟

•

ولآخر :

وما الدَّاء إلا أن تُعلِّم جاهلاً،
ويزعُم جهلاً أنه منكَ أعلَمُ

•

وقال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه : الناس ثلاثة : عالمٌ ربّاني، ومُتعلّم على سبيل نجاة، ورَعاع هَمَجٌ يميلون مع كل ريح.

•

وقالت الحكماء : الاخوانُ ثلاثة : فأخٌ يُخلِص لك وُدّه، ويَبْذُلُ لك رِفدَه، ويستَفرغ في مُهمّك جُهْده، وأخٌ ذو نيّة يقتصر بك على حُسن نيّته دون رِفده ومعُونته، وأخٌ يتملّق لك بلِسانِه، ويتشاغَل عنك بشانه، ويوسعكَ من كَذِبه وأيْمانه.

•

وقال الشعبيّ : مَرَّ رجُلٌ بعَبد الله بن مَسعود ، فقال لأصحابه : هذا لا يَعْلَم ، ولا يَعْلَم أنه لا يَعْلَم ، ولا يتعلّم ممن يَعْلَم .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : كن عالماً أو متعلّماً ولا تكن الثالثةَ فتَهْلِك .

•

الغوغاء

الغوغاء : الدَّبا ، وهي صِغار الجَراد ، وشُبِّه بها سوادُ الناس .

•

وذُكر الغَوغاء عند عبد الله بن عبّاس فقال : ما اجتمعوا قطُّ إلاّ ضرُّوا ، ولا افترقوا إلاّ نفعوا .

وقيل له : قد عَلِمْنا ما ضَرُّ اجتماعهم ، فما نفعُ افتراقهم ؟

قال : يذهب الحجّام الى دُكانه ، والحدّاد الى أكياره ، وكلّ صانع الى صِناعته .

•

ونظر عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، الى قوم يتبعون رجلاً أُخذ في رِيبة ، فقال : لا مَرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلاّ في كلّ شرّ .

•

وقال حبيب بن أوس الطائي :

إن شِئْتَ أن يَسْوَدَّ ظنُّك كُلُّه ،
فأجِلْه في هذا السَّوادِ الأعظمِ

•

وقال دِعْبل :

ما أكثرَ الناسَ ، لا بل ما أقلَّهمُ ،
اللهُ يعلم أني لم أقلْ فَنَدا

إني لأفتح عيني ، حينَ أفتحُها ،
على كثيرٍ ، ولكن لا أرى أحدا

•

الثقلاء

قالت عائشة أمُّ المؤمنين ، رضي الله عنها : نزلتْ آيةٌ في الثقلاء : فإذا طَعِمْتُمْ فانتَشروا ولا مُستأنسين لِحَديث .

•

وقال الشعبي : من فاته رَكْعتا الفجر فليلعن الثقلاء .

•

وقيل لجالينوس : بِمَ صار الرجلُ الثقيل أثقلَ من الحِمْل الثقيل ؟

فقال : لأن الرجلَ الثقيل إنما ثِقَله على القلب دون الجوارح . والحمل الثقيل يستعين فيه المرء بالجوارح .

•

وقال سهل بن هارون : من ثَقُل عليك بنفسه ، وغمّك بسؤاله ، فأعِره أذناً صمّاء ، وعَيناً عمياء .

•

وكان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً ، قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه .

•

وكان الأعمشُ إذا حَضر مَجلسَه ثقيلٌ يقول :

فما الفيلُ ، تَحمِلُه مَيْتاً ، بأثقلَ من بعض جُلاّسِنا

•

وقال أبو حَنيفة للأعمش ، وأتاه عائِداً في مرضه : لولا أن أثقُلَ عليك أبا محمّد لعُدْتك والله في كلّ يومٍ مرّتين ؛ فقال له الأعمش : والله يابن أخي ، أنت ثقيل عليّ وأنت في بيتك ، فكيف لو جِئْتني في كلّ يوم مرّتين !

•

وذكر رجلٌ ثقيلاً كان يجلِس اليه ، فقال : والله إني لأبغِضُ شِقّي الذي يليه اذا جَلس إليّ .

•

ونَقَش رجل على خاتَمه : أبرَمْتَ فقُم . فكان إذا جلس إليه ثقيلٌ ناوَله إيّاه وقال : اقرأ ما على هذا الخاتَم .

•

وكان حمّاد بن سَلمة اذا رأى من يَستثقله قال : ربّنا اكشِفْ عنّا العَذابَ إنّا مُؤمِنُون .

•

وقال بشّار العُقَيلي في ثقيل يُكنى أبا عِمْران :

ربما يَثقُل الجَليسُ ، وإنْ كان خَفيفاً في كِفّة المِيزانِ

ولقد قلتُ، إذ أطلّ على القومِ ثقيلٌ، يُربي على ثهْلانِ:
كيف لا تحمِلِ الأمانةَ أرضٌ، حَمَلتْ فوقَها أبا عِمْرانِ!

•

ولآخر:

أنتَ يا هذا ثقيلُ وثقيلٌ وثقيلُ
أنتَ في المنظرِ إنسانٌ، وفي الميزانِ فيلُ

•

وقال الحسن بن هانىء في رجل ثقيل:

ثقيلٌ يُطالِعُنا من أمَمْ، اذا سرّه رَغْمُ أنفي ألَمّ
أقولُ له، إذ بدا، لا بَدا، ولا حَمَلَتْه إلينا قَدَم:
فقدتُ خيالَكَ لا مِن عمىً، وصوتَ كلامِكَ لا من صمَمْ

•

وله فيه:

وما أظنُّ القِلاصَ مُنجِيتي منك، ولا الفُلكَ أيها الرجل[1]
ولو رَكِبتُ البُراقَ أدركني منك، على نأي دارِك، الثِّقَلُ
هل لك فيما مَلَكتُه هِبَةً تأخذه جُملةً وترتحِلُ؟

•

---

[1] القلاص: النياق، واحدتها قلوص.

وله فيه :

يا مَن على الجُلاَّسِ كالفَتْقِ، كلامُكَ التَّخديشُ في الحَلْقِ
هل لكَ في مالي وما قد حوَتْ يَداي، من جِلٍّ ومن دِقٍّ
تأخُذه مني كذا فِديةً، واذهب ففي البُعدِ وفي السُّحْقِ

●

وله فيه :

ألا يا جَبَلَ المَقْتِ، الذي أرسى، فما يَبْرَحْ
لقد اكثرتُ تفكيري، فما أدري لما تَصْلُحْ
فما تَصْلحُ أن تُهجى؛ ولا تصلحُ أن تُمْدَحْ

●

أهدى رجلٌ من الثُّقلاء الى رجل من الظُّرفاء جَملاً، ثم نزل عليه حتى أبرمه، فقال فيه :

يا مُبرِماً أهدى جَمَلْ، خُذوانصَرِف ألفَيْ جَمَلْ
قال : وما أوقارُها ؟ قلتُ : زبيبٌ وعَسَلْ
قال : ومَنْ يَقودها ؟ قلتُ له : ألفا رَجُلْ
قال : ومَنْ يَسُوقها ؟ قلتُ له : ألفا بَطَلْ

قال : وما لِباسُهم ؟ قلتُ : حُليٌّ وحُلَلْ
قال : وما سِلاحُهم ؟ قلتُ : سُيوفٌ وأسَلْ
قال : عبيد لي إذن ؟ قلتُ : نعم ثم خَوَلْ
قال : بهذا فاكتبُوا إذن عليكم لي سِجل
قلت له : ألفي سِجل ، فاضمَنْ لنا أن ترتحل
قال : وقد أضجرتُكم ؟ قلتُ : أجَل ثم أجَلْ
قال : وقد أبرَمتُكم ؟ قلتُ له : الأمر جَلل
قال : وقد أثقلتكم ؟ قلتُ له : فوق الثِّقَل
قال : فإني راحلٌ ! قلتُ : العَجَل ثم العجَل
يا كوكبَ الشُّؤمِ ومَن أربى على نَحْسِ زُحَل
يا جَبَلاً من جَبَل ، في جَبَلٍ فوق جَبَل

•

وقال الحَمْدونيّ في رجل بَغيض مَقِيت :

أيابن البَغِيضةِ وابن البغيض، ومَن هو في البغض لا يُلحَقُ
سألتُك بالله إلاّ صَدَقتَ ؛ وعِلمي بأنك لا تَصْدُقُ
أتُبغِضُ نفسك من بُغضها ، وإلاّ فأنتَ إذن أحمَقُ

•

وله فيه :

في حَميرِ الناس ، إن كنتَ من الناس، تُعَدُّ
ولقد أُنبئتَ : إبليسَ إذا راكَ يَصُدُّ

•

ولحبيب الطائي في مثله ، أي في رجل مَقيت :

يا مَن تَبَرَّمتِ الدنيا بطَلعته،
كما تبرَّمتِ الأجفانُ بالرَّمدِ

يَمشي على الأرض مُختالاً ، فأحْسِبه
لبُغْضِ طَلعتـه يَمشي على كَبِدي

لو أنَّ في الأرض جُزءاً من سَماجته،
لم يَقدَمِ الموتُ إشفاقاً على أحد

•

وللحسن بن هانىء في الفضل الرَّقاشي :

رأيتُ الرَّقاشيَّ في مَوضِعٍ،
وكان إليَّ بَغيضاً مَقيتا

فقال : اقترِح بعضَ ما تَشتَهي!
فقلتُ : اقترحتُ عليك السُّكوتا

•

وأنشد الشعبي :

إنّي بُليتُ بِمَعشر نَوْكَى ، أخفُّهُمُ ثَقيلْ

بُلْـهٌ ، إذا جالستُهم صَدِئْتُ ، لقُرْبهمُ ، العُقول
لا يُفهمـوني قولهـم ، ويَدِقُّ عنهم ما أقول
فَهُمُ كثيرٌ بي ، كما أنّي ، بقُرْبِهمُ ، قليـل

•

وقال العُتبي : كتب الكسائي الى الرّقاشي :

شكَوْتَ إلينا مجَانينَـكم ، وأشكُو إليـك مجانيننـا
وأنشأتَ تَذْكرُ قُدّارَكم ، فأنتِنْ وأقذِرْ بمَنْ عِندنا
فلَوْلا السّلامة كُنّا كَهُم ؛ ولولا البَلاء لكانوا كَنـا

•

وقال حبيب الطائي :

وصاحبٍ لي مَلِلتُ صُحبَتَه ، أفقَدَني اللهُ شَخْصَه عَجِلا
سَرَقْتُ سِكّينه وخاتَمه ، أقطع ما بيننا ، فما فَعلا

•

وقال حبيب :

يا من له في وَجْهه ، إذ بدا ، كنُوزُ قارونَ من البُغْضِ
لو فَرّ شيءٌ قطُّ مِن شكله ، فَرّ إذاً بَعضُك من بَعْض
كَوْنُك في صُلبِ أبينا ، الذي أهْبَطنا جمعاً إلى الأرْض

•

وقال أبو حاتم: وأنشدني أبو زيد الانصاري النحوي صاحب النوادر :

وَجهُ يحيى يدْعو إلى البَصْقِ فيه،
غيرَ أنّي أصُونُ عنه بُصاقي

•

قال أبو حاتم : وأنشدني العُتْبي :

له وَجهٌ يَحِلُّ البَصقُ فيه،
ويَحْرُمُ أن يُلقّى بالتّحيّهْ

قال وأنشدني :

قميص أبي أُميّةَ ما عَلِمتَ،
وأوْسَخُ منه جِلدُ أبي أميّه

•

التفاؤل بالاسماء

سأل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، رجلاً أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه؛ فقال: ظالم بن سُراقة؛ فقال: تَظْلم أنت ويَسْرِق أبوك؟ ولم يَستعن به في شيء.

•

وأقبل رجل الى عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما اسمك؟

فقال: شِهاب بن حُرقة.

قال: ممَّن؟

قال: من أهل حَرَّة النار.

قال: وأين مسكنك؟

قال: بذات لظى.

قال: اذهب فإن أهلك قد احترقوا، فكان كما قال عمر، رضي الله عنه.

•

ولقي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مَسروق بن الأجدع، فقال له: من أنتَ؟

قال: مسروق بن الأجدع.

قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : الأجدع شيطان .

•

وروى سفيان عن هشام الدَّستُوائيّ عن يحيى بن أبي كثير قال : كتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى امرائه : لا تُبردوا بريداً الا حَسَنَ الوجه ، حَسَنَ الاسم .

•

ولما فرغ المهلب بن أبي صُفرة من حرب الأزارقة وجّه بالفتح إلى الحجاج رجلاً يقال له مالك بن بشير ؛ فلما دخل على الحجاج ، قال له : ما اسمك ؟

قال : مالك بن بشير .

قال : مُلك وبِشارة .

•

وقال الشاعر :

وإذا تكُون كريهةٌ فَرَّجتُها أدعو بأسلمَ مَرّةً ورَباحِ

يريد التطير[1] بأسلم ورباح ، للسلامة والرّبح .

•

الرياشي عن الاصمعي قال : لما قدم رسول الله ، صلى الله عليه

---

[1] اراد بالتطير هنا التفاؤل.

وسلم، المدينة نزَل على رجل من الأنصار، فصاح الرجل بغلاميه: يا سالم ويا يسار! فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: سَلِمت لنا الدار في يُسْر .

•

وقال سعيد بن المسيّب بن حَزن بن أبي وهْب المخزومي:

قدم جَدّي حزن[1] بن أبي وهب على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كيف اسمك ؟

قال : حزن .

قال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : بل سهل .

قال : ما كنتُ لأدع اسماً سمتني به أمي .

قال سعيد : فإنا لنَجد تلك الحزونة في أخلاقنا الى اليوم .

•

وإنما تَطيّرت[2] العرب من الغُراب للغُربة ، إذ كان اسمه مُشْتقاً منها .

•

وقال أبو الشّيص :

أشاقَكَ ، والليلُ مُلْقِي الجِرانِ ،
غُرابٌ يَنُوح على غُصْن بانِ[3]

---

١ الحزن : ضد السهل .
٢ التطير هنا : التشاؤم .
٣ ملقي الجران : مقبل .

وفي نَعَبات الغُـراب اغتِراب،
وفي البـان بَيْنٌ بَعيـدُ التّداني

•

ولآخر في السفرجل :

أهْدى إليـه سَفَرْجـلًا فتَطيَّرا
منه، فظَلّ مُفكّراً مُستَعْبِرا

خَوْفَ الفِراق لأنّ شَطْر هِجائه
سَفَر، وحُقّ لـه بأن يَتَطَيَّرا

•

ولآخر في السوسن[1] :

يا ذا الذي أهْدَى لنـا السّوسَنا،
مـا كنتَ في إهدائـه مُحْسِنـا

شَطْرُ اسمه سَوء، فقـد سُؤتَني؛
يا لَيْت أنـّي لم أرَ السّوسنـا

•

---

١ السوسن : نبات من الرياحين بري وبستاني .

ولآخر في الأترُجّ[1] :

أهدى إليه حبيبُه أترُجّةً
فبكى وأشفَق من عِيافة زاجرِ

خافَ التبدُّل والتلوُّن، إنّها
لونان باطنُها خلافُ الظّاهر

•

وقال الطائي في الحَمام :

هُنّ الحَمام، فإن كسَرتَ عِيافةً
مِن حائِهنّ، فإنهن حِمامُ[2]

•

وكان أشعب يختلف[3] الى قَيْنة[4] بالمدينة، فلما أراد الخروج سألها ان تُعطيه خاتَم ذهبٍ في يدها ليذكرها به .

قالت : إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن هذا العود، فلعلك أن تعود .

---

١ الاترج : هو ما تسميه العامة بالكباد، وهو من جنس الليمون .
٢ الحمام بفتح الحاء، واحدته حمامة: الطائر المعروف. الحمام بكسر الحاء: الموت.
٣ يختلف : يتردد .
٤ القينة : المغنية .

الطيرة

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يَكاد يَسلم منهنّ أحد: الطّيرة والظّنّ والحَسد.

قيل: فما المَخرج منهنّ يا رسولَ الله؟

قال: إذا تطيّرتَ فلا تَرجِع، وإذا ظننت فلا تُحقّق، وإذا حَسَدت فلا تَبْغِ.

•

وقال أبو حاتم: السّانحُ ما ولاّك مَيامِنه، والبارِحُ ما ولاّك مَياسره، والجابهُ ما استقبلك من تجاهك، والقَعِيدُ الذي يأتيك من خلفك.

•

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: لا عَدوى ولا طِيَرة.

وقال: ليس منّا مَن تَطيّر.

وقال: اذا رأى أحدُكم الطّيرة فقال: اللهمّ لا طَير إلاّ طيرُك، ولا خيرَ إلا خيرُك، ولا إله غيرك، لم تضُرّه.

•

وقد كانت العرب تتطيّر، ويأتي ذلـك في أشعارهم، وقال بعضُهم:

وما صدقتْكَ الطيرُ يوم لقيتَنا ،
وما كان مَن دلاّكَ فينا بخابرِ

•

وقال حسّان ، رضي الله تعالى عنه :

ياليتَ شعري ، وليتَ الطيرَ تُخبرني ،
ما كان بين عليٍّ وابنِ عفّانا

لتسمعنّ وشيكاً في ديارهمُ :
الله أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا

•

وقال الحسن بن هانىء :

قام الأميرُ بأمرِ الله في البشرِ ،
واستقبل المُلك في مستقبل العمرِ

فالطّير تُخبرنا ، والطيرُ صادقةٌ ،
عن طيبِ عيشٍ ، وعن طول من العمرِ

•

وقال الشيباني : لما قدم قُتيبة بن مُسلِم والياً على خُراسان ، قام خطيباً ، فسقطت المِخصَرة من يده ، فتطيّر به أهلُ خُراسان ، فقال : أيها الناس ، ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ،
كما قرّ عيناً بالإيابِ المُسافرُ

اتخاذ الاخوان وما يجب لهم

روى الاوزاعيّ عن يحيى بن أبي كثير أن داود قال لابنه سُليمان ، عليهما السلام : يا بُنيَّ لا تستقلّ عَدُوّاً واحداً ، ولا تستكثِرْ ألفَ صديق ، ولا تستبدل بأخٍ قديم أخاً مُستحدثاً ما استقام لك .

•

وفي الحديث المرفوع : المرء كثير بأخيه .

•

وقال شبيب بن شَيبة : إخوان الصَّفاء خير مَكاسب الدُّنيا ، هم زِينةٌ في الرَّخاء ، وعُدّة في البَلاء ، ومعُونة على الأعداء .

•

وأنشد ابنُ الأعرابيّ :

لَعمرك ما مالُ الفتى بذخيرة،
ولكنّ إخوانَ الصَّفاء الذَّخائرُ

•

وقال الأحنف بن قيس : خيرُ الاخوان إن استغنيت عنه لم يزدك في المودّة ؛ وإن احتجْتَ اليه لم ينقصك منها ، وإن

كُوثِرت عَضَدَك ، وإن استرفدت رَفَدَك . وأنشد :

أخوكَ، الذي إنْ تدعُه، لِمُلِمَّةٍ،
يُجِبْك،وإن تَغْضب الى السيف يَغْضَبِ

•

ولآخر :

أخاكَ أخاكَ إنْ مَن لا أخا له،
كساعٍ الى الهَيْجا بغيرِ سلاحِ

وإنْ ابن عمّ المرء، فاعلَم، جَناحُه،
وهل يَنهض البازي بغيرِ جَناحِ؟[1]

•

ومما يجب للصديق على الصديق النصيحةُ جَهْده . فقد قالوا : صديق الرجل مِرآتُه تُريه حَسناتِه وسيّئاته .

•

وقالوا : الصديق من صَدَقك وُدَّه ، وبذل لك رِفدَه .

•

وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .

•

---

١ هذان البيتان لمسكين الدارمي .

وقال الشاعر :

فإنّ أولى الموالي أن تواليَه ،
عند السُّرور، لَمَن واساك في الحَزَنِ

إنّ الكِرام ، اذا ما أسهلوا ذكروا
مَن كان يألفُهُم في المنزلِ الخشِنِ[1]

•

ولآخر :

البِرُّ من كرم الطبيعه ، والمَنّ مَفسدة الصَّنيعه

تَركُ التعهُّد للصديقِ ، يكون داعيةَ القطيعه

•

أنشد محمدُ بن يزيد المبرّد لعبد الصّمد بن المُعذّل في الحسن بن إبراهيم :

يا من فدَتْ نفسَه نفسي، ومن جُعِلت
له وِقاءً لِما يخشى وأخشاهُ

أبْلِغ أخاك ، وإنْ شطّ المزار به ،
أني ، وإن كنتُ لا ألقاه ، ألقاهُ

---

١ هذان البيتان لأبي تمام .

وأنَّ طَرْفيَ مَوْصولٌ برؤيته؛
وإنْ تباعد عن مَثواي مَثواهُ

الله يَعلم أني لستُ أذكُره؛
وكيف يذكره مَن ليس يَنساهُ؟

عُدُّوا، فهل حَسَنٌ لم يحوِهِ حَسَنٌ؛
وهل فتىً عدلت جَدواهُ جَدواهُ؟

فالدهر يَفنى، ولا تفنى مَكارمه؛
والقطر يُحصى، ولا تُحْصى عطاياه

•

وقيل لبعض الوُلاة : كم صديقاً لك ؟

قال : لا أدري، الدُّنيا مُقبلة عليَّ والناس كلُّهم أصدقائي، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرتْ عني .

•

ولما صارت الخِلافة الى المنصور كتب إليه رجلٌ من إخوانه كتاباً فيه هذه الأبيات :

إنّا بِطانتُك، الأُلى كنا نُكابِدُ ما تُكابِدْ

ونَرى، فنُعْرف بالعداوةِ والبِعادِ لمن تُباعدْ

ونَبيت، في شفَقٍ عليك، رَبيئةً، والليلُ هاجِدْ

أصناف الاخوان

قال العَتّابي: الاخوان ثلاثة أصناف: فرع بائِنٌ من أصله، وأصل مُتّصل بفَرْعه، وفرع ليس له أصل. فأما الفرع البائن من أصله، فإخاءٌ بُني على مودّة ثم انقطعت فحُفِظ على ذمام الصُّحبة؛ وأما الأصل المتصل بفرعه، فإخاءٌ أصله الكرم وأغصانه التقوى؛ وأما الفرع الذي لا أصل له، فالمُمَوَّه الظاهر الذي ليس له باطن.

•

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: الصاحب رُقعة في قميصك فانظر بمَ تُرقّعه.

•

ويقال: من علامة الصديق أن يكون لصديقِ صديقِه صديقاً ولعدوّه عدوّاً.

•

وقَدِم دِحيَة الكَلْبي على أمير المؤمنين عليّ، عليه السلامُ، فما زال يذكر مُعاوية ويُطريه في مجلسه، فقال عليّ، عليه السلام:

صَديقُ عَدوِّي داخلٌ في عَداوتي،
وإنّي ، لِمَن وَدَّ الصَّديقَ ، وَدودُ

فلا تَقرَبَنْ منّي ، وأنت صديقُه،
فإنَّ الذي بين القُلوب بعيدُ

•

وفي هذا المعنى قول العتّابي :

تَودُّ عدوّي ، ثم تَزعُم أنّني
صديقُك ، إنّ الرّأي عَنك لعازِبُ

ولَيْس أخي مَن ودَّني رَأيَ عَيْنه،
ولكنْ أخي مَن ودَّني وهو غائب

•

وقال آخر :

ليس الصديقُ ، الذي إن زلَّ صاحبُه
يوماً ، رَأى الذنبَ منه غيرَ مَغفُورِ

وإنْ أضاع له حقّاً فعاتبَه
فيه ، أتاه بِتَزْويق المَعاذِرِ

إنّ الصَّديق ، الذي ألقاه يَعذِر لي،
ما ليس صاحبُه فيه بمَعْذور

•

وقال آخر :

كم من أخٍ لك لم يَلِدْه أبوكا؛
وأخٍ أبوه أبوكَ قد يجفُوكا

صافِ الكِرامَ ، إذا أردتَ إخاءَهم،
واعْلَم بأنّ أخا الحِفاظ أخُوكا

والناسُ ما استغنيت كُنتَ أخاهمُ،
وإذا افتقرتَ إليهمُ رفضُوكا

●

وقال بعضهم :

أخوكَ الذي،إنْ قمْتَ بالسّيفِ عامداً
لتَضْرِبَه ، لم يَسْتغشّك في الوُدّ

وإن جِئتَ تَبْغي كفّه لِتُبِينَها،
لبادَر إشفاقاً عليك من الرّدّ

يَرى أنّه في الودّ وانٍ مُقصّرٌ،
على أنّه قد زادَ فيه على الجَهْد

●

وقال آخر :

إنْ كنتَ مُتّخذاً خليلا، فتنَقّ وانْتَقِد الخَلِيلا

مَن لم يَكُن لك مُنصِفاً في الوُدّ، فابغِ به بَديلا
ولَقلّما تَلقى اللّئيمَ عليك إلا مُستَطيلا

•

وللعَطوي:

صُنِ الوُدَّ إلا عَنِ الأكرمين،
ومَن بمُؤاخاتِه تَشرُفُ

ولا تَغترِرْ، مِن ذَوي خَلّة،
بما مَوّهوا لكَ أو زَخرفوا

وكم من أخٍ ظاهرٍ ودُّه،
ضَميرُ مودّتِه أخيَفُ[1]

إذا أنت عاتبتَه في الإخاءِ،
تُنكِرُ منه الذي تَعرِفُ

•

وكتب العباس بن جرير الى الحسن بن مَخلد:

إرْعَ الإخاءَ، أبا مُحمّدَ، للّذي يَصفو، وصُنهُ
وإذا رأيتَ مُنافِساً في نَيلِ مَكرُمةٍ، فكُنهُ
إنّ الصديقَ هو الذي يَرعاك، حيثُ تَغيب عنه

---

١ أخيف: مجدب مقفر.

فإذا كَشَفْتَ إخاءَه، أحمدتَ ما كَشَّفتَ منه
مِثْل الحُسام، إذا انْتَضاهُ أخُو الحَفيظة لم يَخُنْه
يَسْعى لما تَسْعى له كَرَماً، وإنْ لم تَسْتَعِنْه

•

وقال آخر:

خَيْرُ إخوانِكَ المُشارِكُ في المُرّ،
وأينَ الشَّريكُ في المُرّ أينا؟

الذي إنْ شَهدتَ زادَكَ في البِرّ؛
وإن غِبْتَ كان أُذْناً وعَيْنا

•

وقال آخر:

ومِنَ البَلاء أخٌ، جنايتُه عَلَقٌ بنا، ولغَيرِنا سَلَبُهْ

•

ولآخر:

إذا رأيتُ انحرافاً من أخي ثِقة،
ضاقتْ عليّ برُحْب الأرض أوطاني

فإن صددتُ بوَجْهي كَيْ أُكافِئَه،
فالعَينُ غَضْبى، وقَلْبي غيرُ غَضْبان

•

وكتب بعضهم الى محمد بن بشار :

مَن لم يُرِدْكَ ، فلا تُرِدْهُ ، لِتَكُنْ كَمَنْ لم تَستَفِدْهُ
باعِدْ أخاكَ لبُعْدِه ، وإذا دَنا شِبْراً فزِدْه
كم مِن أخٍ لك، يابنَ بَشّارٍ، وأمُّك لم تَلِدْه
وأخِي مُناسبةٍ يَسُوءُك ، غَيْبُه لم تَفتَقِدْه

فأجابه محمد بن بشار :

غَلِطَ الفتى في قوْله : مَن لم يُرِدْكَ ، فلا تُرِدْهُ
مَن يَأنَس الإخوانَ لم يَبْدَ العِتابَ ، ولم يُعِدْه
عاتِبْ أخاكَ ، إذا هَفا ، واعْطِف بِوُدِّك واستَعِدْه
وإذا أتاك بِعَيْبِه واشٍ ، فقُلْ لم تَعْتَمِدْه

معاتبة الصديق واستبقاء مودته

قالت الحكماء: مما يجب للصديق على الصديق الإغضاءُ عن زلاّته، والتجاوز عن سيئاته، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبَه بلا إكثار، فإن كثرة العتاب مَدْرجةٌ للقطيعة .

•

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: لا تقطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب .

•

وقال أبو الدّرداء : من لك بأخيك كلّه ؟

•

وقالوا : أيّ الرجال المُهذّب ؟

•

وقال بشار العقيلي :

إذا أنتَ لم تَشرب مِراراً على القَذَى،
ظَمِئتَ،وأيُّ النّاسِ تَصفو مَشارِبُه؟

•

وقالوا : معاتبة الأخ خير من فقده .

•

وقال الشاعر :

إذا ذهب العتاب ، فليس وُدّ ،
ويبقى الوُدُّ ما بقيَ العتابُ

•

ولمحمد بن أبان :

إذا أنا لم أصبِرْ على الذّنب مِن أخٍ ،
وكنتُ أجازيه ، فأين التفاضلُ ؟

إذا ما دهاني مِفصلٌ ، فقطعتُه
بَقيتُ وما لي للنُّهوض مَفاصل

ولكنْ أداويه فإن صَحّ سَرّني ؛
وإنْ هو أعيا كان فيه تحامُل

•

وقال الأحنف : من حق الصديق أن يَتحمل ثلاثاً : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة .

•

لعبد الله بن معاوية :

ولستُ ببَادِي صاحِبي بقَطيعة ؛
ولستُ بمُفْشٍ سِرّه حين يَغضبُ

عَليك بإخوان الثّقات ، فإنهم
قليلٌ ، فَصِلْهم دون مَن كنت تصْحَبُ

وما الخِدْن إلا مَن صَفا لكَ وُدّه ،
ومَن هو ذو نُصْح ، وأنت مُغَيَّب

ومما يستجلب الاخاء والمودة

ولين الكلمة

قال عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : مَن لانت كلمته وَجَبت محبّتُه . وأنشد :

كيفَ أصبحتَ ، كيف أمسيتَ مما
يُنبِتِ الوُدّ في فؤاد الكريمِ

•

وعلى الصديق ألاّ يلقى صديقه إلاّ بما يُحبّ ، ولا يُؤذي جليسَه فيما هو عنه بمَعْزِلٍ ، ولا يأتي ما يَعيب مثلَه ، ولا يَعيب ما يأتي شكلَه . وقد قال المتوكّل اللّيثي :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله ،
عارٌ عليك ، إذا فعلتَ ، عظيمُ

•

وقال عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه : ثلاث تُثبت لك الوُدّ في صَدرِ أخيك : أن تَبداه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحبّ الأسماء اليه .

وقال : ليس شيءٌ أبلغَ في خيرٍ ولا شرٍّ من صاحب .

•

وقال الشاعر :

إن كنتَ تبغي الأمرَ ، أو أصلَه،
وشاهداً يُخبِر عن غائبِ

فاعتَبِرِ الأرضَ بأشباهها؛
واعتَبِرِ الصّاحبَ بالصّاحبِ

•

لعَديّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسَل عن قرينه،
فكُلُّ قرينٍ بالمُقارِن يَقتَدي

•

ولعمرو بن جميل التّغلبي :

سأصْبر من صديقي ، إنْ جَفاني،
على كلّ الأذى ، إلاّ الهَوانا

فإنّ الحُرّ يأنَفُ في خَلاه،
وإن حَضرَ الجماعةَ ، أن يُهانا

•

وقال رجلٌ لمُطيع بن إياس : جئتُك خاطباً مودّتك ؛

قال : قد زوَّجتُكَها على شرط أن تجعل صَداقها أن لا تسمع فيَّ مقالَ الناس .

•

ويقال في المثل : مَن لم يزدرِد الرِّيق لم يستكثر من الصديق .

•

وما أحسنَ ما قال إبراهيم بن العبّاس :

يا صديقي ، الذي بذَلْتُ له الوُدَّ ، وأنزلتُه على أحشائي
إنَّ عَيناً أقذيْتَها لتَراعيك ، على ما بها من الإقذاء
ما بها حاجةٌ إليك ، ولكنْ هي معقودةٌ بحَبْل الوَفاءِ

•

ولابن أبي حازم :

إرضَ من المرءِ، في مودَّته ، بما يُؤدِّي إليك ظاهرُه
مَن يَكشف الناس لا يرى أحداً تَصِحّ منه له سَرائرُه
توشك أن لا تُتِمَّ وَصْلَ أخٍ ، في كلّ زلاّته تُنافرُه
إنْ ساءني صاحبي احتملتُ ،وإن سرّ ، فإني أخوه شاكرُه
أصفح عن ذنبه ، وإن طَلَب العُذرَ ، فإني عليه عاذرُه

•

ولغيره :

لعَمري لئن أبطأتُ عنكَ ، فلم أزل
لأحداث دهرٍ ، لا يزال يَعُوقُ

لقد أصبحتْ نفسي عليك شفيقةً ،
ومِثلي على أهل الوفاء شفيقُ

أسَرُّ بما فيه سُرورك ، إنني
جديرٌ بمكنون الاخاء حَقيقُ

عَدوٌّ لمن عاديتَ ، سِلْمٌ مُسالِمٌ
لكلّ امرئٍ يَهْوى هواكَ صَديقُ

•

ولأبي عبد الله بن عُرْفة :

هُمومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ ،
وهَمّي من الدُّنيا صديقٌ مُساعِدُ

يكون كروحٍ بين جِسْمين قُسِّما ،
فجِسْماهما جِسْمان ، والرُّوحُ واحِدُ

•

قال بعض الحكماء :

الاخاء جَوهرة رقيقة ، وهي ما لم تُوَقّها وتَحْرُسها معرَّضة للآفات ، فرُض الاخاء بالحدّ له حتى تَصل الى قُربه ،

وبالكظم حتى يَعتـذر إليك من ظلـمـك ، وبالرّضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير .

•

لمحمود الورّاق :

لا بِرٌ أعظمُ من مُساعدةٍ ، فاشكُر أخاك على مُساعَدتِهْ
واذا هفا ، فأقِلْه هَفوَته ، حتى يَعودَ أخاً كعادتِه
فالصّفح عن زلَل الصديق، وإن أعياك ، خيرٌ من مُعاندتـه

•

لعبد الصمد بن المُعذّل :

مَن لم يُرِدْك ، ولم تُرِدهُ ، لم يَستَفِدْك ، ولم تُفِدهُ
قرّبْ صَديقَك ما نأى ، وزِدِ التقارُبَ واستزِدْه
وإذا وَهَتْ أركانُ ودٍّ مِن أخي ثِقَةٍ ، فشُدّه

•

فضل الصداقة على القرابة

قيل لبُزرجمهر : مَن أحبُّ اليك : أخوك أم صديقك ؟ فقال : ما أُحِبُّ أخي ، إلا إذا كان لي صديقاً .

•

وقال أكثم بن صَيفي : القرابة تحتاج الى مَودّة ، والمودّة لا تحتاج الى قرابة .

•

وقال عبد الله بن عبّاس : القرابة تُقطع ، والمعروف يُكفَر ، وما رأيتُ كتقارب القلوب .

•

وقالوا : إيّاكم ومَن تكرهه قلوبُكم ، فإن القلوب تُجازي القلوب .

•

وقال عبد الله بن طاهر الخراساني :

أميل مع الذّمام على ابن أمّي ، وأحمِل للصديق على الشّقيقِ
وإن ألفيتَني مَلِكاً مُطاعاً ، فإنك واجدي عبدَ الصّديق
أفرّق بين معروفي ومَنّي ؛ وأجمع بين مالي والحُقوق

•

وقال حبيب الطائي :

ولقد سَبرتُ الناس ثم خَبرتُهم، ووصفت ما وصفوا من الأسبابِ

فإذا القرابةُ لا تُقرِّب قاطعاً؛ وإذا المودّة أقرب الأنساب

•

وللمبرّد :

ما القُرْبُ إلا لمن صحّت مَوَدّته،
ولم يَخُنْكَ ، وليس القُرْبُ للنسَبِ

كم من قريبٍ دَويّ الصدْر مُضْطَغِنٍ،
ومن بَعيدٍ سَليمٍ غيرِ مُقترب[1]

•

وقالت الحكماء : رُبّ أخ لك لم تَلِده أمُّك .

•

وقالوا : القريبُ من قَرُب نفعه .

•

وقالوا : رُبّ بعيدٍ أقرب من قريب .

•

وقال آخر :

رُبّ بعيدٍ ناصحِ الجَيْبِ ، وابنِ أبٍ مُتّهمِ الغَيْبِ[2]

•

---

١ الدوي : الفاسد . المضطغن : الحقود .

٢ ناصح الجيب : أمين .

وقال آخر :

أخو ثقة يُسَرّ ببعض شاني، وإن لم تُدْنِهِ مني قَرَابَهْ
أحَبُّ إليّ من ألفَيْ قريب، تَبيتُ صدورهم لي مُسْترابه

•

وقال آخر :

فَصِلْ حِبالَ البعيد، إنْ وصلَ الحَبْلَ،
وأقْصِ القريبَ، إنْ قَطَعَهْ

قد يجمع المالَ غيرُ آكِلِهِ،
ويأكُلُ المالَ غيرُ من جَمَعَه

فارْضَ من الدهر ما أتاك به،
من قَرّ عيناً بعَيْشِهِ نَفَعَه

•

وقال :

لكلّ شيء من الهموم سَعَهْ،
والليلُ والصُّبح لا بقاءَ معَهْ

لا تَحْقِرَنّ الفقيرَ عَلَّكَ أن
تركع يوماً، والدّهرُ قد رَفَعَه

•

وقال ابن هَرْمة :

لله درُّكَ من فتىً ، فَجعتْ بـه ،
يومَ البَقيـع ، حوادِثُ الأيـامِ

هشٌّ ، إذا نَزَلَ الوُفـودُ ببابـه ؛
سَهْلُ الحِجَـابِ ، مُؤدّبُ الخُدّامِ

وإذا رأيتَ صديقَـه وشقيقَـه ،
لم تَـدْرِ أيّهمـا أخـو الأرحـامِ

التحبب الى الناس

في الحديث المرفوع : أحبُّ الناس الى الله أكثرهم تحبُّباً الى الناس .

وفيه ايضاً : إذا أحبَّ اللهُ عبداً حبَّبه الى الناس .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

وجهٌ عليه من الحَياء سَكينةٌ ، ومحبّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحبَّ الله يوماً عبدَه ، ألقى عليه محبَّةً للنّاس

•

وكتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إلى سعد بن أبي وقاص : إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه الى خَلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك .

•

وقال أبو دُهمان لسعيد بن مسلم ، ووقف الى بابه فحجَبه حيناً ، ثم أذن له ، فمثل بين يديه وقال : انَّ هذا الأمر الذي صار اليك وفي يديك ، قد كان في يدي غيرك ، فأمسى والله حديثاً ، إنْ خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ ، فتحبَّب إلى عباد الله بحسن البِشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فإنَّ حُبَّ عبادِ الله مَوصولٌ بحُب الله ، وبغضَهم مَوصول

ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه، ورقباؤه على من اعوجّ عن سبيله .

•

وقال الجارود : سوء الخُلق يُفسِد العمل ، كما يُفسد الخلُّ العسلَ .

•

وقيل لمعاوية : من أحبُّ الناس اليك ؟

قال : من كانت له عندي يدٌ صالحة .

قيل له : ثم من ؟

قال : من كانت لي عنده يدٌ صالحة .

•

وقال محمد بن يزيد النحوي : أتيتُ الخليلَ فوجدته جالساً على طُنفسة صَغيرة ، فوسّع لي وكرهت ان أُضيّق عليه ، فانقبضت ، فأخذ بعضُدي وقرّبني إلى نفسه ، وقال : إنه لا يضيق سَمُّ الخياط بمتحابّين ، ولا تسع الدنيا مُتباغضَين .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

صِل من هَويتَ، وإن أبدى مُعاتبةً،
فأطيبُ العَيْش وَصْلٌ بين إلفينِ

واقطَعْ حَبائل خِدْنٍ لا تُلائمه،
فربّما ضاقتِ الدُّنيا بإثنينِ

صفة المحبة

أبو بكر الورّاق قال : سأل المأمونُ عبدَ الله بن طاهر ، ذا الرّياستين ، عن الحبّ ما هو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا تقادحتْ جواهر النفوس المتقاطعة ، بوصل المُشاكلة ، انبعثت منها لمحة نور تستضيء بها بواطنُ الأعضاء ، فتحرّك لإشراقها طبائع الحياة ، فيتصوّر من ذلك خَلْق حاضر للنّفس ، مُتّصل بخواطرِها ، يسمّى الحب .

•

وسُئل حمّاد الراوية عن الحب ، فقال : شجرة أصلُها الفِكر ، وعُروقها الذّكر ، وأغصانُها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتُها المنيّة .

•

وقال مُعاذ بن سَهْل : الحبُّ أصعبُ ما رُكّب ، وأسكر ما شُرب ، وأفظع ما لُقِي ، وأحلى ما اشتُهي ، وأوجع ما بَطَن ، وأشهى ما عَلَن ، وهو كما قال الشاعر :

وللحُبِّ آياتٌ ، اذا هي صرّحت ،
تبدّت علاماتٌ لها غُررٌ صُفرُ .

فباطِنُهُ سُقمٌ، وظاهِرُهُ جَوًى،
وأوَّلُه ذِكْرٌ، وآخِرُهُ فِكْرُ

•

وقالوا: لا يكن حُبّك كَلَفاً، ولا بغضُك سَرَفاً.

•

وقال بشّار العُقَيلي:

هل تعلمينَ وراء الحُبِّ منزلةً
تُدني اليكِ، فإنّ الحبَّ أقصاني

•

وقال غيره:

أُحِبّك حُبّاً، لو تُحِبّينَ مِثلَه
أصابكِ، من وَجْدٍ عليَّ، جُنونُ

لطيفاً مع الأحشاء، أمّا نهارُه
فدمعٌ، وأما لَيلُه فأنِينُ

مواصلتك لمن كان يواصل أباك

من حديث ابن أبي شَيبة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا تقطع مَن كان يواصلُ أباك تُطفىء بذلك نورَه ، فإنّ وُدَّك وُدُّ أبيك .

•

وقال عبدُ الله بن مَسعود : مِن بِرّ الحيّ بالميّت أن يصِل مَن كان يصلُ أباه .

•

وقال أبو بكر : الحبُّ والبغضُ يُتوارثان .

•

ومن أمثالهم في هذا المعنى : لا تقتنِ مِن كلب سَوءٍ جِرواً .

•

وقال الشاعر :

ترجو الوليدَ ، وقد أعياك والدُه ،
وما رَجاؤك ، بعد الوالدِ ، الولدا !

•

واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميمُ بن مُرّ ، وبكر

ابن وائـل ، فوقعت بينهما مُنازعة ومُفاخرة ، فقالا : ايها الملك ، أعطِنا سَيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم أيُّنا أجلد. فأمر الملك فنُحِتَ لهما سيفان من عُودين ، فأعطاهمـا إياهما ، فجعلا يَضطربان مَلِيّاً من النهار ، فقال بكرُ بن وائل :

لو كانَ سيفانا حديداً قَطَعا

فقال تميم بن مُرّ :

أو نُحِتا من جَنْدلٍ تَصَدَّعا[1]

وحالَ الملكُ بينهما ، فقال تميم بن مُرّ لبكر بن وائل :

أساجلك العَداوةَ ما بَقِينا

فقال له بكر :

وإن مِتْنـا نُوَرِّثها البنينـا

فيقال إنَّ عداوة بكر وتميم من أجل ذلك الى اليوم .

•

أبو زيد : قال أبو عُبيـدة : بُني دُكان بسِجِستان بَنَتْه بكر بن وائـل ، فهَدَّمته تميم ، ثم بنته تميم فهدَّمتـه بكر ، فتواقعوا في ذلك أربعاً وعشرين وقعة . فقال ابن حِلّزة اليَشكُري في ذلك :

---

[1] الجندل : الصخر . تصدعا : تشققا .

قرِّبي ، يا خَليُّ ، ويحكَ دِرعي ،
لقِحَتْ حَرْبُنا وحربُ تَميمِ

إخوةٌ قرّشوا الذُّنوب علينا ،
في حديثٍ من دَهرِهم وقديمِ[1]

طلبوا صُلحنا ، ولاتَ أوانٍ ،
إنّ ما يَطلبون فوقَ النُّجومِ

•

---

١ قرشوا الذنوب : جمعوها من هاهنا وهاهنا .

الحسد

قال عليّ ، رضي الله عنه : لا راحةَ لحسود ، ولا إخاء لملول ، ولا مُحِبَّ لسيّء الخُلق .

•

وقال الحسن : ما رأيتُ ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسِد ، نفَس دائم ، وحزن لازم ، وغمّ لا يَنفد .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : كاد الحسد يَغلِب القَدَر .

•

وقال معاوية : كلُّ الناس أقدِرُ أرضيهم ، إلاّ حاسدَ نعمة ، فإنه لا يُرضيه إلاّ زوالُها .

•

وقال الشاعر :

كلُّ العَداوة قد تُرجى إماتَتُها ،
إلاّ عداوةَ مَن عاداكَ من حسَدِ

•

وقال عبدُ الله بن مسعود : لا تُعادوا نِعَم الله .

قيل له : ومن يُعادي نِعَم الله ؟

قال : الذين يحسدون النـاس على ما آتاهم الله من فضله .

يقول الله في بعض الكتب : الحسود عدوٌّ نعمتي ، مُتَسَخِّطٌ لقضائي ، غيرُ راضٍ بقِسْمتي .

•

ويقال : الحسد أوّلُ ذنب عُصي الله به في السماء ، وأوّل ذنبٍ عُصي الله به في الأرض ؛ فأمّا في السماء فحسد إبليسَ لآدمَ ، وأمّا في الأرض فحسد قابيل لهابيل .

•

وقال بعض أهل التفسير ، في قوله تعالى : ربّنا أرِنا اللّذَين أضَلاّنا من الجنّ والإنسِ نَجْعَلْهما تحتَ أقدامِنا لِيكونا من الأسفَلِين . إنه أراد بالذي من الجن إبليس ، والذي من الإنس قابيل ، وذلك أن إبليس أوّلُ من سنّ الكفر ، وقابيلَ أوّل من سنّ القتل ؛ وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

•

ولأبي العتاهية :

فيا ربّ ! إنّ الناس لا يُنصفونني ؛
وكيف ولو أنصفتُهم ظلموني

وإنْ كان لي شيءٌ تصدّوا لأخذه ؛
وإن جئتُ أبغي سَيْبَهم مَنعوني[1]

---

١ السيب : العطاء .

وإن نالهم بَذْلي ، فلا شُكرَ عندهم ؛
وإن أنا لم أبذُل لهم شتموني

وإنْ طرَقتْني نِقمةٌ فرِحُوا بها ؛
وإن صَحِبتني نعمةٌ حَسَدوني

سأمنع قلبي أن يحِنَّ إليهمُ ؛
واحجُب عنهم ناظِري وجُفوني

•

أبو عُبيدة مَعمر بن المُثنّى قال : مرّ قيس بن زُهير ببلاد غطفان ، فرأى ثروةً وعدداً ، فكرِه ذلك ؛ فقيل له : أيسوءُك ما يسرُّ الناس ؟ قال : إنك لا تدري أنّ مع النعمة والثروة التحاسدَ والتخاذل ، وأنّ مع القلة التحاشُدَ والتناصُر .

•

وكان يقال : ما أثرى قومٌ قطُّ إلا تحاسدوا وتخاذلوا .

•

وقال بعض الحكماء : ألزمُ الناس للكآبة أربعةٌ : رجل حديد ، ورجل حَسود ، وخليط الأدباء ، وهو غيرُ أديب ، وحكيم مُحقَّر لدى الأقوام .

•

عليّ بن بشر المَرْوزيّ قال : كتب اليّ ابنُ المبارك هذه الأبيات :

كلُّ العَدَاوةِ قد تُرْجَى إماتَتُها،
إلاّ عَداوةَ مَنْ عاداكَ من حَسَدِ

فإنّ في القَلْبِ منها عُقْدَةً عُقِدَتْ،
وليس يَفتَحُها راقٍ إلى الأبَدِ

إلاّ الإلهَ ، فإن يَرْحم تُحَلّ به ،
وإنْ أباه فلا تَرْجُوه من أحد

•

سُئِلَ بعضُ الحكماء: أيّ أعْدائك لا تُحِبّ أن يَعود لك صديقاً؟ قال: الحاسد الذي لا يَرُدُّه إلى مودتي إلا زوال نعمتي.

•

وقال سليمان التَّيْمي: الحسد يُضعف اليقين، ويُسهر العَين، ويُكثر الهمّ.

•

الأحنف بن قيس صلى على حارثة بن قدامة السعدي، فقال: رحمك الله، كنت لا تَحْسُدُ غنياً ولا تحْقِر فقيراً.

•

وكان يقال: لا يوجد الحُرُّ حريصاً، ولا الكريم حسوداً.

•

وقال بعض الحكماء: أجهدُ البلاء أن تَظهَر الخَلّة، وتطول المدة، وتَعجز الحيلة، ثمّ لا تعدم صديقاً مُوَلِّياً، وابن عمّ

شامتاً ، وجاراً حاسداً ، ووليّاً قد تحوّل عدوّاً ، وزوجة مُختلعة[1] ، وجارية مُستَبيعة[2] ، وعبداً يحقِرك ، وولداً ينتهرك ، فانظر أين موضع جهدك في الهرب .

•

لرجل من قريش :

حَسَدُوا النّعمةَ لمّا ظهرت ، فرَمَوْها بأباطيلِ الكَلِمْ
وإذا ما اللهُ أسدَى نِعْمَةً ، لم يَضِرْها قولُ أعداءِ النّعَمْ

•

وقيل : إذا سرّكَ أن تسلم من الحاسد فعمِّ عليه أمرَك .

•

وكانت عائشة ، رضي الله عنها ، تتمثل بهذين البيتين :

إذا ما الدهرُ جرّ على أناس حوادثَه ، أناخَ بآخرينا
فقُلْ للشّامتين بنا أفيقوا ، سيَلْقى الشامِتُون كما لَقِينا

•

ولبعضهم :

إيّاك والحسدَ ، الذي هو آفةٌ ، فتوَقّهُ وتوَقّ غَيرة مَن حسد
إنّ الحسود ، إذا أراكَ مودّةً بالقول ، فهو لكَ العدُوُّ المجتهد

•

---

١ المختلعة : التي تطلب الخلع والطلاق من زوجها .
٢ المستبيعة : التي تطلب أن تباع لتخرج من ملك سيدها .

الليث بن سعد قال : بلغني أن ابليس لقي نوحاً ، صلى الله عليه وسلم، فقال له إبليس: اتّق الحسد والشُّحّ، فإني حَسدت آدم فخرجتُ من الجنة ، وشحّ آدم على شجرة واحدة مُنِع منها حتى خرج من الجنة .

•

وقال الحسن : أُصول الشر ثلاثة وفروعه ستة ، فالأصول الثلاثة : الحسد ، والحِرص ، وحبُّ الدنيا . والفروع الستة : حُبُّ النوم ، وحبُّ الشِّبَع ، وحبُّ الراحة ، وحُبُّ الرئاسة ، وحبُّ الثناء ، وحبُّ الفخر .

•

وقال الحسن : يحسُدُ أحدُهم أخاه حتى يَقع في سريرته وما يَعرف علانيته ، ويلومه على ما لا يَعلمه منه، ويتعلم منه في الصّداقة ما يُعيِّره به إذا كانت العداوة ، واللهِ ما أرى هذا بمُسلِم .

•

ابن أبي الدُّنيا قال: بلغني عن عمر بن ذر[1] أنه قال: اللهم من أرادنا بشرّ فاكفناه بأيّ حكميك شئت ، إمّا بتوبة وإما براحة . قال ابنُ عبّاس : ما حسدتُ أحداً ما حَسدتُ على هاتين الكلمتين .

•

---

[1] عمر بن ذر : قاض فقيه .

وقال ابن عباس: لا تحقِرنّ كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر، فإنما مَثَلُه كما قال الأول: رُبّ رَمْيَة من غير رامٍ.

•

وقال بعض الحكماء: ما أحق للإيمان ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله، باغٍ على عباده، عاتٍ على ربّه، يَعتدّ نِعَمَ الله نِقَماً، ومزيدَه غِيَراً، وعدلَ قضائه حَيْفاً، للناس حالٌ وله حال، ليس يهدأ ليله، ولا ينام جَشعُه، ولا ينفعه عيشه، مُحتقِرٌ لِنعم الله عليه، متسخّط ما جرت به أقداره، لا يَبرد غليله، ولا تؤمَن غوائله؛ إن سالمته وتَرَك[1]؛ وإن واصلته قطَعك؛ وإن صَرَمْته سبقك[2].

•

ذُكِر حاسدٌ عند بعض الحكماء فقال: يا عجباً لرجل أسلكه الشيطان مهاوي الضلالة، وأورده قُحَم الهلكة، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد، إن نالها من أحبّ من عِباده أشعر قلبه الأسف على ما لم يُقدر له، وأغاره الكلَف بما لم يكن لِيناله.

•

---

[1] وترك: أصابك بمكروه.
[2] سبقك الى الصرم، القطع.

أنشدني فتىً بالرَّملة[1] :

اصبرْ على حَسَدِ الحسود ، فإنَّ صَبرَكَ قاتلُه
النارُ تأكل بعضَها ، إن لم تَجدْ ما تأكله

•

وقال عبدُ الملك بن مَروان للحجّاج : إنه ليس من أحد إلاّ وهو يعرف عَيب نفسه ، فصِفْ لي عيوبك .

قال : أعفِني يا أمير المؤمنين .

قال : لستُ أفعل .

قال : أنا لَجُوج لدُود حَقُود حسود .

قال : ما في إبليس شرٌّ من هذا .

•

وقال المنصور لسُليمان بن مُعاوية المُهلّبي: ما أسرعَ الناسَ الى قومك[2] ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إنَّ العَرانين تلقاها مُحسَّدةً ،
ولن ترى للئام الناس حُسّادا[3]

•

---

١ بالرملة : اي بقرطبة .
٢ يريد ما أسرعهم بالذم .
٣ العرانين : السادة الأشراف ، الواحد عرنين

وأنشد ابو موسى لنَصر بن سيّار :

إني نشأتُ ، وحُسّادي ذوو عَدَدٍ ،
يا ذا المعارج لا تنقُص لهم عَدداً[1]

إنْ يَحسُدوني على حُسن البَلاء بهم ،
فمِثلُ حُسن بَلائي جرّ لي حَسدا

●

وقال آخر :

إن يَحْسُدوني ، فإني غير لائمهم ،
قبْلي من الناس أهلُ الفضلِ قد حُسِدوا

فَدام لي ولهم ما بي وما بهمُ ،
ومات أكثرُنا غَيظاً بما يَجِدُ

●

وقال آخر :

إنّ الغراب ، وكان يمشي مِشْيةً ، فيما مضى من سالف الأحْوالِ[2]
حسَدَ القطاة ، فرام يمشي مَشيها ، فأصابَه ضَرْبٌ من العُقّالِ[3]

---

١ المعارج ، واحدها المعرج والمعراج : السلم ، المصعد ، واراد بها معارج السماء ، وذو المعارج : الله تعالى .
٢ الاحوال : السنين ، واحدها حول .
٣ العقال : داء يأخذ الدواب في ارجلها .

فأضلَّ مِشْيَتَه وأخطأ مَشْيَها، فلذاك كَنَّوه أبا مِرْقال[1]

•

وقال حبيب الطائي :

وإذا أراد الله نَشر فضيلةٍ طُوِيت، أتاح لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت، ما كان يُعرف طيبُ عَرف العود

•

وقال محمد بن مناذر :

يأيها العائبي، وما بيَ من عَيبٍ، ألا ترْعوي وتزْدجِرُ؟
هلْ لك عندي وِترٌ فتطلبَه، أم أنت مما أتيتَ مُعتذِرُ؟
إن يكُ قَسْمُ الإله فضّلني، وأنتَ صلدٌ ما فيك مُعتصرُ
فالحمدُ والشكر والثناء له، وللحَسود التراب والحجَرُ
فما الذي يجتني جَليسك، أو يَبدو له منك حين يختبر؟
اقرأ لنا سُورة تُذكّرنا، فإنّ خَير المواعظ السُّوَر
أو صِف لنا الحُكم في فرائضنا، ما تَستحِقُّ الأنثى أو الذكر
أو اروِ فِقهاً تحيي القلوب به، جاء به عن نبيّنا الأثر

---

١ مرقال، من ارقل : اسرع، وربما سمي الغراب هكذا سخراً به.

أو من أعاجيب جاهليّتنا ، فإنها حِكمةٌ ومختبر
أو ارو عن فارسٍ لنا مثلاً ، فإنّ أمثالها لنا عِبر
فإن تكن قد جَهِلت ذاك وذا ، ففيك للناظرين مُعتبر
فغنّ صوتاً تُشجي النفوس به ، وبعضُ ما قد أتيتَ يُغتفر

•

الأصمعي قال : كان رجلٌ من أهل البصرة بذيئاً شِرّيراً ، يُؤذي جيرانه ويَشتم اعراضهم ، فأتاه رجلٌ فوعظه ، فقال له: ما بالُ جيرانك يَشكونك ؟

قال : انهم يحسدونني .

قال له : على أي شيء يحسدونك ؟

قال : على الصلب .

قال : وكيف ذاك ؟

قال : أقبل معي .

فأقبل معه الى جيرانه ، فقعد متحازناً ، فقالوا له : ما لك؟

قال : طرق الليلةَ كتابُ معاوية أن أصلب أنا ومالك بن المنذر وفلان وفلان ، فذكر رجالاً من أشراف أهل البصرة ، فوثبوا عليه ، وقالوا : يا عدوّ الله ، أنت تُصاب مع هؤلاء ولا

كرامة لك! فالتفت إلى الرجل فقال: أما تراهم قد حسدوني على الصلب، فكيف لو كان خيراً!

•

وقيل لأبي عاصم النبيل: إن يحيى بن سعيد يحسدك وربما قرضك[1]؛ فأنشأ يقول:

فلستَ بحيٍّ ولا ميّتٍ، إذا لم تُعادَ ولم تُحسَدِ

•

---

[1] قرضك: ذمك.

ابناء النور

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ ابناء النور ١
٧ ابناء النور ٢

٢٠٠ غ.ل.

V. 2 (no. 7)

العقد الفريد
٧

ابناء النور

٢

مكتبة صادر
بيروت

ابناء النور

٢

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - واخبار الخ . الخ . . . .

•

ابناء النور

هو كتاب الياقوتة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٧

ابناء النور

٢

مكتبة صادر
بيروت

Near East

PJ
7745
.I15
.I5
v.2
c.1

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٦١ – ١٩٥١

محاسدة الاقارب

كتب عُمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، الى أبي موسى الأشعريّ : مُرْ ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

•

وقال أكثم بن صيفي: تباعدوا في الدار تقاربوا في المودة .

•

وقالوا : أزهدُ الناس في عالمٍ أهله .

•

فرَج بن سلاّم قال : وقف أُميّة بن الأسكر على ابن عمّ له فقال :

نَشَدْتُك بالبَيْت، الذي طافَ حولَه
رجالٌ بَنَوه من لُؤيّ بن غالبِ

فإنك قد جرّبتني ، فوجدتني
أعينك في الجُلّى وأكفيك جانبي

وإن دبّ من قومي إليك ، عداوةً،
عقاربُهم ، دبّتْ إليهم عَقاربي

قال : أكذلك أنت ؟

قال : نعم .

قال : فما بالُ مِنْبركَ[1] لا يزال اليَّ دسيساً ؟

قال : لا أعود .

قال : قد رضيت ، وعفا الله عما سلف .

•

وقال يحيى بن سعيد : من أراد أن يَبين عمله ، ويَظهر علمه ، فليَجْلس في غير مجْلس رَهْطه .

•

وقالوا : الاقارب هم العقارب .

•

وقيل لعطاء بن مُصعب : كيف غلبتَ على البرامكة ، وكان عندهم من هو آدبُ منك ؟

قال : كنت بعيدَ الدار منهم ، غريبَ الاسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الالتواء ، فقرّبني اليهم تبعُّدي منهم ، ورغّبهم فيّ رَغبتي عنهم ، وليس للقُرباء طَرافة الغرباء .

•

وقال رجلٌ لخالد بن صَفْوان : إني أحبُّك ؛ قال : وما

---

١ المنبر : النميمة والافساد .

يَمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم؟ يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى .

•

الشّيباني قال : خرج أبو العبّاس أميرُ المؤمنين مُتنزّهاً بالأنبار فأمعن في نزهته وانتبذ من أصحابه ، فوافى خِباءً لأعرابيّ ، فقال له الأعرابيّ : ممن الرجل ؟

قال : من كِنانة .

قال : من أي كنانة ؟

قال : من أبغض كنانة الى كنانة .

قال : فأنت إذاً من قريش .

قال : نعم .

قال : فمن أي قريش ؟

قال : من أبغض قريش الى قريش .

قال : فانت إذاً من ولد عبد المطلب .

قال : نعم .

قال : فمن أيّ ولد عبد المطلب أنت ؟

قال : من أبغض ولد عبد المطلب الى ولد عبد المطلب .

قال : فأنت إذاً أميرُ المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته .

فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة .

•

وقال ذو الاصبع العَدْواني :

لِيَ ابنُ عمٍّ ، على ما كان من خُلُقٍ ،
مُحاسِدٌ لي فأقليه ويَقْلِيني

أزرى بنا أننا شالت نعامتُنا ،
فخالني دُونه ، أو خِلْتُه دوني

يا عمرو إلاّ تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصتي ،
أضربْكَ حتى تقول الهامةُ اسقوني

ماذا عَليّ ، وإن كنتم ذَوي رَحمِي ،
أن لا أحبَّكمُ إنْ لم تُحبُّوني ؟

لا أسألُ الناس عما في ضمائرهم ،
ما في ضَميري لهم من ذاك يكفيني

•

وقال آخر :

مَهلاً بني عمّنا مَهلاً مَوالينا
لا تَنبُشوا بيننا ما كان مَدفونا

لا تَطمعوا أن تُهينونا ونُكرمكم ،
وأن نَكُفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

اللهُ يَعلمُ أنّا لا نحبُّكمُ،
ولا نَلومكُمُ إنْ لم تُحِبُّونا

•

وقال آخر:

ولقد سَبرتُ الناسَ ثم خَبرتُهم،
ووصفتُ ما وصفوا من الأسبابِ

فإذا القرابةُ لا تُقرِّبُ قاطعاً،
وإذا المودّةُ أقربُ الأنسابِ

•

المشاكلة ومعرفة الرجل لصاحبه

قالوا : أقربُ القرابة المُشاكلة . وقالوا: الصاحب المُناسب.

•

وقال حبيب :

وقُلتُ أخي، قالوا أخٌ من قرابة؟ فقلتُ لهم إنّ الشُكول أقارب[١]

وقال أيضاً :

ذو الودّ منّي وذو القُربى بمنزلةٍ،
وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني

عِصابةٌ جاوَرَتْ آدابُهم أدَبي،
فَهُمْ، وإن فُرّقوا في الارض، جيراني

وقال أيضاً :

إن نَفْتَرِقْ نَسباً يُؤلّفْ بيننا أدبٌ ، أقمناه مُقامَ الوالدِ
أو نَختلف، فالوصلُ منّا ماؤه عَذْبٌ تَحدّرَ من غمامٍ واحد

•

---

١ الشكول ، واحدها شكل : ما يوافقك ويصلح لك .

وقال آخر :

إنّ النفوسَ لأجنادٌ مُجنّدةٌ،
بالإذْنِ من رَبّنا تَجْري وتَختَلفُ[1]

فما تَعارفَ منها ، فهو مُؤتلِفٌ،
وما تناكر منها ، فهو مُختلف

•

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الأنفُس أجنادٌ مجنّدة، وإنها لتنشامّ[2] في الهوى كما تتشامّ الخيْل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف .

وقال صلى الله عليه وسلم: الصاحب رقعة في الثوب، فلينظر الانسان بمَ يَرقع ثوبه .

وقال عليه الصلاة والسلام : امتحنوا الناس بإخوانهم .

•

وقال الشاعر :

فاعتبِر الأرضَ بأشباهِها ؛ واعتبِر الصاحبَ بالصاحبِ

•

---

١ تختلف : تتردد .

٢ تنشام : تتعارف باختبار بعضها بعضاً .

وقيل : كلُّ إلْف الى إلفه يَنزِع[1].

•

وقال الشاعر :

والإلْف يَنْزِع نحو الآلِفين، كما	طيرُ السماء على ألاّفها تقَعُ

•

وقال امرؤ القيس :

أجارتَنا إنّا غريبان ها هنا،	وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

•

وقال آخر :

إذا كنتَ في قوم، فصاحِبْ خيارَهم،
ولا تصْحب الأرْدى، فتردى مع الرّدِي

عن المرْء لا تسأل وسَلْ عن قرينه،
فكلُّ قرينٍ بالمقارِن يقتـــدي

•

وقال آخر :

إصْحَبْ ذوِي الفضْل وأهْلَ الدّين،
فالمـرْءُ منسوبٌ إلى القـرينِ

•

---

[1] ينزع : يشتاق .

أيوب بن سليمان قال : حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم، قال: بينما سليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح، إذ مرّ بنسر واقع على قصر، فقال له: كم لك مذ وقعت ها هنا؟

قال : سبعمائة سنة .

قال : فمن بنى هذا القصر ؟

قال : لا أدري ، هكذا وجدتُه .

ثم نظر فإذا فيه كتاب مَنقور بأبيات من شعر وهي :

خَرَجْنا من قُرى اصطَخرٍ الى القصر ، فقِلْناه[١]
فمن يسألْ عن القَصْرِ ، فَمَبْنِيّاً وَجَدناه
فلا تَصْحب أخا السّوءِ ، وإيّاكَ وإياه
فكم من جاهلٍ أرْدَى حَكيماً ، حين آخاه
يقاسُ المرْءُ بالمرْءِ ، إذا ما المرْءُ ماشاه
وفي النّاس من الناس مقاييسٌ وأشباه
وفي العَيْن غِنىً للعَيْن أن تَنطِقَ أفواه

---

١ قلناه : تخذناه مقيلاً .

السعاية والبغي

قال الله تعالى ذِكره: «يا أيُّها النَّاسُ إنما بَغيُكم على أنفُسِكم.» وقال عزّ وجل: «ثمَّ بُغِيَ عليهِ ليَنصُرَنَّهُ الله.»

•

وقال الشاعر:

فلا تَسبق إلى أحدٍ ببَغيٍ ، فإنَّ البَغيَ مَصرعُه وَخيمُ

•

وقال العتَّابي:

بَغَيْتَ فلم تَقَع إلاّ صَريعاً، كذاكَ البَغيُ يَصرعُ كلَّ باغي

•

وقال المأمون يوماً لبعض وَلده: إياكَ وأن تُصغي لاستماع قول السُّعاة، فإنه ما سعى رجلٌ برجل إلا انحطَّ من قَدْرِه عندي ما لا يتلافاه أبداً.

ووقّع في رُقعةِ ساعٍ: سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين.

ووقّع في رقعة رجل سعى اليه ببعض عماله: قد سَمِعنا ما

ذكره الله ، عز وجل ، في كتابه ، فانصرف رحمك الله .

فكان إذا ذُكر عنده السُّعاة، قال: ما ظنُّكم بقوم يلعنهم الله على الصِّدق ؟

•

وسعى رجلٌ الى بلال بن أبي بُردة ، فقال له: انصرف حتى أكشِف عما ذكرت . ثم كشف عن ذلك فإذا هو لغير رِشْدة[1] ، فقال : أنا أبو عمرو وما كذبتُ ولا كُذِّبت .

•

حدثني أبي عن جدي أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال : الساعي لِغير رِشْدة .

•

وسأل رجلٌ عبدَ الملك الخَلوةَ ، فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيَّأ الرجل للكلام ، قال له : إيّاك أن تمدحني ، فأنا أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني ، فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعى إليَّ بأحد ، وإن شئتَ أقلتك ؛ قال : أقِلني .

•

---

١ الرشدة : ضد الزنية. يقال هذا ولد رشدة ، اذا كان لزواج صحيح .

ودخل رجلٌ على الوليد بن عبد الملك ، وهو والي دمشق لأبيه ، فقال : للأمير عندي نصيحة .

فقال : إن كانت لنا فاذكرها، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها .

قال : جارٌ لي عَصى وفَرّ مِنْ بَعثه .

قال : أما أنت فتُخبر أنك جارُ سوء، وإن شئتَ أرسلنا معك، فإن كنتَ صادقاً أقصيناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك. وإن شئتَ تاركناك .

قال : تارِكْني .

•

وفي سِيَر العجم : أن رجلاً وشى برجل الى الاسكندر ، فقال : أتحب أن نقبل منه عليك ومنك عليه؟ قال : لا؛ قال: فكُفَّ الشرَّ يُكَفَّ عنك الشرُّ .

•

وقال الشاعر :

إذا الواشي نَعى يوماً صَديقاً، فلا تَدَعِ الصديقَ لقَولِ واشي[1]

•

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شرٌّ من النميمة ، لأنّ

---

١ المراد : نعى الصداقة التي بينك وبينه .

النميمة دِلالة ، والقَبول إجازة ، وليس مَن دَلَّ على شيء كمن قبله وأجازه .

•

ذُكِر السُّعاة عند المأمون ، فقال رجلٌ ممن حَضر : لو لم يكن من عَيبهم إلا أنهم ، أصدقَ ما يكونون ، أبغضُ ما يكونون الى الله تعالى لكَفاهم .

•

وعاتب مُصعبُ بن الزبير الأحنفَ في شيء ، فأنكره ، فقال : أخبَرني الثقة ؛ قال : كلا ، إنّ الثقة لا يُبلّغ .

•

وقد جعل الله السامعَ شريكَ القائل ، فقال : « سمّاعون لِلكَذِبِ أكّالون للسُّحْتِ . »

•

وقيل : حَسبُك من شرٍّ سماعُه .

•

وقال الشاعر :

لَعمركَ ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ، ولكنّما سَبَّ الأميرَ المبَلّغُ

•

وقال آخر :

لا تَقبلنَّ نَميمةً بُلّغتَها ، وتحفّظَنَّ مِن الذي أنباكَها

إنّ الذي أنباك عنه نميمةً ، سَيَدِبُّ عنك بمثلها قد حاكها
لا تَنْقُشَنَّ برجلِ غيرك شوكةً ، فتقي برجلك رجل من قدشا كها[1]

وقال دعبل[2] :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا ، ونحن ، إلى أن نوصل الحبل ، أحوج
رأوا عَورة فاستقبلوها بألبهم ، فلم يَنْهِهم حِلمٌ ولم يَتحرَّجوا[3]
وكانوا أناساً كنتُ آمنُ غيبَهم ، فراحوا على ما لا نحبّ فأدلجوا[4]

---

١ تنقش : تستخرج ، والباء في قوله « برجل » بمعنى عن .
٢ هو دعبل الخزاعي شاعر عباسي .
٣ بألبهم : بجمعهم .
٤ ادلجوا : ساروا ليلا .

الغيبة

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: إذا قلتَ في الرجل ما فيه فقد اغتبْتَه، وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهتّه[1].

•

ومر محمدُ بن سِيرين بقوم، فقام اليه رجل منهم فقال: أبا بكر، إنا قد نِلنا منك فحَلّلنا؛ فقال: لا أُحِلّ لك ما حرّم الله عليك، فأما ما كان اليّ فهو لك.

•

وكان رقبة بن مَصْقلة جالساً مع أصحابه فذكروا رجلًا بشيء، فاطّلعَ ذلك الرجلُ، فقال بعض أصحابه: ألا أُخْبِره بما قلنا فيه لئلا تكون غيبة ؟

قال: أخبره حتى تكون نَميمة.

•

اغتاب رجل رجلًا عند قتيبة بن مسلم، فقال له قتيبة:

---

١ بهته: افتريت عليه الكذب.

أمسِكْ عليكَ أيها الرجل ، فوالله لقد تَلَمّظتَ[1] بمُضْغة طالما لفَظها الكِرام .

•

محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل الى ابن سيرين ، فقال : بلغني أنك نِلتَ مني ؛ قال : نفسي أعزُّ عليَّ من ذلك .

•

وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة : بلغني أنك تقع فيَّ[2] ؛ قال : أنت إذاً عليَّ أكرَم من نفسي .

•

ووقع رجل في طلحة والزبير عند سعد بن أبي وقاص ، فقال له : اسكت ، فإنّ الذي بيننا لم يَبلغ دينَنا .

•

وعاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف ، فقال له : قد استدللتُ على كثرة عيوبك بما تُكثر من عُيوب الناس ، لأن طالب العيوب إنما يَطلبها بقدر ما فيه منها ، أما سمعت قول الشاعر :

لا تَهتِكَنْ من مَساوي الناسِ ما سَتروا ،
فيَهتِكَ اللهُ سِتْراً مِن مَساويكا

---

١ تلمظ : تتبع بلسانه الماطلة ، بقية الطعام . وتلمظ بذكره : عابه .
٢ تقع في : تسبني وتعيبني وتغتابني .

واذكُرْ محاسِنَ ما فيهم، إذا ذُكِروا،
ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فيكا

•

وقال آخر :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه، عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظِيمُ
وابدأ بنفسك، فانهَها عن غيِّها، فإذا انتهتْ عنه، فأنتَ حكيم

•

وقال محمد بن السمّاك : تجنّب القول في أخيك لخلّتين ، أما واحدة ، فلعلك تَعيبه بشيء هو فيك؛ وأما الأخرى، فإن يكن الله عافاك مما ابتلاه به، كان شُكرك الله على العافية تعييراً لأخيك على البلاء .

•

وقيل لبعض الحكماء : فلانٌ يَعيبك ؛ قال : إنما يَقرض الدّرهمَ الوازنُ .

•

وقيل لبزُرْجُمِهر : هل تعلم أحداً لا عيب فيه ؟ قال : إن الذي لا عيب فيه لا يموت .

•

وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك أيوب السّختياني حتى رحمناك ؛ قال : إياه فارحموا .

•

وقال ابن عبّاس : اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به ، ودع منه ما تحب أن يَدع منك .

•

وقدم العلاء بن الحضرمي على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هل تروي من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدني ، فأنشده :

تَحَبَّبْ ذوي الأضغان تَسْبِ نُفوسَهم
تَحَبُّبَكَ القُربى ، فقد تُرْقَع النَّعَلْ

وإن دَحسوا بالكُرْه ، فاعفُ تكرُّماً ،
وإن غَيَّبوا عنك الحديثَ ، فلا تَسَلْ[1]

فإنّ الذي يُؤذيك منه سماعُه ،
وإنّ الذي قالوا وراءك لم يُقَل

فقال النبي ، عليه السلام : إن من الشعر لحِكمة .

•

وقال الحسن البصريّ : لا غِيبة في ثلاثة : فاسقٍ مُجاهر ، وإمام جائر ، وصاحب بِدعة لم يَدع بِدعته .

•

---

١ دحسوا : افسدوا .

وكتب الكسائيُّ الى الرَّقاشيّ :

تركتَ المسجدَ الجامعَ، والتَّركُ له ريبَهْ
فلا نافلةً تَقْضي ، ولا تقضي لِمكتوبَهْ
وأخبارُكَ تأتينا ، على الأعلامِ ، مَنْصوبه
فإنْ زِدْتَ من الغَيْبَة ، زِدْناك من الغِيبه[1]

●

[1] الغيبة بفتح الغين : الغياب . والغيبة بكسر الغين : الاغتياب .

مداراة أهل الشر

قال النبي ، عليه الصلاة والسلام : شَرُّ الناس من اتقاه الناسُ لشرّه .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا لقيت اللئيمَ فخالِفه ، وإذا لقيت الكريم فخالِطه .

•

وقال أبو الدّرداء : إنّا لَنَكْشِرُ في وجوه قوم وإنّ قلوبنا لتلعنهم .

•

وسئل شبيب بن شَيبة عن خالد بن صفوان ، فقال : ليس له صديق في السرّ ولا عدو في العلانية .

•

وقال الأحنف : ربّ رجلٍ لا تغيب فوائده وإن غابَ ، وآخرَ لا يسلم منه جليسه وإن احترس .

•

وقال كثير بن هَراسة : إنّ من الناس ناساً يَنقصونك إذا

•

زدتهم ، وتهون عندهم إذا خاصصتهم[1] ، ليس لرضاهم موضع تعرفه، ولا لسخطهم موضع تحذره، فإذا عرفت اولئك بأعيانهم فابذل لهم موضع المودة ، واحرمهم موضع الخاصة ، يكن ما بذلتَ لهم من المودة حائلاً دون شرّهم ، وما حرمتهم من الخاصة قاطعاً لحرمتهم .

•

وأنشد العتبي :

لي صديقٌ يَرَى حُقوقي عليه
نافلاتٍ ، وحقّه الدهرَ فَرْضا

لو قطعتُ البلادَ طولاً إليه،
ثم من بَعْد طولها سِرْتُ عَرْضا

لَرَأى ما فعلتُ غيرَ كثيرٍ،
واشتهى أن يَزيد في الأرْض أرضا

•

وفي هذه الطبقة من الناس يقول دِعبل الخزاعيّ :

أسقهِم السُمَّ إن ظفِرتَ بهم،
وامزُجْ لهم من لِسانك العَسَلا

•

---

١ خاصصتهم : جعلتهم من خاصتك .

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عِمْران في ابي الهذيل العلاّف :

إنّ الضَمير، إذا سألتُكَ حاجةً، لأبي الهُذيل خلافُ ما أبدي
فألِن له كَنَفاً لِيَحْسُنَ ظنُّه، في غَير مَنْفَعة ولا رِفد
حتى إذا طالت شَقاوةُ جَدّه وعَنَاؤه، فاجْبَهْه بالردّ

•

وقال صالح بن عبد القدّوس :

تَجنّب صَديق السّوء واصرِمْ حبالهُ،
وإن لم تَجِدْ عنه مَحيصاً، فَدارِهِ

ومَن يَطلب المَعروف من غير أهله
يَجِدْه وراءَ البحر أو في قراره

ولله في عَرْض السموات جَنّةٌ،
ولكنّها مَحْفوفة بالمَكاره

•

وقال آخر :

بَلاءٌ، ليس يُشْبِهه بَلاءٌ،
عَداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودينِ

يُبيحك منه عِرْضاً لم يَصُنْه،
ليرْتع منك في عِرْضٍ مَصون

•

عُرض على أبي مسلم صاحب الدعوة[1] فرسٌ جواد ، فقال لقواده : لماذا يَصلُح مثلُ هذا الفرس ؟

قالوا : إنّا نغزو عليه العدو .

قال: لا، ولكن يركبه الرجلُ فيهرب عليه من جار السوء.

•

---

١ هو ابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة لبني العباس .

ذم الزمان

قالت الحكماء : جُبل الناسُ على ذمّ زمانهم وقلة الرّضا عن أهل عصرهم ، فمنه قولهم : رضا الناس غايةٌ لا تُدرَك ؛ وقولهم : لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة ؛ وقولهم : الناس يُعيّرون ولا يَغفرون ، والله يغفر ولا يُعيّر .

•

وفي الحديث : لو أن المؤمن كالقِدح[1] المقوّم لقال الناس : ليت ولو .

•

وقال الشاعر :

مَن لابَسَ النّاس لم يَسْلَم من الناسِ ،
وضَرّسوه بأنيابٍ وأضراسِ

•

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت : رَحِمَ الله

---

١ القدح : السهم .

لبيداً كان يقول :

ذَهب الذين يُعاش في أكنافهم،
وبَقِيتُ في خَلَفٍ كجِلْدِ الأجْرَبِ

فكيف لو أبصر زماننا هذا ؟

قال عُروة : ونحن نقول : رَحِم الله عائشة ، فكيف لو أدركت زماننا هذا ؟

•

وكان بعضهم يقول: ذهب الناسُ وبقي النسناس، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟

•

دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبدُ الملك: أي زمان أدركتَ أفضل، وأي الملوك أكمل؟

قال : أما الملوك فلم أرَ إلا حامداً أو ذاماً، وأما الزمان فيرفع أقواماً ويضع أقواماً، وكلهم يَذم زمانه لأنه يُبلي جديدهم، ويفرّق عديدهم ، ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

•

وقال الشاعر :

أيا دهرُ إن كنتَ عاديتَنا ، فها قد صَنعْتَ بنا ما كفاكا

جعلتَ الشّرارَ علينا خِياراً، وولّيتنا بعد وَجْهٍ قفا كا

•

وقال آخر :

إذا كان الزمانُ زمانَ تَيْمٍ وعُكْلٍ، فالسلام على الزّمانِ[1]

زمانٌ صارَ فيه الصدرُ عَجْزاً، وصار الزُّجّ قُدّامَ السّنان[2]

لعلّ زمانَنا سَيعود يَوماً، كما عاد الزمان على بِطان[3]

•

أبو جعفر الشيباني قال : أتانا يوماً أبو نَمّاس الشاعر ونحن في جماعة ، فقال : ما أنتم فيه وما تتذاكرون ؟

قلنا : نذكر الزمان وفساده .

قال : كلا، إنما الزمانُ وعاء وما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله ؛ ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصان على أناسٍ ، وأخلاقاً تُداسُ ، فما تُصانُ

يَقولون الزمانُ به فسادٌ ، وهُم فَسدوا وما فَسد الزمان

•

---

١ تيم وعكل : قبيلتان .

٢ الزج : الحديدة في اسفل الرمح .

٣ هو بطان بن بشر الضبي .

أنشد فرج بن سلاّم :

هذا الزمانُ الذي كُنّا نُحذَّرُه
فيما يُحدِّث كَعْبٌ وابن مسعودِ[1]

إن دام ذا الدهرُ لم نَحْزَنْ على أحدٍ
يموتُ منّا ، ولم نَفْرح بمَوْلود

•

وقال حبيب الطائي :

لم أبكِ في زَمنٍ لم أرضَ خَلّتَه إلا بكيتُ عليه حين يَنْصَرِمُ

•

وقال آخر في طاهر بن الحسين :

إذا كانت الدُّنيا تُنال بِطاهرٍ ،
تَجنّبتُ منها كلَّ ما فيه طاهرُ

وأعرضتُ عنها عِفّةً وتَكرُّماً ،
وأرجأتُها حتى تَدورَ الدوائر

•

وقال محمد بن مناذر :

يا طالبَ الأشعار والنَّحوِ ، هذا زمانٌ فاسدُ الحَشْوِ

---

١ كعب : هو كعب الأحبار . ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود الهذلي .

نهارُه أوحشُ من ليله ، ونَشْوُه من أخبث النشو[1]
فدَع طِلاب النحو لا تبغِهِ ، ولا تقل شعراً ولا تَرْو
فما يجوز اليومَ إلاّ امرؤٌ مُستحكم العزف ، أو الشدْو
أو طِرْمِذانٌ قولُه كاذب ، لا يفعلُ الخيرَ ولا يَنوي[2]

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

رَجاءٌ دون أقربه السَّحابُ ، ووَعْدٌ مثلُ ما لمع السَّرابُ
ودَهْرٌ سادت العُبْدان فيه ، وعاثَتْ في جوانبه الذّئاب
وأيّام خلَتْ من كلّ خَيْرٍ ، ودُنيا قد توزّعها الكِلاب
كلابٌ لو سألتَهمُ تُراباً ، لقالوا عندنا انقطع التُّراب
يُعاقَب مَن أساء القولَ فيهم ، وإنْ يُحْسِن ، فليس له ثَواب

•

كتب عَمْرو بن بحر الجاحظ الى بعض اخوانه في ذمّ الزمان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حفِظك الله حفظ من وفّقه للقناعة ، واستعمله في الطاعة . كتبتُ اليك وحالي حال من كثُفت

---

١ النشو : السكر .

٢ الطرمذان : المدعي والمتمدح بما ليس عنده .

غمومه وأشكلت عليه أمورُه واشتبه عليه حالُ دهْره، ومخرج أمره ، وقلّ عنده من يَثِق بوفائه ، أو يحمد مَغبّة إخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيّامنا ، ودولة أنذالنا .

وقِدْماً كان يقال : مَن قدّم الحياءَ على نفسه ، وحكّم الصّدق في قوله، وآثر الحقّ في أموره، ونبَذ المشتبِهات عليه من شؤونه، تَمّت له السلامة، وفاز بوفور حظ العافية، وحمد مغبّة مكروه العاقبة .

فنظرنا إذ حالَ عندنا حُكمُه ، وتحوّلت دولتُه ، فوَجدْنا الحياء متصلاً بالحِرمان ، والصدق آفةً على المال ، والقصدَ في الطلب بترك استعمال القِحة وإخلاق العِرض في طريق التوكل دليلاً على سخافة الرأي، إذ صارت الحظْوة السابقة والنعمة السابغة في لؤم النّشْئة، وتناوُل الرّزق من جهة محاشاة الوفاء وملابسة مَعرّة العار .

ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا، والكاسر لحُجّتنا، فأقمنا له عَلماً واضحاً ، وشاهداً قائماً ، ومناراً بيّناً ، إذ وَجدنا مَن فيه السُّفولية الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكَذب المبرّح، والخُلْفُ المصرّح ، والجهالة المفْرطة، والرّكاكة المستخَفّة ، وضعف اليقين والاستئباب[1] ، وسرعة الغضب والخِفّة ، قد

---

[1] الاستئباب : طلب الثواب .

استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسّهم الأغلب ، والحظ الأوفر ، والقدر الرّفيع ، والجواب الطائع ، والأمر النافذ ، إن زلّ قيل حكَم ، وإن أخطأ قيل أصاب ، وإن هذى في كلامه وهو يقظان ، قيل رؤيا صادقة في سِنة مُباركة .

فهذه حجّتنا أبقاك الله على مَن زعم أن الجهل يخفض ، وأن الحمق يَضع ، وأن النّوك[1] يُردي ، وأن الكذب يضر ، وأن الخُلف يُزري[2] .

ثم نظرنا في الوفاء والأمانة ، والنُّبل والبراعة ، وحسن المذهب ، وكمال المروءة ، وسعة الصدر ، وقلّة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفائق في سَعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ، فوجدنا فلانَ بنَ فلان ، ثم وجدنا الزّمان لم يُنصفه من حقّه ، ولا قام له بوظائف فرْضه . ووجدنا فضائله القائمة له قاعدةً به . فهذا دليلٌ على أنّ الطّلاح[3] أجدى من الصّلاح ، وأن الفضل قد مَضى زمانه ، وعَفَت آثاره ، وصارت الدّائرة عليه ، كما كانت الدائرة على ضدّه ؛ ووجدنا العقلَ يَشقى به قرينه ، كما أن الجهل والحُمق يحظى به خَدينه . ووجدنا الشعرَ

١ النوك : الحمق والجهل .

٢ يزري : يعيب .

٣ الطلاح : الفساد ، ضد الصلاح .

ناطقاً على الزّمان ، ومُعْرِباً عن الأيام حيث يقول :

تَحامَقْ مع الحَمْقى إذا ما لَقِيتَهم،
ولاقِهِمُ بالجَهْلِ فِعْلَ أخي الجَهْلِ

وخَلِّط ، إذا لاقَيْتَ يوماً مُخَلِّطاً
يُخَلِّط في قَوْلٍ صَحيحٍ ، وفي هَزْل

فإنّي رأيتُ المَرْءَ يَشْقَى بعَقْلِه،
كما كان قبلَ اليوم يَسْعد بالعَقْل

فبقيت ، أبقاك الله ، مثل من أصبح على أوْفاز[1] ، ومن النّقلة على جَهاز[2] ؛ لا تسوغ له نِعمة، ولا يُطعم عَينيه غَمضة ؛ في أهاويل[3] يُباكره مَكروهها ، وتراوحه عقابيلها[4] ، فلو أن الدُّعاء أُجيب ، والتّضرع سُمع ، لكانت الهدّة[5] العُظمى ، والرَّجفة الكبرى ؛ فليتَ الذي يا أخي ما أستبطئه من النّفخة[6]،

١ على أوفاز : على عجلة .
٢ النقلة : اسم بمعنى الانتقال . الجهاز : ما يحتاج اليه في نقلته .
٣ اهاويل : اهوال ، مخاوف ، واحدها هول .
٤ العقابيل : الشدائد ، واحدها عقبول ، وعقبولة .
٥ الهدة ، من هد البناء : هدمه هدماً شديداً وكسره بشدة صوت .
٦ النفخة : نفخة بوق القيامة .

ومن فجأة الصيحة[1] ، قضي فحان ، وأُذن به فكان ؛ فوالله ما عُذّبت أمةٌ برجفة ، ولا ريح ولا سَخطة ، عذابَ عَينيّ برؤية المغايظة المُضنية ، والأخبار المهلِكة ، كأن الزّمان توكّل بعذابي ، أو انتصب لايلامي ؛ فما عيشُ من لا يُسر بأخ شقيق ، ولا خِدن شفيق ، ولا يَصطبح في أول نهاره إلا برُؤية من تُكره رؤيته ، ونغمة من تَغمُّه طلعته ، فبدّل الله لي ، أي أخي ، بالمسكن مَسكناً وبالرّبع رَبعاً ، فقد طالت الغُمة ، وواطنت الكُربة ، وادلَهمّت الظّلمة ، وخمد السّراج ، وتباطأ الانفراج . والسلام .

•

---

١ الصيحة : فزع يوم الدين .

فساد الاخوان

قال ابو الدَّرداء: كان الناس وَرقاً لا شَوك فيه، فصاروا شَوكاً لا وَرق فيه .

•

وقيل لعروة بن الزُّبير : ألا تَنتقل الى المدينة ؟ قال : ما بَقي بالمدينة الا حاسدٌ على نِعمة ، أو شامتٌ بمُصيبة .

•

الحشني قال أنشدني الرِّياشيّ :

إذا ذَهبَ التكرُّم والوَفاءُ، وباد رِجاله وبَقِي الغُثاءُ
وأسلَمني الزَّمانُ إلى رِجالٍ كأمثال الذِّئاب ، لها عُواء
صَديق كلَّما استَغنيت عنهم، وأعداء إذا جَهَدَ البَلاء
إذا ما جِئتُهم يَتدافَعوني ، كأنّي أجربٌ آذاه داء
أقولُ، ولا ألام على مَقالٍ ، على الإخوان كلّهم العَفاء

•

وقالت الحكماء: لا شيءَ أضيع من مَوَدّة من لا وفاء له،

واصطناع من لا يُشكر عنده ، والكريم يَودّ الكريم عن لُقية واحدة ، واللئيم لا يَصِل أحداً الا عن رَغبة أو رهبة .

•

وفي كتاب للهند : انّ الرّجل السّوء لا يتغير عن طبعه ، كما أن الشّجرة المرّة لو طَليتها بالعسل لم تُثمِر إلا مراً .

•

وسمع رجل أبا العتاهية يُنشد :

فارْمِ بطرْفك حيثُ شئْتَ ، فلا ترى إلا بَخيلا

فقال له : بَخّلتَ الناس كلّهم ؛ قال : فأكذبني بسخيّ واحد.
وقال أيضاً في هذا المعنى :

لله دَرُّ أبيك أيَّ زمانِ ،
أصبحتُ فيه ، وأيّ أهل زمانِ

كُلّ يُوازنك المَودّة جاهداً ،
يُعطي ويأخذ منك بالميزان

فإذا رأى رُجحانَ حَبّة خَرْدلِ ،
مالتْ مودّتُه مع الرُّجحانِ

وقال فيه أيضاً :

أرَى قوماً وُجوهُهم حِسانٌ ، إذا كانت حَوائجهم إلينا

وإنْ كانت حوائجُنا اليهم ، يُقبِّح حسنُ أوجههم علينا
فإن منع الأشحةُ ما لديهم ، فإنّا سوف نَمنح ما لدينا

وقال :

مَوالينا ، إذا احتاجوا الينا ،
وليسَ لنا ، إذا احتجنا ، موالي

•

للبكري :

وخليلٍ لم أخنْه ساعةً ، في دمي كفّيه ظلماً قد غمَسْ
كان في سرّي وجهري ثقتي ، لستُ عنه في مُهِمٍّ أحترس
سَتَر البُغضَ بألفاظِ الهوى ، وادّعى الوُدَّ بغشٍّ ودَلَسْ [1]
إنْ رآني قال لي خيراً ، وإنْ غبتُ عنه قال شرّاً ودَحَسْ [2]
ثم لمّا أمكنته فرصةٌ ، حمل السيفَ على مجرى النَّفس
وأراد الرُّوحَ لكنْ خانَه قَدَرٌ أيقظ مَن كان نعس

•

---

١ دلس : خدع .
٢ دحس : افسد .

وأنشد العُتْبي :

إذا كنتَ تَغْضبُ من غيرِ ذَنْبٍ،
وتَعْتِبُ من غيرِ جُرْمٍ عَلَيّا
طَلبتُ رِضاكَ فإن عزّني،
عَدَدْتُكَ مَيْتاً ، وإن كنتَ حيّا
فلا تَعْجَبَنّ بما في يَدَيْكا،
فأكثرُ منه الذي في يَدَيّا

•

وقال ابن أبي حازم :

وصاحبٍ كان لي ، وكنتُ له،
أشفقَ من والدٍ على وَلَدِ
كُنّا كَساقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ،
أو كَذِراعٍ نِيطت إلى عَضُد
حتى إذا دَبّت الحوادثُ في
عَظْمِي ، وحَلّ الزّمانُ من عُقَدي
ازْوَرّ عني وكان يَنْظُرُ مِنْ
طَرْفي ، ويَرْمي بساعِدي ويَدي

وقال :

وخلٍّ كان يخفض لي جناحاً،
أفادَ غِنىً ، فنابذني جِماحا[1]

فقلتُ له ولي نفس عَزُوف،
إذا حَمِيت تقحّمت الرِّماحا:[2]

سأبدِل بالمطامع فيك يأساً،
وباليأس استراح من استراحا

•

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وأنتَ أخي ما لم تكن ليَ حاجةٌ،
فإنْ عَرَضتْ أيقنتُ أنْ لا أخا لِيا

فلا زاد ما بَيْني وبَيْنك ، بعدَما
بَلَوْتُكَ في الحاجاتِ ، إلا تَمادِيا

كِلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه،
ونحنُ إذا مِتْنا أشدُّ تغانِيا

---

١ نابذه : خالفه وفارقه عن عداوة. الجماح، من جمح الرجل: اذا ركب هواه.
٢ عزوف ، من عزف عن الشيء : زهد فيه وملّه.

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كليلةٌ،
كما أنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المساويا

•

وقال البُحتري :

أشرِّقُ أم أغرِّبُ يا سعيدُ،
وأنقُصُ من ذِمامي ، أو أزيدُ

عَدَتني عن نَصيبينَ العَوادي،
فبَختي أبلهٌ فيها بَليدُ[1]

وخلَّفني الزمانُ على رِجالٍ،
وُجوهُهمُ وأيديهِمْ حَديدُ

لهم حُلَلٌ حَسُنَّ ، فهُنَّ بِيضٌ،
وأخلاقٌ سَمُجنَ ، فهُنَّ سُودُ

ألا ليتَ المَقادِرَ لم تُقَدَّرْ،
ولم تَكُنِ العَطايا والجُدودُ[2]

•

---

١ عدتني : صرفتني . العوادي : العوائق . البخت : الحظ .
٢ الجدود : الحظوظ ، واحدها جد .

وقال ابن أبي حازم :

وقالوا لو مَدحتَ فتىً كريماً
فقلتُ وكيفَ لي بفتىً كريمِ ؟

بُليتُ ، ومَرَّ بي خمسون حولاً ،
وحَسْبُكَ بالمُجرِّبِ من عَليمِ

فلا أحدٌ يُعدُّ ليومِ خيرٍ ،
ولا أحدٌ يَعود على عَديمِ[1]

وقال :

قد بلوتُ الناسَ طُرّاً ، لم أجدْ في النّاسِ حُرّا
صارَ حلْوُ النّاسِ في العيْنِ ، إذا ما ذِيق ، مُرّا

وقال :

مَن سَلا عنّيَ أطلقْتُ حِبالي من حِبالِهْ
أو أجَدَّ الوصْلَ سارَعْتُ بجَهْدي في وصاله
إنّما أحذُو على فِعْلِ صَديقي بمِثاله
غيرَ مُستَجْدٍ ، إذا ازْوَرَّ ، كأني من عِياله

---

١ يعود على عديم : اي يحسن الى فقير .

لَنْ تراني أبداً أعْظِم ذا مالٍ لماله
لا ولا أزْرَى بِمَن يَعقِل عندي سُوءُ حاله
إنما أقضي على ذاك وهذا بفِعاله
كيفما صرّفني الدّهْرُ، فإني من رِجاله

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

أبا صالحٍ جاءتْ على النّاس غفلَةٌ
على غفلَةٍ ، بانَتْ بكلّ كريمِ

فليْتَ الألى بانوا يُفادَون بالألى
أقاموا ، فيُفْدى ظاعنٌ بمُقيم

ويا ليتَها الكُبْرَى ، فتطوى سماؤُنا
لها ، وتُمَدُّ الأرضُ مَدَّ أديم

فما الموتُ إلا عَيْشُ كلّ مُبخّلٍ ؛
وما العَيْش إلا موت كل ذَميم

وأعذَرُ ما أدمى الجفونَ ، من البُكا ،
كريمٌ رأى الدُّنيا بكفّ لئيم

ومثله في هذا المعنى :

أبا صالحٍ ! أينَ الكِرامُ بأسْرِهم؟
أفِدْني كريماً ، فالكريمُ رِضاءُ

أحقّاً يقول الناسُ في جود حاتمٍ ،
وإبن سِنانٍ كان فيه سَخاء؟[1]

عَذيريَ مِن خَلْقٍ تَخلّقَ منهمُ
غَباءٌ ، ولُؤْمٌ فاضحٌ ، وجَفاء

حِجارةُ بُخْلٍ ما تَجُود ؛ ورُبّما
تَفجّر من صُمّ الحجارة ماء

ولو أنّ موسى جاء يَضْربُ بالعَصا،
لما انبجَسَتْ من ضَرْبه البُخلاء

بَقاءُ لِئامِ الناس مَوْتٌ عليهمُ،
كما أنّ موتَ الأكْرمين بَقاء

عَزيزٌ عليهم أن تَجود أكفُّهم،
عليهم من اللهِ العَزيزِ عَفاء

---

١ ابن سنان : هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى، وقطع الهمزة للشعر.

ومثله قولنا في هذا المعنى :

سَاقٌ تَرَنَّحَ يَشْدُو فوقه ساقُ،
كأنّه لِحَنِينِ الصَّوْتِ مُشْتاقُ[1]

يا ضَيْعَةَ الشِّعرِ في بُلْهٍ جَرامقةٍ،
تَشابهت منهمُ، في اللُّؤْمِ، أخْلاقُ[2]

غُلَّتْ بأعْناقِهِم أيْدٍ مُقَفَّعةٌ؛
لا بُورِكتْ منهمُ أيْدٍ وأعناقُ[3]

كأنّما بينهم، في مَنْعِ سائلهم،
وحَبْسِ نائلهم، عَهْدٌ ومِيثاقُ

كم سُقْتُهم بأماديحي، وقُدْتُهُمُ
نحو المَعالي، فما انقادُوا وما انساقوا

وإن نَبا بِيَ في ساحاتِهم وَطَنٌ،
فالأرضُ واسعةٌ والناسُ أفراقُ[4]

---

١ الساق الاولى : جذع الشجرة . الساق الثانية: اراد بها ساق حر، وهو ذكر القماري ، ضرب من الحمام . يشدو : يغني .

٢ الجرامقة : قوم من العجم كانوا ينزلون الموصل في اوائل الاسلام ، واحدهم جرمقاني .

٣ المقفعة: المتشنجة.

٤ أفراق : أقسام ، واحدهم فرق .

مـا كنتُ أوّلَ ظمـآنٍ بِمَهمهـة،
يَغرُّه مـن سراب القَفْر رَقراق

رِزْقٌ من الله أرضاهم وأسخطني،
والله للأنْوك المَعْتُـوهِ رَزّاق[1]

يا قابضَ الكفّ، لا زالت مُقبّضة،
فمـا أنامِلُها للنـاس أرزاق

وغِبْ إذا شئت، حتى لا ترى أبداً،
فمـا لفقـدِك في الأحشاء إقـلاق

ولا إليـك سبيلُ الجود شارعـةٌ؛
ولا عليـك لنـور المجـد إشراق

لم يَكتنفْني رجـاء لا ولا أمـل،
إلا تكنّفـه ذُلٌّ وإمـلاق

•

وقال مُؤمّل بن سعيد في هذا المعنى:

إنما أزرى بقَـدْري أنّني لستُ من نابِـهِ أهلِ البلدِ[2]

---

١ الانوك: الاحمق.

٢ النابه: الشريف المشهور.

لیس منهم غیرُ ذي مَقْلِیة لذوي الألباب، أو ذي حَسد[1]
یَتحامَوْن لِقائي مثلما یتحامَوْن لِقاءَ الأسد
طَلْعتي أثقلُ، في أعینهم وعلى أنفسهم، من أُحُد
لو رأوني وَسْط بحرٍ، لم یكن أحَدٌ یأخذ منهم بیدي

•

1 المقلية : البغض .

في الكبر

قال النبي، صلى الله عليه وسلم : يقول الله، تبارك وتعالى : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً منهما قصمته وأهنته .

•

وقال عليه السلام : لا يدخل حضرة القدس مُتكبر .

وقال : فَضل الإزار في النار . معناه : من سَحب ذيله في الخيلاء قاده ذلك الى النار .

•

ونظر الحسن الى عبد الله بن الاهتم يخطِر في المَسجِد ، فقال : انظروا الى هذا ، ليس منه عُضو إلا ولله عليه نِعمة ، وللشيطان فيه لعنة .

•

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بُني ، اياك والكِبرَ ، وليكُن فيما تستعين به على تَركه ، عِلمُك بالذي منه كنتَ ، والذي اليه تَصير . وكيف الكِبر مع النُطفة التي منها خُلِقتَ ،

والرَّحِم التي منها قُذِفت، والغِذاء الذي به غُذيت؟

•

وقال يحيى بن حَيّان: الشريفُ إذا تقوّى تواضع، والوضيع إذا تقوّى تكبّر.

•

وقال بعض الحكماء: كيف يَستقِرّ الكِبر فيمن خُلِق من تراب، وطوي على القذر؟

•

وقال الحسن: عجباً لابن آدم كيف يَتكبر وفيه تِسعة سموم[1] كلها يُؤذي!

وذكر الحسن المتكبرين فقال: يُلفى أحدهم يَنص[4] رَقبته نصّاً، ينفض مِذرويه[2]، ويَضرب أصْدريه[3]، يَملخ في الباطل[4] ملخاً، يقول: ها أنا ذا فاعرفوني؛ قد عَرفناك يا أحمق، مقتك الله ومقتك الصالحون.

•

---

١ لم يورد تفصيلاً لهذه السموم.

٢ النفض: التحريك. المذروان: فرعا منكبيه.

٣ يضرب أصدريه: أخذه من قولهم: جاء يضرب اصدريه، اي فارغاً، وقيل بطراً مرحاً.

٤ يملخ في الباطل: يتردد فيه ويكثر.

ووقف عُيينة بن حِصن بباب عمرَ بن الخطاب ، رضي الله عنه، فقال : استأذِنوا لي على أمير المؤمنين وقولوا له : هذا ابن الأخيار بالباب . فأذِن له، فلما دخل عليه، قال له : أنتَ ابنُ الاخيار ؟ قال: نعم، قال له: بل أنت ابن الأشرار، وأما ابن الاخيار فهو يُوسف بن يَعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

•

وقيل لعُبيد الله بن ظَبيان: كثّر اللهُ في العشيرة أمثالك؛ فقال : لقد سألتم الله شططاً .

•

وقيل لرجل من بني عبد الدّار عَظيم الكِبر: ألا تأتي الخليفة؟ قال : أخشى ألا يحمل الجِسرُ شرفي .

وقيل له : ألا تَلبَس فإنّ البَرْدَ شديد ؟ قال : حسَبي يُدْفئني .

•

قيل للحجاج : كيف وجدتَ منزلك بالعِراق أيها الأمير ؟ قال : خَير مَنزل، لو أدركتُ بها أربعة نفر فتقرّبت الى الله سُبحانه وتعالى بدمائهم .

قيل له : ومن هم ؟

قال : مُقاتل بن مِسمع ، وَلِيَ سِجِستان ، فأتاه الناسُ

فأعطاهم الأموال ؛ فلما قدم البصرة بسط له الناسُ أرديتهم فمشى عليها ، فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون. وعبيد الله بن ظبيان ، خطب خطبة أوجز فيها ، فناداه الناس من أعراض المسجد: كثّر الله فينا أمثالك ؛ قال : لقد كلّفتم ربكم شططاً. ومَعبد بن زُرارة ، كان ذات يوم جالساً على طريق، فمرّت به امرأةٌ ، فقالت : يا عبد الله ، أين الطريقُ لمكان كذا ؟ فقال: لِمثلي يُقال يا عبدَ الله ! وَيلك ! وأبو السَّمّال الحنفيّ، أضلّ ناقته ، فقال : والله لئن لم تَردّ عليّ ناقتي لا صليت أبداً.

وقال ناقلُ الحديث : ونَسي الحجّاج نفسه ، وهو خامسُ هؤلاء الأربعة ، بل هو أشدّهم كفراً وأعظمهم إلحاداً ، حين كتب الى عبد الملك بن مروان في عَطسة عَطسها فشمّته أصحابه وردّ عليهم : بَلغني ما كان من عُطاس أمير المؤمنين وتشميت أصحابه له وردّه عليهم ، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

وكتابه اليه : إنّ خَليفة الرجل في أهله أكرمُ عليه من رسوله اليهم ، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلةً من المرسَلين.

•

العتبيّ قال: رأيت مُحرزاً مولى باهلة يَطوف على بَغلةٍ بين الصفا والمرْوَة ، ثم رأيته بعد ذلك على جِسر بَغداد راجلا ،

فقلت له : أراجلٌ أنتَ في مِثل هذا الموضع ؟ قال: نعم، اني ركبتُ في مَوضع يَمشي الناس فيه ، فكان حقيقاً على الله أن يُرجِلني في مَوضع يَركب الناس فيه .

•

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بُنيّ، عليك بالترحيب والبِشر، وإياك والتقطيبَ والكِبر، فإن الأحرار أحبُّ اليهم أن يُلقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا، من أن يُلقَوْا بما يكرهون ويُعْطَوْا . فانظر الى خصلة غَطّت على مِثل اللؤم فالزمها، وانظر الى خصلة عَفّت على مِثل الكرم فاجتنبها . ألم تسمع قول حاتم الطائي :

أضاحِكُ ضيفي قبل إنزال رَحْله،
ويُخصب عندي والمَحلُّ جديبُ

وما الخِصب للأضياف أن يَكثُر القِرى،
ولكنما وجهُ الكريم خَصيب

•

وقال محمود الوراق :

التِّيهُ مَفسَدةٌ للدِّين ، مَنقَصَةٌ
للعقل ، مَجلَبَةٌ للذمّ والسَّخَطِ[1]

---

١ التيه : الكبرياء .

مَنْعُ العَطاء، وبَسْطُ الوجه أحسنُ من
بَذْلِ العَطاء بِوَجْهٍ غيرِ مُنْبسط

وقال أيضاً :

بِشْرُ البخيل يكاد يُصْلِح بُخلَه،
والتِّيهُ مَفْسدةٌ لكلِّ جوادِ

وَنقيصةٌ تَبْقى على أيامه،
ومَسَبَّةٌ في الأهل والأولاد

•

وقال آخر في الكِبْر :

مع الأرض يابنَ الأرض في الطَّيران،
أتأمل أن تَرْقى الى الدَّبَرانِ؟[1]

فوالله ما أبصرتُ يوماً مُحلّقاً،
ولو حلَّ بين الجَدْي والسَّرطان[2]

حَماه مكانُ البُعد من أن تَناله
بِسَهْمٍ ، من البَلْوى ، يدُ الحَدَثان

---

١ الدبران : منزلة للقمر .

٢ الجدي والسرطان : برجان في السماء .

التسامح مع النعمة

والتذال مع المصيبة

قالوا : من عزّ بإقبال الدّهر ذل بإدْباره .

•

وقالوا : من أبطره الغِنى أذله الفقر .

•

وقالوا : مَن وَلي ولاية يَرى نفسَه أكبر منها لم يَتغير لها، ومَن وَلي ولايةً يراها أكبر من نفسه تَغير لها .

•

وقال يحيى بن حيّان: الشّريف إذا تقوّى تواضع، والوضيع إذا تقوّى تكبّر .

•

وقال كسرى : احذروا صَولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شَبع .

•

وكتب علي بن الجهم الى ابن الزيّات :

أبا جَعْفرٍ عَرّجْ على خُلطائكـا،
وأقْصِرِ قليلاً من مَدى غُلوائكا

فإنْ كُنتَ قد أوتيت، في اليوم، رِفعةً
فإنّ رَجائي ، في غدٍ ، كرجائكا

•

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابيّ :

لَقَد عَجِبَتْ مِنْـه الليـالي لأنّه
صَبُورٌ على عَضلاء تلك البلابِـلِ [1]

إذا نال لم يَفْرَح ، ولَيس لنَكبة
ألمّتْ بـه بالخَـاشع المُتضائـل

•

وقال الحسن بن هانىء :

ولقـد حَزِنتُ فـلم أمُتْ تـرَحاً،
ولقد فَرِحتُ فلم أمُتْ فـرَحـا

•

---

١ العضلاء : الشديدة . البلابل : الوساوس والهموم .

كتب عَقيلُ بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي طالب ، عليه السلامُ ، يسأله عن حاله، فكتب إليه عليّ ، رضي الله عنه :

فإن تَسألِيني كيفَ أنتَ ، فإنني
جَليدٌ ، على عَضّ الزّمان ، صَليبُ

عَزيزٌ عليّ أنْ تُرى بي كآبةٌ،
فيفرحَ واشٍ ، او يُساءَ حبيب

•

ما جاء في ذم الحمق والجهل

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : الجهلُ يظلم من خالطه ، ويعتدي على من هو دونه ، ويتطاول على من هو فوقه ، ويتكلم بغير تمييز ، وإن رأى كريمةً أعرض عنها ، وإن عَرَضت فتنة أرْدته وتهوّر فيها .

•

وقال أبو الدَّرداء : علامة الجاهل ثلاث : العُجب ، وكثرة المنطق ، وأن يَنهى عن شيء ويأتيه .

•

وقال أرْدشير : حَسبكم دلالة على عَيب الجهل أنّ كل الناس تنفر منه وتغضب من أن تُنسب اليه .

•

وكان يقال : لا تَغرُرك من الجاهل قرابة ولا أُخوّة ولا إلف ، فإنّ أحقّ الناس بتحريق النّار أقربهم منها .

•

وقيل : خصْلتان تُقرّبانك من الأحمق ، كثرة الالتفات ، وسرعة الجواب .

•

وقيل: لا تَصْطحب الجاهلَ فإنّه يُريد أن يَنفعك فيضُرّك.

•

ولبعضهم:

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستَطبُّ به، إلا الحماقةَ أعيَتْ مَن يُداويها

•

ولأبي العتاهية:

إحْذَرِ الأحمقَ أنْ تَصْحَبَهُ، إنما الأحمقُ كالثّوْبِ الخَلَقْ

كلّما رَقّعتَه مِن جانبٍ زَعزعتْه الريحُ يوماً فانخرق

أو كصَدْعٍ في زجاجٍ فاحشٍ، هل ترى صَدْعَ زُجاجٍ يَلتصق؟

فإذا عاتبتَه كي يَرْعَوي زاد شَرّاً وتمادى في الحُمق

•

في التواضع

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: مَن تواضع لله رَفعه الله.

•

قالت الحكماء: كلّ نِعمة يُحسد عليها إلا التواضع.

•

وقال عبدُ الملك بن مَروان، رَفعه الى النبي، صلى الله عليه وسلم: أفضل الرّجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.

•

وقال ابن السمّاك لعيسى بن موسى: تواضعك في شَرفك أكبرُ من شَرفك.

•

وأصبح النجاشي يوماً جالساً على الأرض والتاج عليه، فأعظمت بَطارقته ذلك، وسألوه عن السبب الذي أوجبه، فقال: إني وَجدت فيما أنزل الله على المسيح: إذا أنعمتُ على عَبدي نعمةً فتواضع أتممتُها عليه، وإنه ولد لي هذه الليلةَ غلامٌ فتواضعتُ شكراً لله.

•

خرج عمرُ بن الخطاب، رضي الله عنه، ويدُه على المُعلّى بن الجارود العَبدي َفلقيَتْه امرأةٌ من قريش، فقالت له: يا عُمر! فوَقف لها ؛ فقالت : كنّا نعرفك مُـــدة عُميراً ، ثم صِرت من بعد عُمير عُمر ، ثم صِرت من بعد عُمر أمـير المؤمنين ، فاتـّقِ الله يابن الخطاب وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد قرُبَ عليه البعيد ، ومن خاف الموتَ خشيَ الفَوت . فقال المعلى : إيهاً يا أمة الله، فقد أبكيتِ أمير المؤمنين . فقال له عمر : اسكت ، أتَدْري مَن هذه ويحك ؟ هذه خَوْلة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فعمر أحرى أن يَسمع قولها ويقتدي به .

•

وقال أبو عبّاد: ما جَلس إليّ رجل قطُّ إلا خُيّـل إليّ أني سأجلس اليه .

•

وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تَخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضلَ عليك .

•

وقال رجل لبكر بن عبد الله : عَلـّمني التواضع ؛ فقال : إذا رأيتَ من هو أكبرُ منك فقل: سَبقني الى الاسلام والعمل الصالح ، فهو خَير مني ، وإذا رأيتَ من هو أصغرُ منك فقل:

سبقته الى الذُنوب والعمل السيء ، فأنا شرّ منه .

•

وقال أبو العتاهية :

يا مَنْ تَشَرَّفَ بالدُّنيا وزينتها،
ليسَ التَشرُّف رَفْعَ الطّين بالطّينِ

إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلّهمُ،
فانظرْ إلى مَلِك في زِيّ مِسكين

ذاك الذي عَظُمت في الناس هِمّته،
وذاك يَصْلح للدنيا والدّين

•

الرفق والاناة

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم: من أوتي حظّه من الرّفق فقد أوتي حظه من خير الدّنيا والآخرة .

•

وقالت الحكماء: يُدرَك بالرّفق ما لا يُدرَك بالعُنف ، ألا ترى أن الماء على لِينه يَقطع الحجَر على شدّته ؟

•

وقال أشجع بن عمرو السلميّ لجعفر بن يحيى بن خالد :

ما كان يُدْرَك بالرجال ، ولا بالمال ، ما أدركتَ بالرّفْقِ

•

وقال النابغة :

الرّفْقُ يُمْنٌ ، والأناةُ سعادةٌ ، فاستَأنِ في رِفْقٍ تُلاقِ نَجاحا

•

وقالوا : العَجل يَزيدُ الزّلل .

أخذ القطامي التّغلبيّ هذا المعنى فقال :

قد يُدْرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجتِه؛
وقد يكونُ معَ المستَعْجل الزّللُ

•

وقال عَدِيُّ بن زيد :

قد يُدْرِكُ المُبْطِيء مِن حظّه،
والخَيْنُ قد يَسْبِقُ جُهْدَ الحَرِيصْ

•

استراحة الرجل

بمكنون سره الى صديقه

تقول العربُ : أفضَيتُ اليك بشُقوري[1] . وأطلعتك على عُجَري وبُجَري[2] . ولو كان في جسدي بَرص ما كتمتُه .

●

وقال الله ، تبارك وتعالى : لِكلّ نبإٍ مُستَقرّ .

●

وقالت الحكماء : لكلّ سرٍّ مُستودع .

●

وقالوا : مُكاتمة الأذنين صريحُ العقوق .

●

وقال الشاعر :

وأبثثتُ عَمراً بعضَ ما في جَوانحي ،
وجَرّعتُه من مُرّ ما أتجرّعُ

---

١ بشقوري : بالأمور اللاصقة بقلبي المهمة له .

٢ عجري وبجري : عيوبي وأحزاني ، وما أبدي وما اخفي .

وَلا بُدَّ من شَكْوى إلى ذي حَفيظَةٍ ،
إذا جَعلَتْ أسرارُ نَفْسٍ تَطَلَّعُ[1]

•

وقال حبيب :

شكوتُ ، وما الشَّكْوَى لِمِثْلِيَ عادةٌ ،
ولكنْ تَفِيضُ النفسُ عنْد امتلائها

•

وأنشد أبو الحسن محمدُ البصري :

لَعِبَ الهَوَى بمعالمي ورُسومي ،
ودُفِنْتُ حيّاً تحتَ رَدْمِ هُمومي

وشكوتُ هَمّي ، حينَ ضِقْتُ ، ومَن شكا
هَمّاً يَضيقُ بهِ ، فغيرُ مَلُومِ

•

وقال آخر :

إذا لم أُطِقْ صَبراً رجَعتُ الى الشكوى ،
وناديتُ تحتَ اللّيْلِ يا سامعَ النّجْوى

وأمطَرْتُ صَحْنَ الخدِّ غيثاً ، منَ البُكا ،
على كَبِدٍ حَرّى لتَرْوى فما تَرْوى

---

١ الحفيظة : اسم من المحافظة على المحارم والمنع لها عند الحرب .

الاستدلال باللحظ على الضمير

قالت الحكماء : العين باب القلب ، فما كان في القلب ظهر في العين .

•

أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس بن مُصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال :

إني لأعرف في العين إذا عَرفتْ ، وأعرف فيها إذا أنكرتْ ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تُنكر ، أما إذا عرفت فتخواص[1] ، وأما إذا أنكرت فتَجْحظ[2] ، وأما إذا لم تَعْرف ولم تُنْكر فتسجُو[3] .

•

وقال صريع الغواني :

جَعلنا عَلاماتِ المَودّة بَيْنَنا
مَصايِدَ لَحْظٍ ، هُنّ أخفى مِنَ السِّحرِ

---

١ تخواص : تغور .

٢ فتجحظ : تعظم مقلتها وتنتأ .

٣ تسجو : تسكن .

فأعرفُ فيها الوَصْلَ في لِينِ طَرْفِها،
وأعْرِف فيها الهَجْرَ في النَّظر الشَّزْر

•

وقال محمودٌ الوراق :

إنَّ العُيون على القُلوبِ شواهِدٌ،
فَبغيضُها لكَ بَيِّنٌ وَحَبيبُها

وإذا تَلاحظت العيونُ تَفاوضَت،
وتَحَدَّثَت عمّا تُجِنّ قُلوبها

يَنْطِقْنَ ، والأفواهُ صامِتةٌ ، فما
يَخفى عليك بَريئُها ومُريبها

•

وقال ابن أبي حازم :

خُذْ مِن العَيْش ما كَفى ، ومِن الدّهر ما صَفا
عَيْنُ من لا يُحِبُّ وَصْلك تُبْدي لكَ الجَفا

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

صاحبٌ في الحُبّ مَكْذوبُ، دَمْعه للشّوق مَسْكوبُ

كلُّ ما تَطْوي جَوانحُه ، فهو في العَيْنَين مَكتوب

•

وقال الحسن بن هانىء :

وإنّي لِطَيْر العَين بالعَين زاجِر ،
فقد كِدْتُ لا يَخفى عليّ ضَمير

•

الاستدلال بالضمير على الضمير

كتب حكيم الى حكيم : إذا أردتَ معرفة ما لـك عندي فضع يدَك على صدرك ، فكما تجدني كذلك أجدك .

•

وقالوا : إيّاكم ومن تبغضه قلوبُـكم ، فإن القلوب تجازي القلوب .

•

وقال ذو الإصبع :

لا أسألُ الناسَ عمّا في ضمائرهم،
ما في ضميري لهم مِن ذاك يكفيني

•

وقال محمودُ الورّاق :

لا تسألنّ المرءَ عمّا عِنده، واستَمْلِ ما في قلبه من قلبكا
إن كان بُغضاً كان عندك مثلُه، أو كان حبّاً فازَ منك بحبّكا

الاصابة بالظن

قيل لعمرو بن العاص: ما العَقل؟ قال: الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان .

•

وقال عمر بن الخطاب : مَن لم يَنفعه ظنُّه لم يَنفعه يَقينه .

•

وقال عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: لله دَرُّ ابن عبّاس، إن كان لينظر الى الغيْب من سِترٍ رَقيق .

•

وقال الشاعر :

وقَلّما يَفجأُ المكروهُ صاحبَه،
حتّى يَرى لوجوه الشَّرّ أسْبَابا

وإنّما ركّب اللهُ العقلَ في الانسان دون سائر الحيوان ليستدلَّ بالظاهر على الباطن ، ويَفهم الكثير بالقليل .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا غافلاً ما يَرى إلا مَحاسِنَهُ ،
ولو دَرَى ما رأى إلاّ مَساوِيهِ

انظرْ إلى باطنِ الدُّنيا ، فظاهِرُها
كلُّ البهائمِ يَجْري طَرْفُها فيه

•

تقديم القرابة وتفضيل المعارف

قال الشّيباني : أول من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه . وقال : كان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله. فلا يُرى أفضل من عمر.

•

وقال لما آوى طريد النبي[1] ، صلى الله عليه وسلم : ما نَقِم الناسُ عليّ أن وصلتُ رحِماً وقرّبت عمّاً .

•

وقيل لمعاوية بن أبي سُفيان: إنّ آذنك يُقدّم معارفه وأصدقاءه في الاذن على أشراف الناس ووجوههم ؛ فقال : ويلكم ! إن المعرفة لتَنفع في الكلب العقور، والجمل الصّؤول، فكيف في رجل حسيب ذي كرم ودين !

•

وقال رجل لزياد : أصلح الله الأميرَ ، إنّ هذا يُدلّ بمكانة

---

١ طريد النبي : هو الحكم بن ابي العاص .

يَدّعيها منك ؛ قال : نعم ، وأُخبرك بما يَنفعه من ذلك ، إن كان الحق له عليك أخذتك به أخذاً شديداً ، وإن كان لك عليه قضيته عنه .

•

وقال الشاعر :

أقولُ لجاري ، إنْ أتاني مُخاصماً ،
يُدِلُّ بحقٍّ ، أو يُدِلُّ بباطلِ :
إذا لم يَصِلْ خيْري ، وأنتَ مُجاوري ،
إليك ، فما شَرّي إليك بواصِلِ

•

العتبي قال: وَليَ عبدالله بنُ خالد بن عبد الله القسري قضاء البصرة ، فكان يحابي أهل مودّته ؛ فقيل له : ايّ رجلٍ أنت لولا أنك تُحابي! قال: وما خَيْرُ الصّديق إذا لم يَقطع لصديقه قطعة من دينه !

•

وولي ابن شُبرمة قضاء البصرة وهو كاره، فأحسن السيرة. فلما عُزل اجتمع اليه أهلُ خاصّته ومودّته ، فقال لهم : والله لقد وَليتُ هذه الولاية وأنا كارهٌ ، وعُزلت عنها وأنا كاره ؛

وما بي من ذلك الا مخافة أن يلي هـذه الوجوهَ من لا يَعرف حقها . ثم تمثل بقول الشاعر :

فما السّجنُ أبكاني ، ولا القيْدُ شفّني ،
ولا أنّني من خَشْيَةِ الموْتِ أجْزَعُ

بَلى إنّ أقواماً أخافُ عليهمُ ،
إذا مِتُّ ، أن يُعطوا الذي كنتُ أمنع

•

وتقول العامّة : محبّة السلطان أردُّ عليك من شُهودك .

•

وقال الشاعر :

إذا كان الأمير عليك خَصْماً ، فَلَيس بقابلٍ منك الشُهودا

•

وقال زياد : أحبُّ الولاية لثلاث ، وأكرهها لثلاث : أحبها لنَفْعِ الأولياء ، وضرّ الأعداء ، واسترْخاص الأشياء ، وأكرهها لرَوعة البريد ، وقُرْب العزل ، وشماتة العدوّ .

•

ويقول الحكماء : أحقُّ من شاركك في النّعمة شُركاؤك في المُصيبة .

أخذه الشاعر[1] فقال :

وإنّ أوْلى الموالي أنْ تُواسِيَهُ
عند السُّرور، لَمَنْ آساك في الحَزَنِ

إنّ الكِرام، إذا ما أسْهَلُوا ذَكَروا
مَن كانَ يَألَفهم في المَنْزِلِ الخَشِنِ

•

وقال حبيب[2] :

قَبَحَ الاله عداوةً لا تُتَّقى، ومَوَدَّةً يُدْلى بها لا تَنْفَعُ

•

١ — ٢ هو ابو تمام .

فضل العشيرة

قال عليّ بنُ أبي طالب، رضي الله عنه: عشيرةُ الرجل خيرٌ للرجل من الرجل للعَشيرة، إن كَفَّ عنهم يداً واحدة كَفّوا عنه أيدياً كثيرة، مع مودّتهم وحفاظهم ونصرتهم.

إنّ الرجل ليَغضَب للرجل لا يَعرفه الا بِنَسبه، وسأتلو عليكم في ذلك آياتٍ من كِتاب الله تعالى، قال الله، عز وجل، فيما حكاه عن لوط: «لوْ أنّ لي بكُمْ قُوّةً أوْ آوي إلى رُكنٍ شَديد» يعني العشيرة، ولم يكن للوط عَشيرة. فوالذي نفسي بيده ما بعث الله نبياً من بعده إلا في ثَروة من قومه، ومَنعة من عَشيرته. ثم ذكر شُعيباً إذ قال له قومه: «إنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً ولوْلا رَهطُكَ لَرَجمناكَ»، وكان مَكفوفاً، والله ما هابوا الله ولا هابوا إلا عشيرته.

•

وقيل لِبُزُرْجُمِهر: ما تقول في ابن العم؟ قال: هو عدوُّك وعدوُّ عدوِّك.

الدين

من حديث عائشة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: الدَّينُ يَنْقُص ذا الحسب .

•

وقال عمر: ألا إنَّ الأسَيْفعَ أسَيفعَ جُهينة رضي من دِينه وأمانته أن يُقال: سَبق الحاج، ألا وانه قد ادَّان مُعْرِضاً[1] وأصبح قد رِين به[2]، فمن كان له عِنده شيء فليأتِنا بالغداة نَقْسم له ما له بين غُرمائه ، وإياكم والدَّينَ فإنَّ أوَّله هَمٌ وآخره حُزن .

•

وقال مولى قضاعة[3] :

فلو كنتُ مولى قَيْس عَيْلانَ لم تَجد
عَليَّ، لإنْسان من النَّاس ، دِرْهما

---

١ المعرض: هو الذي يأخذ الدين ولا يبالي ان لا يؤديه ولا ما يكون من التبعة.
٢ رين به: أحاطت بماله الديون أو وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به.
٣ هو شقران القضاعي .

ولكِنّني مولى قُضاعةَ كُلّهـــا،
فلستُ أبالي ان أدِينَ وتَغرَمـا

•

وقال آخر :

إذا ما قضيْتَ الدَّينَ بالدَّينِ لم يَكُنْ
قَضاءً، ولـكِنِ كان غُرْماً على غُرْمِ

•

وقال سُفيان الثّوري: الدَّين هَمّ بالليل وذُلّ بالنهار ، فإذا أراد الله أن يُذِلّ عبداً جَعله قِلادة في عُنُقه .

•

ورأى عمرُ بن الخطاب ، رضي الله عنه ، رجلاً مُتقنّعاً ، فقال له : كان لقمان الحكيم يقول : القِناع رَيبةٌ بالليل ذُلّ بالنهار ؛ فقال الرجل : إنّ لقمان الحكيم لم يكن عليه دَين .

•

وقال المقنّع الكِندي :

يَعِيبونني بالدَّين قَومي ، وإنّمــا
تَداينتُ في أشياءَ تُكسِبهم حَمْـدا

إذا أكلُوا لَحْمي وَفرتُ لُحومهم؛
وإن هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيتُ لهم مَجْدا

مجانبة الخلف والكذب

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : الكذب مجانب الايمان .

•

وقالت الحكماء : ليس لكذّاب مُروءة .

•

وقالوا : مَن عُرف بالكَذِب لم يجُزْ صِدقه .

•

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: لا يجوز الكذب في جِدّ ولا هَزل .

وقال : لا يكون المؤمن كذّاباً .

•

وقال عبد الله بن عمر : خُلف الوَعْدِ ثُلثُ النّفاق .

•

وقال حبيب الطائي في عيّاش :

يا أكثرَ الناسِ وَعْداً حَشْوُه خُلُفٌ ؛
وأكثرَ الناسِ قولاً حَشْوُه كَذِبُ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

صَحيفةٌ أفنَيتَ ليتٌ بها وعسى،
عُنوانها راحةُ الرَّاجي، إذا يَئِسا

وَعدٌ له هاجسٌ في القلب، قد بَرِمتْ
أحشاءُ صدْري به من طُول ما احتبسا

مَواعِدٌ غرَّني منها وَميضُ سَنى،
حتى مَددْتُ اليها الكفَّ مُقتَبِسا[1]

فَصادفتْ حجَراً لو كنتَ تَضرِبه،
مِنْ لؤمه، بعَصا موسى لما انبَجَسا[2]

كأنما صِيغ من بُخلٍ ومن كَذِب،
فكانَ ذاك له رُوحاً وذا نَفَسا

---

١ مقتبساً : آخذاً قبساً ، شعلة .

٢ انبجس الماء : تفجر .

التنزه عن استماع الخنا

والقول به

اعلم أنّ السامع شريكُ القائل في الشر . قال الله تعالى : « سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ . »

•

وقال العُتبي : حدثني أبي عن سعد القصير قال : نظر إليّ عمرو بن عُتبة ورجل يَشتم رجلاً بين يديّ ، فقال لي : ويلك، وما قال ويلك قبلها ، نزّه سَمعك عن استماع الخنا ، كما تُنزه لسانك عن الكلام به، فإن السامعَ شريكُ القائل ، وإنه عَمَد إلى شرّ ما في وعائه فأفرغه في وِعائك، ولو رُدّت كلمة جاهل في فِيه لسَعِدَ رادُّها كما شقي قائلها .

في الغلو في الدين

توفي رجل في عهد عمر بن ذرّ ممن أسرف على نفسه في الذنوب، وجاوزَ في الطُّغيان، فتَحامى الناسُ عن جِنازته، فحضرها عمر بن ذرّ وصلى عليه، فلما أُدْلِيَ في قبره قال: يَرحمك الله أبا فلان، صَحِبْتَ عُمرك بالتوحيد، وعفّرت وجهك لله بالسُّجود، فإن قالوا مُذنِب وذو خطايا، فمن منّا غيرُ مُذنِب وذي خطايا؟

•

ومن حديث أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسَلين فقال: «يأيُّها الرُّسلُ كلُوا منَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلوا صَالحاً إنّي بما تَعملون عَليم.» وقال: «يأيُّها الذينَ آمَنُوا كُلوا مِنْ طَيِّبات ما رَزقناكمْ.» ثم ذكر الرجل يُرى أشعثَ أغبرَ يَمُدُّ يديه الى السماء يقول: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حَرام ومشربه حَرام ومَلبسه حَرام، فأنّى يُستجاب له؟

•

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: إن الله بَعثني بالحنيفيّة

السّمحة ولم يَبعثني بالرّهبانيّة المبْتَدَعة ، سُنّتي الصلاة والنوم، والإفطار والصّوم ، فمن رَغِبَ عن سُنّتي فليس مني .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدّين مَتين فأوغِل فيه برِفق ، فإنّ المُنْبَتّ[1] لا أرْضاً قطع ولا ظَهْراً أبقى .

•

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: خير هذه الأمّة هذا النّمط الأوسط ، يَرجع اليهم الغالي ويَلحق بهم التالي .

•

وقال مُطرّف بن عبد الله بن الشّخّير لابنه ، وكان قد تعبّد : يا بُنيّ ، إن الحسنة بين السيئتين ، يعني أن الدين بين الإفراط والتقصير، وخير الأمور أوسطها، وشرّ السّير الحقحقة[2].

•

وقال سلمان الفارسيّ: القَصْدَ والدوامَ فأنت الجواد السابق.

•

---

١ المنبت : يقال للرجل اذا انقطع في سفره وعطبت راحلته ، وهو من انبت : انقطع .

٢ الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر .

وقالوا : طالبُ العِلم وعاملُ البرّ كآكل الطعام، ان أكل منه قوتاً عَصمه ، وإن أسرَف منه أبشَمه[1] .

•

وفي بعض الحديث : إن عيسى بنَ مريم، عليه السلام، لقي رجلاً فقال له : ما تَصنع؟ قال: أتعبّد؛ قال: فمن يَعود عليك؟ قال : أخي ؛ قال : هو أعبَد منك .

•

ونظير هذا أن رُفقةً من الأشعريين كانوا في سفر ، فلما قَدِموا قالوا : ما رأينا يا رسول الله بعدك أفضلَ من فلان ، كان يَصوم النهار ، فإذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل ؛ قال : فمَن كان يَمْهَن له ويَكفله ؟ قالوا : كلّنا ؛ قال : كلكم أفضل منه .

•

وقيل للزُّهري : ما الزهد في الدنيا؟ قال : أما إنه ما هو بتشعيث اللّمة ، ولا قَشَف الهيئة ، ولكنّه ظَلَف النّفس[2] عن الشهوة .

•

---

١ ابشمه : اتخمه .

٢ ظلف النفس : كفها عن الشيء .

علي بن عاصم عن أبي اسحق الشيباني قال :

رأيت محمد بن الحنفيّة واقفاً بعرَفات على بِرْذون وعليه مُطرَف خز أصفر .

•

السُدّي عن ابن جُريج أنّ ابن عبّاس كان يَرْتدي رِداء بألف .

•

اسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيتُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليه ثوبان مَصبوغان بالزعفران: رداء وعمامة .

•

وقال مَعمر: رأيت قميص أيوبَ السَّختياني يكاد يمس الأرض، فسألتُه عن ذلك ؛ فقال : إن الشهرة كانت فيما مضى في تذييل القمِيص ، وإنها اليومَ في تشميره .

•

أبو حاتم عن الأصمعي : أن ابن عَون اشترى بُرنساً فمرّ على مُعاذة العَدَويّة ، فقالت : مِثلك يَلبس هذا ؟ فذكرتُ

ذلك لابن سيرين ، قال: أفلا أخبرتها أن تميماً الداري اشترى حُلة بألف فصلى فيها ؟

•

قدم حمّاد بن سلمة البصرة فجاءه فرْقد السَّبَخي وعليه ثيابُ صُوف ، فقال له حمّاد : ضعْ عنك نصرانيّتك هذه ، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم فيخرج الينا وعليه مُعَصفرة، ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له .

•

أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسلم والي خُراسان في مِدْرعة صوف ، فقال له : ما يدعوك الى لباس هذه ؟ فسكت؛ فقال له قتيبة : أكلّمك ولا تجيبني؟ قال: أكره أن أقول زهداً فأزكّي نفسي، أو أقول فقراً فأشكو ربي ، فما جوابك الا السّكوت .

•

قال ابن السمّاك لأصحاب الصُوف : والله لئن كان لباسكم وفقاً لسرائركم فقد أحببتم أن يطّلع الناس عليها ، وإن كان مخالفاً لها لقد هَلكتم .

•

وكان القاسم بن محمد يَلبس الخزّ، وسالم بن عبد الله يَلبس

الصُّوف ، ويقعُدان في مسجد المدينة ، فلا يُنكر هذا على هذا شيئاً ولا ذا على هذا .

•

ودخل رجل على محمد بن المُنْكدر فوجده قاعداً على حشايا مُضاعفة ، وجارية تُغلِّفه بالغالية[1] ، فقال : رَحمك الله، جئت أسألك عن شيء وجدتك فيه ، يريد التزيّن ؛ قال : على هذا أدركتُ الناس .

•

وصلى الأعمش في مسجد قوم فأطال بهم الامام، فلما فرغ، قال له : يا هذا ، لا تُطِل صلاتك ، فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف ؛ قال الامام : وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ؛ فقال له الأعمش : أنا رسولُ الخاشعين إليك ، إنهم لا يحتاجون الى هذا منك .

•

العتبي قال : أصابت الربيعَ بن زياد نُشّابة[2] في جبينه ، فكانت تنتقض عليه كل عام ، فأتاه علي بن أبي طالب عائداً ، فقال له : كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن ؟

---

١ الغالية : خليط من الطيب .

٢ النشابة : النبلة .

قال : أجدُني لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بَصري لتمنّيْت ذهابه .

قال له : وما قيمة بصرك عندك ؟

قال : لو كانت لي الدُّنيا فديته بها .

قال : لا جَرَمَ ، ليُعطينّك الله على قَدر الدُّنيا، لو كانت لك لأنفقتها في سبيله، ان الله يُعطي على قدر الألم والمصيبة وعنده بعدُ تضعيفٌ كثير .

قال له الرَّبيع : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أشكو اليك عاصمَ ابن زياد ؟

قال : وما له ؟

قال لبسَ العَباء، وترك المُلاء، وغمّ أهْله، وأحزن ولده.

قال : عليَّ عاصماً .

فلما أتاه عَبس في وجهه، وقال : ويلك يا عاصم! أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره منك أخذك منها، أنت أهونُ على الله من ذلك، أوما سمعته يقول : «مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلتَقِيان. بينَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيان» حتى قال: «يَخْرُجُ مِنهُما اللُّؤلُؤ والمَرْجانُ .» وتالله لابتذالُ نِعم الله بالفِعال، أحبُّ اليَّ من ابتذالها بالمقال ، وقد سمعته يقول : « وأمّا بنِعْمَة رَبّك

فحدّث . » وقوله : « قُل مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطّيّباتِ مِنَ الرِّزْقِ . »

قال عاصم : فعلامَ اقتصرت أنتَ يا أمير المؤمنين؟ على لِبس الخشِنِ وأكْلِ الحَشَفِ[1] ؟

قال: إنّ الله افترض على أئمّة العَدْل أن يُقدّروا أنفسهم بالعوامّ لئلا يَتَشَنَّعَ بالفقير فقرُه .

قال : فما بَرِح حتى لبس المُلاء وترك العَباء .

•

محمد بن حاطِب الجُمَحي قال : حدّثني من سمع عمرو بن شعيب، وكنتُ سمعته أنا وأبي جميعاً، قال : حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن عبد الله بن مسعود قال: أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذاتَ يوم أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكانت امرأة تَلْطُفُ[2] برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف أنتِ يا أمّ عبد الله ؟

قالت : كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجلٌ قد تخلى من الدنيا ؟

---

١ الحشف : الخبز اليابس .

٢ تلطف : ترفق .

قال لها : كيف ذلك ؟

قالت: حرّم النوم فلا ينام، ولا يُفطر ، ولا يَطعم اللحم، ولا يؤدي إلى أهله حقّهم .

قال : فأين هو ؟

قالت : خرج ويوشك أن يرجع الساعة .

قال : فإذا رجع فاحبسيه عليّ .

فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وجاء عبد الله واوشك رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الرجعة، فقال: يا عبد الله بن عمرو ، ما هذا الذي بلغني عنك ؟

قال : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : بلغني انك لا تنام ولا تُفطر .

قال : أردت بذلك الأمن من الفزع الأكبر .

قال : وبلغني أنك لا تَطعم اللحم .

قال : أردتُ بذلك ما هو خيرٌ منه في الجنّة .

قال : وبلغني أنك لا تؤدي الى أهلك حقّهم .

قال : أردتُ بذلك نساءً هنّ خير منهنّ .

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله بن عمرو، إن لك في رسول الله أسوة حسنة ، فرسول الله يصوم ويُفطر

ويأكل اللحم، ويؤدي الى أهله حقوقهم. يا عبد الله بن عمرو، إنّ لله عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً.

فقال: يا رسول الله، ما تأمرني أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوماً؟

قال: لا.

قال: فأصوم أربعة وأفطر يوماً؟

قال: لا.

قال: فأصوم ثلاثة وأفطر يوماً؟

قال: لا.

قال: فيومين وأفطر يوماً؟

قال: لا.

قال: فيوماً وأفطر يوماً؟

قال: ذلك صيام أخي داود، يا عبد الله بن عمرو، كيف بك إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مَرِجَتْ[1] عهودهم ومواثيقهم فكانوا هكذا، وخالف بين أصابعه.

قال: فما تأمرني به يا رسول الله؟

قال: تأخذ ما تعرف، وتدع ما تُنكر، وتعمل بخاصّة نفسك، وتدع الناس وعوامّ أمرهم.

---

١ مرجت: فسدت.

قال: ثم أخذه بيده وجعل يمشي به حتى وضع يده في يد أبيه، وقال له : أطِـع أباك . فلما كان يوم صِفّـين ، قال له أبوه عمرو : يا عبد الله ، اخرج فقاتل .

فقال : يا أبتاه ، أتأمرني أن أخرج فأقاتل وقد سمعت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما سمعت وعهد الي ما عهد؟

قال : أنشدك الله ألم يكن آخر ما قال لك أن اخذ بيدك فوضعها في يدي ، وقال لك : أطع أباك ؟

قال : اللهم بلى .

قال : فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل .

قال : فخرج فقاتل متقلداً بسيفين .

•

القول في القدر

اتى قومٌ من أهل القَدر محمدَ بن المُنْكدر، فقالوا له: انت الذي تقول : ان الله يُعذّب الخلق على ما قدّر عليهم ؟ فصرف وجهه عنهم ولم يُجبهم . فقالوا له : أصلحك الله ، إن كنت لا تُجيبنا فلا تُخلِنا من بركة دعائك .

فقال: اللهم لا تَرْدُدِنا بعقوبتك، ولا تمكُر بنا في حيلتك، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا عن رِضاك ، قليلَ أعمالنا تَقبّل، وعظيمَ خطايانا اغفر ، انت الله الذي لم يكن شيء قبلك ، ولا يكون شيء بعدك ، وليّ الاشياء ، ترفع بالهُدى من تشاء ؛ لا مَن أحسن استغنى عن عَونك ، ولا مَن أساء غَلَبك ، ولا استبد شيء عن حكومتك وقدرتك ، لا ملجأ الا إليك ، فكيف لنا بالمغفرة وليست إلا في يديك ، وكيف لنا بالرحمة وليست إلا عندك ، حفيظ لا ينسى ، قديم لا يَبلى ، حيّ لا يموت ، بك عرفناك ، وبك اهتدينا إليك ، ولولا انت لم ندرِ ما انت ، سُبحانك وتعاليت .

فقال القوم : قد والله أخبر وما قصر .

•

وقال : ذُكر القَدر في مجلس الحسن البصريّ ، فقال : إن الله خلق الخلق للابتلاء ، لم يُطيعوه بإكراه ، ولم يعصُوه بغَلَبة ، لم يُهْمِلْهم من المُلْك وهو القادر على ما أقدرهم عليه ، والمالك لما ملّكهم إياه ، فإن يأتمر العِباد بطاعة الله لم يكن الله مُثبّطاً[1] لهم ، بل يَزيدهم هُدى إلى هُداهم ، وتَقوى إلى تَقْواهم ، وإن يأتمروا بمعصية الله ، كان الله قادراً على صرفهم إن شاء ، وإن تَخلّى بينهم وبين المعصية ، فمن بعد إعذار[2] وإنذار[3] .

•

مروان بن موسى قال : حدثنا أبو ضَمْرة[4] أنّ غَيْلان قدِم بكلمة قد صاغها حتى وقف على رَبيعة[5] ، فقال له : أنت الذي تزعم أنّ الله أحبّ أن يُعصى ؟

فقال له رَبيعة : أنت الذي تزعم أن الله يُعصى كرهاً ؟ فكأنما ألقمه حجراً .

•

---

١ مثبطاً : معوقاً ، وشاغلاً .

٢ الاعذار ، من اعذر الله الى فلان : امهله حتى لم يبق فيه موضع للاعتذار .

٣ الانذار ، من انذره : خوفه وحذره .

٤ ابو ضمرة : انس بن عياض الليثي المدني .

٥ ربيعة : هو ربيعة الرأي أبو عثمان بن عبد الرحمن .

قيل لطاوس : هذا قتادة يُحبُّ أن يأتيك ؛ فقال : إن جاء لأقومنّ ؛ قيل له : إنه فقيه ؛ قال : إبليس أفقه منه ، قال : « رَبِّ بِمَا أغْوَيْتَنِي . »

•

وقيل للشعبيّ : رأيتَ قتادة ؟ قال : نعم ، رأيت كُناسة بين حَشَّين[1] ، القَدر هو العِلم والكِتاب والكَلِمة والاذْن والمَشيئة .

•

قال الأصمعيّ : سألتُ أعرابياً فقلت له : ما فَضلُ بَني فُلان على بَني فلان ؟ قال : الكِتاب ، يعني القَدر .

•

وقال الله، عزّ وجلّ : «إنّا كُلّ شيءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَر.» وقال : « كُلٌّ في كِتابٍ مُبِين . » وقال : « وَلقَدْ سبقَتْ كلمَتُنا لعِبادِنا المُرْسَلين » يعني القَدر، وقال: «وَلوْلا كَلِمةٌ سَبقَت مِنْ رَبّكَ لكان لِزاماً . »

•

قال الخُشَني أبو عَبد الله مُحمد بن عبد السّلام : شاعران من

---

١ الحش : موضع قضاء الحاجة .

فحول الجاهلية لهما بيتان ذهب أحدهما في بيته مذهب العدلية والآخر ذهب مذهب الجبرية ، فالذي ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل ، وولّى الملامة الرّجلا

والذي ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة حيث يقول :

إنّ تقوى ربّنا خير نفل ، وبإذن الله ريثي وعجل[1]
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضل

•

وقال إياس بن معاوية : كلمت الفرق كلها ببعض عقلي وكلمت القدري بعقلي كله ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منك ؛ قال : نعم ؛ قلت : فإن الأمر كله لله .

•

ومن قول الله ، عز وجل ، في القدر : « قل فلله الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين . » وقال : « يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين . »

•

---

١ الريث : البطء .

ابن شهاب قال : أنزل الله على نبيّه آية في القدرية : « الذين قالوا لاخوانِهم وقعدوا لوْ أطاعُونا ما قُتِلوا، قلْ فادْرأوا عن أنفُسِكُم الموت إن كُنتُم صادقِين. » وقال: « قلْ لوْ كُنتُم في بيُوتِكُم لبَرزَ الذينَ كُتِب عليْهم القتْلُ إلى مضاجِعِهم . »

•

وقال محمد بن سيرين : ما ينكر القدرية ان يكونَ الله قد علِم من خلقه عِلماً فكتبه عليهم .

•

وقال رجلٌ لعليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه : ما تقول في القَدر ؟ قال : ويحك ! أخبرني عن رحمة الله ، أكانت قبل طاعة العِباد ؟

قال : نعم .

قال علي : أسلم صاحبكم وقد كان كافراً .

فقال الرجل له : أليس بالمشيئة الأولى التي انشأني بها وقوّم خلقي ، أقوم وأقعد ، وأقبض وابسط ؟

قال له علي : إنك بعدُ في المشيئة ، أما إني أسألك عن ثلاث ، فإن قلت في واحدة منهن لا ، كفرتَ ، وان قلت نعم ، فأنت أنت .

فمدّ القوم أعناقهم ليسمعوا ما يقول ، فقال له علي : أخبرني عنك ، أخلقك الله كما شئت أو كما شاء ؟

قال : بل كما شاء .

قال : فخلقك الله لما شئت أو لما شاء ؟

قال : بل لما شاء .

قال : فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء ؟

قال : بل بما شاء .

قال : قم فلا مشيئة لك .

•

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على غَيْلان التكلم في القدر ، وتقدم إليه في ذلك أشد التقدم ، وقال له في بعض ما توعده به من الكلام: ما احسبك تنتهي حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز إذ احتج عليك في المشيئة بقول الله ، عز وجل : «وما تشاؤون إلا أن يَشاءَ الله » ، فزعمت أنك لم تلقِ لها بالاً ؛ فقال عمر : اللهم إن كان كاذباً فاقطع يده ورجله ولسانه واضرب عنقه ، فانته أولى لك ، ودع عنك ما ضرُّه إليك أقرب من نفعه .

فقال له غَيْلان ، لِحَيْنه وشقوته : ابعث إلي يا امير المؤمنين من يكلمني ويحتج عليّ ، فإن أخذته حجتي أمسكت عني فلا

سبيل لك إلي ، وان أخذتني حجته ، فسألتك بالذي أكرمك بالخلافة إلا نفذت فيّ ما دعا به عمر عليّ .

فغاظ قوله هشاماً ، فبعث إلى الأوزاعي فحكى له ما قال لغيلان ، وما رد غيلان عليه ؛ فالتفت إليه الاوزاعي ، فقال له : أسألك عن خمس أو عن ثلاث ؟

فقال غيلان : بل عن ثلاث .

قال الأوزاعي : هل علمت أن الله أعان على ما حرّم ؟

قال غيلان : ما علمت ؛ وعظمت عنده .

قال : فهل عَلمت أن الله قضى على ما نهى ؟

قال غيلان : هذه اعظم ! ما لي بهذا من علم .

قال : فهل علمت أن الله حال دون ما أمر ؟

قال غيلان : حال دون ما أمر ! ما علمت .

قال الأوزاعي : هذا مرتاب من أهل الزيغ . فأمر هشام بقطع يده ورجله ، ثم ألقي به في الكناسة فاحتوشه الناس[1] يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نقمته .

ثم أقبل رجل كان كثيراً ما ينكر عليه التكلم في القدر ،

---

١ احتوشه الناس : جعلوه وسطهم .

فتخلل الناسَ حتى وصل إليه ، فقال : يا غيلان ، اذكر دعاء عمر ، رحمه الله .

فقال غيلان : أفلح إذاً هشام إن كان الذي نزل بي بدعاء عمر أو بقضاء سابق ، فإنه لا حرج على هشام فيما أمر به .

فبلغت كلمته هشاماً ، فأمر بقطع لسانه وضرب عنقه لتمام دعوة عمر ، ثم التفت هشام إلى الأوزاعي وقال له : قد قلتَ يا أبا عمرو ففسر .

فقال : نعم ، قضى على ما نهى عنه ، نهى آدم عن أكل الشجرة ، وقضى عليه بأكلها ؛ وحال دون ما أمر ، أمر إبليس بالسجود لآدم ، وحال بينه وبين ذلك ؛ وأعان على ما حرّم ، حرّم الميتة ، وأعان المضطر على أكلها .

•

الرياشي عن سعيد بن عامر عن جويرية عن سعيد بن أبي عروبة ، قال : لما سألت قتادة عن القدر ، فقال : رأيَ العرب تريد فيه أم رأي العجم ؟ فقلت : بل رأي العرب ؛ قال : فإنه لم يكن أحد من العرب إلا وهو يثبت القدر . وأنشد :

ماكان قَطعي هَولَ كل تنوفة ، إلا كتاباً قد خلا مَسطورا[1]

•

---

[1] التنوفة : المفازة والارض الواسعة الاطراف ، او الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس .

وقال أعرابي : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس يعرف ضوءَها ولا يحتم على حدودها .

•

وقال كعب بن زهير :

لو كنتُ أعجب من شيء لأعجبني
سَعْيُ الفتى ، وهو مخبوءٌ له القَدرُ

يَسعى الفتى لأمور ليس يُدركها
فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ منتشر

والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أمل،
لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثر

•

وقال آخر :

والجَدُّ أنهَضُ بالفتى مِن عقله،
فانهض بجَدٍّ في الحوادث أو ذرِ

ما أقربَ الأشياء ، حينَ يَسوقها
قدرٌ ، وأبعدَها ، إذا لم تُقدَرِ

•

عبد الرحمن القصير قال : حدثنا يونس بن بلال عن يزيد ابن أبي حبيب ، أن رجلاً قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أيقدر الله عليّ الشر ثم يعذبني عليه ؟ قال : نعم ، وأنت أظلم .

•

وحدّث أبو عبد الرحمن المقرىء ، يرفعه إلى أبي هريرة ، عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم .

•

ومن حديث عبد الله بن مسعود ، قال : ما كان كفر بعد نبوّة قط ، إلا كان مفتاحه التكذيب بالقدر .

•

قال الكِندي في الفن التاسع من التوحيد : اعلم أن العالم كله مسوس بالقضاء والقدر ، أعني بالقضاء ، ما قُسم لكل معلول مما هو أصلح وأحكم وأتقن في بِنْية الكل ، لأنه ، جلّ ثناؤه ، خلق وأبدع مضطراً ومختاراً بتام القدرة ، فلما كان المختار غير تام الحكمة ، لأن تمام الحكمة لمبدع الكل ، كان لو أُطلق واختيارَه لاختار كثيراً مما فيه فساد الكل ، فقدّر ، جلّ ثناؤه ، بِنْية للكل تقديراً محكماً ، فدبّر بعضه سوانح لبعض ، بمختار

بإرادته ومشيئته غير مقهور بما هو أصلح وأحكم في بنية الكل، فتقدير هذه السوانح هو القدر ، فبالقضاء والقدر ساس ، جلّ ثناؤه ، جميع ما أبدع بهذه السياسة المُحكمة المُنظّمة ، التي لا يَدخلها زلل ولا نقص ، فاتضح أنّ كل معلول فيما قسم له ربه من الأحوال لا خارج عنها ، وأن بعض ذلك باضطرار وبَعضه باختيار ، وأنّ المختار عن سوانح قَدَره اختار، وبإرادته لا بالكره منه فَعل .

•

سئل أعرابي عن القَدر فقال : ذاك علم اختصمت فيه الظنون ، وكثر فيه المختلفون ، والواجب علينا أن نَرُدّ ما أشكل من حُكْمه إلى ما سبق في علمه .

•

واصطحب مجوسي وقَدري في سفر، فقال القدريُّ للمجوسي: ما لك لا تُسلم ؟

قال : إن أذن اللهُ في ذلك كان .

قال : إن الله قد أذن إلا أنّ الشيطان لا يدَعك .

قال : فأنا مع اقواهما .

•

وقال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله في فضله

وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيقه ، ثم يعذبنا عليه ؟ قال هشام: قد والله فعل ، ولكن لا نستطيع أن نتكلم .

•

اجتمع عمرو بن عُبيد مع الحارث بن مِسكين بمِنى، فقال له: إنَّ مِثلي ومِثلك لا يجتمعان في مثل هذا الموضع ، فيَفترقان من غير فائدة ، فإن شئتَ فقل ، وإن شئت فأنا أقول .

قال له : قل .

قال : هل تعلم أحداً أقبل للعُذر من الله ، عز وجل ؟

قال : لا .

قال : فهل تعلم عذراً أبينَ من عذر مَن قال لا أقدر ، فيما تعلم أنت أنه لا يَقدر عليه ؟

قال : لا .

قال : فلِمَ لا يَقبلُ ، مَن لا أقبَلَ للعُذر منه ، عُذرَ من لا أبينَ من عُذره ؟

فانقطع الحارث بن مِسكين فلم يردّ شيئاً .

رد المأمون على الملحدين

وأهل الأهواء

قال المأمون للثنوي الذي تكلم عنده : أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما ، هل نَدِم مُسيء قطُّ على إساءته ؟

قال : بلى .

قال : فالندم على الإساءة إساءةٌ أم إحسان ؟

قال : بل إحسان .

قال : فالذي نَدِم هو الذي أساء أم غيره ؟

قال : بل هو الذي أساء .

قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحب الشر .

قال : فإني أقول : إن الذي نَدِم غير الذي أساء ؟

قال : فندم على شيء كان منه أم على شيء كان من غيره ؟ فسكت .

قال له أيضاً: أخبرني عن قولك باثنين، هل يَستطيع أحدهما أن يَخلق خَلقاً لا يستعين فيه بصاحبه ؟

قال : نعم .

قال: فما تصنع باثنين؟ واحدٌ يَخلق كل شيء خيرٌ لك وأصح .

•

وقال المأمون للمرتد الخراسانيّ الذي أسلم على يَديه وحمله معه الى العراق فارتدّ عن الاسلام : أخبرني ما الذي أوحشك مما كنت به آنساً من دِيننا ؟ فوالله لأن أستَحْييك بحق، أحب اليّ من أن أقتُلك بحق، وقد صِرتَ مُسلماً بعد أن كنتَ كافراً، ثم عُدت كافراً بعد أن صرت مُسلماً، وإن وجدت عندنا دواءً لدائك تداويتَ به، وإن أخطأك الشّفاء، وتباعد عنك، كنت قد أبليتَ العُذر في نفسك ، ولم تُقصّر في الاجتهاد لها ، فإن قتلناك قتَلْناك في الشريعة، وترجع أنت في نفسك الى الاستبصار واليَقين ، ولم تُفرّط في الدُّخول من باب الحزْم .

قال المرتد : أوحشني منكم ما رأيتُ من كثرة الاختلاف في دينكم .

قال المأمون : لنا اختلافان: أحدهما كاختلافنا في الأذان، وتكبير الجنائز، وصلاة العيدين، والتشهّد، والتسليم من الصلاة، ووجوه القراآت ، واختلاف وجوه الفتيا ، وما أشبه ذلك ، وهذا ليس باختلاف، وانما هو تخيير وتوْسعة وتخفيف من السنّة، فمن أذّن مَثنى وأقام مَثنى لم يأثم ، ومن ربّع لم يأثم .

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتاب الله، وتأويل الحديث عن نبيّنا، مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان إنما أوحشك هذا، فينبغي أن يكون اللفظُ بجميع التوراة والانجيل متّفقاً على تأويله كما يكون متّفقاً على تنزيله، ولا يكون بين اليهود والنّصارى اختلافٌ في شيء من التأويلات، ولو شاء الله أن يُنزل كتبه مُفسّرة، ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يُختلف في تأويله لفعل، ولكنّا لم نجد شيئاً من أمور الدّين والدّنيا وقع الينـــا على الكفاية الا مع طُول البحث والتّحصيل والنظر، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البَلوى والمِحن، وذهب التفاضُـل والتباين، ولما عُرف الحازم من العاجز، ولا الجاهل من العالم، وليس على هذا بُنيت الدنيا.

قال المرتد: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك له، وأن المسيح عبد الله، وأنّ محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين حقاً.

•

وقال المأمون لعليّ بن موسى الرضا: بمَ تدّعون هذا الأمر؟

قال: بقرابة عليّ من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله، وبقرابة فاطمة منه.

فقال له المأمون: إن لم يكن ها هنا إلا القرابة، فقد خلّف

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، من أهل بيته من كان أقربَ اليه من عليّ، أو مَن في مثل قُعْدُده[1]، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإنّ الحقّ بعد فاطمة للحسن والحسين ، وليس لعليّ في هذا الامر حق وهما حيّان ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإنّ علياً قد ابتزّهما حقّهما وهما صحيحان ، واستولى على ما لا يجب له . فما أجابه عليّ بن موسى بشيء .

•

كتب واصل بنُ عَطاء الغزّال إلى عمرو بن عُبيد: أما بعد، فإنّ استلاب نِعمة العبد وتَعْجيل المعاقبة بيد الله، ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال الذي يحول بين المرء وقلبه، وقد عرفتَ ما كان يُطعن به عليك ويُنسب إليك ونحن بين ظَهراني الحسن بن أبي الحسن، رحمه الله، لاستبشاع قبح مذهبك ، نحن ومن قد عرفته مِن جميع أصحابنا ، ولُمّة إخواننا ، الحاملين الواعين عن الحسن ، فلله تلكم لُمّة وأوعياء وحفظة ، ما أدمث الطبائع ، وأرزن المجالس ، وأبين الزهد ، وأصدق الألسنة، اقتدَوا والله بمن مضى شبهاً بهم، وأخذوا بهديهم.

---

[1] قعدده : قرب نسبه .

عهدي والله بالحسن وعهدكم به أمس في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بشرقيّ الاجنحة ، وآخر حديث حدثنا إذ ذكر الموت وهول المطّلع[1]، فأسف على نفسه واعترف بذنبه، ثم التفت والله يمنة ويسرة معتبراً باكياً، فكأني أنظر إليه يمسح مُرفضّ العرق عن جبينه ، ثم قال :

اللهم إني قد شددت وضين[2] راحلتي ، وأخذت في أهبة سفري إلى محل القبر وفَرش العفْر[3]، فلا تؤاخذني بما ينسبون إلي من بعدي .

اللهم اني قد بلّغت ما بلغني عن رسولك ، وفسرت من محكم تأويلك ما قد صدّقه حديث نبيك، ألا وإني خائف عَمْراً، شكاية لك إلى ربه جهراً ، وأنت عن يمين أبي حُذيفة أقربنا إليه ؛ وقد بلغني كبير ما حمّلته نفسَك ، وقلّدته عنقك ، من تفسير التنزيل ، وعبارة التأويل ، ثم نظرتُ في كتبك ، وما أدته إلينا روايتك من تنقيص المعاني ، وتفريق المباني ، فذات شكاية الحسن عليك بالتحقيق بظهور ما ابتدعت وعظيم ما تحملت، فلا يغررك تدبير من حولك ، وتعظيمهم طَولك ، وخفضهم

---

١ هول المطلع : خوف ما يشرف عليه من أمر الآخرة .

٢ الوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر، أو لا يكون الا من جلد.

٣ العفر : التراب .

أعينهم عنك اجلالاً لك ، غداً والله تمضي الخيلاء والتفاخر ، وتُجزى كلُّ نفس بما تسعى .

ولم يكن كتابي إليك ، وتجليبي[1] عليك ، إلا لتذكيرك بحديث الحسن ، رحمه الله ، وهو آخر حديث حدثناه ، فأدّ المسموع ، وانطق بالمفروض ، ودع تأويلك الأحاديث على غير وجهها ، وكن من الله وَجِلاً .

١ تجليبي : زجري.

من أخبار الخوارج

لما خرجت الخوارج على عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكانوا من أصحابه، وكان من أمر الحكمين ما كان، واختداع عمرو لأبي موسى الاشعري، قالوا: لا حُكم إلا لله. فلما سمع علي، رضي الله عنه، نداءهم، قال: كلمة حق يراد بها باطل، وإنما مذهبهم أن لا يكون أمير، ولا بد من أمير برّاً كان أو فاجراً.

وقالوا لعلي: شككت في أمرك، وحكّمت عدوك في نفسك.

وخرجوا إلى حَرُوراء، وخرج اليهم عليٌّ، رضي الله عنه، فخطبهم متوكئاً على قوسه، وقال: هذا مقام من أفلح فيه أفلح يوم القيامة، أنشدكم الله، هل علمتم أن أحداً كان أكره للحكومة مني؟

قالوا: اللهم لا.

قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني عليها حتى قبلتها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال : فعلامَ خالفتموني ونابذتموني ؟

قالوا: إنا أتينا ذنباً عظيماً فتبنا إلى الله منه ، فتُب إلى الله منه ، واستغفره نَعُد إليك .

فقال عليّ : إني أستغفر الله من كلّ ذنب .

فرَجَعوا معه وهم في ستة آلاف . فلما استقرّوا بالكوفة أشاعوا أن عليّاً رجع عن التَّحْكيم، وتاب منه، ورآه ضلالاً. فأتى الأشعثُ بن قيس علياً، رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيتَ الحكومة ضلالاً والاقامة عليها كُفراً وتُبْتَ .

فخطب عليّ الناسَ فقال: مَن زعم أني رجعتُ عن الحكومة فقد كذَب ، ومن رآها ضلالاً فهو أضلّ منها .

فخرجت الخوارج من المسجد فحكّمت، فقيل لعليّ : إنهم خارجون عليك ؛ فقال : لا أقاتلهم حتى يُقاتلوني، وسيفعلون.

فوجّه إليهم عبدالله بن العبّاس ، فلما سار إليهم رحّبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباهاً قَرِحة لطول السجود ، وأيدياً كثَفِنات[1] الإبل ، وعليهم قُمص مُرْحَضة[2] وهم مُشمّرون ،

---

١ الثفنات، واحدتها ثفنة: هي من البعير الركبة، وما مس الأرض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه .

٢ مرحضة : مغسولة .

فقالوا : ما جاءَ بك يابن عبّاس ؟

قال: جئتكم من عند صِهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وابن عمه، وأعلمنا بربّه وسنّة نبيّه، ومِن عند المهاجرين والانصار.

فقالوا: إنا أتينا عظيماً حين حكّمنا الرجالَ في دين الله، فإن تاب كما تُبنا ونهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا.

فقال ابن عبّاس : نشدتكم الله إلا ما صَدَقتم أنفسكم ، أما عَلمتم أن الله أمر بتحكيم الرّجال في أرنب تُساوي ربع دِرهم تُصاد في الحرَم ، وفي شِقاق رجل وامرأته ؟

فقالوا : اللهم نعم .

قال : فأنشدُكم الله ، هل عَلمتم أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، أمسك عن القتال للهُدنة بينه وبين أهل الحُديْبية ؟

قالوا : نعم ، ولكنّ علياً محا نفسه من خِلافة المسلمين !

قال ابن عبّاس: ليس ذلك يُزيلها عنه، وقد محا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اسمه من النبوّة ، وقال سُهَيل بن عمرو: لو عَلمتُ أنك رسولُ الله ما حاربتُك؛ فقال للكاتب: اكتب: محمد بن عبد الله . وقد أخذ على الحَكمين أن لا يجورا، وإن يجورا ، فعليّ أولى من مُعاوية وغيره .

قالوا : إن معاوية يدّعي مثل دعوى عليّ .

قال : فأيّهما رأيتموه أولى فولّوه .

قالوا : صدقت .

قال ابن عبّاس : ومتى جار الحَكَمان فلا طاعة لهما ولا قَبول لقولهما .

فاتّبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف .

فصلى بهم صلاتَهم ابن الكوّاء، وقال : متى كانت حرب فرئيسكم شَبَث بن رِبعي الرّياحي . فلم يزالوا على ذلك حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وَهب الراسبي ، فخرج بهم إلى النهروان ، فأوقع بهم عليّ ، فقتل منهم ألفين وثمانمائة ، وكان عددهم ستة آلاف ، وكان منهم بالكوفة زُهاء ألفين ممن يُسِرُّ أمره، فخرج منهم رجلٌ بعد أن قال عليّ، رضي الله عنه : ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خَبّاب .

قالوا : كلنا قتله وشرك في دمه .

وذلك أنهم لما خرجوا إلى النهروان لقوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : احفظوا ذمة نبيّكم . ولقوا عبد الله بن خَبّاب ، وفي عُنقه المُصحف ومعه امرأته وهي حامل ، فقالوا : إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك .

فقال لهم : أحيوا ما أحيا القُرآن، وأميتوا ما أمات القرآن.

قالوا : حدثنا عن أبيك .

قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل .

قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟

فأثنى خيراً .

قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ؟

فأثنى خيراً .

قالوا : فما تقول في الحكومة والتحكيم ؟

قال : أقول : إن علياً أعلم بكتاب الله منكم ، وأشد تَوقّياً على دينه وأبعد بصيرةً .

قالوا : إنك لستَ تتّبع الهدى بل الرجالَ على أسمائها .

ثم قرّبوه إلى شاطىء البحر فذبحوه فامذَقَرّ دمه ، أي جرى مستقيماً على دقة . وساموا رجلاً نصرانياً بنَخلة، فقال: هي لكم هِبَة .

قالوا : ما كنّا نأخذها إلا بثمن .

فقال : ما أعجبَ هذا ! أتقتلون مثلَ عبد الله بن خبّاب ، ولا تَقبلون منا نَخلة إلا بثمن !

ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب : الاباضية ، أصحاب

عبد الله بن إباض ؛ والصُّفرية ، واختلفوا في تسميتهم ، فقال قوم : سُمُّوا بابن الصَّفار ، وقال قوم : نهكتهم العبادة فاصفرّت وجوهُهم ؛ ومنهم البَيْهسية ، وهم أصحاب ابن بَيهس ؛ ومنهم الأزارقة ، أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكانوا قبلُ على رأيٍ واحد لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ .

فبلَغهم خروجُ مُسلم بن عُقبة إلى المدينة ، وقتلُه أهل حرّة ، وأنه مُقبل إلى مكة ، فقالوا : يجب علينا أن نمنعَ حرَم الله منهم ، ونمتحِن ابنَ الزبير ، فإن كان على رأينا تابعناه .

فلما صاروا إلى ابن الزبير عرّفوه أنفسهم ، وما قدِموا له ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مُسلم بن عقبة وأهل الشام ، فدافعوه إلى أن يأتي رأيُ يزيدَ بنِ معُاوية ، ولم يتابعوا ابنَ الزبير ، ثم تناظَروا فيا بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قدّم أبا بكر وعمر ، وبَرِىء من عثمان وعليّ ، وكفّر أباه وطَلحة بايعناه ، وإن تكن الأخرى ظَهر لنا ما عنده ، وتشاغلنا بما يُجدي علينا .

فدخلوا على ابن الزُّبير وهو متبذّل وأصحابه متفرقون عنه ، فقالوا له : إنا جئناك لتُخبرنا رأيك ، فإن كنت على صواب بايعناك ، وإن كنتَ على خلافه دعوْناك إلى الحق ، ما تقول في الشَّيخين ؟

قال : خيراً .

قالوا : فما تقول في عُثمان الذي حَمَى الحِمَى[1] ، وآوى الطَّريد[2] ، وأظهر لأهل مِصر شيئاً وكتب بخلافه[3] ، وأوْطأ آلَ بني مُعيط رِقابَ الناس[4] ، وآثرهم بفَيْء المُسلمين[5] ؛ وفي الذي بعده الذي حكّم في دين الله الرجالَ ، وأقام على ذلك غيرَ تائب ولا نادم ؛ وفي أبيك وصاحبه[6] ، وقد بايعا عليّاً ، وهو إمام عادل مَرْضيّ لم يَظْهر منه كُفر ، ثم نَكثا بَيْعته وأخرجا عائشة تُقاتل ، وقد أمرها الله وصَواحبَها أن يَقْرْنَ في بُيوتهن ، وكان لك في ذلك ما يَدعوك الى التَّوبة ، فإن أنت قَبلتَ كلَّ ما نقول لك فلك الزُّلفى عند الله ، والنصرُ على

١ يشيرون الى انه خالف قول النبي : « لا حمى الا لله ورسوله . » وحمى مراعي لابله شأن شرفاء الجاهليين .
٢ الطريد : هو الحكم بن ابي العاص ، نفاه النبي الى الطائف وظل منفياً الى ان استخلف عثمان فآواه .
٣ اشارة الى وفد مصر الذي جاءه يريد خلعه أو قتلـه فاظهر الصفح عنهم ، ثم ارسل الى عامله على مصر أن يجلد رؤساءهم .
٤ يريدون بآل معيط أقارب عثمان .
٥ الفيء : ما غنمه المسلمون في حروبهم . اشارة الى مصالحة ابن ابي سرح أمير مصر لبطريق افريقية على مال يؤديه له فأعطاه عثمان لآل الحكم .
٦ ابوك : هو الزبير بن العوام ، صاحبه : طلحة بن عبد الله بن عثمان .

أيدينا ، إن شاء الله ، ونسأل الله الك التوفيقَ ، وان أبيتَ خذلك الله وانتصر منك بأيدينا .

فقال ابن الزبير: ان الله أمر، وله العِزة والقُدرة، في مخاطبة أكفر الكافرين ، وأعتى العاتين ، بأرقّ من هذا القول ، فقال لموسى وأخيه ، صلى الله عليهما : « اذْهبا إلى فِرْعَونَ إنّه طَغَى ، فقولا لهُ قَوْلاً لَيّناً لعلّه يَتَذكّرُ أوْ يَخْشَى . »

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : «لا تُؤْذوا الأحياء بِسَبّ المَوْتى.» فنهى عن سبّ أبي جَهل من أجل عِكْرمة ابنه، وأبو جهل عدوّ الله وعدو رسوله والمقيم على الشّرك، والجاد في محاربة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قَبل الهِجْرة، والمحارب له بعدها، وكفى بالشّرك ذنباً، وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذي سمّيتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا: أتبرأ من الظالمين؟ فإن كانا منهم دخلا في غِمار النّاس، وإن لم يكونا منهم لم تُحفِظوني بسبّ أبي وصاحبه، وأنتم تَعلمون أن الله ، جلّ وعزّ ، قال للمُؤمن في أبويه : « وَإنْ جاهَداكَ عَلى أن تُشْرِكَ بي ما لَيسَ لكَ به عِلمٌ فلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعْرُوفاً.» وقال : « وَقُولوا لِلنّاسِ حُسْناً . »

وهذا الذي دعوتم اليه أمرٌ له ما بعده ، وليس يُقنعكم إلا التّوقيف والتّصريح، ولعَمْري إن ذلك أحرى بِقَطع الحجج،

وأوضَح لمنهاج الحقّ، وأولى بأن يَعرف كلّ صاحبه من عدوّه، فروحوا اليّ من عَشيّتكم هذه أكشِف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى .

فلمّا كان العشيّ راحوُا اليه، فخرج اليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأى ذلك نَجدة[1] ، قال : هذا خروج منابذ لكم .

فجلس[2] على رَفع من الأرض ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيّه ، ثم ذكر أبا بكر وعُمر أحسنَ ذِكر ، ثم ذكر عُثمان في السّنين الأوائل من خلافته، ثم وصلهنّ بالسّنين التي أنكروا سِيرته فيها فجعلها كالماضية، وأخبر أنه آوى الحكم ابن أبي العاصي بإذن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحِمى وما كان فيه من الصّلاح، وأن القومَ استعتبوه من أمور ما كان له أن يَفعلها ، أولاً مُصيباً، ثم أعتبهم بعد ذلك مُحسناً، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ، ثم كُتب ذلك الكتابُ بقتلهم ، فدَفعوا الكتاب اليه ، فحلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به ، وقد أمر الله ، عزّ وجلّ ، بقبول اليمين ممّن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع

---

١ نجدة بن عامر الحنفي الخارجي .

٢ الضمير عائد الى ابن الزبير .

له من صِهْر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومكانه من الامامة، وأن بَيعة الرِّضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه.

وعثمان الرجل الذي لزِمَتْه يمينٌ لو حلَفَ عليها لحلَفَ على حقّ، فافتداها بمائة ألف ولم يَحلِف، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مَن حلف بالله فليَصْدق، ومن حُلِف له بالله فليقبل.»

وعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا وليّ وليِّه وعدوّ عدوّه، وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورسول الله يقول عن الله، عزّ وجلّ، يومَ أُحُد لما قُطعت إصْبع طَلحة: سَبقَتْه الى الجنة. وقال: «أوْجب طلحة.»

وكان الصِّدّيق إذا ذُكر يومُ أحد قال: ذلك يوم كلّه أو جلّه لطلحة. والزبير حواريّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصَفوته، وقد ذكر أنه في الجنّة، وقال عزّ وجلّ: «لقدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤمِنِينَ إذ يُبايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجرةِ.»

وما أخبرَنا بعدُ أنه سَخِط عليهم؛ وإن يكن ما صَنعوا حقاً فأهل ذلك هم، وإن يكن زلّة ففي عفو الله تمحيصُها، وفيما وفّقهم له من السابقة مع نبيّهم، صلى الله عليه وسلم، ومهما ذَكرتموهما به فقد بَدأتم بأمّكم عائشة، فإن أبى آبٍ أن تكون له أمّاً، نَبَذ اسم الايمان عنه، وقد قال جلّ ذكره:

«النَّبيُّ أَوْلى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِم وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ.»
فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه.

وكتب بعد ذلك نافع بنُ الأزرق الى عبد الله بن الزبير يَدعوه الى أمره: أما بعد، فإني أُحذِّرك من الله يومَ تَجد كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحضَراً، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويُحذِّركم الله نفسه. فاتَّقِ الله ربَّك ولا تتَولَّ الظالمين فإنّ الله يقول: «وَمَن يَتَولَّهُم مِنكُم فإنّهُ مِنْهُم.» وقال: «لا يَتَّخِذ المؤمنون الكافرينَ أَوْلِياءَ مِنْ دونِ المُؤمِنينَ، وَمَن يَفعَل ذلِكَ فلَيسَ مِنَ الله في شيء.»

وقد حضرتُ عثمانَ يومَ قُتِل، فلعمري لئن كان قُتل مَظلوماً لقد كَفر قاتلوه وخاذِلوه، وإن كان قاتلوه مُهتدين، وانهم لمُهتدون، لقد كَفرَ مَن تولاه ونصره.

ولقد علمتَ أنّ أباك وطَلحة وعليّاً كانوا أشدّ الناس عليه، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان، فكيف ولاية قاتل مُتعمّد ومَقتول في دين واحد، ولقد مَلك عليّ بعده فنَفى الشُّبهات، وأقام الحدود، وأجرى الاحكام مجاريها، وأعطى الأمور حقها فيما عليه وله، فبايَعه أبوك وطلحة، ثم خَلعا بَيعته ظالمين له، وان القول

فيك وفيهما لكما قال ابنُ عبّاس ، رحمه الله : ان يكُن عليٌّ في وقت مَعصيتكم ومُحاربتكم له كان مؤمناً لقد كَفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العَدل ، وان كان كافراً كما زعمتم ، وفي الحُكم جائراً ، فقد بؤتم بغضب مِن الله لفراركم من الزّحف . ولقد كنتَ له عدوّاً ، ولسيرته عائباً ، فكيف توليته بعد موته ؟

وكتب نجدةُ ، وكان من الصُّفرية القَعَدية[1]، الى نافع بن الأزرق ، لما بلغه عنه استعراضُه للناس[2] ، وقتله الأطفال ، واستحلاله الأمانة : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد : فإن عَهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرّحيم، وللضعيف كالأخ البَرّ، لا تأخذك في الله لومةُ لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، كذلك كُنتَ أنت وأصحابك ، أما تذكر قولَك : لولا أني أعلم أنّ للامام العادل مثلَ أجر جميع رعيّته ما توليّت أمر رجلين من المسلمين ، فلما شريْتَ نفسك في طاعة ربّك ابتغاء رضوانه وأصبتَ من الحق فَصّه ،وركبتَ مُرّه ، تجرّد لك الشيطانُ فلم يكن أحدٌ أثقلَ وطأةً عليه منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ،

---

١ القعدية : أي المقيمون من الخوارج بين أظهر أعدائهم من المسلمين ، وكان نافع بن الأزرق يرى اكفارهم .

٢ يريد قتله الناس .

فغويتَ وأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم ، فقال جلّ ثناؤه ، وقوله الحق ، ووعدُه الصدق: « لَيْسَ عَلى الضعفاءِ وَلا عَلى المَرْضَى وَلا عَلى الذينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِه . » ثم سمّاهم أحسن الأسماء فقال : « مَا عَلى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل . » ثم استحللتَ قتلَ الاطفال ، وقد نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن قتلهم ، وقال جلّ ثناؤه : « وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . » وقال في القعَد خيراً ، وفضّل الله من جاهد عليهم ، ولا يدفع منزلةُ أكثر الناس عملاً منزلةَ من هو دونه ، إلا إذا اشتركا في أصلٍ ، أوَما سمعتَ قوله تبارك وتعالى: « لا يَسْتَوي القاعِدُونَ من المؤمنين غَيرُ أُولي الضَّرَرِ والمُجاهِدونَ في سَبِيلِ الله . » فجعلهم الله من المؤمنين ، وفضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم ، ورأيتَ من رأيك أن لا تؤدّي الأمانة الى من يخالفك ، والله يأمرك أن تؤدي الأمانات الى أهلها ، فاتّق الله وانظر لنفسك ، واتّقِ يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولاَ مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً ، فإن الله بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل ، والسلام .

فكتب اليه نافع بن الأزرق : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكّرني ، وتنصحُ لي

وتوجرُني، وتصِفُ ما كنتُ عليه من الحق، وما كنتُ أوثره من الصواب ، وأنا أسألُ الله أن يجعلني من الذين يَستمعون القولَ فيتّبعون أحسنه .

وعِبْتَ عليّ ما دِنْتُ به من إكفار القعَد، وقتل الأطفال، واستحلال الأمانة ؛ وسأفسّر لك لِمَ ذلك إن شاء الله : أما هؤلاء القعَد فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سَبيلاً، ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقاً ؛ وهؤلاء قد فقِهوا في الدين، وقرأوا القرآن؛ والطريقُ لهم نهج واضح ؛ وقد عرفتَ ما يقول الله فيمن كان مِثلهم إذ قال : « إنّ الذين توَفّاهمُ الملائكةُ ظالمي أنفُسِهم قالوا فيمَ كُنتُم . قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ في الأرْض . قالوا ألم تَكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجِرُوا فيها . » وقال : « فَرِحَ المُخَلّفُونَ بِمَقعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ الله . » وقال : « وجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرابِ لِيُؤذَنَ لَهُمْ . وقَعَد الذينَ كَذَبوا اللهَ ورسوله . » فخبّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله . وقال: « سَيُصِيبُ الذينَ كفَرُوا منهُمْ عذابٌ أليمٌ . » فانظر الى أسمائهم وسماتهم .

وأما أمر الأطفال فإنّ نبيّ الله نوحاً كان أعرفَ بالله يا نجدةُ

مني ومنك، قال: « رَبِّ لا تَذَرْ عَلى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً. إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلاّ فاجِراً كَفّاراً. » فسمّاهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يُولدُوا، فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا؟ والله يقول: « أكُفّارُكُم خَيْرٌ مِنْ أولَئِكُم أمْ لَكُم بَراءَةٌ في الزُّبُر. » وهؤلاء كمشركي العرب لا تُقْبل منهم جِزية، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الاسلام.

وأما استحلال الأمانات ممّن خالفنا ، فإن الله ، عزّ وجلّ، أحلّ لنا أموالهم، كما أحل لنا دماءَهم، فدماؤهم حَلال طِلْق[1]، وأموالهم فَيْءٌ للمُسلمينَ ، فاتّقِ الله وراجع نفسك ، فإنه لا عُذر لك إلا بالتوبة ، ولا يَسعك خِذلاننا ، والقعود دوننا ، وترْك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا، والسلام على من أقرّ بالحق وعَمِل به .

وكان مِرداس أبو بلال من الخوارج وكان مُستتراً ، فلما رأى جِدّ ابن زياد في قتل الخوارج وحَبسهم ، قال لأصحابه : إنه والله لا يَسعنا المُقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل ، مُفارقين للعقل ، والله إنّ الصبرَ على هذا

---

[1] طلق : مطلق .

لَعَظيم ، وإن تجريد السيف وإخافَة السبيل لَعظيم ، ولكنا لا نَبْتَدئهم ولا نُجَرِّد سيفاً ولا نُقاتل إلا مَن قاتلنا .

فاجتمع عليه أصحابُه ، وهم ثلاثون رجلاً ، فأرادوا أن يولوا أمرَهم حُرَيث بن حَجل ، فأبى فولوا أمرَهم مِرداساً أبا بلال . فلما مضى بأصحابه َلقِيه عبدُ الله بن رَباح الأنصاري وكان له صديقاً ، فقال له : يا أخي ، أين تريد ؟

قال : أريد ان اهرب بديني ودين اصحابي هؤلاء من احكام هؤلاء الجَوَرَة والظَّلَمة .

فقال له : أعَلم بكم احد ؟

قال : لا .

قال : فارجع .

قال : اوتخاف عليَّ مكروهاً ؟

قال : نعم ، وأن يُؤتى بك .

قال : فلا تخف فإني لا أُجرِّد سيفاً ، ولا أُخيف احَداً ، ولا أُقاتل إلا مَن قاتلني . ثم مضى حتى نزل آسَك ، وهو موضع دون خُراسان ، فمر به مالٌ يُحمل إلى ابن زِياد وقد بلغ اصحابه اربعين رجلاً ، فحطّ ذلك المالَ ، واخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ، وردّ الباقي على الرُّسل ، فقال : قولوا لصاحبكم إنّا قبَضنا اعطياتِنا .

فقال بعضُ اصحابه : فعلامَ تَدع الباقي ؟

فقال : إنهم يَقسمون هذا الفَيء ، كما يقيمون الصلاة ، فلا نقاتلهم .

ولأبي بلال مِرْداس هذا أشعارٌ في الخروج ، منها قوله :

أبعْدَ ابنِ وَهْبٍ ذي النزاهة والتُّقى ،
ومَنْ خاضَ في تلك الحُروب المَهالِكا

أحِبُّ بَقاءً أو أرَجّي سَلامةً ،
وقد قتَلوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالكا[1]

فيا رَبِّ سَلِّمْ نيَّتي وبصيرتي ،
وهَبْ لي التُّقَى حتى أُلاقِي أولئكا

وقالوا : إنّ رجلاً من أصحاب زياد قال : خرجنا في جَيش نُريد خُراسان ، فَمررنا بآسك ، فإذا نحن بمِرْداس وأصحابه ، وهم اربعون رجلاً ، فقال : أقاصدون لقتالنا انتم ؟

قلنا : لا ، إنما نُريد خُراسان .

قال : فأبلغوا من لقيتم أنّا لم نخْرج لنُفسد في الأرض ولا لنُروّع أحداً ، ولكن هربنا من الظُّلم ، ولسنا نُقاتل

---

١ زيد بن حصن بن وبرة الطائي .

إلا مَن قاتَلنا ، ولا نأخذ من الفَيء إلا أعطياتنا ؛ ثم قال : أنَدِب لنا أحد ؟

فقلنا : نعم ، أسلَمُ بن زُرعة الكِلابي .

قال : فمتى تَرَونه يَصِل إلينا ؟

قُلنا له : يومَ كذا وكذا .

فقال أبو بلال : حَسبنا الله ونعم الوكيل .

ونَدَب عُبيدُ الله بن زياد أسلَمَ بن زُرعة الكِلابي ووجّهه إليهم في ألفين ، فلما صار إليهم صاح به أبو بلال : اتق الله يا أسلم، فإنا لا نُريد قِتالاً ولا نحتجز مالاً ؛ فما الذي تريد؟

قال : أريد أن أردكم إلى ابن زياد .

قال : إذاً يقتلنا .

قال : وإن قتَلكم .

قال : أفتَشركه في دمائنا ؟

قال : نعم ، إنه محق وأنتم مُبطلون .

قال أبو بلال: وكيف هو مُحق وهو فاجر يُطيع الظَّلَمة؟

ثم حَملوا عليه حملةَ رجل واحد ، فانهزم هو وأصحابه . فلما وَرد على ابن زياد غَضِب عليه غَضباً شديداً ، وقال : انهزمت وأنت في ألفين عن أربعين رجلاً !

قال له أسلم : والله لأن تذمني حياً أحبُّ إليَّ من أن تحمدني ميتاً .

وكان إذا خرج إلى السوق ومرَّ بالصبيان صاحوا به : أبو بلال وراءك ؛ حتى شكا إلى ابن زياد، فأمر الشُّرط أن يكفّوا الناس عنه .

رد عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه على شوذب الخارجي

الهيثم بن عَدي قال : أخبرني عَوانة بن الحكم عن محمد ابن الزُّبير قال : بعثني عمر بن عبد العزيز مع عَون بن عبد الله ابن مسعود إلى شَوذب الخارجيّ وأصحابه إذ خرجوا بالجزيرة، وكتب معنا كتاباً ، فَقدمنا عليهم ودَفعنا كتابه إليهم ، فَبَعثوا معنا رجلًا من بني شيبان ورجلًا فيه حبشية يقال له شَوذب . فقدما معنا على عمر وهو بخُناصرة[1] ، فَصعِدنا إليه وكان في غُرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبُه مزاحم ، فأخبرناه بمكان الخارجيّين ؛ فقال عمر : فتّشوهما لا يَكُن معهما حديد وأدخلوهما ؛ فلما دخلا قالا : السلامُ عليكم ! ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبراني ما الذي أخرجكم عن حُكمي هذا وما نَقمتم عليّ .

فتكلّم الأسود منهما ، فقال : إنا والله ما نَقمنا عليك في سيرتك ، وتحرّيك العدل والاحسان إلى مَن وليت ، ولكن

---

[1] خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .

بيننا وبينك أمراً إن أعطيتناه فنحن منك وأنت منّا ، وإن منعتناه فلستَ منا ولسنا منك .

قال عمر : ما هو ؟

قالا : رأيناك خالفتَ أهل بيتك وسمّيتها مظالم وسلكت غير طريقهم ، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وابرأ منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يُفرق .

فتكلم عمر ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إني قد علمت أو ظننتُ أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب الدنيا ومتاعها ، ولكنكم أردتم الآخرة فاخطأتم سبيلها ، وإني سائلكما عن أمر ، فبالله أصدقاني فيه مَبلغ علمكما .

قالا : نعم .

قال : أخبراني عن أبي بكر وعُمر ، أليسا من أسلافكما ومَن تتولّيان وتَشهدان لهما بالنجاة ؟

قالا : اللهم نعم .

قال : فهل عَلمتما أنّ أبا بكر حين قُبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فارتدّت العرب قاتلهم فسفك الدّماء وأخذ الأموال وسبى الذّراري ؟

قالا : نعم .

قال : فهل علمتم أنّ عمر قام بعد أبي بكر فردّ تلك السّبايا الى عشائرها ؟

قالا : نعم .

قال : فهل برىء عمر من أبي بكر أو تبرأون أنتم من أحد منهما ؟

قالا : لا .

قال : فأخبراني عن أهل النّهروان ، أليسوا من صالحي أسلافكم وممّن تشهدون لهم بالنجاة ؟

قالا : نعم .

قال : فهل تعلمون أنّ أهلَ الكوفة حين خرجوا كفّوا أيديَهم، فلم يسفكوا دماً، ولم يُخيفوا آمناً، ولم يأخذوا مالاً ؟

قالا : نعم .

قال: فهل علمتم أنّ أهل البَصرة حين خرجوا مع مِسْعَر ابن فُدَيك استعرضوا الناسَ يقتلونهم ، ولقُوا عبد الله بن خبّاب بن الأرَتّ ، صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم قتلوا النّساء والاطفال ، حتى جعلوا يُلقونهم في قُدور الأقط[1] وهي تفور ؟

---

[1] الأقط : طعام يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

قالا : قد كان ذلك .

قال : فهل برىء أهلُ الكوفة من أهل البصرة ؟

قالا : لا .

قال : فهل تبرأون أنتم من احدى الفِئتين ؟

قالا : لا .

قال : أفرأيتم الدّين ، أليس هو واحد ، أم الدين اثنان؟

قالا : بل واحد .

قال : فهل يَسعكم منه شيء يُعجِزني ؟

قالا : لا

قال: فكيف وَسِعَكم أن تولّيتم أبا بكر وعُمر وتولّى كلُّ واحد منهما صاحِبه ، وتولّيتم أهــلَ الكوفة والبَصرة وتولّى بعضُهم بعضاً، وقد اختلفُوا في أعظم الأشياء : الدّماء والفُروج والأموال ، ولا يَسَعني الا َّلعن أهل بَيتي والتبرؤ منهم ؟ أوورأيتَ[1] لَعْنَ أهل الذّنوب فريضةً مَفروضة لا بد منها ؟ فإن كانَ ذلك فمتى عَهدك بِلعن فِرعون ، وقد قال : أنا ربّكم الأعلى؟

١ ربما أفرد الضمير لمخاطبته شوذباً وحده.

قال : ما أذكُرُ أني لعنتُه .

قال : ويحك ! أيسَعك أن لا تَلْعن فِرعون وهو أخبثُ الخَلْق ، ولا يَسعُني إلا أن العن أهلَ بَيتي والبراءةُ منهم ؟ ويحكم ! إنكم قوم جُهّال أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تردّون على الناس ما قبل منهم رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، بَعثه الله اليهم وهم عَبَدة أوثان ، فدعاهم إلى ان يَخلعوا الأوثان ، وأن يَشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فمن قال ذلك حَقَن بذلك دَمَه ، وأحرز ماله ، ووجبت حُرْمتُه ، وأمِن به عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان إسوة المسلمين ، وكان حسابُه على الله ، أفلستم تلقون مَن خَلع الأوثان ، ورَفض الأديان ، وشَهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تَستحلّون دَمَه وماله ، ويُلعَن عندكم ، ومن ترَك ذلك وأباه من اليهود والنّصارى وأهل الأديان فتُحَرِّمون دَمه وماله ويأمن عندكم ؟

فقال الأسود : ما سمعتُ كاليوم أحداً أبين حُجّة ، ولا أقرب مأخذاً ، أمّا أنا فأشهد أنك على الحق وأني بَريءٌ ممن بريء منك .

فقال عمر لصاحبه : يا أخا بني شَيبان ، ما تقول أنت ؟

قال : ما أحسنَ ما قلتَ ووصفتَ ، غير أني لا أفتات[1] على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرتَ وأنظر ما حجتهم .

قال : أنت وذاك .

فأقام الحبشيّ مع عمر ، وأمر له بالعطاء ، فلم يلبث أن مات ، ولحق الشيباني بأصحابه ، فقتل معهم بعد وفاة عمر ، رضي الله عنه .

١ افتات : مسهل أفتئت ، من افتأت عليه الباطل : اختلقه .

القول في أصحاب الاهواء

وذُكر رجل عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فذَكروا فضله وشدّة اجتهاده في العِبادة . فبينا هم في ذِكره حتى طَلع عليهم الرجلُ ، فقالوا : يا رسول الله ، هو هذا .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أما إني أرى بين عَينيه سَفعة من الشّيطان[١] .

فأقبل الرجل حتى وقف فسلم عليهم، فقال[٢] : هل حدّثتك نفسُك إذ طلعتَ علينا أنه ليس في القوم أحسنُ منك ؟

قال : نعم .

ثم ذهب الى المسجد فصفّ بين قدَميه يصلّي. فقال النبيّ، صلى الله عليه وسلم : أيكم يقومُ اليه فيقتله ؟

فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله .

فقام اليه فوجده يصلّي فهابه فانصرف؛ فقال: ما صنعت ؟

قال : وجدته يصلّي يا رسول الله فهبتُه .

---

١ سفعة من الشيطان : مس من الجنون ، واراد جنون العجب بالنفس .

٢ الضمير عائد الى النبي .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : أيكم يقوم اليه فيقتله ؟

قال عمر : أنا يا رسول الله .

فقام اليه فوجده يصلّي فهابه فانصرف؛ فقال: يا رسول الله، وجدته يصلي فهبته .

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أيكم يقوم اليه فيقتله؟

فقال عليّ : أنا يا رسول الله .

قال : أنت له ان أدركته .

فقام اليه فوجده قد انصرف . فقال النبي ، عليه الصلاة والسلام : هذا أول قرنٍ[1] يَطلُعُ في أمتي ، لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان، إنّ بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة ، وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقةً واحدة ، وهي الجماعة .

---

١ قرن : أي بدعة .

الرافضة

إنما قيل لهم رافضة، لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يَرفضهما أحدٌ من أهل الأهواء غيرهم، والشيعة دونهم، وهم الذين يُفضلون علياً على عثمان ، ويتَوَلَّون أبا بكر وعمر .

فأما الرافضة فلها غُلوّ شديد في عليّ، ذهب بعضُهم مَذهب النّصارى في المسيح ، وهم السَّبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيّد الحِمْيري :

قَوْمٌ غَلَوْا في عليٍّ لا أبا لهمُ،
وأجْشَمُوا أنفُساً في حُبّه تَعَبا

قالوا هو الله ، جَلّ الله خالقُنا
من أن يكون ابنَ شيء أو يكون أبا

وقد أحرقهم عليّ ، رضي الله عنه ، بالنّار .

ومن الرّوافض: المغيرة بن سعد مولى بَجِيلة. قال الأعمش: دخلتُ على المُغيرة بن سعد ، فسألته عن فضائل عليّ ؛ فقال : إنك لا تَحتملها .

قلتُ : بلى .

فذكر آدم ، صلوات الله عليه ، فقال : عليّ خير منه ، ثم ذكر مَن دونه مِن الأنبياء ، فقال: عليّ خير منهم، حتى انتهى الى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليّ مثله .

فقلت : كذبت ، عليك لعنة الله ! قال : قد أعلمتُك أنك لا تحتملها .

ومن الروافض مَن يزعم أن علياً ، رضي الله عنه ، في السّحاب ، فإذا أطلّت عليهم سحابة قالوا : السلامُ عليك يا أبا الحسن . وقد ذكرهم الشاعر فقال :

بَرِئتُ من الخوارج لستُ منهم مِن الغزّال منهم وابن بابِ
ومِن قومٍ ،اذا ذكروا علياً، يردّون السلامَ على السّحاب
ولكنّي أحبُّ بكلّ قلبي، وأعلم انّ ذاك من الصواب
رسولَ الله والصّدّيقَ حقاً، به أرجو غداً حُسن الثّواب

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم : المنصورية . وهم أصحاب أبي منصور الكِسف ، وانما سُمّي الكِسف لأنه كان يتأوّل في قول الله ، عزّ وجلّ : « وإنْ يَرَوا كِسفاً مِنَ السّماء سَاقِطاً يَقُولوا سَحابٌ مَرْكُومٌ » ، فالكسف عليّ وهو في السحاب .

وكان المُغيرة بن سعد من السّبئية الذين أحرقهم عليّ ،

رضي الله تعالى عنه ، بالنار ، وكان يقول : لو شاء عليّ لأحيا عاداً وثمودَ وقروناً بين ذلك كثيراً . وقد خرج على خالد بن عبد الله ، فقتله خالدٌ وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر .

ومن الرّوافض كُثَيِّر عَزة الشاعر . ولما حضرته الوفاة دعا ابنةَ أخٍ له ، فقال : يا بِنتَ أخي ، انّ عمّك كان يحب هذا الرّجلَ فأحبّيه ، يعني عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ؛ فقالت : نصيحتك يا عم مردودة عليك ، أُحبُّه والله خلافَ الحبِّ الذي أحببته أنت ؛ فقال لها : بَرِئتُ منك ، وأنشد يقول :

بَرِئتُ الى الاله من ابن أَرْوى، ومن قولِ الخوارج أجمعينا
ومن عُمَرٍ برئتُ ومن عتيق، غداةَ دُعي أميرَ المؤمنينا

ابن أروى : عثمان .

والرّوافض كلها تؤمن بالرّجعة ، وتقول : لا تقوم الساعةُ حتى يخرج المهديُّ ، وهو محمد بن عليّ ، فيملؤُها عدلاً كما مُلِئَت جَوراً ، ويُحيي لهم موتاهم فيَرجعون الى الدنيا ، ويكون الناسُ أمةٌ واحدة . وفي ذلك يقول الشاعر :

ألا انّ الأئمة من قريش وُلاةَ العَدل أربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ مِن بَنيه ، هُمُ الأسباط ليس بهم خفاء
فسِبطٌ سِبطُ إيمانٍ وبِرٍّ ، وسِبطٌ غيّبته كَرْبلاء

أراد بالأسباط الثلاثة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفيّة ، وهو المهديّ الذي يخرُج في آخر الزمان .

ومن الروافض : السيّد الحِميري ، وكان يُلقى له وسائد في مسجد الكوفة يجلس عليها ، وكان يؤمن بالرّجعة ، وفي ذلك يقول :

إذا ما المرءُ شابَ له قَذالٌ، وعَلّله المَواشِطُ بالخِضاب
فقد ذهبتْ بَشاشتُهُ وأوْدَى، فَقُم بأبيك فابكِ على الشّباب
فليس بعائدٍ ما فاتَ منه إلى أحدٍ ، إلى يوم المآب
إلى يومٍ يؤوب الناسُ فيه إلى دُنياهمُ ، قبل الحساب
أدِينُ بأنّ ذاك كذاك حقّاً، وما أنا في النّشور بذي ارتياب
لأنّ الله خبّر عن رِجالٍ حَيُوا،من بعد دَسٍّ في التّراب

وقال يرثي أخاه :

يابنَ أمّي فَدَتْكَ نفسي ومالي،
كنتَ رُكني ومَفْزعي وجَمالي

ولَعمْرِي لئن تَركتُك مَيْتاً،
رَهْنَ رَمْسٍ ضَنْكٍ ، عليك مُهال

لو شبكما ألقاك حيّـــاً صحيحاً،
سامعاً ، مُبصراً ، على خيرِ حال

قد بُعثتم من القبور ، فأبتم
بعدما رمّت العِظـــام البَوالي

أو كسبعين وافداً مع موسى،
عاينُوا هائلاً من الأهـوال

حين راموا من خبثهم رؤية الله،
وأنّى برؤية المتعـــالي

فرماهم بصعقـــة أحرقتهم،
ثم أحياهم شديدُ المِحال

•

دخل رجل من الحِسْبانيّة على المأمون ، فقال لثمامة بن أشرس : كلّمه . فقال له : ما تقول وما مَذهبك ؟

فقال : أقول إن الأشياء كلها على التوهّم والحِسْبان، وإنما يُدرك منها الناسُ على قَدْرِ عقولهم ، ولا حقّ في الحقيقة .

فقام اليه ثمامة ، فلطمه لطمةً سوّدت وجهه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، يفعل بي مثلَ هذا في مجلسك !

فقال له ثمامة : وما فعلتُ بك ؟

قال : لَطَمْتَني .

قال : ولعلّ إنما دَهَنْتُكَ بالبان ؛ ثم أنشأ يقول :

ولَعَلَّ آدمَ أُمُّنا ، والأبُ حوّا في الحِسابْ
ولعلَّ ما أبصرتَ من بِيض الطّيور ، هو الغُراب
وعَساكَ حين قَعدتَ قُمتَ ، وحين جئتَ هو الذّهاب
وعَسى البَنَفْسَج زَنْبقاً ؛ وعسى البَهار هو السّذاب[1]

•

ومن حديث ابن أبي شَيْبة أن عبد الله بن شدّاد قال: قال لي عبد الله بن عبّاس : لأخبرنّك بأعجب شيء : قرَع اليومَ عليّ البابَ رجلٌ لما وضعتُ ثيابي للظّهيرة ، فقلتُ : ما أتى به في مثل هذا الحين إلا أمرٌ مهمّ ، أدخلوه . فلما دخل قال : متى يُبعث ذلك الرجل ؟

قلت : أيّ رجل ؟

قال : عليّ بن أبي طالب .

قلتُ : لا يُبعث حتى يَبعث الله مَن في القبور .

قال : وإنك لتقول بقول هذه الجَهلة !

قلت : أخرِجوه عنّي لعنه الله .

---

١ البهار : نبت طيب الرائحة . السذاب : من البقول .

ومن الروافض: الكَيْسانية، قلتُ: وهم أصحاب المختار ابن أبي عُبيد، ويقولون إن اسمه كَيْسان.

ومن الرافضة: الحُسينية، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر، وكانوا يطوفون بالليل في أزقة الكوفة وينادون: يا ثاراتِ الحُسين! فقيل لهم: الحُسينية.

ومن الرافضة: الغُرابية، سمّيت بذلك لقولهم: عليّ أشبه بالنبيّ من الغُراب بالغُراب.

ومن الرافضة: الزَّيْدِية، وهم أصحاب زيد بن عليّ المقتول بخُراسان، وهم أقلُّ الرافضة غُلُوّاً، غيرَ أنهم يَرَوْن الخروج مع كل مَن خرج.

•

مالك بن مُعاوية قال: قال لي الشَّعبي، وذَكرنا الرافضة: يا مالك، لو أردتُ أن يُعطوني رِقابَهم عَبيداً وأن يَملأوا بيتي ذهباً عليّ، على أن أكذِبَ لهم على عليّ كِذبةً واحدةً لَقَبِلوا، ولكني والله لا أكذِب عليه أبداً.

يا مالك، إني دَرَستُ الأهواء كلها فلم أرَ قوماً أحمقَ من الرافضة، فلو كانوا من الدوابّ لكانوا حميراً، أو كانوا من الطير لكانوا رَخَماً.

ثم قال: أحذّرك الأهواءَ المُضلة شرُّها الرافضة، فإنها يهود هذه الأمة، يُبغضون الاسلام، كما يُبغض اليهودُ النصرانية،

ولم يدخلوا في الاسلام رغبةً ولا رَهبة من الله ، ولكن مَقتاً لأهل الاسلام وبَغياً عليهم ، وقد أحرَقهم عليّ بن ابي طالب، رضي الله عنه، بالنار، ونفاهم إلى البُلدان ، منهم : عبد الله بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن سباب ، نفاه إلى الجازر[1]، وأبو الكَرَوَّس ، وذلك ان مِحْنة الرافضة محنة اليهود : قالت اليهود : لا يكون المُلك إلا في آل داود ؛ وقالت الرافضة : لا يكون المُلك إلا في آل عليّ بن أبي طالب ؛ وقالت اليهود: لا يكون جِهادٌ في سبيل الله حتى يخرج المسيح المُنتظر ، ويُنادي منادٍ من السماء ؛ وقالت الرافضة : لا جِهاد في سبيل الله حتى يخرج المَهديُّ ، ويَنزل سَبب من السماء ؛ واليَهود يُؤخِّرون صلاةَ المَغرب حتى تَشتبك النُّجوم ، وكذلك الرافضة، واليَهود لا تَرى الطَّلاق الثلاثَ شيئاً، وكذا الرّافضة، واليهود لا تَرى على النساء عدّة ، وكذلك الرافضة ، واليهود تستحلّ دمَ كلّ مسلم ، وكذلك الرافضة ، واليَهود حرّفوا التّوراة ، وكذلك الرّافضة حرّفت القرآن ، واليهود تُبغض جبريلَ وتقول: هو عدوُّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول: غَلط جبريلُ في الوَحي إلى محمد بتَرْك عليّ بن أبي طالب ، واليهود لا تأكل لحم الجَزور ، وكذلك الرافضة .

---

[1] الجازر : قرية من نواحي النهروان ، قرب المدائن .

وللبهود والنّصارى فضيلةٌ على الرافضة في خصلتين ، سُئِل اليهودَ: مَن خير أهل مِلَّتكم ؟ فقالوا : أصحابُ موسى، وسئِلت النصارى ، فقالوا : أصحابُ عيسى ، وسئِلت الرافضة: مَن شرّ أهل مِلّتكم ؟ فقالوا : أصحابُ محمّد ، أمرهم الله بالاستغفار لهم فشتموهم، فالسيف مَسْلول عليهم الى يوم القيامة، لا تَثْبُتُ لهم قدم ، ولا تَقومُ لهم راية، ولا تُجمع لهم كلمة، دَعْوَتُهم مَدْحورة ، وكلِمتهم مُختلفة ، وجَمْعهم مُفرّق ، كلما أوْقدوا ناراً للحرب أطْفأها الله .

وذُكرت الرّافضةُ يوماً عند الشّعْبيّ فقال : لقد بغّضوا الينا حديثَ عليّ بن أبي طالب .

وقال الشعبيّ : ما شَبّهتُ تأويلَ الروافض في القرآن إلا بتأويل رَجل مَضعوف من بني مَخزوم من أهل مكّة وجدته قاعداً بفِناء الكعْبة ، فقال: يا شعبيّ، ما عِندك في تأويل هذا البَيت؟ فإن بَني تَميم يَغلطون فيه ويزعمون أنه إنما قيل في رجل منهم ، وهو قولُ الشاعر :

بَيْتاً زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائه، ومُجاشعٌ وأبو الفَوارس نَهْشَل

فقلتُ له : وما عِندك أنت فيه ؟

قال : البيتُ هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكَعْبة ، وزُرارةُ الحجر ، زُرّر حولَ البيت .

فقلت له : فَمُجاشع ؟

قال : زَمزم جَشِعت بالماء .

قلت : فأبو الفوارس ؟

قال : هو أبو قُبيس جَبل مكة .

قلت : فنَهْشل ؟

ففكّر فيه طويلاً ثم قال : أصبتُه ، هو مِصْباح الكَعبة طويلٌ أسود ، وهو النَّهشل .

قولهم في الشيعة

قال أبو عُثمان عمرو بن بحر الجاحظ : أخبرني رجلٌ من رُؤساء التجّار قال : كان معنا في السّفينة شيخٌ شَرِس الأخلاق ، طويلُ الإطْراق ، وكان إذا ذُكِر له الشّيعةُ غَضِب واربدّ وجهه وزَوى من حاجبَيْه ، فقلتُ له يوماً : يَرْحمك الله ، ما الذي تكرهه من الشّيعة فإني رأيتك إذا ذُكِروا غَضِبْتَ وقَبِضت ؟

قال : ما أكره منهم إلاّ هذه الشّين في أوّل اسمهم ، فإني لم أجِدْها قطُّ إلا في كلّ شرّ وشُؤم وشيطان وشَغْب وشَقاء وشَنار[1] وشَرر وشَيْن[2] وشَوْك وشَكوى وشَهْوة وشَتْم وشُحّ .

قال أبو عثمان : فما ثبت لِشيعيّ بعدها قائمة .

---

[1] الشنار : العار .

[2] الشين : العيب .

من كلام المتكلمين

دخل المُوبَذ على هشام بن الحَكم، والمُوبَذ هو عالم الفُرس، فقال له : يا هشام ، حولَ الدنيا شيءٌ ؟

قال : لا .

قال : فإن أخرجتُ يدي فثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها ؟

قال هشام: ليس ثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها ولا شيء تُخرج يدك فيه .

قال : فكيف أعلم هذا ؟

قال له: يا مُوبَذ، أنا وأنتَ على طَرَف الدنيا فقلت لك: يا مُوبَذ ، إني لا أرى شيئاً ؛ فقلتَ لي : ولِمَ لا ترى ؟ فقلت لك : ليس ها هنا ظلامٌ يمنعني؛ قلت لي أنت : يا هشام، إني لا أرى شيئاً؛ فقلت لك: ولِمَ لا ترى؟ قلتَ: ليس ضياء أنظر به، فهل تكافأت الملّتان في التناقض ؟

قال : نعم .

قال : فإذا تكافأتا في التناقض لم تكافآ في الإبطال أن ليس شي ؟

فاشار الموبَذُ بيده أن أصبت .

•

قال رجلٌ لبعض ولاة بني العباس : أنا أجعل هشام بن الحكم يقول في عليّ ، رضي الله عنه ، إنه ظالم .

فقال : إن فعلتَ ذلك فلك كذا وكذا .

ثم أحضر هشام فقال له : نَشَدتُكَ الله أبا محمّد ، أما تَعلم أن علياً نازع العبّاس عند أبي بكر ؟

قال : نعم .

قال : فَمَن الظالم منهما ؟

فكره أن يقول : العبّاس ، فيُواقع سُخط الخليفة ، أو يقول : عليّ ، فينقض أصلَه ، قال : ما منهما ظالم .

قال : فكيف يَتنازع اثنان في شيء لا يكون أحدهما ظالماً؟

قال : قد تَنازع الملَكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم ، ولكن ليُنبِّها داود على الخَطيئة ، وكذلك هذان أرادا تَنبيه أبي بكر من خطيئته .

فأسكِت الرجل ، وأمر الخليفةُ لهشام بصِلة عظيمة .

•

دَخل إبراهيمُ النَظّام على أبي الهُذَيل العلاّف وقد أسَنّ

وبَعُدَ عهدُه بالمُناظرة ، وإبراهيمُ حَدثُ السنّ ، فقال : أخبرني عن قراركم : أن يكون جَوهراً مخافَة أن يكون جِسماً ، فهل قَرَّرتم أن لا يكون جوهراً مخافة أن يكون عَرَضاً ، والعَرَض أضعفُ من الجوهر ؟

فَبصَق أبو الهُذيل في وجهه ؛ فقال له إبراهيم : فَقَبَّحك الله من شَيخ ! ما أضعف حُجَّتك وأسفه حِلمك !

•

قال : لَقي جَهم[1] رجلاً من اليونانيين فقال له : هل لك أن تُكلمني وأُكلّمك عن مَعبودك هذا ، أرأيتَه قطُّ ؟

قال : لا .

قال : فلمستَه ؟

قال : لا.

قال : فذُقته ؟

قال : لا .

قال : فمن أين عَرفته وأنت لم تُدركه بحسٍّ من حواسّك الخمس وإنما عقلك معبّر عنها فلا يدرك إلا ما أوصَلتْ إليه من جميع المَعلومات !

---

١ جهم بن صفوان صاحب الجهمية ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية .

قال : فتلجلج جهم ساعةً ثم استدرك فعكس المسألة عليه فقال له : ما تُقِرّ أنّ لك روحاً ؟

قال : نعم .

قال : فهل رأيتَه أو ذقتَه أو سمعته أو شممته أو لمسته ؟

قال : لا .

قال : فكيف علمتَ أنّ لك رُوحاً ؟

فأقرّ له اليُونانيّ .

في الحياء

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : الحَياء خيرٌ كلُّه . الحَياء شُعبة من الايمان .

وقال عليه السلام : إنّ الله تَبارك وتعالى يُحبّ الحَيِيّ الحَليم المُتعفِّف ، ويَكره البَذِيء السّأال المُلْحِف .

•

وقال عَوْن بن عبد الله : الحياءُ والحِلم والصَّمتُ من الايمان.

•

وقال ابن عمر: الحياء والايمان مَقْرونان جميعاً، فإذا رُفع أحدهما ارتفع الآخر معه .

•

وقال: مَكتوب في التوراة: إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما تشاء.
وقال : أحْيُوا الحياء بمُجالسة من يُسْتَحيا منه .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً حييّاً فقال: لا تَراه الدهرَ إلاّ وكأنّه لا غِنى به عنك وإن كنتَ اليه أحوجَ ، وإن أذنبتَ غَفر

وكأنه المُذنب ، وإن أسأت اليه أحسن وكأنه المُسيء .

•

لليلى الأخيلية :

فتىً هو أحيا من فتاة حَيِيَّةٍ ، وأشجعُ من ليثٍ بخفّانَ خادِرِ

•

ولابن قيس أيضاً :

تخالهم ، للحلم ، صُمّاً عن الخَنا ،
وخُرْساً عن الفَحشاءِ ، عند التّهاجُرِ
ومَرْضى ، إذا لُوقُوا ، حَياءً وعِفّةً ،
وعند الحِفاظ كالليوث الخَوادر

•

وقال الشعبي : تعاشَرَ الناس فيما بينهم زماناً بالدِّين والتقوى ، ثم رُفِع ذلك فتعاشروا بالحَياء والتذمّم ، ثم رُفع ذلك ، فما يَتعاشر الناس إلا بالرَّغبة والرَّهبة ، وسيجيء ما هو شر من ذلك .

•

وقيل : الحياء يزيد في النُّبل .

•

ولبعضهم :

فلا وأبيكَ ما في العَيْشِ خيرٌ، ولا الدُّنيا إذا ذهب الحياءُ

•

وقال آخر .

إذا رُزِق الفتى وجهاً وَقاحا، تقلّبَ في الأمور كما يشاءُ

ولم يَكُ للدّواء ولا لشيءٍ، تُعالجه به ، فيه غَناء

ورُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني وبين رُكُوبِها إلا الحَيـاء

•

وقال عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه : قُرِنت الهيبةُ بالخَيْبة ، والحياءُ بالحرْمان .

•

وقد قيل :

ارفع حياءَكَ فيما جئتَ طالبَه، إنّ الحياءَ مع الحِرْمانِ مَقرونُ

•

وفي المثل : كثرة الحياء من التخنُّث .

•

قال الحسن : من استتر بالحياء لبس الجهل سرباله، فقطّعوا

سرابيل الحياء ، فانه من رقّ وجهه رق عِلمه .

•

وَصف رجل الحياء عند الأحنف فقال : إنّ الحياء ليتمّ لمقدار من المقادير ، فما زاد على ذلك فسمّه بما أحببت .

•

وقال بعضهم :

إنّ الحياء مع الحِرْمان مُقترن، كذاك قال أمير المؤمنين عَلِي
واعلم بأن من التخنيث أكثره، فارفعه في طلب الحاجات والأمَل

•

وللشمّاخ :

أُجامل أقواماً حياءً، وقد أرى صدورهم بادٍ علَيّ مِراضُها

•

ولابن أبي حازم :

وإنّي ليَثْنيني ، عن الجهل والخنا،
وعن شَتْم ذِي القُربى، خلائقُ أربعُ

حياءٌ وإسلام وتَقْوى ، وأنّني
كريم ومِثْلي قد يَضُرُّ ويَنْفع

•

وقال آخر :

إذا حُرم المرء الحياءَ ، فإنّه بكلّ قبيح كان منه جديرُ
له قحة في كل أمر ، وسِرُّه مُباح ، وجدواه جفاً وغرور
يرى الشتّم مدحاً والدناءة رِفعة ، وللسّمْع منه في العِظات نُفور
فرجّ الفتى ما دام حيّاً، فإنّه، إلى خيرِ حالاتِ المُنيب، يَصير

جامع الآداب

أدب الله لنبيه ، صلى الله عليه وسلم

قال أبو عُمر أحمد بن محمد: أوّل ما نَبدأ به أدبُ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، ثم أدبه، صلى الله عليه وسلم، لأمته، ثم الحكماء والعُلماء، وقد أدّبَ الله نَبيَّه بأحسن الآداب كلها، فقال له: «وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً.» فنهاه عن التَّقتير كما نهاه عن التَّبذير، وأمره بتوسّط الحالَين، كما قال عزّ وجلّ: «والذينَ إذا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَوَاماً.»

وقد جَمع الله، تبارك وتعالى، لنبيّه، صلى الله عليه وسلم، جوامعَ الكَلِم في كتابه المُحْكَم، ونَظم له مَكارم الأخلاقِ كلّها في ثلاث كلمات منه، فقال: «خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِين.» ففي أخْذِه العفو صِلَةُ مَن قَطَعه، والصَّفحُ عمّن ظَلَمه؛ وفي الأمر بالمعروف تَقوى الله، وغض الطَّرفِ عن المحارم، وصَوْن اللّسان عن الكَذِب؛ وفي

الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللجوج.

ثم أمره، تبارك وتعالى، فيما أدبه باللين في عريكته والرفق بأمته فقال: «واخفِضْ جَناحَكَ لمن اتَّبعَكَ مِنَ المؤمنين.» وقال: «وَلوْ كُنْتَ فظّاً غَليظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَولِكَ.» وقال تبارك وتعالى: «لا تَستَوي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بالَّتي هيَ أحْسَنُ فإذا الذي بَينَكَ وبَيْنَهُ عَداوةٌ كأنَّهُ وَليٌّ حَميم. وَما يُلقَّاها إلاّ الذينَ صَبَروا وما يُلقَّاها إلاّ ذو حَظٍّ عَظيم.»

فلما وعى عن الله، عز وجل، وكملت فيه هذه الآداب، قال الله، تبارك وتعالى: «لقَدْ جاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أنفُسِكم عَزيزٌ عليهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عليكُم بالمؤمنِينَ رَؤوفٌ رَحيم. فإنْ تَوَلَّوْا فقُلْ حسبيَ اللهُ، لا إله إلاّ هو، عليهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيم.»

•

أدب النبي صلى الله عليه وسلم لامته

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيما أدّب به أمته وحضّها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذاتِ البَيْن وصلة الأرحام : أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها : أوصاني بالاخلاص في السرّ والعلانية ، والعدل في الرّضا والغضب ، والقصد في الغِنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل مَن قطعني ، وأن يكون صمتي فِكراً ، ونطقي ذِكراً ، ونظري عِبَراً .

وقد قال ، صلى الله عليه وسلم : نهيتكم عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال .

وقد قال ، صلى الله عليه وسلم : لا تقعدوا على ظهور الطرق ، فإن أبيتم فغضّوا الأبصار ، وأفشوا السلام ، واهدوا الضالّ ، وأعينوا الضعيف .

وقد قال ،صلى الله عليه وسلم :أوكوا السّقاء[1]،واكفأوا الاناء[2]،

---

[1] أوكوا السقاء : شدوا رأسه بالوكاء لئلا يدخله حيوان أو يسقط فيه شيء . والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء .

[2] اكفأوا الاناء : اقلبوه وكبوه .

وأغلِقوا الأبواب ، وأطفِئوا المصباح ، فإن الشيطان لا يَفتح غَلَقاً ، ولا يَحُلُّ وِكاءً ، ولا يَكشف الاناء .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : ألا أُنبِئكم بشرِّ الناس ؟

قالوا : بلى يا رسولَ الله .

قال : من أكل وَحده ، ومَنَع رِفده ، وجَلد عَبدَه .

ثم قال : ألا أُنبِئكم بِشرٍّ من ذلك ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : من لا يُقيل عَثرة ، ولا يقبل معذرة . ثم قال : ألا أُنبئكم بشرٍّ من ذلك ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : مَن يُبغض الناسَ ويُبغِضونه .

وقال : حَصِّنوا أموالكم بالزَّكاة ، وداوُوا مَرضاكم بالصَّدقة ، واستَقبِلوا البَلاء بالدُّعاء .

وقال : ما قَلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألهى .

وقال : المسْلمون تتكافأ دِماؤهم ، ويَسعَى بذمَّتهم أدناهم ، وهم يَدٌ على مَن سواهم .

وقال : اليَد العُليا خَيرٌ من اليد السُّفلى .

وقال : وابدَأ بمن تَعول .

وقال : لا تجنِ يمينك على شِمالك، ولا يُلدغ المؤمن من جحرٍ[1] مرّتين .

وقال : المَرء كثيرٌ بأخيه .

وقال : افصلوا بين حديثكم بالاستغفار ، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .

وقال : أفضل الأصحاب من إذا ذكرتَ أعانك ، وإذا نسيتَ ذكّرك .

وقال : لا يُؤَمّ ذو سلطان في سلطانه ، ولا يُجلَس على تكرمته إلا بإذنه .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : يقول ابنُ آدم مالي مالي ، وإنما له مِن ماله ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو وهب فأمضى.

وقال : ستَحرصون على الامارة ، فنِعمت المرضعة وبئست الفاطمة .

وقال : لا يَحكم الحاكمُ بين اثنين وهو غضبان .

وقال : لو تكاشفتم[2] ما تدافنتم[3]، وما هلك امرؤ عرَف قدره.

---

[1] الجحر : مكان تحفره السباع والهوام لانفسها .

[2] تكاشفتم : كشف بعضكم سريرته لبعض .

[3] تدافنتم : دفن بعضكم بعضاً .

وقال : الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلة واحدة، والناس كلّهم سواء كأسنان المُشط .

وقال: رَحِم الله عبداً قال خيراً فغَنِم أو سكت فسلِم.

وقال : خير المال سِكّة مأبورة[1] ، ومُهرة مأمورة[2] ، وخير المال عينٌ ساهرة لِعين نائمة[3] .

وقال في إناث الخيل: بُطونها كَنز ، وظُهورها حِرز .

وقال : ما أملق تاجرٌ صَدُوق، وما أقفر بيتٌ فيه خل[4] .

وقال : قيّدوا العِلم بالكتابة .

وقال : زُرْ غِبّاً[5] تَزدَد حُبّاً .

وقال : علّق سوطك حيثُ يراه أهلك .

---

١ السكة : الطريقة المصطفه من النخل . المأبورة الملقحة .

٢ المأمورة : الكثيرة النتاج .

٣ عين ساهرة : عين ماء تجري ليلاً ونهاراً ، فجعل دوام جريها سهراً لها. لعين نائمة : أي لصاحبها .

٤ اراد بالخل الادام .

٥ الغب : ان تزور يوماً وتدع يوماً .

في آداب الحكماء والعلماء

منه في فضيلة الأدب

أوصى بعضُ الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعةً وأنفسها قيمةً، يَرفع الأحساب الوضيعة، ويُفيد الرَّغائب الجليلة، ويُعِزُّ بلا عشيرة، ويُكثِر الأنصار بغير رزيّة[1]، فالبسوه حُلّةً[2]، وتزيّنوه حِلية، يُؤنسكم في الوَحشة، ويجمع لكم القُلوب المختلفة.

•

ومن كلام عليٍّ، عليه السلام، فيما يُروى عنه أنه قال: من حَلُم ساد، ومن ساد استفاد؛ ومن استَحيا حُرِم؛ ومن هاب خاب؛ ومَن طلب الرّآسة صبر على السّياسة؛ ومَن أبصر عَيب نفسه عَمِي عن عيب غيره؛ ومَن سلّ سيف البَغي قُتل به؛ ومن احتَفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومَن نسي زلّته استعظم

---

١ أراد انهم ينصرونك بغير أن يرزأوك شيئاً، أي انك لا تنفق عليهم شيئاً من مالك مقابل نصرهم اياك.

٢ الحلة: الثوب.

زلة غيره ؛ ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بيته ؛ ومَن كابر في الأمور عَطِب ؛ ومَن اقتحم اللجج غرقَ ؛ ومن أعجب برأيه ضلّ ؛ ومن استغنى بعقله زلّ ؛ ومَن تجبّرَ على الناس ذلّ ؛ ومن تعمّق في العَمل ملّ ؛ ومن صاحب الأنذال حُقِّر ؛ ومن جالس العلماء وُقِّر ؛ ومَن دخل مداخل السّوء اتُّهم ؛ ومَن حسُن خُلقه ، سهُلت له طرقه ؛ ومن حسّنَ كلامه ، كانت الهَيبة أمامَه ؛ ومن خَشِي الله فاز ؛ ومن استفاد الجَهل ، ترك طَريق العَدل ؛ ومن عرف أجله ، قصّر أمله ؛ ثم أنشأ يقول :

إلبَس أخاك على عُيوبه؛ واستُر وغَطّ على ذنوبه

واصبِر على بَهتِ السّفيه، وللزمان على خُطوبه

ودَع الجوابَ تفضّلا، وكِلِ الظلومَ إلى حَسيبه

•

وقال شَبيب بن شَيبة: اطلبُوا الادب فإنّه مادّة للعَقل، ودليل على المروءة ، وصاحب في الغُربة، ومؤنس في الوحشة، وحِليْة في المجلِس ، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

•

وقال عبدُ الملك بن مَروان لِبنيه : عليكم بطلب الادب

فإنكم ان احتجتم إليه كان لكم مالاً ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً .

•

وقال بعضُ الحكماء : اعلم أنَّ جاهاً بالمال إنما يصحبك ما صَحبك المال ، وجاهاً بالادب غيرُ زائل عنك .

•

وقال ابن المقفّع : اذا أكرمك الناسُ لمال أو لسُلطان فلا يُعجبك ذلك، فإنّ الكرامة تزول بزوالهما ، ولكن ليعجبك اذا أكرموك لدين أو أدب .

•

وقال الاحنف بن قَيس: رأسُ الادب المَنطق ، ولا خير في قَول الا بِفعل ، ولا في مال الا بجود ، ولا في صَديق الا بوفاء ، ولا في فِقه الا بورَع ، ولا في صدق الا بنيّة .

•

وقال مَصقلة الزُّبيري: لا يستغني الاديب عن ثلاثة واثنين؛ فأما الثلاثة : فالبلاغة والفصاحة وحُسن العِبارة؛ وأما الاثنان: فالعلم بالاثر والحفظ للخبر .

•

وقالوا : الحَسَب مُحتاج الى الادب ، والمعرفة محتاجة الى التّجربة .

•

وقال بُزُرْجُمِهر : ما ورّث الآباءُ الابناءَ شيئاً خيراً من الأدب ، لأنّ بالأدب يَكسبون المال ، وبالجهل يُتلفونه .

•

وقال الفُضيل بن عِياض : رأسُ الأدب معرفة الرجل قدره .

•

وقالوا : حُسن الخلق خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتّوفيق خير قائد .

•

وقال سُفيان الثوريّ : مَن عَرَف نفسَه لم يَضِرْه ما قال الناس فيه .

•

وقال أنوشِروان للمُوبَذ ، وهو العالم بالفارسيّة : ما كان أفضلُ الأشياء ؟

قال : الطّبيعة النقيّة تَكتفي من الأدب بالرائحة ، ومِن العِلم بالإشارة ، وكما يموت البَذْر في السّباخ[1]، كذلك تموت الحِكمة بموت الطبيعة .

---

١ السباخ ، واحدتها سبخة : أرض ذات نز وملح .

قال له : صدقتَ، ونحن لهذا قلَّدناك ما قلدناك .

•

وقيل لأرْدَشير : الأدبُ أغلبُ أم الطَّبيعة ؟

فقال : الأدب زِيادة في العَقل، ومَنْبهة للرأي، ومَكْسبة للصواب ، والطَّبيعة أملك ، لأن بها الاعتقاد، ونَماء الغِراسة، وتَمام الغِذاء .

•

وقيل لبعض الحُكماء: أيّ شيء أعوَنُ للعقل بعد الطَّبيعة المَولودة ؟ قال : أدبٌ مُكْتَسب .

•

وقالوا : الأدب أدَبان: أدبُ الغَريزة وهو الأصل، وأدب الرِّواية وهو الفَرْع، ولا يَتفرّع شيء إلا عن أصله، ولا يَنمى الأصل إلا باتصال المادة .

•

وقال الشاعر :

ولم أرَ فَرْعاً طال إلا بأصْله، ولم أرَ بَدْء العِلْم إلا تَعَلُّما

•

وقال حبيب[1] :

وما السيفُ إلاّ زُبْرَةٌ لو تركتَه
على الحالةِ الأولى لما كان يَقطعُ[2]

•

وقال آخر :

ما وَهبَ اللهُ لامرىءٍ هِبةً أفضلَ من عقله ، ومن أدبهْ
هما حياةُ الفتى فإن فُقِدا ، فإنّ فقدَ الحياة أحسنُ به

•

وقال ابن عبّاس : كَفاكَ من عِلم الدين أن تَعرف ما لا يَسعك جهلُه ، وكفاكَ من عِلم الأدب أن ترْوي الشاهد والمثال .

•

قال ابن قُتيبة : إذا أردتَ أن تكون عالماً فاطلب فنّاً واحداً ، وإذا أردتَ أن تكون أديباً فتفنَّن في العُلوم .

•

وقالت الحكماء : إذا كان الرجل طاهرَ الأثواب ، كثيرَ الآداب ، حسنَ المذهب ، تأدَّب بأدبه وصَلُح لصلاحه جميع

---

١ حبيب الطائي ، ابو تمام .

٢ الزبرة : القطعة من الحديد .

أهله وولده . قال الشاعر :

رأيتُ صلاحَ المرْءِ يُصْلِح أهلَه،
ويُفسدهم رَبُّ الفَساد إذا فَسدْ

يُعظِّم في الدنيا لِفَضْل صلاحه؛
ويُحْفَظ بعد الموت في الأهل والوَلد

•

وسُئل ديوجانس : أي الخِصال أحمدُ عاقبة ؟

قال: الإيمان بالله، عزَّ وجلَّ، وبرُّ الوالدين، ومحبّة العُلماء، وقبولُ الأدب .

•

رُوي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : من لا أدب له لا عقل له .

•

وقالوا : الأدب يَزيدُ العاقلَ فضلاً ونَباهة ، ويُفيده رقّة وظَرفاً .

وفي رقة الادب

قال أبو بكر بن أبي شَيْبة : قيل للعبّاس بن عبد المطّلب: أنت أكبرُ أم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو أكبر مني وأنا أسنّ منه .

•

وقيل لأبي وائل: أيكما أكبرُ، أنتَ أم الرَّبيع بن خُثيم؟ قال : أنا أكبر منه سنّاً ، وهو أكبر مني عقلاً .

•

وقال أبانُ بنُ عثمان لطُويس المغَنّي : أنا أكبر أم أنت ؟ قال: جُعلتُ فداك، لقد شَهِدْتُ زفاف أمك المُباركة الى أبيك الطيّب. انظر الى حِذْقه ورقة أدبه كيف لم يَقُل أمك الطيّبة الى أبيك المُبارك .

•

وقيل لعُمر بن ذَرّ: كيف برّ ابنك بك؟ قال: ما مَشَيْت نهاراً قطُّ إلا مَشى خَلفي ، ولا ليلاً إلا مَشى أمامي، ولا رَقي عُليّة وأنا تحته .

•

ومن حديث عائشة ، قالت : ما رأيتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُبجّل أحداً تبجيلَه لعمّه العبّاس .

•

وكان عمر وعثمان إذا لَقِيا العبّاس نَزلا إعظاماً له ، إذا كانا راكبَيْن .

•

ومن قولنا في رقة الأدب :

أدبٌ كمثل الماء لو أفرغتَه، يوماً ، لسال كما يَسيلُ الماءُ

•

احمد بن أبي طاهر قال : قلتُ لعليّ بن يحيى : ما رأيتُ أكمل أدباً منك .

قال : كيف لو رأيتَ إسحاق بن إبراهيم ؟

فقلتُ ذلك لإسحاق بن إبراهيم .

قال : كيف لو رأيتَ إبراهيم بن المهديّ ؟

فقلتُ ذلك لابراهيم .

فقال : كيف لو رأيت جعفر بن يحيى ؟

•

وقال عبدُ العزيز بن عُمر بن عبد العزيز: قال لي رَجاءُ بن حَيْوة : ما رأيتُ أكرمَ أدباً ولا أكرم عِشرةً من أبيك ،

سَمَرتُ عنده ليلة ، فبينا نحن كذلك إذ عَشي المصباحُ ونام الغلام، فقلتُ : يا أمير المؤمنين، قد عَشي المصباح ونام الغلام، فلو أذنتَ لي أصلحتُه ؛ فقال : إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه . ثم حطّ رداءه عن منكبيه، وقام الى الدبّة[1] فصبّ من الزيت في المصباح وأشخص الفتيلة، ثم رجع وأخذ رداءه وقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر .

•

العتبي عن أبيه قال : صوّت رجل عند عمر بن الخطاب في المسجد، فلما كانت الصلاة قال عمر : عَزَمتُ على صاحب الصوت إلا قام فتوضّأ ؛ فلم يَقُم أحدٌ . فقال جرير بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزم علينا كلّنا أن نقوم فنتوضأ؛ قال: صدقتَ، ولا عَلِمتُك إلا سيّداً في الجاهليّة، فقيهاً في الاسلام، قوموا فتوضأوا .

•

الرياشي عن الأصمعي قال : حدّثني عثمان الشحّام ، قال : قلتُ للحسن : يا أبا سعيد ؛ قال : لبّيك ؛ قلت : أتقول لي لبّيك ؟ قال : إني أقولها لخادمي .

•

---

١ الدبة : اناء للزيت .

وقال الشاعر :

يا حبّذا حين تُمسي الريح باردةً وادي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ به هُضُمُ[1]

مُخَدَّمون، كِرامٌ في مجالسهم، وفي الرِّحال إذا جرّبْتَهم خَدَمُ

وما أُصاحِبُ من قوم، فأذكُرَهم، إلا يَزيدُهُم حُبّاً إليّ هُمُ

١ وادي اشي : موضع باليمامة . الهضم ، واحدها هضيم : الضامر اللطيف الحصر.

الادب في الحديث والاستماع

وقالت الحُكماء: رأسُ الأدب كلّه حُسنُ الفَهمِ والتفهمَ والاصغاءِ للمتكلّم .

•

وذكر الشّعبي قوماً فقال : ما رأيتُ مثلَهم أسدَّ تَناوباً[1] في مَجلس ، ولا أحسن فهماً من مُحدّث .

•

وقال الشعبي ، فيما يَصِف به عبدَ الملك بن مروان : والله ما علمتُه إلا آخذاً بثلاث، تاركاً لثلاث : آخذاً بحُسن الحديث إذا حَدّث ، وبحُسن الاستماع إذا حُدّث ، وبأيسر المؤونة إذا خُولف ، تاركاً لمجاوبة اللئيم ، ومماراة السّفيه ، ومنازعة اللجوج .

•

وقال بعض الحُكماء لابنه : يا بُني ، تعلّم حُسنَ الاستماع كما تتعلّم حسن الحديث ، وليعلم الناسُ أنك أحرصُ على أن

---

١ تناوباً : تبادلا ، واراد تبادلا للحديث .

تَسمع منك على أن تقول ، فاحذرْ أن تُسرع في القَول فيما تُحبّ عنه الرُّجوع بالفِعل ، حتى يعلم الناسُ أنك على فِعل ما لم تَقُل أقربُ منك إلى قَول ما لم تَفعل .

•

وقالوا : من حُسن الأدب أن لا تُغالب أحداً على كلامه ، وإذا سُئِل غيرُكَ فلا تُجب عنه ، وإذا حدَّث بحديث فلا تُنازعه إياه ، ولا تَقتحم عليه فيه ، ولا تُرِه أنك تعلمه ، وإذا كلَّمت صاحبك فأخذته حُجّتُك فحَسِّن مخرج ذلك عليه ، ولا تُظهر الظَّفر به ، وتَعلّم حُسنَ الاستماع ، كما تعلّم حُسنَ الكلام .

•

وقال الحسنُ البصريّ : حدّثوا الناسَ ما أقبلوا عليكم بوجُوههم .

•

وقال أبو عبّاد الكاتب : إذا أنكر المُتكلّم عين السامع فليسأله عن مَقاطع حديثه ، والسبَب الذي أجري ذلك له ؛ فإن وجده يقف على الحقّ أتمّ له الحديث ، وإلا قطعه عنه وحَرمه مؤانسته ، وعرّفه ما في سوء الاستماع من الفَسُولة[1] والحِرمان للفائدة .

---

١ الفسولة : عدم المروءة .

الادب في المجالسة

ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيبة : أن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يَقم الرجلُ للرجل عن مجلسه ولكن لِيُوسّع له .

•

وكان عبدُ الله بن عمر إذا قام له الرجلُ عن مجلسه لم يجلس فيه ؛ وقال : لا يقم أحد لأحد عن مجلسه ، ولكن افسَحوا يَفسحِ اللهُ لكم .

•

أبو أمامة قال : خرج إلينا النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقمنا إليه ؛ فقال : لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها . فما قام إليه أحد منّا بعد ذلك .

•

ومن حديث ابن عمر : أن النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، قال : إن خرجتُ عليكم وأنتم جُلوس فلا يقومنّ أحدٌ منكم في وجهي ، وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلست فكما

أنتم ، فإن ذلك خُلق من أخلاق المشركين .

•

وقال ، صلى الله عليه وسلم : الرّجل أحقُّ بصَدر دابّته وصَدر مجلسه وصَدر فراشه ، ومن قام عن مجلسه وَرَجع إليه فهو أحقّ به .

•

وقال ، صلى الله عليه وسلم : إذا جلس إليك أحدٌ فلا تقم حتى تستأذنه .

•

وجلس رجلٌ إلى الحسن بن عليّ، عليهما الرّضوانُ ، فقال له : إنك جلستَ إلينا ، ونحن نريد القيام ؛ أفتأذَنُ ؟

•

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : ما مددتُ رجلي قطُّ بين يَدي جليسي ، ولا قمتُ عن مجلسي حتى يقوم .

•

وقال إبراهيمُ النخَعيّ : إذا دخل أحدُكم بيتاً فَليَجلس حيثُ أجلسه أهلُه .

•

وطرح أبو قِلابة لِرَجُل جلس إليه وسادةً فَرَدّها؛ فقال: اما سَمِعتَ الحديثَ : لا تَرُدّ على أخيك كرامته ؟

•

وقال عليّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه : لا يأبى الكرامةَ الا حِمار .

•

وقال سَعيد بنُ العاص : لجليسي عليّ ثلاثٌ : اذا دنا رَحّبتُ به ، واذا جلَس وسّعت له ، واذا حدّث أقبلتُ عليه . وقال : اني لأكره أن يمرّ الذُباب بجليسي مخافةَ أن يؤذيه .

•

الهيثمُ بن عدي قال : دخل الأحنفُ بن قيس على مُعاوية فأشار اليه الى وسادة فلم يَجلِس عليها ، فقال له : ما مَنعك يا أحنف أن تَجلِس على الوسادة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان فيما أوصى به قيسُ بن عاصم ولده أن قال : لا تسعَ للسُلطان حتى يمَلّك ، ولا تَقطعه حتى يَنساك ، ولا تَجلِس له على فراش ولا وِسادة ، واجعل بينك وبينه مَجلِس رجل أو رجلين .

•

وقال الحسنُ : مُجالسةُ الرّجل من غير أن يُسأل عن اسمه واسم أبيه مجالسةُ النّوكى[1] .

---

[1] النوكى : الحمقى ، واحدهم انوك .

ولذلك قال شَبيب بن شَيبة لأبي جعفر ، ولَقِيه في الطَّواف وهو لا يَعرفه ، فأعجبه حُسن هَيئته وسَمته : أصلحك الله ، اني أحب المعرفةَ ، وأُجلُّك عن المسألة ؛ فقال : أنا فُلان ابنُ فلان .

•

قال زياد : ما أتيتُ مجلساً قطُّ الا تركتُ منه ما لو جلستُ فيه لكان لي ، وتَرْكُ ما لي أحبُّ اليَّ من أخذ ما ليس لي .

وقال : اياك وصُدورَ المجالس وان صدَّرك صاحبها ، فإنها مجالس قُلْعة[1] .

•

وقال الشعبي : لأن أُدعى مِن بُعدٍ الى قُرب أحبُّ اليَّ من أن أُقصى من قُرب الى بعد .

•

وذكروا أنه كان يوماً أبو السَّمراء عند عبد الله بن طاهر وعنده اسحاقُ بن ابراهيم ، فاستدنى عبدُ الله إسحاقَ فناجاه بشيء ، وطالت النَّجوى بينهما . قال : فاعترَتني حَيرةٌ فيما بين القُعود على ما هما عليه والقيام ، حتى انقطع ما بينهما

---

١ قلعة : لا يثبت فيها صاحبها .

وتنحى إسحاق إلى مَوقفه ، ونظر عبد الله إليَّ ، فقال : يا أبا السَّمراء :

إذا النَّجيَّانِ سَرّاً عنك أمرَهما
فانزحْ بِسَمعكَ تجهَلْ ما يَقُولانِ

ولا تُحمّلهما ثِقْلاً لخوفهما
على تناجيهما بالمجلس الدّاني

فما رأيتُ أكرَم منه ، ولا أرفق أدباً ، ترك مُطالبتي في هَفوتي بحقّ الامراء ، وأدّبني أدبَ النُّظراء .

•

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم : إنما أحدُكم مِرآة أخيه، فإذا رأى عليه أذّى فَليُمطه[١] عنه ، وإذا أخذ أحدُكم على أخيه شيئاً فليقل : لا بك السُّوء ، وصَرف الله عنك السُّوء.

•

وقالوا : إذا اجتمعتْ حُرمتان، أسقطت الكبرى الصُّغرى.

•

وقال المُهلّب بن أبي صُفرة: العيش كلّه في الجَليس الممتع.

---

١ فليمطه : فليكشفه .

الادب في المماشاة

وجّه هشامُ بن عبد الملك ابنَه على الصّائفة ، ووجّه معه ابنَ أخيه ، واوصى كلٌّ واحد منهما بصاحبه، فلما قَدِما عليه، قال لابن أخيه : كيف رأيتَ ابنَ عمّك ؟ فقال : إن شئتَ أجملتُ ، وإن شئتَ فسّرْتُ ؛ قال : بل أجمل ؛ قال : عرضتْ بيننا جادّة[1] فتركها كلٌّ واحد منّا لصاحبه، فما رَكبناها حتى رَجعنا اليك .

•

وقال يحيى بن أكثم : ماشيتُ المأمون يوماً من الأيام في بستان مُؤْنسةَ بنت المهديّ، فكنتُ من الجانب الذي يَستُرُه من الشّمس ، فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع ، أردتُ أن أدور الى الجانب الذي يَستُرُه من الشمس ، فقال : لا تفعل ، ولكن كُنْ بحالك حتى أسترك كما سترْتني .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو قدرتُ أن أقيك حرَّ النار لفعلتُ فكيف الشمس ؟

---

١ الجادة : الطريق .

فقال : ليس هذا من كرم الصُّحبة .

ومَشى ساتراً لي من الشَّمس كما سترتُه .

•

وقيل لعُمَر بن ذرّ : كيف برُّ ابنك بك؟ قال: ما مشيتُ نهاراً قطُّ إلا مَشى خلفي ، ولا ليلاً إلا مشى أمامي ، ولا رَقي سَطحاً وأنا تحته .

•

وقيل لزياد : إنك تَستخلص حارثة بن بَدْر وهو يُواقع الشَّراب .

فقال : وكيف لا أستخلصه وما سألته عن شيء قطُّ الا وجدتُ عنده منه عِلماً ، ولا استودعتُه سرّاً قطُّ فضيّعه، ولا راكبني قطُّ فمسَّت رُكبتي رُكبته .

•

محمد بن يزيد بن عُمر بن عبد العزيز قال : خرجتُ مع موسى الهادي أمير المؤمنين من جُرجان ؛ فقال لي : إمّا أن تحملني ، وإمّا أن أحملك ؛ فعلمتُ ما أراد، فأنشدته أبيات ابن صِرْمة :

أوصيكُمْ باللهِ ، أوّلَ وَهْلةٍ ،
وأحسابِكم ، والبِرُّ باللهِ أوّلُ

وإنْ قومُكم سادُوا ، فلا تحسُدوهُمُ ؛
وإن كُنتمُ أهلَ السِّيادة ، فاعْدِلوا

وإن أنتُمُ أعوَزْتُمُ فتَعفّفوا ؛
وإن كان فَضْلُ المال فيكم فأفْضِلوا

وإنْ نزلتْ إحدى الدّواهي بقَومكم ،
فأنفُسَكم ، دُون العَشيرة ، فاجعلوا

وإنْ طلبوا عُرْفاً ، فلا تحرِموهُمُ ،
وما حمّلوكم في المُلمّات ، فاحملوا

قال : فأمر لي بعشرين ألف دِرْهم .

•

وقيل : إن سعيد بن سَلم راكَبَ موسى الهادي ، والحَربةُ بيد عبد الله بن مالك ، وكانت الريح تَسفي التراب ، وعبدُ الله يَلحظ موضع مَسير مُوسى ، فيتكلّف أن يسير على مُحاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبلَ على سَعيد ابن سَلم ، فقال : أما ترى ما نَلقى من هذا الخائن؟ قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما قصّر في الاجتهاد ، ولكن حُرِم التوفيق.

السلام والاذن

قال النبيّ، صلى الله عليه وسلم : أطيبوا الكلام، وأفشُوا السلام ، وأطعِموا الأيتام ، وصَلّوا بالليل والناسُ نِيام .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : إنّ أبخلَ الناس الذي يَبخَل بالسلام .

وأتى رجلٌ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فقال : عليك السلامُ يا رسول الله، فقال : لا تقل: عليك السلام ، فإنها تحيّة الموتى، وقل : السّلام عليك .

•

وقال صاحبُ حَرس عمر بن عبد العزيز : خرج علينا عمرُ في يوم عِيد، وعليه قميصُ كتّان وعِمامة على قلنسوة لاطئة[1]، فقُمْنا اليه وسَلّمنا عليه؛ فقال : مَه[2]، أنا واحدٌ وأنتم جماعة،

---

١ اللاطئة : اما اسم فاعل من لطئ، اي لزق، أو من اللاطية وهي عند الشرقيين من النصارى منديل يجعله الاكليروس فوق القلنسوة .

٢ مه : اسم فعل بمعنى انكفف .

السلامُ عليّ والردُّ عليكم . ثم سلم ورددنا عليه ومشى ، فمشينا معه الى المسجد .

•

قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : يُسلم الماشي على القاعد ، والرّاكب على الراجل ، والصّغير على الكبير .

ودخل رجلٌ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أبي يُقرِئك السلام ؛ فقال : عليك وعلى أبيك السلام .

•

إبراهيم بن الأسود قال : قال لي عبدُ الله بن مسعود : إذا لقيتَ عُمرَ فاقرأ عليه السلام . قال : فلقيتُه فأقرأته السلام ؛ فقال : عليك وعليه السلام .

•

دخل مَيمون بن مِهْران على سُليمان بن هِشام ، وهو والي الجزيرة ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال له سليمان : ما مَنعك أن تُسَلِّم بالإمرة ؟ فقال : إنما يُسلِّم على الوالي بالامرة إذا كان عنده الناس .

•

أبو بكر بن أبي شَيْبة قال : كان الحسن وإبراهيم وميمون بن

مِهران يَكْرهون أن يقول الرجلُ : حيّاك الله ، حتى يقول السّلام .

•

وسُئل عبد الله بن عُمر عن الرجل يَدْخل المَسجدَ او البيتَ ليس فيه أحد ، قال يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

•

وقال رجلٌ لعائشة ، رضي الله عنها : كيف أصبحتِ يا أم المؤمنين ؟ قالت : بنِعْمة من الله .

•

وقال رجل لشُرَيح : كيف أصبحتَ؟ قال: بنعمة، ومَدّ إصبعه السبّابة الى السماء .

•

وقيل لمحمد بن وكيع : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحت طويلاً أملي ، قصيراً أجلي ، سيئاً عملي .

•

وقيل لسُفيان الثّوري: كيف أصبحتَ ؟ قال: أصبحت في دارٍ حارتْ فيها الأدلاءُ .

•

واستأذن رجلٌ من بني عامر على النبيّ، صلى الله عليه وسلم،

وهو في بيت ، فقال : ألِجُ ؟ فقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، لخادمه : اخرُج الى هذا فعلّمه الاستئذان ، وقل له يقول : السّلام عليكم ، أدخُل ؟

•

جابر بن عبد الله قال : استأذنتُ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَن أنت ؟ فقلت : أنا ؛ قال : أنا أنا .

•

وقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ، فإن أذن لك وإلا فارجع .

•

وقال عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : الأولى إذْن ، والثانية مؤامرة، والثالثة عزيمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يردّوا.

•

في تاديب الصغير

قالت الحكماء : مَن أدّب ولدَه صغيراً سُرّ به كبيراً .

وقالوا : اطْبَعِ الطّين ما كان رَطباً ، واغمِزِ العود ما كان لَدْناً .

وقالوا : مَن أدّب ولدَه غَمّ حاسدَه .

•

وقال ابنُ عبّاس : مَن لم يَجلِس في الصِّغَر حيثُ يكره لم يَجلس في الكِبَر حيث يُحبّ .

•

وقال الشاعر :

إذا المرءُ أعيَتْه المُروءةُ ناشئاً،
فمَطْلَبُها ، كَهْلاً ، عليه شديدُ

•

وقالوا : ما أشدّ فِطامَ الكبيرِ وأعسرَ رياضةَ الهَرِمِ !

•

قال الشاعر :

وتَرُوض عِرْسَك بعدما هَرِمت،
ومِن العَناء رياضةُ الهَرِمِ

•

وكتب شُرَيح إلى معلّم ولده :

تَرَكَ الصلاةَ لأكْلُبٍ يَسعى بها،
يَبْغِي الهِرَاشَ مع الغُوَاة الرُّجَّسِ

فَليَأتِيَنَّك غُدوةً بصحيفة
كُتِبَت له ، كصحيفة المُتَلَمِّس[1]

فإذا أتاكَ ، فعَضَّه بِمَلامة ،
وعِظَنْه مَوْعِظةَ الأديب الكَيِّس

فإذا هَمَمْتَ بضَرْبه ، فبِدِرَّة ،
وإذا بلغتَ بها ثلاثاً ، فاحْبِسِ[2]

واعْلَم بأنّك ما أتيتَ ، فنفسُه،
مع ما يُجَرِّعني ، أعزُّ الأنْفُس

•

---

١ صحيفة المتلمس: مثل يضرب لمن يسعى بنفسه في هلاكها ويغررها. وقصة هذه الصحيفة مشهورة.

٢ الدرة : السوط.

وقال صالح بن عبد القدّوس :

وإنّ مَن أدّبْتَه في الصبا ، كالعُود يُسقى الماءَ في غَرْسِه
حتى تَراه مُورِقاً ناضِراً ، بَعد الذي أبصرتَ من يُبْسِه
والشيخُ لا يَترك أخلاقَه ، حتى يُوارَى في ثَرى رَمْسه
إذا ارْعوى عادَ له جَهْلُه كذي الضَّنَى،عاد إلى نُكْسِه
ما يَبْلغ الأعداءُ من جاهل، ما يَبْلغ الجاهلُ من نَفسه

•

وقال عمرو بن عُتبة لمعلّم ولده : لِيكُن أوّلَ إصلاحك لولدي إصلاحُك لنفسك، فإنّ عيونَهم مَعْقودة بعَيْنك، فالحسن عندهم ما صَنعتَ ، والقبيح عندهم ما تَركت . علّمهم كتابَ الله ولا تُكرههم عليه فيَملّوه ، ولا تَترُكهم منه فيهجروه ؛ رَوِّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفّه ، ولا تَنقُلهم من عِلم الى علم حتى يُحكِموه ، فإنّ ازدحام الكلام في القلب مَشْغلةٌ للفهم ، وعَلّمهم سُنن الحكماء ، وجَنّبهم مُحادثة النّساء ، ولا تَتّكل على عُذرٍ مني لك ، فقد اتكلتُ على كِفاية منك .

في حب الولد

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟

قال : يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرضٌ ذليلة ، وسماء ظليلة ؛ فإنْ طلبوا فأعطهم ؛ وإن غضبوا فأرضهم ؛ يمنحوك وُدّهم ، ويحبوك جهدهم ؛ ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملّوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك .

فقال : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلتَ عليّ وإني لمملوء غضباً على يزيد فسللته من قلبي .

فلما خرج الأحنفُ من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب ، فبعث يزيدُ إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، شاطره إياها .

•

وكان عبدُ الله بن عُمر يذهب بولده سالم كلَّ مَذهب ، حتى لامه الناسُ فيه ، فقال :

يلومونني في سالم وألومهم ، وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ

وقال : إن ابني سالماً ليُحبّ الله حُبّاً لو لم يَخَفْه لم يَعصِه.

•

وكان يحيى بن اليمان يَذهب بولده داود كلَّ مَذهب ، حتى قال يوماً : أئمة الحَديث أربعة ، كان عبد الله ، ثم كان عَلقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .

وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ ألفّه فيه ، حتى اشتريتُ له كُسوة بدانِق[1] .

•

وقال زيدُ بنُ عليّ لابنه : يا بُنيَّ ، إن الله لم يَرضَكَ لي فأوصاك بي ، ورَضيني لك فحذّرنيك ؛ واعلم أنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تَدْعه المودّةُ إلى التّفريط ، وخيرَ الأبناء للآباء مَن لم يَدْعه التّقصير إلى العقُوق .

•

وفي الحديث المَرفوع : ريح الوَلد من ريح الجنّة .
وفيه أيضاً : الأولاد من رَيحان الله .

•

---

١ الدانق : سدس الدرهم .

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، لمَّا بُشِّر بفاطمة: رَيحانة أَشمُّها، ورِزقها على الله.

•

ودخل عمرو بن العاص على مُعاوية وبين يديه بنته عائشة، فقال: مَن هذه يا أمير المؤمنين؟

فقال: هذه تُفّاحة القَلب.

فقال له: انبذْها عنك يا أمير المؤمنين فوالله إنّهنَّ ليَلِدنَ الأعداء، ويُقرِّبن البُعداء، ويُورِّثن الضّغائن.

قال: لا تَقل ذاك يا عمرو، فوالله ما مَرّض المَرضى، ولا نَدَب الموتى، ولا أعان على الأحزان مِثلهن، ورُبَّ ابن أختٍ قد نفَعَ خاله.

•

وقال المعلّى الطائيّ:

لولا بُنيّات كزُغب القَطا،	حُطِطن من بعْض إلى بعضِ
لكان لي مُضطَرَب واسعٌ	في الأرض ذاتِ الطول والعَرض
وإنما أولادُنا، بَيننا،	أكبادُنا تمشي على الأرض
إنْ هبَّت الريحُ على بَعضهم	لم تَشبع العينُ من الغَمض

•

وقال عبدُ الله بن أبي بَكرة : مَوت الوَلد صَدع في الكَبِد ، لا يَنجبر آخرَ الأبد .

•

ونظر عمرُ بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، إلى رجل يحمل طِفلاً على عُنقه ، فقال : ما هذا منك ؟

قال : ابني يا أميرَ المؤمنين .

قال : أمَا إنه إن عاش فتَنَك ، وإن مات حَزَنك .

•

وكانت فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تُرَقّص الحُسين بن علي ، رضي الله عنهما ، وتقول :

إنّ بُنيّ شِبه النبي ، ليس شَبيهاً بِعَلي

•

وكان الزُّبير يُرَقّص ولده عُروَة ويقول :

أبيَضُ من آل أبي عَتيقِ ، مُبارَكٌ مِن وَلد الصّدّيقِ
ألذّه كما ألذّ رِيقي

•

وقال أعرابي وهو يُرَقّص ولده :

أُحبّه حُبّ الشّحيح مالَهْ ، قد كان ذاقَ الفقر ثمّ نالَهْ
إذا يُريد بذله بدا لَهْ

•

وقال آخر وهو يُرَقِّص ولده :

أعرِف منه قلّة النُّعاسِ ، وخِفّةً في رَأسه من راسي

•

وكان رجلٌ من طيّء يَقطع الطّريق ، فمات وترَكَ بُنيّاً رضيعاً ، فجعلت أمه ترقصه وتقول :

يا ليتَه قد قطع الطّريقا ، ولم يُرِد في أمره رَفيقا

وقد أخافَ الفَجّ والمضيقا ، فقَلّ أن كان به شَفيقا[1]

•

وقال عبدُ الملك بن مروان : أضرّ بنا في الوليد حُبُّنا له فلم نؤدّبه ، وكأنّ الوليدَ أدّبنا .

•

وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك فلان؟

قال : مات فاستراح من الكُتّاب .

قال: أوبلغ منك الكُتّاب هذا المبلغ! والله لا حَضَرْتَه أبداً. ووجّهه إلى البادية ، فتعلّم الفصاحة ، وكان أُمّيّاً ، وهو المعروف بابن مارِدة .

•

---

١ الفج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين . المضيق : ما ضاق من الأماكن، وقطعة ضيقة من البحر .

وفي بعض الحديث أنّ إبراهيم خليل الرّحمن ، صلوات الله عليه ، كان من أغير النّاس ، فلما حضَرته الوفاة ، دخل عليه ملك الموت ، في صُورة رجل أنكره ؛ فقال له : من أدخلك داري ؟

قال : الذي أسكنك فيها منذُ كذا وكذا سنة .

قال : ومَن أنت ؟

قال : أنا ملك الموت ، جئت لقبض رُوحك .

قال : أتاركي أنت حتى أودّع ابني إسحاق ؟

قال : نعم .

فأرسل الى اسحاق ، فلما أتاه أخبره ، فتعلّق اسحاق بأبيه ابراهيم وجعل يتقطّع عليه بُكاء ؛ فخرج عنهما ملك الموت ، وقال : يا رَبّ ذبيحُك اسحاق متعلّق بخليلك .

فقال له الله : قل له اني قد أمهلتك .

ففعل . وانحلّ اسحاق عن أبيه ، ودخل ابراهيم بيتاً ينام فيه ، فقبض ملك الموت روحَه وهو نائم .

•

الاعتضاد[1] بالولد

قال الله، تبارك وتعالى، فيما حكاه عن عَبده زكريّا ودعائه اليه في الولد: « وَزَكَرِيّا اذْ نادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْني فَرْداً وَأنْتَ خَيرُ الوَارِثِين. » وقال: « وَإنّي خِفتُ المَوالِيَ مِنْ وَرَائي وَكانت امرأتي عاقراً فَهَب لي مِن لَدُنكَ وَليّاً يَرِثُني وَيَرِثُ مِن آلِ يعقوبَ وَاجْعَله رَبّ رَضِيّاً. » والموَالي ها هنا بنو العم.

•

وقال الشاعر:

مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامتَه،
إنّ الذّليلَ الذي لَيستْ له عَضُدُ

تَنْبو يَداه، إذا ما قلّ ناصرُه،
ويأنَفُ الضّيْمَ، إنْ أثْرَى له عدد

•

---

١ الاعتضاد، من اعتضد به: استعان وتقوى.

العتبي قال: لمّا أسنّ أبو براء عامرُ بن مالك وضعّفه بنو أخيه وخرّفوه، ولم يكن له ولد يحميه، أنشأ يقول:

دفعتُكم عنّي، وما دفع راحةٍ
بشيءٍ، إذا لم تستعن بالأناملِ

يُضعّفني حلْمي وكثرةُ جهلكم
عليّ، وأنّي لا أصُول بجاهـل

•

وقال آخر:

تعْدُو الذّئاب على من لا كِلابَ لَه،
وتتّقي سورةَ المُستنفرِ الحامي

•

في التجارب والتأدب بالزمان

قالت الحُكماء : كَفى بالتّجارب تأديباً ، وبتقلّب الأيام عِظَةً .

وقالوا : كَفى بالدّهر مُؤَدّباً ، وبالعَقل مُرْشداً .

•

وقال حبيب :

أحاولتَ إرشادي ، فعَقلِيَ مُرْشِدي،
أم استَمْتَ تأديبي، فدَهْري مُؤَدّبي[1]

•

وقال ابراهيم بن شَكلة[2] :

مَن لم يؤدّبه والداه ، أدّبه الليلُ والنّهارُ
كم قد أذلاّ كريمَ قومٍ ، ليس له منهما انتصار

---

١ استمت : اردت.

٢ ابن شكلة : ابراهيم بن المهدي .

مَن ذا يَدُ الدهرِ لم تَنَله ، أو اطمأنَّت بــه الدِّيار؟
كُلٌّ عن الحادِثات مُغضٍ ، وعِنـــده للزّمان ثار

•

وقال آخر :

وما أبقت لك الأيامُ عُذراً ، وبالأيّام يَتّعظ اللّبيبُ

•

وقالوا : كَفى بالدهر مُخبراً بما مَضى عما بَقي .

•

وقالوا : كَفى مخبراً لذَوي الألباب ما جَرَّبوا .

•

وقالوا لعيسى بن مَريم، عليهما السلام : مَن أدَّبك؟ قال: ما أدّبني أحد ، رأيتُ الجَهل قبيحاً فاجتنبتُه .

•

ابناء النور
٢

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ ابناء النوز ١
٧ ابناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣

٢٠٠ غ.ل.

V. 2 (no. 8)

العقد العربي

٨

ابناء النور

٣

مكتبة صادر
بيروت

٨

ابناء النور

٣

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

ابناء النور

هو كتاب الياقوتة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٨

ابناء النور

٣

مكتبة صادر
بيروت

Near East
PJ
7745
.I15
.I5
v.2
c.1

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٦٢ — ١٩٥١

في صحبة الايام بالموادعة

قالت الحُكَماء: اصحب الأيام بالمُوادعة ولا تُسابق الدهرَ فتَكبُو .

•

وقال الشاعر :

مَن سابَق الدهرَ كَبا كَبْوةً ،
لم يَسْتَقِلها من خُطا الدّهرِ
فاخطُ مع الدّهر إذا ما خَطا ،
واجرِ مع الدهرِ كما يَجْري

•

وقال بشّار العُقَيلي :

أعاذِلَ إنّ العُسْرَ سَوف يُفيقُ ،
وإنّ يَساراً من غدٍ لَخليقُ [1]

---

١ سوف يفيق : اي سوف يكون بعد العسر يسر ، من افاق الزمان اخصب بعد جدب .

وما كُنْتُ إلا كالزّمان ، إذا صحا
صحوتُ ، وإن ماقَ الزّمان أموقُ[1]

•

وقال آخر :

تحامَقْ مَع الحَمْقى ، إذا ما لَقيتَهم ،
ولاقِهمُ بالجهلِ ، فِعْلَ ذوي الجَهْلِ

وخَلّط ، إذا لاقيْتَ يوماً مُخَلِّطاً
يُخَلّط في قولٍ صحيحٍ ، وفي هَزْلِ

فإنّي رأيتُ المَرْءَ يَشْقى بعقلهِ ،
كما كان قبلَ اليومِ يَسْعد بالعقل

•

وقال آخر :

إنّ المَقاديرَ ، إذا ساعَدَتْ ، ألحقت العاجِزَ بالحازمِ

•

وقال آخر :

والسّبب المانعُ حظّ العاقلِ ، هو الذي سَبَّب حظّ الجاهلِ

•

---

١ ماق : حمق .

ومن أمثالهم في ذلك : تطامن لها تَخْطُك[1] .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

تَطامنْ للزّمان يجُزْكَ عفْواً، وإنْ قالوا: ذليلٌ، قُلْ: ذليلُ

•

وقال حَبيب :

وكانت لِـلوعةٌ ثم اطمأنت، كذاكَ لكلِّ سائلةٍ قرارُ[2]

•

وقال آخر :

ماذا يُريكَ الدّهرُ من هوانِهِ ازْفِنْ لِقِرْدِ السَّوءِ في زمانِهِ[3]

•

ولآخر :

الدّهرُ لا يبقى على حالةٍ، لا بُدَّ أن يُقبِلَ أو يُدْبِرْ

فإنْ تَلقّاكَ بِمكرُوهه، فاصبرِ فإنَّ الدّهرَ لا يَصْبِرْ

•

---

١ تخطك : تتجاوزك .

٢ سائلة ، من سال الماء : جرى .

٣ ازفن : ارقص .

ولآخر :

اصبرْ لدهرٍ نال مِنْكَ ، فهكذا مَضَت الدُّهورُ
فَرَحاً وحُزْناً مرّةً ، لا الحُزن دام ولا السُّرورُ

•

ولآخر :

عَفَا الله عمَّنْ صَيَّرَ الهمَّ واحداً ،
وأيقن أنّ الدّائرات تَدُورُ

تَرُوح لنا الدنيا بغير الذي غَدت ؛
وتَحدُث مِن بعد الأمور أمور

وتَجرِي الليالي باجتماعٍ وفُرْقة ؛
وتَطلُعُ فيها أنجمٌ وتَغور

ونَطمع أن يَبقى السُّرُور لأهله ؛
وهذا مُحالٌ أن يَدُوم سُرور

•

ولآخر :

سأنتظرُ الأيام فيك لعلّها
تَعود الى الوَصل ، الذي هو أجمَلُ

التحفظ من المقالة القبيحة

وان كانت باطلا

قالت الحكماء : إيّاك وما يُعتذر منه .

وقالوا : مَن عرّض نفسه للتّهَم فلا يأمن من إساءة الظن .

وقالوا : حَسبك من شرّ سماعُه .

وقالوا : كفى بالقوْل عاراً وإنْ كان باطلا .

•

وقال الشاعر :

ومَن دعا الناسَ إلى ذمّه ، ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ
مَقالةُ السّوء ، إلى أهلها ، أسرعُ من مُنحدِرٍ سائل

•

وقال آخر :

قد قِيل ذلك إنْ حقّاً وإنْ كَذِباً ،
فما اعتذارُك من قوْلٍ إذا قِيلاَ ؟

•

وقال أرِسْطاطاليس للإسكندر : إنّ الناس إذا قدروا

أن يقولوا قدروا أن يفعلوا ، فاحترس من أن يقولوا تَسْلم من أن يفعلوا .

•

وقال امرؤ القيس : وجُرح اللّسان كجُرح اليَد .
وقال الأخطل : والقول يَنْفُذ ما لا تَنفذ الإبرُ .

•

وقال يَعقوب الحمدونيّ :

وقد يُرجَى لجُرح السّيف بُرءٌ،
ولا بُرءٌ لما جَرح اللّسانُ

•

ولآخر :

قالوا ، ولوْ صَحّ ما قالوا الفزْتُ به،
مَن لي بتَصديق ما قالوا وتَكذيبي؟

•

الادب في تشميت العاطس

ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيْبَة قال : قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم :

لا تُشَمِّت العاطس[1] حتى يَحمدَ الله ، فإن لم يَحمده فلا تُشَمِّته .

وقال : إذا عَطَس أحدُكم فحمِد الله فشمِّتوه ، وإن لم يحمد فلا تُشَمِّتوه .

•

وقال عليّ ، رضي الله عنه : يُشَمَّت العاطس إلى ثلاث ، فإن زاد فهو داء يَخرج من رأسه .

•

عَطَس ابن عمر ، فقالوا له : يَرحمك الله ؛ فقال : يَهديكم الله ويُصلح بالكم .

•

---

١ شمت العاطس : دعا له بقوله مثلاً «يرحمك الله» او دعا له أن لا يكون في حالة يُشمت به فيها .

وعَطَس عليّ بن أبي طالب فَحَمِد الله ، فقيل له : يَرحمك الله ؛ فقال : يَغفر الله لنا ولكم .

•

وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : إذا عَطَس احدُكم فشَمِّتوه ثلاثاً ؛ فإن زاد فقولوا : إنك مَضْنوك[1] .

•

وقال بعضُهم : التَّشميت مرّة واحدة .

•

---

١ مضنوك : مريض .

الاذن في القبلة

عبدُ الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عُمر قال : كنّا نُقبّل يدَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

•

وكيعٌ عن سُفيان قال : قبّل أبو عُبيدة يدَ عمر بن الخطاب .

•

ومن حديث الشعبيّ قال : لقِي النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، جعفرَ بن أبي طالب فالتزمه[1] وقبّل بين عينيه .

•

وقال إياسُ بن دَغفل : رأيتُ أبا نَضرَة يُقبّل خدّ الحسن .

•

الشّيباني عن أبي الحسن عن مُصعب قال : رأيتُ رجلاً دخل على عليّ بن الحسين ، رضي الله عنهما ، في المَسجد فقبّل يدَه ووَضعها على عَينَيه فلم يَنْهَه .

•

---

١ التزمه : اعتنقه .

العتبي قال : دخل رجلٌ على هِشام بن عبد الملك فقبّل يدَه، فقال: أفٍّ له! إن العرب ما قبّلت الأيدي الا هُلوعاً[1]، ولا قبّلتها العجم الا خضوعاً .

•

واستأذن رجلٌ المأمونَ في تقبيل يده ، فقال : انّ القبلة من المؤمن ذِلّة، ومن الذّميّ خديعة، ولا حاجة بك أن تذِلّ ولا حاجةَ بنا أن نُخدَع .

•

واستأذن أبو دُلامة المهديَّ في تقبيل يده فمنَعه ، فقال : ما منَعتَني شيئاً أيسر على عِيالي فقداً مِنهُ .

•

الأصمعيُّ قال : دخل أبو بكر الهَجريّ على المنصور ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين، نَغَض فمي[2] . وأنتم أهل بيت بركة، فلو أذِنت لي فقبّلت رأسك لعلّ الله كان يُمسك عليّ ما بقي من أسناني ؟

قال : اختر بينها وبين الجائزة .

---

١ هلوعاً : خوفاً ، جزعاً .

٢ نغض فمي : قلقت أسناني .

فقال : يا أمير المؤمنين ، انّ أهوَن من ذهاب درْهم من الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكّة[1] .

فضَحِك المنصور وأمر له بجائزة .

•

وقالوا : قُبلة الامام في اليَد ، وقُبلة الأب في الرأس ، وقُبلة الأخ في الخدّ ، وقُبلة الأخت في الصدر ، وقبلة الزّوجة في الفم .

•

---

١ الحاكّة : السن .

الادب في العيادة

مَرِضَ أبو عمرو بن العَلاء، فدَخَلَ عليه رجلٌ من أصحابه، فقال له : أريد أن أساهِرَكَ الليلةَ .

قال له : أنت مُعافىً وأنا مُبتلى ، فالعافية لا تَدَعُك أن تسهر ، والبلاءُ لا يَدَعني أن أنام ، وأسألُ الله أن يَهب لأهل العافية الشُّكر ، ولأهل البلاء الصَّبر .

•

ودَخَل كُثَيِّر عَزَّة على عبد العزيز بن مَرْوان وهو مريض، فقال : لو أنَّ سُرورك لا يتمّ الا بأن تَسلم وأسقَم لدعوتُ ربّي أن يَصرف ما بك اليّ ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ، ولي في كنفك النّعمة .

فضَحِك وأمر له بجائزة ، فخرج وهو يقول :

ونَعودُ سيّدَنا وسيّدَ غيرِنا ، ليتَ التشكّي كان بالعُوّادِ

لو كان يُقبَلُ فِدْيةٌ لفَدَيتُهُ بالمُصطفى مِن طارِفي وتِلادِي

•

وكتب رجلٌ من أهل الأدب الى عَليل :

نُبِّئْتُ أنَّكَ مُعتَلّ ، فقلتُ لهم:
نفسي الفِداءُ له من كل محذورِ

يا ليتَ عِلَّته بي ثمّ كان له
أجرُ العليل ، وأنّي غيرُ مأجور

•

وكتب آخر الى عليل :

وَقَيناك، لو نُعطَى الهوى فيك والمُنى،
لكان بنا الشكوى وكان لك الأجرُ

•

وكان شاعرٌ يختلف الى يحيى بن خالد بن بَرْمَك ويمتدحه ، فغاب عنه أياماً لعلّة عرضت له ، فلم يَفتَقده يحيى ولم يَسأل عنه ، فلما أفاق الرجلُ من عِلّته كتب اليه :

أيهذا الأمير أكرمك الله،
وأبقاكَ لي بَقاءً طويلا

أجميلاً تراه أصلحك الله،
لكَيما أراه أيضاً جميلا

أنني قد أقمتُ عَنك قليلا،
لا تَرى مُنفِذاً إليَّ رَسولا

ألذنبٍ ، فما عَلِمْتُ سوى الشكر
لما قد أولَيْتنيه جزيلا

أم مَلالاً ، فما عَلِمْتُك ، للحافِظ
مِثلي على الزّمان ، مَلولا

قد أتى اللهُ بالصّلاح ، فما أنكَرْتُ
مما عَهِدْتُ إلا قليلا

وأكلتُ الدُرّاج ، وهو غِذاء،
أفلتْ عِلتي عليه أفولا

وكأنني قدِمْتُ قَبلَك آتيكَ
غداً ، إن أجِدْ اليك سَبيلا

• فكتب اليه الوزير يعتذر :

دفَعَ الله عنك نائبةَ الدّهْرِ ، وحاشاكَ أنْ تكون عَليلا

أشْهِدُ الله ما علمتُ وما ذاكَ من العُذْر جائزاً ، مَقبولا

ولعلّني لوقد عَلِمت لعاوَدْتُكَ شهراً ، وكان ذاك قليلا

فاجعلنْ لي الى التعلّق بالعُذْر سَبيلا ، إن لم أجِد لي سَبيلا

فقديماً ما جاء ذو الفَضل بالفَضل، وما سامَح الخَليلُ خَليلا

•

وكتب المُعتصم الى عبد الله بن طاهر :

أعْزِزْ عليَّ بأن أراكَ عليلا، أو أن يكون بك السَّقامُ نزيلا

فَوَدِدْتُ أنّي مالكٌ لسلامتي، فأعيرَها لك بُكرةً وأصيلا

فتكونَ تبقى سالماً بسلامتي؛ وأكونَ مما قد عَراكَ بَديلا

هذا أخٌ لك يَشتكي ما تشتكي؛ وكذا الخليل إذا أحبَّ خليلا

•

ومَرِض يحيى بن خالد فكان اسماعيلُ بن صُبَيح الكاتب إذا دخَل عليه يَعوده وقف عند رأسه ودَعا له، ثم يَخرُج فيسأل الحاجبَ عن مَنامه وشرَابه وطعامه، فلما أفاق، قال يحيى بنُ خالد : ما عادني في مرضي هذا إلا اسماعيلُ بن صُبَيح .

•

وقال الشاعر :

عِيادة المرْء يومٌ بينَ يَوْمينِ،
وجَلسةٌ لكَ مِثلَ اللَّحظ بالعينِ

لا تُبرِمَنَّ مَريضاً في مُساءلة،
يكفيكَ من ذاكَ تَسآلٌ بحرفينِ

•

وقال بكر بن عبد الله لقوم عادوه في مرضه فأطالوا الجلوسَ عنده : المريض يُعاد والصحيح يُزار .

•

وقال سُفيان الثّوري : حُمْق العُوّاد أشدُّ على المَرضى من أمراضهم ، يجيئون في غير وقت ويُطيلون الجلوس .

•

ودخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يَعوده في مرضه ، فسأله عن علّته ، فلما أخبره قال : مِن هذه العلة مات فلان ومات فلان .

فقال له عمر : إذا عُدت المَرْضى فلا تَنْعَ اليهم الموْتى ، وإذا خرجتَ عنا فلا تَعُد الينا .

•

وقال ابن عبّاس : إذا دخلتم على الرّجل وهو في الموت فبشّرُوه ليلقى ربّه وهو حَسن الظن ، ولقّنوه الشهادة ولا تُضْجِروه .

•

ومرِض الأعمش فأبرمه الناسُ بالسُّؤال عن حاله ، فكتَب قصّته في كِتاب وجعله عند رأسه ، فإذا سأله أحدٌ ، قال : عندكَ القِصّة في الكتاب فاقرأها .

•

ولبعضهم :

مَرِضَ الحبيبُ ، فعُدتُه ، فمَرِضْتُ من حَذَري عليهِ
وأتى إليَّ يَعُودني ، فبرِئْتُ من نظري اليه

•

ومرض محمدُ بن عبد الله بن طاهر ، فكتبَ إلى أخيه عُبيد الله بن عبد الله :

إنّي وجدتُ على جَفائك، من فِعالك ، شاهدًا
إني اعتللتُ ، فما فَقَدْتُ سِوى رَسولك عائدا
ولو اعتللتَ ، فلم أجِدْ سبباً إليك مُساعدا
لاستشعرتْ عيني الكَرَى ، حتى أعودَك راقدا

فأجابه :

كُحِلت مُقْلتي بشَوْك القَتادِ ،
لم أذق مُذْ حُمِمتَ طَعْمَ الرُّقادِ

يا أخي الباذلَ المودّةَ ، والنا
زلَ من مُقلتي مكانَ السواد

مَنَعَتْني عليك رِقّةُ قلبي ،
من دُخولي إليك في العُوّاد

لو بأذْني سمعتُ منك أنيناً،
لتَفَرّى مع الأنين فؤادي[1]

•

ولمحمد بن يزيد :

يا عَليلاً أفْدِيك من ألم العِلّة،
هل لي إلى اللّقاء سبيلُ؟

إن يَحُل دونك الحجابُ فما يُحْجَب
عني بك الضّنى والعَويل

•

وأنشد محمدُ بنُ يزيد قال : أنشدني أبو دُهمان لنفسه وقد دخل على بعض الأمراء يعوده :

بأنْفُسنا ، لا بالطّوارِف والتّلْدِ،
نَقيك الذي تُخْفي من السُّقم أو تُبدي

بنا مَعشرَ العُوّاد ما بك من أذى،
فإن أشفقوا مما أقول ، ففي وَحْدي

•

---

١ تفرى : تفطر ، تشقق .

وكتب أبو تمام الطائي إلى مالك بن طوق في شكاة له :

كم لوعة للندى ، وكم قلق
للمجد والمكرمات في قلقك

ألبسك الله منه عافية ،
في نومك المعتري ، وفي أرقك

تخرج عن جسمك السقام ، كما
أخرج ذم الفعال من عنقك

•

ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل في شكاة له يعوده ، فقال :

الله يدفع عن نفس الامام لنا ،
وكلنا للمنايا ، دونه ، غرض

فليت أن الذي يعروه من مرض
بالعائدين جميعاً ، لا به المرض

فبالامام لنا من غيرنا عوض ،
وليس في غيره منه لنا عوض

فما أبالي ، إذا ما نفسه سلمت ،
لو باد كل عباد الله وانقرضوا

•

وقال آخر في بعض الأمراء :

واعتلّ ، فاعتلّت الدنيا لِعلّته ؛
واعتلّ فاعتلّ فيه البأسُ والكرمُ

لما استقلّ أثار المَجدُ ، وانقشعت
عنه الضّبابة ، والأحزان ، والسّقم[1]

•

وبلغ قيساً مجنونَ بني عامر أن ليلى بالعراق مريضة ، فقال :

يقولون ليلى بالعِراق مريضةٌ ، فما لك تجفوها ، وأنت صديقُ ؟
سَقى الله مرْضى بالعِراق ، فانني على كلّ شاكٍ بالعِراق شفيق

•

ولمحمد بن عبد الله بن طاهر :

ألبسك اللهُ منه عافيةً ، تُغنيك عن دَعوتي وعن جلدِك
سُقمك ذا لا لعلّةٍ عرَضت ، بل سُقم عينيك رُدّ في جسدِك
فيا مريضَ الجفونِ أحيِ فتىً ، قتلته بالجُفون لا بيدك

•

وقال غيره :

يا أملي كيف أنتَ من ألَمِكْ ، وكيف ما تشتكيه من سَقمِك ؟

---

[1] الضبابة : سحابة تغشى الأرض ، وأراد بها الهموم على التشبيه .

هـذان يومـان لي أعدُّهمـا، مُذلم تلُح لي بُروق مُبتَسِمك

حَسدتْ حُمّاك، حين قبّل لنا بأنها فـقبّلَتْك، فوق فمك

•

ولسُحَيم عَبد بني الحَسحاس :

تَجمّعْن شتّى من ثلاث وأربـع
وواحـدةٍ ، حتى كَمُلنَ ثمانيـا

وأقبلن من أقصى الخيام يَعدْنني؛
ألا إنمـا بعضُ العوائـد دائيـا

•

وللعباس بن الأحنف :

قالت مَرِضْتُ ، فعُدْتها ، فتبرّمت،
وهي الصحيحةُ ، والمريضُ العائدُ

والله لو قَسَت القلـوبُ كقلبهـا،
مـا رقّ للـوَلد الضعيف الوالد

•

وقال الواثق :

لا بكَ السُّقمُ ولكن كان بي، وبنفسي وبأمّـي وأبي

قيل لي إنك صُدِّعتَ ، فما خالطتْ سمعيَ حتى دِيرَ بي[1]

•

وأنشد محمدُ بن يزيد المبرّد لعُلَيّة بنت المهدي :

تمارضتِ كي أشجى وما بكِ علّة ،
تُريدينَ قتْلي ، قد ظَفرْتِ بذلكِ

وقولُكِ للعُوّادِ : كيف ترَوْنه ؟
فقالوا : قتيلاً ، قلتِ : أهوَنُ هالك

لئن ساءَني أنْ نِلتِني بمَساءَة ،
لقد سَرّني أني خَطرتُ ببالكِ[2]

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

رُوحُ النّدى بين أثواب العُلا وَصِبُ ،
يَعْتَشُّ في جسدٍ للمَجْد موصوبِ[3]

---

١ دير بي : اخذني الدوار (الدوخة) .
٢ هذه الابيات ليست لعلية وانما هي لعبد الله بن الدمينة من قصيدة مطلعها :

قفي يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم افعلي ما بدا لك

٣ الوصب : المريض . يعتش : يعترض .

ما أنتَ وحدكَ مكسوّاً شحوبَ ضنى،
بل كلّنا بكَ من مُضنى ومشحوبِ

يا مَن عليه حِجابٌ من جَلالته،
وإن بدا لك يوماً غيرَ محجوب

ألقى عليكَ يداً، للضُّرِّ كاشفةً،
كَشّافُ ضُرِّ نبيّ الله أيّوب

•

ومثله من قولنا:

لا غَرْوَ إن نال منك السُّقْمُ والضررُ
قد تُكسف الشمسُ، لا بل يُخسَفُ القمرُ

يا غُرّةَ القمرِ الذّاوي غضارتُها،
فِداً لنورك منّي السَّمعُ والبَصرُ[1]

إن يُمسِ جسمكَ موعوكاً بصاليةٍ،
فهكذا يُوعَكُ الضّرغامةُ الهَصِرُ[2]

أنتَ الحُسام، فإن تُفلَلْ مَضاربُه،
فقبلَه ما يُفَلّ الصّارمُ الذَّكرُ

---

١ الغضارة: نعمة العيش.

٢ اراد بالصالية: الحمى، لما فيها من حرارة.

رُوحٌ من المَجْدِ في جُثمانِ مَكْرُمَةٍ،
كأنما الصُّبْحُ ، من خدَّيه ، يَنفجرُ

لو غالَ مَجْلودَه شيءٌ سِوى قَدَرٍ،
أكبرتُ ذاكَ ، ولكن غالَه القَدَرُ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

لا غَرْوَ إنْ نالَ منكَ السُّقْمُ ما سألا،
قد يُكْسَفُ البدرُ أحياناً إذا كَمُلا

ما تَشْتكي عِلّةٌ ، في الدهر، واحدةٌ
إلا اشتكى الجُودُ من وَجْدٍ بها عِلَلا

•

الادب في الاعتناق

أبو بكر بن محمد قال : حدّثنا سعيد بن اسحاق عن عليّ ابن يونس المَديني قال : كنتُ جالساً عند مالك بن أنس فإذا سُفيان بن عُيَينة يَستأذن بالباب ، فقال مالك : رجلٌ صالح صاحب سُنّة ، أدْخِلوه ؛ فدخل فقال : السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته .

فردّ السلام .

فقال : سلامٌ خاصّ وعامّ عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله.

فقال مالك : وعليك السلامُ يا أبا محمد ورحمة الله .

فصافَحه مالك، وقال: يا أبا محمد، لولا أنها بِدْعة لعانَقْناك.

فقال سُفيان : قد عانق مَن هو خيرٌ منّا ، رسول الله، صلى الله عليه وسلم .

فقال مالك : جعفراً ؟

قال : نعم .

فقال مالك: ذاك حديثٌ خاصّ يا أبا محمد ليس بعامّ .

فقال سفيان: ما عمَّ جعفراً يَعُمّنا وما خصّه يخُصّنا إذا كنّا صالحين ، أفتأذن لي أن أحدّث في مجلسك ؟

قال : نعم يا أبا محمد .

فقال : حدّثني عبدُ الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس : أنه لما قَدِم جعفرٌ من أرض الحَبشة اعتنقه النبيُّ، صلى الله عليه وسلم ، وقَبّل بين عينيه ، وقال : جعفر أشبه الناس بي خَلْقاً وخُلقاً .

•

الادب في اصلاح المعيشة

قالوا : مَن أشبع أرضَه عملاً أشبَعت بَيْتَه خبزاً .

•

وقالوا: يقول الثّوب لصاحبه : أكرِمني داخلاً أكرِمْك خارجاً .

•

وقالت عائشة : المِغزَل بيدِ المرأة أحسنُ من الرُّمح بيد المُجاهد في سبيل الله .

•

وقال عمرُ بن الخطاب : لا تَنْهَكوا وجهَ الأرض ، فإن شَحمها في وَجْهها .

وقال : فرّقوا بين المنايا واجعلوا من الرأسِ رَأسين .

وقال : أملِكوا العَجين فإنه أحد الرّيعين[1] .

---

١ ريع العجين : فضله وزيادته .

وقال أبو بكر لغلام له كان يتّجر بالثياب: إذا كان الثوب سابغاً فانشُره وأنت قائم ، وإذا كان قصيراً فانشُره وأنت جالس ، وإنما البيع مِكاس[1] .

•

وقال عبد الملك بن مَروان: مَن كان في يده شيءٌ فليُصلحه، فإنه في زمان إن احتاج فيه فأوّل ما يَبْذُل دينُه .

•

---

١ المكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين .

الادب في المؤاكلة

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إذا أكلَ أحدُكم فليأكل بيمينه ولْيَشرَبْ بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .

•

محمد بن سلاّم الجُمحي قال : قال بلال بن أبي بُردة وهو أمير على البَصرة للجارود بن أبي سَبْرة الهُذليّ : أتحضُر طعامَ هذا الشيخ ؟ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

قال : نعم .

قال : فصِفه لي .

قال : نأتيه فنجده مُنبطحاً ، يعني نائماً ، فنجلس حتى يستيقظ ، فيأذن فنُساقطه الحديث ، فإن حدّثناه أحسنَ الاستماع ، وإن حدّثنا أحسنَ الحديث ، ثم يدعو بمائدته وقد تقدّم[1] إلى جواريه وأمهات أولاده أن لا تُلطفه[2] واحدةٌ منهن الا إذا وُضعت

---

1 تقدم : أمر .

2 تلطفه : تتحفه بشيء .

مائدته ، ثم يُقبِل خبّازه فيمثُل بين يديه قائماً ، فيقول له : ما عندك ؟

فيقول : عندي كذا وكذا ، فيعدّد ما عنده ، يريد بذلك أن يحبس كلُّ رجل نفسَه وشهوته على ما يُريد من الطعام ، وتُقبِل الألوان من هاهنا ومن هاهنا ، فتوضع على المائدة ، ثم يُؤتى بثريدة[1] شهباء من الفُلفل ، رَقطاء من الحِمّص ، ذات حِفَافَين[2] من العُرَاق[3] ، فيأكل مُعْذِراً[4] ، حتى إذا ظنّ أن القوم قد كادوا يمتلئون جثا على رُكبتيه ، ثم استأنف الأكل معهم .

قال ابنُ أبي بُردة : لله درُّ عبد الأعلى ، ما أربطَ جأشَه على وقع الأضراس !

•

وحضر أعرابيّ سُفرة هشام بن عبد الملك ، فبينا هو يأكلُ معه إذ تعلّقت شعرةٌ في لُقمة الأعرابيّ . فقال له هشام: عندك شعرة في لُقمتك يا أعرابيّ .

---

١ الثريدة : خبز مفتوت ومبلول بالمرق .

٢ الحفافان : الجانبان .

٣ العراق : العظم بلحمه .

٤ معذراً : مقصراً غير مبالغ .

فقال: وإنك لَتُلاحظني مُلاحظة مَن يَرى الشَّعرة في لُقمتي، والله لا أكلت عندك أبداً. ثم خرج وهو يقول:

وللموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ،
يُلاحظ أطرافَ الأكيل على عَمْدِ

•

محمد بن يزيد قال: أكل قائدٌ لأبي جعفر المنصور معه يوماً، وكان على المائدة محمدٌ المهديّ وصالحٌ ابناه، فبينا الرجلُ يأكل من ثريدة بين أيديهم إذ سَقط بعض الطعام من فيه في الغَضَارة[1]، وكأنّ المهديّ وأخاه عافا الأكل معه، فأخذ أبو جعفر الطّعام الذي سَقط من فم الرجل فأكله. فالتفت إليه الرجلُ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أمّا الدُّنيا فهي أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك، لكن والله لأتركن في مرضاتك الدُّنيا والآخرة.

•

وحدّث إبراهيمُ بن السِّنديّ قال: كان فتىً من بني هاشم يَدخل على المنصور كثيراً، يُسلّم من بعيد ويَنْصرف. فأتاه

---

١ الغضارة: الصحفة.

يوماً فأدناه ، ثم دعاه إلى الغَداء ، فقال : قد تغدّيتُ . فأمهله الربيعُ حاجبُ المنصور حتى ظنّ أنه لم يفهم الخطيئة ، فلما انصرف وصار وراء السّتر دَفع في قَفاه . فلما رأى من الحاجب دَفعه في قفاه شكا الفتى حالتَه وما ناله إلى عُمومته ، فأقبلوا من غد إلى أبي جعفر ، وقالوا : إنّ الرّبيع نال من هذا الفتى كذا و كذا .

فقال لهم أبو جعفر : إنّ الرّبيع لا يُقدم على مثل هذا إلا وفي يده حُجّة ، فإن شئتم أمْسكنا عن ذلك وأغضينا ، وإن شئتم سألتُه وأسمعتكم .

قالوا : بل يَسأله أميرُ المؤمنين ونسمع .

فدعاه فسأله ، فقال : إنّ هذا الفتى كان يأتي فيسلّم ويَنصرف من بعيد ، فلما كان أمس أدْناه أميرُ المؤمنين حتى سلّم من قُرْب ، وتبذّل بين يديه ودعاه إلى غدائه ، فبلغ من جهله بحق المَرتبة التي أحلّه فيها أن قال : قد تغدّيتُ ، وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه في يده إلا سدُّ خَلّة الجوع ، ومثل هذا لا يُقوّمه القول دون الفعل .

فسكت القومُ وانصرفوا .

•

وقال بكرُ بن عُبيد الله : أحقُّ الناس بلطمةٍ مَن أتى طعاماً لم يُدعَ إليه، وأحقُّ الناس بلَطمتين من يقول له صاحب البيت اجلس هاهنا ، فيقول : لا ، هاهنا ؛ وأحقُّ الناس بثلاث لطمات من دُعي إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادعُ ربّةَ البيت تأكل معنا .

•

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : لا ينبغي للفتى أن يكون مُكَحِّلاً ولا مُقبِّباً ولا مُكوكباً ولا مُشكامداً ولا حرامداً ولا نُقامداً ؛ ثم فسّره فقال :

أما المُكحل فالذي يتعرّق العظم حتى يَدَعه كأنّه مُكحلة عاج ؛ والمُقَبِّب : فالذي يُركّب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قُبّة ؛ والمكوكب : الذي يَبْصق في الطَّست ويتَنَخّم[1] فيها حتى يصير بُصاقه كأنه الكواكب في الطَّست؛ والحرامد: الذي يأتي في وقت الغَداء والعشاء فيقول : ما تأكلون ؟ فيقولون من بُغضه : سُمّاً ، فيُدخل يدَه ويقول : لا عيش بعدكم ؛ والشُّكامد : الذي يُتْبع اللقمة بأخرى قبل أن يسيغها

---

١ يتنخم : يدفع بشيء من صدره أو من أنفه .

فيَخْتنق كأنه ديك قد ابتلع فأرة ؛ والنُّقامد : الذي يضع الطعامَ بين يديه ويأكل من بين يدي غيره .

•

ومن الأدب : أن يبدأ صاحبُ الطعام بغَسْل يديه قبل الطعام ، ثم يقول لجلسائه : من شاء منكم فليغسل؛ فإذا غُسلَ بعد الطعام فليُقَدِّمهم ويتأخّر .

•

أدب الملوك

وقال العلماء: لا يُؤَمُّ ذو سلطان في سلطانه، ولا يُجلَس على تَكرِمته إلا بإذنه.

•

وقال زِياد: لا يُسَلَّمُ على قادمٍ بين يَدي أميرِ المؤمنين.

•

ودخل عبدُ الله بن عبّاس على مُعاوية وعنده زياد، فرحّب به مُعاوية، ووسّع له إلى جَنبه، وأقبل عليه يُسائله ويحادثه وزياد ساكت، فقال له ابن عبّاس: كيف حالُك أبا المُغيرة، كأنك أردت أن تُحدث بيننا وبينك هِجْرة؟

فقال: لا، ولكنه لا يُسلَّم على قادم بين يدي أمير المؤمنين.

قال ابن عبّاس: ما أدْركتُ الناس إلا وهم يُسلّمون على إخوانهم بين يدي أمرائهم.

فقال له مُعاوية: كُفَّ عنه يا ابن عبّاس، فإنك لا تشاء أن تَغلِبَ إلا غُلبت.

•

الشَّيبانيّ قال : بَصقَ ابنُ مَرْوان فقَصَّر في بَصقه ، فوقعت في طَرف البِساط ؛ فقام رجلٌ من المجلس فمسَحه بكمّه . فقال عبدُ الملك بن مَروان : أرْبعة لا يُستحى من خِدمتهم : الامام والعالم والوالد والضيف .

•

وقال يحيى بن خالد : مُساءلة الملوكِ عن حالها من تحيّة النَّوكى ، فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صَبَّح الله الأميرَ بالنّعمة والكرامة ؛ وإن كان عليلًا فأردت أن تَسأله عن حاله ، فقل : أنزل اللهُ على الأمير الشّفاء والرّحمة .

•

وقالوا : إذا زادك المَلِك إكراماً فزِده إعظاماً ، وإذا جعلك عَبْداً فاجْعله ربّاً ، ولا تُديمنّ النظَر إليه ، ولا تُكثِر من الدُّعاء له في كلّ كلمة ، ولا تَتغيَّر له إذا سَخِط ، ولا تَغترَّ به إذا رَضِيَ ، ولا تُلحِف في مسألته .

•

وقالوا : الملوك لا تُسأل ولا تُشمَّت ولا تُكيَّف[1] .

---

[1] تكيف : أي لا يقال لهم كيف حالكم .

وقال الشاعر:

إنّ الملوكَ لا يُخاطَبُونا؛ ولا، إذا مَلُّوا، يُعاتَبُونا
وفي المَقال لا يُنازَعُونا؛ وفي العُطاس لا يُشمَّتُونا
وفي الخطاب لا يُكيَّفُونا؛ يُثنى عليهم، ويُبجَّلونا
فافهَم وَصاتي لا تكُن مجنونا

•

وقالوا: من تمام خدمة الملوك أن يُقرِّب الخادمُ إليه نَعْلَيْه، ولا يَدعه يمشي إليهما، ويجعل النعلَ اليُمنى قُبالة الرِّجل اليمنى، واليُسرى قُبالة الرِّجل اليسرى، وإذا رأى مُتَّكأ يحتاج إلى إصلاح أصْلَحَه، ولا يَنتظر فيه أمرَه، ويَتفقد الدَّواة قبلَ أن يأمره، ويَنْفُض عنها الغبار اذا قرَّبها اليه، وان رأى بين يديه قِرْطاساً قد تَباعد عنه قرَّبه اليه ووضَعه بين يديه على كِسْره[1].

وقال أصحابُ معاوية لمعاوية: إنّا ربما جَلَسنا عندك فوق مِقْدار شَهْوتك، فأنت تَكره أن تَستخِفّنا فتأمرنا بالقيام،

---

[1] على كسره: أي على طيته.

ونحن نكره أن نُثقِل عليك في الجُلوس، فلو جعلتَ لنا علامةً تَعْرف بها ذلك ؟

فقال : علامةُ ذلك أن أقولَ : إذا شئتم .

•

وقيل مثلُ ذلك ليزيدَ بنِ معاوية ، فقال : إذا قلتُ على بَرَكَةِ الله .

•

وقيل مثلُ ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال : إذا وضعت الخَيْزُرانة .

•

وما سمعتُ بألطف مَعنى ، ولا أكمل أدباً ، ولا أحسنَ مَذْهباً في مُساءلة الملوك من شَبيب بن شَيبة، وقوله لأبي جعفر: أصْلَحَكَ الله، إني أحِبُّ المعرفة، وأجِلّك عن السُّؤال. فقال له : فُلان بن فُلان .

•

الكناية والتعريض

وقال أحدهم ونَبَتَ به حِبن[1] في إبطه : أين نبت بك هذا الحِبن ؟ قال : تحت منكِبي .

•

ودخل الرّبيع بن زياد على النّعمان بن المُنذر وبه وضَح فقال : ما هذا البَياض بك ؟ فقال : سيف الله جلاه .

•

ودخل حارثةُ بن بَدْر على زياد وفي وَجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر الذي في وَجهِك ؟

قال : رَكِبت فرَسي الأشقر فجمح بي ؛ فقال : أما انك لو رَكِبتَ الأشهبَ لما فعل ذلك .

فكنّى حارثة بالأشقر عن النّبيذ ، وكنّى زياد بالأشهب عن اللبن .

•

---

١ الحبن : الدمل .

وقال معاوية للأحنف بن قيس : أخبرني عن قول الشاعر :

اذا ما مات مَيْتٌ من تميمٍ ، وسرّكَ أن يعيشَ فجيء بزادِ
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ ، أو الشيءِ الملفّفِ في البِجادِ
تراه يَطوفُ في الآفاق ، حرصاً ، ليأكل رأس لقمان بن عاد

ما هذا الشيء الملفف في البجاد ؟

قال الأحنف : السّخينة يا أميرَ المؤمنين .

قال معاوية : واحدةٌ بأخرى والبادي أظلم ، والسّخينة طعام كانت تعمله قريش من دقيق ، وهو الخَزيرة ، فكانت تُسَبّ به ، وفيه يقول حسّان بن ثابت :

زعمتْ سخينةُ أن ستَغلِبَ ربها ،
وليُغلَبنَّ مُغالِبُ الغلّابِ

وقال آخر :

تعشّوا من خَزيرتهم فناموا

•

ولما عزل عثمانُ بن عفان عمرو بنَ العاص عن مصر وولاها ابنَ أبي سرح ، دخل عمرو على عثمان وعليه جُبّة محشوّة ، فقال له عثمان : ما حشو جُبّتك يا عمرو ؟

قال : أنا .

قال : قد علمتُ أنك فيها . ثم قال له : يا عمرو، أشعرتَ أن اللّقاح دَرّت بعدك ألبانها ؟

فقال : لأنكم أعجفتم أولادَها .

فكنّى عثمان عن خَراجِ مصر باللقاح ، وكنّى عمرو عن جَوْر الوالي بعده ، وأنه حَرم الرزق أهلَ العطاء ووفّره على السلطان .

•

وكان في المَدينة رجلٌ يُسمّى جَعدة يرجّل شعره ويتعرّض للنساء المعْزَبات[1] ، فكتب رجلٌ من الأنصار كان في الغزو إلى عُمَر بن الخطاب ، رضي الله عنه :

ألا أبلغ أبا حَفصٍ رسولاً ، فِدىً لك من أخي ثِقة إزاري

قلائِصُنا هداك اللهُ إنّا شُغِلنا عنكمُ زمنَ الحصار

يُعقّلهنّ جَعدٌ شَيْظَميٌّ ، وبِئس مُعقّلُ الذّوْد الظؤار[2]

فكنّى بالقلائص عن النّساء . وعرّض برجل يقال له

---

١ المعزبات ، واحدتها معزبة : الأمة .

٢ الشيظمي : الفتي من الابل . الذود : من ثلاثة أبعرة الى العشرة . الظؤار ، واحدتها ظئر : العاطفة على ولد غيرها .

جَعدة . فسأل عنه عمرُ ، فَدُلَّ عليه ، فجزَّ شعره ، ونفاه عن المدينة .

•

وسمع عمرُ بن الخطّاب امرأةً في الطواف تقول :

فمِنهُنَّ مَن تُسقى بعَذْبٍ مُبرَّدٍ
نُقاخٍ ، فتِلكم عند ذلك قَرَّتِ

ومنهنَّ من تُسقى بأخضرَ آجِنٍ
أُجاجٍ ، ولولا خشيةُ الله فَرَّتِ

ففهم شكواها ، فبَعث إلى زوجها ، فوجده متغير الفم . فخيَّره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقِها . فاختار الدراهم ، فأعطاه وطلّقها .

•

ودخل على زياد رجلٌ من أشراف البصرة فقال له زياد : أين مَسكنك من البَصرة ؟

قال : في وَسطها .

قال له : كم لك من الولد ؟

قال : تِسعة .

فلما خَرج من عنده قيل له : إنه ليس كذلك في كل ما

سألته ، وليس له من الوَلد إلا واحدٌ ، وهو ساكن في طرف البَصرة . فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له : ما كذبْتُك ، لي تسعة من الولد قدَّمت منهم ثمانية فهم لي ، وبقي معي واحد ، فلا أدري ألي يكون أم عليّ ، ومنزلي بين المدينة والجَبّانة ، فأنا بين الأحياء والأموات ، فمنزلي في وسط البصرة .

قال : صدقت .

الكناية يورى بها

عن الكذب والكفر

لما هزم الحجاجُ عبدَ الرحمن بنَ الأشعث وقتل أصحابه وأسَرَ بعضهم ، كتب إليه عبدُ الملك بن مَرْوان أن يَعرِض الأسرى على السَّيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر خلّى سبيلَه ، ومَن أبى يَقتله .

فأتي منهم بعامر الشعبي ومطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير وسعيد بن جُبَير ؛ فأما الشعبي ومطرّف فذَهبا إلى التعريض والكناية ولم يُصرّحا بالكفر ، فقَبِل كلامهما وعفا عنهما ؛ وأما سعيد بن جُبير فأبى ذلك فقُتل .

وكان مما عرّض به الشعبي ، فقال : أصلح الله الأمير ، نبا المنزل ، وأحزَن[1] بنا الجَناب ، واستَحلَسْنا الخوفَ[2] ، واكتَحلنا السهَرَ ، وخَبطتنا فتنة لم نكن فيها بَرَرَة أتقياء ، ولا فَجَرة أقوياء .

---

١ أحزن : غلظ .

٢ استحلسنا الخوف : أي لم نفارقه .

قال : صدَق واللهِ ، ما بَرّوا بخروجهم علينا ولا فَجَروا ، خلّيا عنه .

ثم قُدِّم إليه مُطرِّف بن عبدالله، فقال له الحجّاج : أتُقِرُّ على نفسِك بالكفر ؟

قال : إنّ مَن شقّ العصا، وسَفَكَ الدماء، ونكثَ البَيعة، وأخاف المسلمين لجديرٌ بالكفر .

قال : خلّيا عنه .

ثم قُدِّم إليه سعيد بن جُبير ، فقال له : أتُقِرّ على نفسك بالكُفر ؟

قال : ما كفرتُ بالله مذ آمنتُ به .

قال : اضربوا عُنقه .

•

ولما وَلِيَ الواثقُ وأقعد للناس أحمدَ بنَ أبي دُوَاد للمِحنة في القرآن ودعا إليه الفُقهاء ، أُتي فيهم بالحارث بن مِسكين، فقيل له : أتشهد أنّ القرآن مخلوق ؟

قال : أشهدُ أنّ التّوراة والانجيل والزّبور والقرآن ، هذه الأربعة مخلوقة ، ومدّ أصابعه الأربع ، فعرّض بها وكنى عن خلق القرآن وَخلّص مُهجته من القتل .

وعَجز أحمد بن نصر فقيهُ بغداد عن الكِتابة فأباها ، فقُتِل وَصُلب .

•

ودخل بعضُ النُّسَّاك على بعض الخُلفاء فدعاه إلى طعامه ، فقال له : الصائم لا يأكل يا أميرَ المؤمنين ، وما أزَكّي نفسي بل الله يُزَكّي من يشاء ؛ وإنما كره طعامَه .

•

الأصمعيُّ عن عيسى بن عمر قال : بينا عِرباض يَمشي مُقدِماً لِطِيَّته[1]، إذ استقبلته الخوارج يَحزُّون الناسَ بسيوفهم؛ فقال لهم : هل خَرج إليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا؛ قال: فامضُوا راشِدين ؛ فمَضوْا وتركوه .

•

ولقي شيطانُ الطاق[2] رَجلًا من الخوارج وبيده سيفٌ ، فقال له الخارجي : والله لأقتلنَّك أو تبرأ من عليّ .

فقال له: أنا من عليّ، ومن عثمان بريء؛ يريد أنه من عليّ، وبريء من عثمان .

•

---

١ الطية : النية .

٢ شيطان الطاق : لقب محمد بن النعمان ، الذي تنسب اليه الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة .

١

أبو بكر بن أبي شَيبة قال : قال الوليد بن عُقبة على المِنبر بالكوفة : أُقسمُ على مَن سمّاني أشعرَ بَرْكاً[١] إلا قام فخرج عنّي .

فقام إليه رجل من أهل الكوفة ، فقال له : ومَن هذا الذي يقوم بين يديك فيقول : أنا الذي سميتك أشعر بركاً ؟

قال : وكان هو الذي سمّاه بذاك .

•

وقال معاويةُ لصَعصعة بن صُوحان : اصْعَد المنبر فالعَن علياً .

فامتنع من ذلك وقال : أوَ تُعفيني ؟

قال : لا .

فصَعد المنبر فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشر الناس ، إنّ معاوية أمرني أن ألعن علياً ، فالعَنُوه لعنه الله .

•

---

١ بركاً : أي صدراً . وأشعر بركاً : أي انه كثير شعر الصدر .

الكناية عن الكذب

في طريق المدح

المدائنيّ قال : أُتي العُرْيان بن الهيثم بغلام سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :

أنا ابنُ الذي لا يَنزلُ، الدهرَ، قِدْرُهُ،
وان نَزلت يوماً ، فسوف تَعودُ

ترى الناسَ أفواجاً الى ضَوْء ناره،
فمنهم قِيامٌ حولها وقُعود

فظنّه ولداً لبعض الأشراف ، فأمر بتخليته . فلما كُشف عنه ، قيل له : انه ابن باقلاّني .

•

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبْرُمة القاضي، فقال له: أتعرف هذا الرجل؟ وكان رُمي عنده بريبة .

فقال : نعم ، ان له بيتاً وقَدماً وشرفاً .

فخلّى سبيله . فلما انصرف ابن شبرمة قال له أصحابُه :

أكنت تعرف هذا الرجل ؟ قال : لا ، ولكني عرفتُ أن له بيتاً يأوي اليه ، وقدماً يمشي عليها ، وشرفه أدناه ومنكباه .

•

وخطب رجل لرجل الى قوم ، فسألوه : ما حِرفته ؟

فقال : هو نخّاس الدواب .

فزوّجوه .

فلما كُشف عنه وجدوه يبيع السّنانير ، فلما عنّفوه في ذلك قال : أوَما السنانير دواب ؟ ما كذبتكم في شيء .

•

ودخل مُعلّى الطائي على ابن السّري يعوده في مرضه ، فأنشده شعراً يقول فيه :

فأقسم إنْ منّ الإله بصحّة ، ونال السّريُّ بنُ السّريّ شفاءَ
لأرحِلنّ العيسَ شهراً بحجّة ، وأُعتق شكراً سالماً ، وصَفاء

فلما خرج من عنده قال له أصحابه : والله ما نعلم عبدَك سالماً ولا عبدك صَفاء ، فمن أردت أن تُعتق ؟

قال : هما هرّتان عندي ، والحجّ فريضة واجبة ، فما عليّ في قولي شيء ان شاء الله تعالى .

في الكناية والتعريض

في طريق الدعابة

سُئل ابن سِيرين عن رجل ، فقال : تُوفي البارحة ، فلما رأى جَزَع السائل، قال : « الله يَتوفّى الأنفسَ حينَ مَوتِها والتي لم تمُتْ في مَنامِها . » وإنما أردتُ بالوَفاة النوم .

●

ومَرِض زيادٌ فدخَل عليه شُريح القاضي يَعوده . فلما خَرج بعث إليه مَسْروقُ بن الأجْدَع يسأله : كيف تركت الأمير ؟

قال : تركتُه يأمر وينهى .

فقال مَسْروق : إن شُرَيحاً صاحبُ تَعريض عَويص فاسألوه؛ فسألوه فقال: تركتُه يَأمر بالوصيّة، ويَنْهى عن البكاء.

●

وكان سِنان بن مُكمّل النُّميريّ يُساير عُمر بن هُبيرة الفَزاريّ يوماً على بَغلة ، فقال له ابن هُبيرة : غُضّ من عِنان بَغلتك .

فقال : إنها مكتوبةٌ ، أصلح الله الأمير .

أراد ابن هُبيرة قولَ جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ؛
فلا كَعْباً بلغتَ ، ولا كِلابا

وأراد سِنان قولَ الشاعر :

لا تَأمننَّ فَزاريّاً ، خَلوتَ به،
على قَلوصكَ، واكْتُبْها بأسْيارِ[1]

•

ومرَّ رجلٌ من بني تَميم برجل من بني نُمير على يده بازي، فقال التَّميميُّ للنُّميريّ : هذا البازي لك ؟

قال له النُّميري : نعم ، وهو أهدَى من القَطا .

أراد التميميُّ قولَ جرير :

أنا البازي المُطِلّ على نُمَيرٍ، أُتِحْتُ لها من الجوّ انصبابا

وأراد النميريّ قولَ الطِّرمّاح :

تَميمٌ بطُرْقِ اللُّؤم أهدَى من القَطا،
ولو سَلكتْ سُبُلَ المكارم ضَلَّتِ

•

---

١ اكتبها ، من كتب القربة : خرزها بأسيار ، والأسيار واحدها سير : قدة من جلد . يشير الى ما كانت تعير به فزارة في شأن الابل .

ودخل رجلٌ من مُحارب على عبد الله بن يزيد الهلاليّ ، وهو والي أرْمينيّة ، وقريبٌ منه غديرٌ فيه ضَفادع ، فقال عبدُ الله بنُ يزيد : ما تركتنا شيوخ مُحارب ننام الليلة .

فقال له المُحاربيّ : أصلح الله الأمير ، أوتدري لِمَ ذلك ؟

قال : ولِمَ ؟

قال : لأنها أضلت بُرقُعاً لها .

قال : قَبّحك الله وقَبّح ما جئتَ به !

أراد ابنُ يزيد الهلاليّ قولَ الأخطل :

تَنِقّ بلا شيء شُيُوخُ مُحاربٍ ،
وما خِلتُها كانت تريش ولا تَبري[1]

ضفادع في ظَلماء ليلٍ تجاوبتْ ،
فدلّ عليها صَوتُها حَيّةَ البَحر

وأراد المُحاربيُّ قولَ الشاعر :

لكلّ هلاليّ من اللؤم بُرقُعٌ ،
ولابن يزيدٍ بُرقُعٌ وقميصُ

•

وقال مُعاوية لعبد الرحمن بن الحَكم : استعرِضْ لي هذين الفَرَسين .

---

١ لا تريش ولا تبري : أي لا تضر ولا تنفع .

فقال : أحدُهما أجَشُّ والآخر هَزِيم .

يعني قولَ النَّجاشيِّ :

ونَجَّى ابنَ هِنْدٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ ،
أجشُّ هزيم ، والرِّماح دَواني[1]

فقال مُعاوية : أما إنَّ صاحبَهما على ما فيه لا يُشبِّبُ بكنائنه[2] .

وكان عبدُ الرحمن يُرْمى بكَنَّتِه .

•

وشاور زيادٌ رجلاً من ثِقاته في امرأة يتزوَّجها ، فقال : لا خير لك فيها ، إني رأيتُ رجلاً يُقبِّلها ، فتركها ؛ وخالفه الرجل إليها وتزوَّجها . فلما بلغ زياداً خبرُه أرسل إليه وقال له : أما قلتَ لي إنك رأيت رجلاً يُقبِّلها ؟ قال : نعم ؛ رأيت أباها يُقبِّلها .

•

وقال أعرابيٌّ لعمرَ بن الخطاب ، رضي الله عنه : يا أميرَ

---

١ ابن هند : معاوية . العلالة : بقية جري الفرس . الأجش : الغليظ الصهيل . الهزيم : الصوت الشديد .

٢ الكنائن ، واحدتها كنة : زوجة الابن .

المؤمنين ، احملني وسُحَيماً[1] على جمل .

فقال : نَشدتك الله يا أعرابيّ ، أسُحيم هذا زِق ؟

قال : نعم ؛ ثم قال : من لم يَنفعه ظنه لم يَنفعه يقينُه .

•

وودَّع رجلٌ رجلاً كان يُبغضُه ، فقال : امضِ في سِترٍ من حِفْظ الله ، وحِجابٍ من كلاءته[2] .

ففَطِن له الرجل ، فقال : رَفع الله مكانك ، وشدَّ ظهرك ، وجَعلك مَنظوراً إليك[3] .

•

---

١ السحيم ، تصغير الأسحم : الأسود ، كنى بذلك عن الزق الأسود .

٢ الكلاءة : الرعاية ، اراد في بعد من كلاءة الله وحفظه .

٣ كنى بقوله هذا عن الصلب ، لأن المصلوب يشد ظهره ، وينظر اليه الناس.

في الصمت

كان لُقمان الحكيم يَجلس إلى داود ، صلى الله عليه وسلم ، مقتبساً ، وكان عبداً أسود ، فوجده وهو يَعمل دِرعاً من حديد ، فَعجب منه ولم يَرَ دِرْعاً قبل ذلك ، فلم يسأله لُقمان عما يَعمل ولم يخبره داود ، حتى تمّت الدّرع بعد سنة ، فقاسها داودُ على نَفسه ، وقال : زِرد طافا ليوم قِرّافا . تفسيره : درع حَصينة ليوم قتال . فقال لُقمان : الصّمت حُكم وقَليل فاعلُه .

•

وقال أبو عُبيد الله كاتبُ المهديّ : كُن على التماس الحظّ بالسكوتِ أحرصَ منك على التماسه بالكلام ، إنّ البلاء مُوكّلٌ بالمنطق .

•

وقال أبو الدّرداء : أنصِف أذنيك مِن فيك ، فإنما جُعل لك أذنان اثنتان وفم واحد لِتسمع أكثرَ مما تقول .

•

ابن عَوْف عن الحسن ، قال : جلسوا عند مُعاوية فتكلّموا

وسكت الأحنف، فقال مُعاوية : ما لك لا تتكلم أبا بحر ؟

قال : أخافُك إن صدقتُ، وأخاف الله إن كذبتُ .

•

وقال المُهلَّب بن أبي صُفْرة : لأنْ أرى لعقل الرجل فضلًا على لسانه أحبُّ إليَّ من أن أرى للسانه فضلًا على عقله .

•

وقال سالم بنُ عبد الملك: فَضلُ العَقل على اللسان مروءة، وفَضل اللسان على العقل هُجْنة .

•

وقالوا : مَن ضاق صدرُه اتسع لسانه ، ومَن كثر كلامه كثُرَ سَقَطه ، ومن ساء خُلقه قلَّ صديقُه .

•

وقال هَرم بن حيّان: صاحبُ الكلام بين إحدى منزلتين، إن قصّرَ فيه خُصِم[1] ، وإن أغرق فيه أثم .

•

وقال شَبيب بن شَيبة : من سمع الكلمة يَكرهها فسكت عنها انقطع ضَرُّها عنه .

•

---

١ خصم : غلبه الخصم .

وقال أكثمُ بن صَيْفيّ : مَقْتل الرجل بين فكّيه .

•

وقال جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم :

يموت الفتى من عَثرةٍ بلسانِه ؛
وليس يموتُ المرءُ من عَثرَة الرِّجلِ

فعثرَتُه مِن فِيه تَرْمي برأسه ؛
وعثرتُه بالرِّجل تبرا على مَهْل

•

وقال الشاعر :

الحلمُ زينٌ والسُّكوتُ سلامةٌ ،
فإذا نَطقتَ فلا تكُنْ مِكثارَا

ما إن نَدمتُ على سُكُوتي مرّةً ،
لكن نَدِمتُ على الكلامِ مرَارا

•

وقال الحسن بن هانيء :

خلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامي، وامضِ عنه بسَلامِ
مُتْ بداء الصّمْت ، خيرٌ لك من داء الكلام

رُبَّ لفظٍ ساقَ آجالَ فِئامٍ، وفِئامٍ[1]
إنما السالمُ من ألجمَ فاهُ بلِجامِ

•

وقال بعض الحكماء: حَظّي من الصَّمت لي ونَفعه مَقصور عليَّ، وحظّي من الكلام لغيري ووَباله راجع عليَّ.

•

وقالوا: إذا أعجبكَ الكلامُ فاصمُتْ.

•

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟
قال: إذا اشتهيتَ أن تَصْمُتَ.
قال: فمتى أصمُتُ؟
قال: إذا اشتهيتَ أن تتكلم.

•

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: ما أُعطي العبدُ شرّاً مِن طلاقة اللّسان.

•

وسَمِع عبدُ الله بن الأهتَم رجلاً يتكلّم فيُخْطئ، فقال: بكلامك رُزِق الصمتُ المحبّةَ.

•

1 الفئام: الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه.

في المنطق

قال الذين فضّلوا المنطقَ : إنما بُعثت الأنبياء بالكلام ولم يُبعثوا بالسّكوت . وبالكلام وُصِف فضل الصّمت ، ولم يُوصف القولُ بالصّمت ، وبالكلام يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المُنكر ويُعظّم الله ويُسبّح بحمده ، والبيان من الكلام هو الذي مَنّ اللهُ به على عِباده ، فقال : « خَلقَ الإنسانَ عَلّمه البَيان . » والعِلم كلّه لا يُؤدّيه إلى أوْعية القُلوب إلا اللسان ، فنَفع المنطق عام لقائله وسامعه ومن بلّغه ، ونفع الصمتِ خاص بفاعله .

•

وأعدلُ شيء قيل في الصّمت والمَنْطق قولهم : الكلامُ في الخيرِ كلّه أفضلُ من الصمت ، والصّمت في الشرّ كلّه أفضلُ من الكلام .

•

وقال عبدُ الله بن المُبارك صاحبُ الرّقائق يَرثي مالكَ بن أنس المدنيّ :

صَموتٌ ، إذا ما الصمتُ زَيّن أهلَه ؛
وفتّاق أبكار الكلام المُختّمِ

وَعَى ما وَعَى القرآنُ من كلِّ حِكمة،
وسِيطتْ له الآدابُ باللحم والدَّم[1]

•

وقال عمرُ بن الخطاب : تَرْكُ الحركة غَفْلة .

•

وقال بكرُ بن عبد الله المُزنيّ : طُول الصمتِ حُبسة[2] .

•

وقالوا : الصمتُ نوم ، والكلام يَقَظة .

•

وقالوا : ما شيء ثُني إلا قَصُر ، إلا الكلام فإنه كلما ثُني طال .

•

وقال الشاعر :

الصَّمتُ شِيمتُه ، فإنْ أبْدَى مقالاً كان فضْلا
أبدَى السكوتَ ، فإن تَكلَّم لم يَدَع في القول فَضْلا

---

١ سيطت : خلطت .
٢ الحبسة : تعذر الكلام .

في الفصاحة

محمد بن سِيرين قال : ما رأيتُ على امرأة أجملَ من شحم ، ولا رأيتُ على رَجُل أجمل من فصاحة .

•

وقال الله، تبارك وتعالى، فيما حكاه عن نبيّه موسى، صلى الله عليه وسلم ، واستيحاشه بعدم الفصاحة : « وأخي هَرُونُ هُو أَفْصَحُ مِنّي لِسَاناً فأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً[1] يُصَدِّقُنِي ».

•

---

١ الردء : الناصر ، العون .

آفات المنطق

تكلم ابنُ السمّاك يوماً وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامي ؟

قالت : ما أحسنه لولا أنك تردده .

قال : أردّده ليفهمه من لم يفهمه .

قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يملّه من فَهِمه .

•

الأصمعي قال : قال مُعاوية يوماً لجلسائه : أيّ الناس أفصح ؟

فقال رجلٌ من السّماط : يا أميرَ المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رُتّة[1] العراق ، وتياسَروا عن كَشْكَشة[2] بكر ، وتيامَنُوا عن شَنْشَنة[3] تغلب ، ليس فيهم غمغمة[4] قضاعة ، ولا

---

١ الرتة : العجمة .

٢ الكشكشة : ابدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث نحو أكرمتش أي أكرمتك .

٣ الشنشنة : جعل الكاف على الاطلاق شيناً .

٤ الغمغمة : الكلام الذي لا يبين .

طُمطمانية[1] حِمْير .

قال : مَن هم ؟

قال : قومُكَ يا أميرَ المؤمنين قُريش .

قال : صدقتَ ، فمن أنت ؟

قال : مِن جَرْم .

قال الأصمعيّ : جَرْم فُصْحى الناس .

وهذا الحديث قد وَقَع في فضائل قُريش ، وهذا مَوْضعه أيضاً فأعدناه .

•

قال أبو العبّاس محمد بن يزيد النّحويّ : التمتمة في المنطق: التردد في التاء ؛ والعُقْلة : هي التواء اللسان عند إرادة الكلام؛ والحُبسة : تعذُّر الكلام عند إرادته ؛ واللفف : إدخالُ حَرف في حَرْف ؛ والرُّتة : كالرّتج تمنّع أول الكلام ، فإذا جاء منه شيء اتصل به ؛ والغَمْغمة : أن تسمع الصوت ولا يَبِين لك تقطيعُ الحروف . وأما الرُّتة : فإنها تكون غريزية .

وقال الراجز :

يأيها المُخلّط الأرتّ

ويقال إنها تكثرُ في الأشراف. وأما الغَمْغمة: فإنها قد تكون

---

١ الطمطمانية : عجمة في اللسان .

من الكلام وغيره ، لأنها صَوتٌ من لا يُفهم تقطيع حُروفه .

قال عنترة :

وصاحبٍ ناديته فغمغما، يُريد لبَّيك وما تكلّما

قد صار من خوف الكلام أعجما

والطمطمة : أن يكون الكلام مُشبِهاً لكلام العجم ؛ واللكنة : أن تعترض في الكلام اللغةُ الأعجمية ، وسنفسّر هذا حرفاً حرفاً ، وما قيل فيه إن شاء الله ؛ واللثغة : أن يُعدَل بحرْف إلى حَرْف ؛ والغُنّة : أن يُشْرَب الحرفُ صوتَ الخيشوم ؛ والخُنّة : أشد منها ؛ والترخيم : حَذف الكلام ؛ والفأفأة : التردد في الفاء؛ يقال : رجل فأفاء، تقديره فاعال ، ونظيره من الكلام ساباط[1] وخاتام ، قال الراجز :

يا ميُّ ذات الجوْرب المُنْشقّ،
أخذتِ خاتامي بغير حقّ

وقال آخر :

ليس بفأفاء ولا تمتام، ولا محبٍّ سقطَ الكلام

وأما كشكشة تميم : فان بني عمرو بن تميم إذا ذكرت

---

[1] الساباط : سقيفة بين حائطين ، أو بين دارين ، من تحتها طريق نافذ .

كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيناً ، لقُرب الشين من الكاف في المخرج ، وقال راجزُهم :

هل لكِ أن تَنْتَفعي وأنفعش، فتُدْخلين اللَّذْ معي في اللذ معش

وأما كسكسة بكر : فقوم منهم يُبدلون من الكاف سيناً كما فعل التميميون في الشين . وأما طمطمانية حِمْير : ففيها يقول عَنْتَرة :

تأوي له قُلُصُ النَّعام ، كما أوَتْ
حِزَقٌ يمانِيَةٌ لأعجمَ طِمْطِمِ

•

وكان صُهيب أبو يحيى، رحمه الله، يَرْتضخُ لكْنة روميّة[١] .

•

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : صُهيب سابق الروم .

•

وكان عُبيد الله بن زياد يرتضخُ لكنة فارسية مِن قِبل زوج أمه شيرويه الأسواريّ .

•

---

١ يرتضخ لكنة رومية : اي أنه نشأ مع الروم ثم صار الى العرب ، فهو ينزع الى الروم في الفاظ ولو اجتهد .

وكان زياد الأعجم ، وهو رجل من عبد القيس ، يَرْتضخ لكنة أعجمية ، وأنشد المُهلّبَ في مَدْحه إياه :

فتى زاده السُّلتانُ في الحمد رغبةً ،
إذا غيّرَ السُّلتانُ كلَّ خليلِ

يريد السلطان ، وذلك أن بين التاء والطاء نسباً ، لأن التاء من مخرج الطاء . وأما الغُنّة فتُستحسن من الجارية الحديثة السن . قال ابن الرّقاع في الظبية :

تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ روْقه
قلمٌ، أصابَ من الدّواة مِدادها[1]

•

وقال ابن المُقفّع : إذا كثر تقْليب اللّسان رقّت حواشيه ولانت عَذَبته .

•

وقال العتّابي : إذا حُبس اللسانُ عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف .

•

وقال الراجز :

كأنّ فيه لَفَفاً ، إذا نطق، من طول تحْبيس وهمٍّ وأرَق

---

١ تزجي : تسوق . الأغن من الظباء : ما في صوته غنة . الروق : القرن .

في الاعراب واللحن

أبو عُبَيدة قال: مَرَّ الشَّعبيُّ بقَوْم من الموالي يتذاكرون النحوَ، فقال لهم: لئن أصْلحتموه إنكم لأوَّل من أفسده.

قال أبو عُبيدة: ليته سَمِع لحنَ[1] صَفْوان وخالد بن صفوان وخاقان والفتح بن خاقان والوليدِ بن عبد الملك.

•

وقال عبد الملك بن مروان: اللحنُ في الكلام أقبحُ من التَّفتيق في الثوب والجُدَريّ في الوجه.

وقيل له: لقد عَجِل عليك الشيبُ يا أميرَ المؤمنين؛ قال: شَيَّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن.

•

وقال الحجّاج لابن يَعْمَر: أتسمعني ألحن؟

قال: لا، إلا أنه ربما سَبقَكَ لسانُك ببعضه في آن وآن.

قال: فإذا كان ذلك فعرّفني.

•

---

١ اللحن في الكلام: الخطأ في الاعراب والبناء.

وقال المأمون لأبي عليّ المعروف بأبي يَعلى المِنقريّ : بلغني أنك أمّيّ ، وأنك لا تُقيم الشعْر ، وأنك تَلحَن في كلامك.

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أمّا اللحن فربما سَبقَني لساني بالشيء منه ، وأما الأمّية وكَسر الشعر فقد كان النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أمياً وكان لا يُنشد الشعر .

قال المأمون : سألتُك عن ثلاثة عيوب فيك فزدْتني عَيباً رابعاً ، وهو الجهل ، يا جاهل ، إنّ ذلك في النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نَقيصة ، وإنما مُنع ذلك النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، لنفي الظِّنّة عنه ، لا لِعَيب في الشعر والكتاب ، وقد قال تبارك وتعالى : « وَمَا كُنْتَ تَتلو مِنْ قَبلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمينكَ إذاً لارْتابَ المُبطِلُونَ . »

•

وقال عبدُ الملك بن مروان : الإعراب جمالٌ للوَضيع ، واللحن هُجنْة على الشّريف .

وقال : تعلّموا النحوَ كما تتعلمون السُّنن والفرائض .

•

وقال رجلٌ للحسن : إنّ لنا إماماً يلحن ؛ قال : أميطوه عنكم ، فإنّ الإعراب حِلية الكلام .

•

وقال الشاعر :

النحوُ يَبسُط من لسان الألكنِ،
والمرءُ تكرمه ، إذا لم يَلحَنِ

فإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها،
فأجلُّها منها مُقيمُ الألسن

•

وقال آخر :

النحوُ صَعبٌ ، وطويلٌ سُلَّمُه،
إذا ارتقى فيه الذي لا يَعلَمُه

زلَّتْ به إلى الحَضيض قَدَمُه
يُريدُ أن يُعْرِبَه فيُعْجِمه

•

وقال رجل للحسن : يا أبو سَعيد ؛ فقال : أحسَبُ أنَّ الدَّوانقَ شغلتك عن أن تقول : يا أبا سعيد .

•

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد لحَّاناً ، فقال : يا غلام ، ادعُ لي صالحاً ؛ فقال الغلام : يا صالحاً ؛ قال له الوليد : انقص ألف ؛ فقال عمر :

وأنت يا أميرَ المؤمنين فزد ألفا .

•

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشراف قريش ، فقال له الوليد : من خَتَنَك ؟

قال له : فلانٌ اليهودي .

فقال : ما تقول ؟ ويحك !

قال : لعلك إنما تَسأل عن خَتَني[1] يا أميرَ المؤمنين ، هو فلان بن فلان .

•

وقال عبدُ الملك بن مروان : أضرّ بنا في الوليد حُبُّنا له فلم نُلزِمه البادية . وقد يستثقل الإعرابُ في بعض المواضع كما يستخفّ اللحنُ في بعضها .

•

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفَزاريّ :

منطقٌ بارعٌ ، وتَلحنُ أحياناً ، وخيرُ الحديث ما كان لحنا

وذلك أنه من حكى نادرةً مُضحكة ، وأراد أن يُوفي حروفها حظَّها من الإعراب ، طمس حُسنها ، وأخرجها عن

---

١ الختن : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

مِقدارها ، ألا ترى أن مُزَبِّداً المَدينيّ أكل طعاماً فكظّه، فقيل له : ألا تقي ؟ قال : وما أقي ؟ خبز نقي ولحم طَري ؟ مَرَتي طالق ، لو وَجدت هذا قيئاً لأكلته .

•

قال : وكذلك يُستقبح الإعراب في غير موضعه كما استقبح من عيسى بن عمر إذ قال وابن هُبيرة يَضربه بالسِّياط : والله إن كانت إلا أثيّاباً[1] في أُسَيْفاط[2] قَبضها عَشّاروك[3] .

•

وحُكي عن بعض المغربين في اللَّحن أن جارية له غنّته :

إذا ما سَمعتُ اللومَ فيها رفضتُه،
فَيَدْخل من أذُنٍ ويخرج مِن أخرى

فقال لها : مِن أخرِي ، أما علّمتك أن من تخفض ؟

•

وقال رجل لشُرَيح : ما تقول في رجل تُوفي وترك أباه وأخيه ؟

---

١ اثياب : تصغير أثواب .

٢ أسيفاط : تصغير أسفاط واحدها سفط : الذي يعبأ فيه الطيب وغيره من أدوات النساء .

٣ عشاروك ، واحدها عشار : من يقبض عشر الأموال ويجبيها .

فقال له : أباه وأخاه .

فقال : كم لأباه وأخاه ؟

قال : لأبيه وأخيه .

قال : أنت علمتني فما أصْنَع ؟

•

وقال بعضُ الشعراء ، وأدرك عليه رجل من المتفصّحين يقال له حَفص لحناً في شِعره ، وكان حَفْص به اختلاف في عينيه وتشويه في وجهه ، فقال فيه :

لقد كان في عَينيك يا حَفْصُ شاغلٌ ،
وأنفٌ كمِثل الطَّود عمّا تَتَبّعُ

تَتَبّعُ لحناً من كلامٍ مُرَقّشٍ ،
وخَلْقك مبنيٌّ من اللّحْن أجمع

فعينُك إقواء ، وأنفك مُكفأ ،
ووجهك إيطاء ، فما فيك مَرْقَع[1]

١ الاقواء : اختلاف حركة الروي . وبذلك شبه الاختلاف بين عيني من يهجوه . الاكفاء : المخالفة بين اعراب القوافي أو بين هجائها . الايطاء : تكرير القافية لفظاً ومعنى ، ويريد تكرر نوع القبح في صفحتي وجهه .

في اللحن والتصحيف

وكان أبو حَنيفة لحاناً ، على أنه كان في الفُتيا ولُطف النّظر واحدَ زمانه . وسأله رجلٌ يوماً فقال له : ما تقول في رجل تناول صَخْرة فضرب بها رأسَ رجل فقتله ، أتقيده به ؟

قال : لا ، ولو ضربه بأبا قُبيس .

•

وكان بشر المَريسيّ يقول لجلسائه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوُجوه وأهنؤها . فسمع قاسم التّمّار قوماً يَضْحكون ، فقال : هذا كما قال الشاعر :

إنّ سُليمى واللهُ يَكلؤها، ضنّت بشيءٍ ما كان يَرْزَؤها

وبِشر المريسيّ رأسٌ في الرأي ، وقاسم التّمّار مُتقدم في أصحاب الكلام ، واحتجاجُه لبِشر أعجبُ من لحن بِشر .

•

ودخل شَبيب بن شَيبة على إسحاق بن عيسى يُعزّيه عن طِفل أُصيب به ، فقال في بعض كلامه : أصلح الله الأمير ، إنّ الطفل لا يزال مُحبنطياً على باب الجنة يقول : لا أدخل حتى يَدخل أبواي .

قال إسحاق بن عيسى : سبحان الله ! ماذا جئتَ به ؟ إنما هو مُحبنطي ، أما سمعتَ قول الراجز :

إني إذا أنشدتُ لا أحْبَنْطي، ولا أحبُّ كثرةَ التمطّي

قال شَبيب : ألي يقال مثل هذا وما بين لابَتَيها أعلم مني بها ؟

فقال له إسحاق : وهذه أيضاً ، أللبصرة لابتان يا ألكع ؟

فأبان بتَقريعه عوَاره ، فأخجله فسكت .

قوله المُحبنطي: المُمتنع امتناع طلب لا امتناع إباء، وهو بالطاء غير معجمة، ورواه شبيب بالظاء المعجمة . وقوله: ما بين لابَتَيها ، خطأ ، إذ ليس للبصرة لابتان ، وإنما اللابة للمدينة والكوفة . واللابة : الحرّة ، وهي الأرض ذات الحجارة السُّود.

•

نوادر من الكلام

يقال : ماء نُقاخ ، للماء العَذب ؛ وماء فُرات ، وهو أعذب العَذب؛ وماء قُعاع، وهو شديد المُلوحة؛وماء حُراق، وهو الذي يحرق من مُلوحته ؛ وماء شَرُوب ، وهو دون العَذب قليلاً ؛ وماء مَسُوس ، وهو دون الشَّرُوب ؛ وماء شَرِيب ، وهو العَذب .

•

اجتمع المُفضّل الضبّي وعبدُ الملك بن قُرَيب الأصمعي ، فأنشد المُفضّل :

تُصْمِتُ بالماء تَوْلباً جَدَعا

فقال له الأصمعي : تولباً جَدِعا، والجَدِع : السيء الغذاء. فضَجَّ المفضّل وأكثر ؛ فقال له الأصمعي: لو نفخت في الشَّبُّور[1] ما نفعك ، تكلم بكلام النَّمل وأصب .

•

---

١ الشبور : البوق .

وقال مروان بن أبي حَفْصة في قوم من رواة الشعر لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته :

زوامل ، للأشعار ، لا عِلم عندهم
بجيّدها ، إلا كعِلم الأباعرِ[1]

لَعمرك ما يَدْري البَعيرُ ، إذا غدا
بأوْساقه ، أو راح ، ما في الغرائر[2]

•

---

١ الزوامل ، واحدتها زاملة : ما يحمل عليها من الابل . الاباعر ، واحدها بعير : الجمل البازل .

٢ الغرائر ، واحدتها غرارة : الجوالق ، الكيس الكبير.

نوادر من النحو

قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابيّ :

وإنّ كِلاباً هذه عَشر أبطُن،
وأنت بَرِيء من قَبائلها العَشْرِ [1]

قال : فجعلتُ أعجب من قوله عَشر أبطُن [2] ، فلما رأى عجبي ، قال : أليس هكذا قولُ الآخر [3] :

وكان مِجَنّي، دون مَن كنتُ أتّقي،
ثلاثُ شُخوص : كاعبان ومُعْصِرُ [4]

•

وقال أبو زيد : قلتُ للخليل : لمَ قالوا في تصغير واصل : أويصل ، ولم يقولوا : وُوَيصل ؟

---

١ هذا البيت للنواح ، أحد بني كلاب .

٢ أبطن ، واحدها بطن : هو من القوم دون القبيلة ، وكان الاولى أن يقول عشرة أبطن ، ولكنه أنث لانه عنى القبيلة .

٣ هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة .

٤ المجن : كل ما وقى . الكاعبان ، مثنى كاعب : الجارية الناهد . المعصر : من النساء المدركة .

٦

قال : كرهوا أن يُشبه كلامُهم بنبح الكلاب .

•

وقال أبو الأسود الدُؤلي : من العرب من يقول : لولاي لكان كذا وكذا .

وقال الشاعر[1] :

وكم مَوطنٍ لولاي طِحْتَ ، كما هَوى
بأجْرامه ، من قُنّة النّيق، منهوِي[2]

وكذلك لولا أنتم ولولاكم ، ابتداءٌ وخبره محذوف .

•

وقال أبو زيد : وراء وقدّام لا يُصرفان لأنهما مؤنثان ، وتَصغير قدّام قُدَيْدمة ، وتصغير وراء وُرَيّئة ، وقدّام خمسة أحرف ، لأن الدال مشدّدة ، فأسقطوا الألف لأنها زائدة ، ولئلا يُصغر اسم على خمسة أحرف .

•

أبو حاتم قال : يقال أمّ بيّنة الأمومة ، وعم بيّن العمومة.

---

١ هو يزيد بن الحكم الثقفي .

٢ طحت : هلكت . أجرامه : جسمه . القنة : القمة . النيق : أعلى الجبل .

ويقال : مأموم ، إذا شُجّ أمُّ رأسه[1]. ورجل مَمْوُوم : إذا أصابه المُوم[2] .

•

وقال المازنيّ: يقال في حَسب الرجل أرفة[3] ووَصمة وأُبنة، وكذلك يقال للعصا إذا كان فيها عيب . ويقال : قَذِيَت عينُه ، إذا أصابها الرّمد . وقد يقال في التّقديم والتأخير مثلُ قول الشاعر :

شرَّ يومَيْها ، وأخزاه لها ، رَكِبتْ هندٌ بحِدْجٍ جملا[4]

يريد ركبت هندٌ بحِدج جملًا في شرّ يوميها، وشرَّ يوميها نصب لأنه ظرف .

•

وقد يُسمى الشيء باسم الشيء إذا جاوره . قال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكمُ ، لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ

قوله : لنا قمراها : يريد الشمس والقمر .

---

١ ام الرأس : الجلدة التي تجمع الدماغ .

٢ الموم : الحمى .

٣ الارفة : العقدة.

٤ الحدج : مركب من مراكب النساء .

وكذلك قولُ الناس في العُمَرين : أبي بكر وعمر .

•

قال أبو عُبيدة : المَعيون : الذي له منظر ولا مخبر . والمَعين : الذي قد أصيب بالعين . والمَعين : الماء الظاهر .

•

أبو عبيدة قال : سمعت رُؤبة يقول : أنا ريق ، يريد على الريق .

•

الأصمعي قال : لقي أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر ، فقال له : كيف رَحلك ؟

قال : ما تزداد إلا مثالة .

قال : فما هذه المعيوراء التي تَركض؟ يريد ما هذه الحمير التي تركب ؟ يقال : مَعيوراء ومَشيوخاء ومَعبوداء .

قال الأصمعي : إنما يُقال : اقرأ عليه السلام . وأنشد :

اقرأ على عَصر الشَّباب تحيَّةً، وإذا لقيتَ دَداً فقطني من ددِ[1]

•

وقال بعض الورّاقين :

رأيتُ يا حمّاد، في الصَّيدِ، أرانباً تؤخذ بالأيدي

---

[1] الدد : اللهو واللعب .

إنَّ ذوي النَّحو لهم أنفسٌ، مَعروفة بالمكر والكيد
يَضرب عبدُ الله زيداً، وما يُريد عبدُ الله من زيدِ ؟

•

وأنشد أبو زيد الأنصاري :

يا قُرطَ قُرطَ حُيَيٍّ لا أبا لكمُ ؛
يا قُرطُ إني عليكم خائفٌ حَذِرُ[1]

قُلتم له اهجُ تَميماً ، لا أبا لكمُ ،
في فم قائلِ هذا التُّربُ والحَجَرُ

فإنَّ بيتَ تميم ، ذو سمعتَ به ،
بيتٌ به رأست في عِزّها مُضر

ذو هنا في مكان الذي ، لا يتغير عن حاله في جميع الاعراب . وهذه لغة طيء تجعل ذو في مكان الذي .

•

وقال الحسن بن هانيء :

حُبُّ المُدامة ذو سمعتَ به، لم يُبقِ فيَّ لغيرها فَضْلاَ

•

---

١ أراد بني قرط بن حيي .

وبعضُ العرب يقول : لا أباكَ في مكان لا أبا لك، مُضافاً، ولذلك ثبتت الألف ، ولو كانت غير مُعربة لقلت : لا أبَ لك ، بغير ألف . وليس في الاضافة شيء يُشبه هذا لأنه حالَ بين المُضاف والمضاف اليه .

وقال الشاعر[1]:

أبالموتِ الذي لا بدّ أني مُلاقٍ ، لا أباكِ ، تُخوّفيني؟

وقال آخر :

وقد مات شَمّاخٌ ، ومات مُزَرّدٌ،
وأيّ كريم ، لا أباكِ ، يُخلّدُ؟[2]

وأنشد الفرّاء لابن مالك العُقيليّ :

إذا أنا لم أومن عليك ، ولم يَكُنْ
لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ

هذا مثل قولهم : بينَ بينَ .

وقال محمود الورّاق :

مزَجَ الصدودُ وصالهنّ، فكان أمراً بَينَ بَينَ

١ ابو حية النميري .

٢ مزرد بن ضرار ، أخو الشماخ .

وقال الفرزدق :

وإذا الرّجال رأوا يزيدَ ، رأيتهم
خُضُعَ الرّقاب ، نواكسَ الأبصارِ

قال أبو العبّاس محمد بن يزيد النّحويّ : في هـذا البيـت شيء مُستطرف عند أهل النّحو . وذلك أنه جمع فاعـل على فواعل ، وإذا كان هكذا لم يكن بين المُذكر والمُؤنث فَرْق لأنك تقول : ضاربة وضوارب ، ولا يقال في المذكّر فواعل إلا في موضعين ، وذلك قولهم : فوارس وهوالك ، ولكنـه اضطُر في الشّعـر فأخرجـه عن الأصـل ، ولولا الضرورة مـا جاز له .

•

وقال أبو غسّان تلميـذ أبي عُبيـدة المعروف بدَمـاذ ، يخاطب أبا عثمان النحويّ المازنيّ :

تفكّرتُ في النّحو حتى مللتُ ، وأتعبتُ نفسي له والبَدَنْ
وأتعبْتُ بَكراً ، وأصحابَه ، بكلّ المَسائل في كلّ فن
سِوى أنّ باباً ، عليه العفاءُ ، لِلفاء يا ليتَه لم يَكُن
فكنتُ بظاهره عالماً ، وكنتُ بباطِنه ذا فَطَن

وللواو بابٌ إلى جَنبه، من المَقْت أحسبُه قد لُعن
إذا قلتُ: هاتوا، لماذا يُقال لستُ بآتيك أو تأتين
أجيبوا لما قيلَ هذا كذا على النَّصب، قالوا لاضمار أن
وما إنْ رأيتُ لها مَوْضعاً، فأعرفَ ما قِيل إلا بظَن
فقد خِفْتُ يا بَكرُ من طول ما أفكِّرُ في أمر أن أن أجَنّ

•

في الغريب والتقعيب[1]

دخل أبو عَلقمة على أعْيَن الطبيب ، فقال : أصلحك الله ، أكلتُ من لحُوم هذه الجَوازل[2] وطسِئت[3] طسأة ، فأصابني وَجَعٌ بين الوابلة[4] ودأية[5] العُنق ، فلم يزل يَنمو ويربُو حتى خالَطَ الخِلب[6] والشراسيف[7] ، فهل عندك دواء ؟

قال : نعم ، خذ خَرْبَقاً[8] وسلفقاً[9] وشِبرِقاً[10] فزَهزِقه[11]

---

١ تقعيب الكلام : تقعيره ، بلوغ غوره .

٢ الجوازل : فراخ الحمام .

٣ طسئت : تخمت .

٤ الوابلة : طرف العضد في الكتف .

٥ الدأية : فقرة العنق .

٦ الخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن .

٧ الشراسيف ، واحدها شرسوف : رأس الضلع مما يلي البطن .

٨ الخربق : ضربٌ من الادوية ، ونبت كالسم يغشي على آكله ولا يقتله .

٩ سلفقاً: لا نجد هذه اللفظة في المعاجم ولعلها معرفة على السلق،وهو كل نبات يؤكل كالهندباء والخبيزى .

١٠ الشبرق : نبت من جنس الشوك .

١١ زهزقه : يقال زهزقت الام ولدها : اذا رقصته، ولا ندري ماذا أراد هنا.

واغسله بماء ذَوب[1] واشربه ؛ فقال له أبو عَلقمة : لم أفهمك ؛ فقال : ما أفهمتُك إلا كما أفهمتني .

•

وقال أبو الأسود الدُّؤلي لأبي علقمة : ما حال ابنك ؟

قال : أخذته الحُمّى فطبَخته طبخاً ، ورَضَخته[2] رَضخاً، فتركته فَرْخاً[3] .

قال : فما فعلت زوجتُه التي كانت تشارّه وتهارّه وتمارّه وتزارّه[4] ؟

قال : طلّقها . فتزوّجت بعده فحظِيَت وبَظيت .

فقال له : قد عَرفنا حَظِيَت فما بَظيت ؟

قال : حرف من الغريب لم يَبْلغك .

فقال : يا ابن أخي ، كل حَرْف لا يعرفه عمُّك فاستره .

•

ودعا أبو عَلقمة بحَجّام يَحجُمُه فقال له: أَنْقِ غَسْلَ

---

١ الذوب : العسل .

٢ رضخته : كسرته ، حطمته .

٣ الفرخ : الضعيف المنهوك .

٤ تشارّه : تخاصمه . تهارّه : تهر في وجهه كما يهر الكلب . تمارّه : تجادله . تزارّه : تعضه .

المحاجم، واشدُد قصب الملازم[1]، وأرهف ظُبات المشارط، وأسرع الوَضع، وعجّل النزع، وليكن شرطُك وَخزاً، ومَصُّك نهزاً، ولا تردّن آتياً، ولا تكرهن آبياً.

فوضع الحجّام محاجمه في جُونته[2] ومضى عنه.

●

وسَمِع أعرابيّ أبا المكنون النحوي وهو يقول في دعاء الاستسقاء: اللهم ربّنا وإلهنا ومولانا فصلّ على محمد نبيّنا، ومن أراد بنا سوءاً فأحِط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجّيل[3] على هام أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً مجلجلا[4] مسحنفراً[5] سحّاً سفوحاً طبقاً[6] غدقاً[7] مثعنجراً[8]، نافعاً

---

١ الملازم، واحدها ملزم: خشبتان مشدود أوساطهما بحديد تجعل في طرفها قناحة اي مفتاح معوج طويل فتلزم ما فيها لزوماً شديداً.

٢ الجونة: سلة مغشاة بجلد.

٣ السجيل: حجارة كالمدر.

٤ المجلجل: الذي فيه صوت الرعد.

٥ المسحنفر: الكثير الصب الواسع.

٦ طبقاً: عاماً واسعاً.

٧ الغدق: الكثير.

٨ المثعنجر: السحاب الممتلىء.

لعامّتنا ، وغيرَ ضارٍّ لخاصّتنا .

فقال الأعرابيّ : يا خليفة نوح ، هذا الطّوفان وربّ الكعبة ، دعني حتى آوي إلى جَبل يَعصمني من الماء .

وسمعه مرة أخرى يقول في يوم برد : إن هذا يوم بلّة[1] عَصَبْصب[2] بارد هِلّوف[3] ؛ فارتعد الأعرابيّ وقال : والله هذا مما يَزيدني برداً .

•

وخطب أبو بكر المَنكور فأغرب في خُطبته وتَقعّر في كلامه ، وعند أصل المِنبر رجلٌ من أهل الكوفة يقال له حَنش ، فقال لرجل إلى جنبه : إني لأبغض الخطيب يكون فصيحاً بليغاً مُتقعّراً . وسمعه أبو بكر المنكور الخطيبُ ، فقال له : ما أحوجك يا حَنش إلى مُدَحرج[4] مفتول لَيّن الجِلاز[5] لَدْن المَهزّة عظيم الثّمرة[6] ، تؤخذ به من مَغرز العُنق إلى عَجْب

---

١ البلة : البلل .

٢ عصبصب : شديد .

٣ الهلوف : الثقيل البطيء .

٤ المدحرج : المدور ، أراد السوط .

٥ الجلاز : العقب المشدود في طرف السوط .

٦ ثمرة السوط : طرفه .

الذَّنَبِ[1] فتكثر له رقصاتك من غير جَذل .

•

وقال حبيب الطائي :

فما لك بالغَريب يدٌ ، ولكن تَعاطيكَ الغَريبَ مِن الغَريبِ
أمَا لو أنَّ جهلك عاد عِلماً ، إذاً لرسخت في عِلم الغُيوب

•

ومن قولنا نمدح رجلاً باستسهال اللفظ وحُسن الكلام :

قَولٌ ، كأنَّ فَريدَهُ سِحرٌ على ذِهْنِ اللبيب
لا يَشمئزُّ على اللِّسان ، ولا يَشِذُّ عن القلوب
لم يَغْلُ في شَنِعِ اللُّغاتِ ، ولا تَوحَّش بالغريب
سَيفٌ تقلَّدَ مثلَه ، عَطفَ القضيب على القَضيب
هذا تُجَذُّ به الرِّقابُ ، وذا تُجَذُّ به الخُطوب

•

[1] عجب الذنب : أصله .

في تكليف الرجل

ما ليس من طبعه

قالوا : ليس الفِقْهُ بالتفقُّه ، ولا الفَصاحةُ بالتفصُّح ، لأنه لا يَزِيد مُتزَيِّدٌ في كلامه إلا لنَقْص يَجِده في نَفسه . ومما اتفقت عليه العربُ والعجمُ قولهم : الطَّبع أمْلَك .

وقال حَفْص بنُ النُّعمان : المَرْء يَصنع نَفسه فمتى ما تَبْلُهُ يَنزِع إلى العِرْق[1] .

•

وقال العَرْجيّ :

يأيها المتحلّي غيرَ شِيمَتِه، ومِن شَمائله التَّبديلُ والملَقُ

ارْجع إلى خِيمك المعروف دَيْدَنُه؛ إنّ التخلُّق يأتي دُونه الخُلُق[2]

•

---

١ تبله : تجربه . ينزع : يميل . العرق : الأصل .

٢ الخيم : الطبيعة . ديدنه : عادته .

وقال آخر :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه،
يدعه ، ويغلبه على النفس خيمها

•

وقال آخر[1] :

كل امرىء راجع يوماً لشيمته،
وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين

•

وقال الخرَيمي :

يلام أبو الفضل في جوده، وهل يملك البحر ألا يفيضا؟

•

وقال أبو الأسود الدؤلي :

ولائمة لامتك، يا فيض، في الندى؛
فقلت لها: هل يقدح اللوم في البحر؟

---

١ هو ذو الاصبع العدواني ، وهذا البيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

لي ابن عم، على ما كان من خلق، مختلفان ، فأقليه ويقليني

أرادَتْ لتَثني القَبْضَ عن عادة النَّدى؛
ومَن ذا الذي يَثني السحابَ عن القَطْر؟

•

وقال حَبيب :

تَعوَّد بَسْطَ الكَفِّ ، حتى لوَ انّه
ثَناها لِقَبْضٍ ، لم تُجبْهُ أناملُه

•

وقال آخر :

وقَفَّعَ أطرافَهم قَبْضُها، فإنْ طلبُوا بَسْطَها تنكسر[1]

•

وقالوا : إن مَلِكاً من مُلوك فارس كان له وزير حازم مجرِّب، فكان يَصْدر عن رأيه ويَتعرَّف اليُمْن في مَشُورته ، ثم إنّه هلك ذلك الملكُ ، وقام بعده ولدٌ له معجَب بنفسه مستبدّ برأيه ، فلم يُنزل ذلك الوزيرَ منزلته ولا اهتَبل[2] رأيَه ومَشورته ، فقيل له : إن أباك كان لا يَقطع أمراً دونه .

---

١ قفع : قبض .
٢ اهتبل : اغتنم .

فقال : كان يَغلط فيه وسأمتحنه بنَفسي .

فأرسل إليه ، فقال له : أيهما أغلبُ على الرجل : الأدب أو الطبيعة ؟

فقال له الوزير : الطبيعةُ أغلبُ لأنها أصلٌ والأدب فرع ، وكلُّ فَرْع يَرْجع إلى أصله .

فدعا الملكُ بسُفرته ، فلما وُضِعت أقبلت سَنانيرُ بأيديها الشَّمعُ فوقفت حول السُّفرة ، فقال للوزير : اعتبر خطأك وضَعْف مَذْهبك ، متى كان أبو هذه السنانير شَمّاعا ؟

فسكت عنه الوزير ، وقال : أمْهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة .

فقال : ذلك لك .

فخَرج الوزيرُ ، فدعا بغُلام له ، فقال : التَمِسْ لي فأراً وارْبُطه في خَيط وجِئني به .

فأتاه به الغلامُ ، فعقده في سَبَنِيَّة[1] وطرحه في كمّه ، ثم راح من الغد إلى الملك ، فلما حضرت سُفرته أقبلت السنانير بالشَّمَع حتى حفّت بها ، فحلّ الوزيرُ الفأرَ من سَبنيّته ، ثم ألقاه إليها ، فاستبقت السنانيرُ إليه ورَمت الشمعَ حتى كاد البيتُ يضطرم عليهم ناراً . فقال الوزيرُ : كيف رأيتَ

---

[1] السبنية : ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان .

غَلَبَة الطَّبيعة على الأدب ، ورُجوعَ الفَرْع إلى أصله ؟

قال : صدقتَ .

ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه . فإنما مَدار كل شيء على طبعه ، والتكلف مَذموم من كل وجه .

قال الله، تبارك وتعالى، لنبيّه ، صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : « ومَا أنا مِنَ المُتكلِّفين . »

وقالوا : من تطبّع بغير طبعه نَزَعَتْه العادةُ حتى تردّه إلى طبعه ، كما أنّ الماء إذا أسْخَنته ثم تركته ساعةً عاد إلى طبعه من البُرودة ، والشجرةَ المُرّة لو طليتها بالعسل لا تُثمر إلا مُرّاً .

•

في ترك المشاراة والمماراة[1]

دخل السّائب بن صَيفيّ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفني يا رسول الله ؟

قال : وكيف لا أعرف شريكي في الجاهلية الذي كان لا يُشاري ولا يماري ؟

وقال ابن المُقفّع : المُشاراة والمماراة تُفسدان الصّداقة القديمة ، وتحلاّن العقدة الوثيقة ، وأيسر ما فيهما أنهما ذريعة إلى المُنافسة والمُغالبة .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى : لا تمارِ أخاك فإما أن تُغضبه وإما أن تكذبه .

وقال الشاعر :

فإيّاك إيّاك المِراء ، فإنه
إلى الشّرّ دَعّاءٌ وللصّرْم جالبُ[2]

•

---

١ المشاراة : المجادلة والملاجة ، والمبايعة . المماراة : المنازعة ، والملاجة .

٢ الصرم : قطع الصداقة .

وقال عبدُ الله بن عبّاس : لا تُمارِ فقيهاً ولا سفيهاً ، فإن الفقيه يَغلبك والسّفيه يُؤذيك .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : سِبَاب المُؤمن فُسوقٌ وقِتاله كُفْرٌ .

في سوء الادب

دخل عروة بن مَسعود الثّقفيّ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم، فجعل يحدّثه ويُشير بيده إليه حتى تمسّ لحيته، والمغيرة ابن شُعبة واقفٌ على رأس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده السيفُ، فقال له : اقبض يدك عن لِحية رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، قبل أن لا ترجع إليك .

فقبض عُروة يدَه ، وعُروة هذا هو عظيم القريتين الذي قالت فيه قريش : لولا نُزّل هذا القرآنُ على رجُل من القَريتين عَظيم . ويقال إنه الوليد بن المغيرة المخزوميّ .

ولما قدِم وفدُ تميم على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ناداه رجل منهم من وراء الجدار : يا محمد ، اخرج إلينا .

فأنزل الله تعالى : « إنّ الذينَ يُنادُونَكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ أكثرُهم لا يَعقِلون . »

وفي قراءة ابن مسعود : « بنو تميمٍ أكثرُهم لا يَعقلون . » وأنزل الله في ذلك : « لا تَجعَلوا دُعاءَ الرّسُولِ بَينَكم كدُعاء بَعضكم بَعضاً . »

ونظر أبو بكرٍ الصدّيق ، رضي الله عنه ، إلى رجل يَبيع ثوباً ، فقال له : أتبيع الثوبَ ؟

قال : لا عافاك الله .

قال : لقد علمتم لو تتعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله .

وخطب الحسن في دَم ؛ فأجابه صاحبُ الدم ، فقال : قد وضعتُ ذلك الدم لله ولوُجوهكم .

قال له الحسن : ألا قلتَ : قد وضعتُ ذلك لله خالصاً ؟

•

وذكر أعرابيّ رجلاً بسوء الأدب فقال : إن حدّثته سابقك إلى ذلك الحديث ، وإن تركته أخذ في الترّهات .

ودخل بعضُ الرُّواة على المَهديّ ، فقال له : أنشدني قولَ زُهير :

لمن الدّيار بقُنّة الحِجْر

فأنشدها حتى أتى على آخرها . فقال له المهديُّ : ذَهب والله مَن كان يقول هذا .

فقال له : كما ذهب والله من يُقال فيه .

فاستجهله واستَحمقَه .

ولما رَفع قُطرُبٌ النّحْوي كتابه في القرآن إلى المأمون ،

أمر له بجائزة ، وأذن له . فلما دخل عليه قال : قد كانت عِدَةُ أمير المؤمنين أرفع من جائزته .

فغَضِب المأمون وهمَّ به . فقال له سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يَقُل بذات نفسه ، وإنما غَلب عليه الحَصَر[1] ، ألا تراه كيف يَرْشَح جبينُه ويكسِّر أصابعه ؟

فسكَن غضبُ المأمون واستجهله واستحمقه .

وكان الحسنُ اللؤلئيّ ليلةً عند المأمون بالرَّقَّة وهو يسامره ، إذ نعَس المأمونُ والحسنُ يحدّثه ، فقال له : نعَستَ يا أمير المؤمنين .

فانتبه فقال : سُوقيّ وربِّ الكعبة ، يا غلام ، خذ بيده .

ودخل أبو النَّجم على هشام بن عبد الملك بأرجوزته التي أولها :

الحمد لله الوهُوبِ المُجْزِلِ

وهي من أجود شِعْره . فاستحسنها هشام وأصغى إليها . فلما أتى على قوله :

والشمسُ في الجوِّ كعَينِ الأحوَلِ

---

[1] الحصر : العي عن النطق .

غَضِبَ هشامٌ وكان أحولَ ، فأمر بصَفْعِ قفاه وإخراجه .

•

ودخل كُثَيِّرُ عَزَّةَ على يزيد بن عبد الملك ، فبينا هو يحدّثه إذ قال : يا أميرَ المؤمنين ، ما معنى قول الشَّمَّاخ :

إذا الأرْطى تَوَسَّدَ أبرَدَيهِ خُدودُ جوازىءٍ بالرَّمْلِ عِينِ[1]

فقال له يزيد : وماذا عَلى أمير المُؤمنين ألاّ يعرفَ ما قال هذا الأعرابيّ الجِلْف مثلُك ، واستحمقه وأمر بإخراجه .

ودخل كُثَيِّرُ عَزَّةَ على عبد العزيز بن مَرْوان فأنشده مِدحتَه التي يقول فيها :

وأنتَ ، فلا تُفقَد ، ولا زال منكمُ
إمامٌ يُحيَّا في حِجابٍ مُسدَّنِ[2]

أشمُّ منَ الغادين ، في كلِّ حُلَّةٍ،
يميسون في صِبغٍ من العَصْبِ مُتقَنِ[3]

---

١ الأرطى : شجر ينبت بالرمل . الابردان: الظل والفيء. الجوازىء، واحدتها جازئة : البقرة الوحشية . العين ، واحدتها عيناء : التي عظم سواد عينيها في سعة ، وهذا من صفات البقر الوحشي .

٢ مسدن : مرسل .

٣ العصب : ضرب من برود اليمن .

لهم أُزُرٌ حُمرُ الحَواشي ، يَطَوْنها
بأقدامِهم ، في الحضرميّ المُلَسَّنِ[1]

فاستَحسنها وقال له : سَل حاجَتك .

فقال : تولّيني مكانَ ابن رمّانة كاتبك .

فقال له : ويلك ! ذا كاتبٌ وأنت شاعر ، فكيف تَقوم مَقامه وتَسُد مَسدّه ؟

فلما خرج من عنده ندم ، وقال :

عَجبتُ لأخذي خُطّة العَجز ، بعدما
تَبيّن ، من عبد العزيز ، قَبولها

لئن عاد لي عبدُ العزيز بمثلها ،
وأمكنني منها ، إذاً لا أقولها

•

ووقف الأحنف بنُ قيس ومحمدُ بن الأشعث بباب مُعاوية ، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث ، فأسرع محمدٌ في مشيته حتى دَخل قبل الأحنف . فلما رآه مُعاوية قال له : والله إني ما أذنتُ له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله ، وإنّا كما نلي

---

١ يطونها : مسهل يطؤونها . الحضرمي : نعل تنسب الى حضرموت . الملسن من النعال : ما فيه طول ولطافة على هيئة اللسان .

أمورَكم كذلك تلي أدبكم ، ولا يَزيد مُتزَيِّـد في أمـره إلا لنقص يجده في نَفْسه .

وقال عبدُ الملك بن مروان : ثلاثةٌ لا يَنبغي للعاقل أن يَستخِفّ بهم : العُلماء والسُّلطان والإخوان . فمن استخفّ بالعلماء أفسد دينَه ، ومن استخفّ بالسُّلطان أفسد دُنياه ، ومن استخفّ بالإخوان أفسد مروءته .

•

وقال أبو الزِّناد : كنتُ كاتباً لعُمـر بن عبـد العـزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحميد[1] عامله على المدينة في المظالم فيراجعه فيها ، فكتب إليه : إنه يخيّل إليّ أني لو كتبتُ إليـك أن تُعطي رجلاً شاة ، لكتبتَ إلي : أضأناً أم مَعزاً ؟ ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبتَ إليّ : أذكراً أم أنثى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبت : أصغيراً أم كبيراً ؟ فإذا كتبتُ إليك في مَظلمة فنَفِّذ أمري ولا تراجعني فيها .

وكتب أبو جعفر إلى سَلم بن قُتيبة ، يأمره بهدم دُور من خَرج مع إبراهيم بن عبد الله ، وعَقر نخلهم ، فكتب إليه : بأيّ ذلك نبدأ ، بالدُّور أو بالنَّخل ؟

فكتب إليه أبو جعفر : إني لو أمرتك بإفساد تمرهم ،

---

١ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

لكتبتَ : بأيِّ ذلك نبدأ؟ بالصَّيحاني[1] أم بالبرْنيّ[2]؟ وعزَلَه وولَّى محمد بن سليمان .

ولمحمود الورّاق :

كم قد رأيتَ مَساءةً، من حيثُ تَطمع أن تُسَرّا
ولربما طَلب الفتى، لأخيه، مَنفعة فضَرّا

•

ودخل عَديّ بن أرْطاة على شُرَيح القاضي، فقال له : أين أنت أصلحك الله ؟

قال : بينك وبين الحائط .

قال : اسمع مني .

قال : قُلْ نسمع .

قال : إني رَجل من أهل الشام .

قال : مكان سَحيق .

قال : وتزوّجتُ عندكم .

قال : بالرِّفاء والبنين .

قال : وأردتُ أن أرَحلها .

---

١ الصيحاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المضغة .

٢ البرني : ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر .

قال : الرَّجلُ أحقُّ بأهله .

قال : وشرَطتُ لها دارها .

قال : الشّرط أملكُ .

قال : فاحكم الآن بيننا .

قال : قد فعلتُ .

قال : فعلى مَن حكمتَ ؟

قال : على ابن أمّك .

قال : بشهادة من ؟

قال : بشهادة ابن أخت خالتك .

أراد شريح إقراره على نفسه بالشرط . وكان شريح صاحب تعريض عويص .

ودخل شَريك بنُ عبد الله على إسماعيل وهو يتَبخّر بعُود، فقال للخادم : جئنا بعُود لأبي عبد الله .

فجاء ببَربُط[1] .

فقال له إسماعيل : اكسِره ، ويلك .

وقال لشريك : أخذُوا البارحة في الحرس رجلاً ومعه هذا البربُط .

وقال بعض الشعراء في عِيّ الخادم :

---

[1] البربط : العود يعزف به .

ومتى أدعُها بكأسٍ ،من الماء،　　أتتني بصَحفَةٍ وزبيبِ

•

وقال حبيبٌ في بني تغلِب من أهل الجزيرة يَصِفهم بالجفاء وقِلةِ الأدب مع كرم النفوسِ :

لا رِقّةُ الحَضَرِ اللطيف غذَتهم ،
وتَباعدُوا عن فِطنَةِ الأعرابِ

فإذا كشفتَهم وجدتَ ، لديهم ،
كرَمَ النفوس وقِلّةَ الآداب

•

وكان فتى يُجالسُ الشعبيَّ ، وكان كثيرَ الصَّمتِ ، فالتفت إلى الشعبيِّ ، فقال له : إني لأجد في قفاي حِكّةً ، أفتأمُرني بالحِجامة ؟

فقال الشعبيُّ : الحمدُ لله الذي حوَّلنا من الفِقهِ إلى الحجامة .

قال : وأتى أحمدَ بن الخصيب بعضُ المتظلمين يوماً ، فأخرج رِجله من الرِّكاب فركله[1] بها . فقال فيه الشاعر :

قُلْ للخليفةِ يابن عمِّ محمدٍ :
اشكُلْ وزيرَك إنّه رَكّالُ[2]

•

[1] ركله : لبطه .

[2] اشكله: اجعل الشكال في رجليه ، والشكال : وثاق بين يد الدابة ورجلها .

في تحنك الفتى

قيل لعمَر بن الخطّاب : إنّ فلاناً لا يَعرف الشّر .

قال : ذلك أحرى أن يَقع فيه .

وقال سُفيان الثّوري: مَن لم يُحسِن أن يَتفتّى[1] لم يحسن أن يَتَقرّى[2] .

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقلُ الذي يعرف الخيرَ من الشّر ، إنما العاقلُ الذي يَعرف خيرَ الشرّين، ومثلُ ذلك قول الشاعر :

رَضيتُ ببعضِ الذّلّ خوفَ جميعه؛
كذلك بعضُ الشّر أهونُ من بعضِ

•

وسُئل المُغيرة بن شُعبة عن عُمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه، فقال: كان والله له فَضلٌ يمنعه مِن ان يَخدع، وعقل يمنعه من أن يَنخدع .

---

١ يتفتى : يعمل عمل الفتيان .
٢ يتقرى ، مسهل يتقرأ : يتنسك .

قال إياس : لستُ بخِبّ[1] ، والخِبُّ لا يخدعني .

وتجادَل ابنُ سِيرين والحَسنُ، وكان الحسنُ يرى كلَّ مُسلم جائز الشهادة حتى تَظهر عليه سَقْطةٌ أو يُجرِّحه المشهود عليه، وكان إياسٌ لا يَرى ذلك ، فأقبلَ رجلٌ الى الحسن ، فقال : إنّ إياساً رَدّ شهادتي .

فقام معه الحسنُ اليه ، فقال : أبا واثلة ، لِمَ رددت شهادة هذا المُسلم؟ فقد قال ، صلى الله عليه وسلم : من صلى الى قِبلتنا فهو المسلم ، له ما لَنا وعليه ما علينا .

فقال له إياسٌ: يا أبا سَعيد، يقول الله تعالى: «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ . » وهذا ممن لا نَرْضاه .

•

وكان عامرُ بنُ عبد الله بن الزُّبير في غاية الفَضْل والدِّين ، وكان لا يَعْرف الشَّرَّ ، فبينا هو جالسٌ في المسْجِد ، إذ أُتي بعَطائه ، فقام الى مَنزله فنَسيه . فلما صار في بَيْتِه ذكره ، فقال لخادمه : اذهب الى المسْجد فائتني بعطائي .

فقال له : وأين نجِده ؟

قال : سُبحان الله ! أوَبَقي أحدٌ يَأخذ ما ليس له ؟

---

١ الخب : الخداع

وقال أيّوب: مِن أصحابي مَن أرتجي بركةَ دُعائِه ولا أقبل شهادَته.

وذُكِرت فاطمةُ بنتُ الحسين، عليهما السلامُ، عند عُمر بن عبد العزيز وكان لها مُعظِّماً، فقيل إنها لا تَعرف الشرّ؛ فقال عُمر: عَدمُ معرفتها بالشرّ جَنّبها الشرّ.

•

وكانوا يَستَحسنون الحُنكة للفتى والصَّبْوة للحدَث، ويكرهون الشَّيب قبل أوانه، ويُشبِّهون ذلك بيُبُوس الثمرة قبل نُضجها، وأنّ ذلك لا يَكون إلا مِن ضَرر فيها. فأنفع الاخوانِ مجلساً، وأكرمُهم عِشرَةً، وأشدُّهم حِذقاً، وأنبَهُهم نفساً، مَن لم يكن بالشّاطر المُتفتّك[1]، ولا الزاهد المتنسّك، ولا الماجن المُتظرّف، ولا العابد المتقشّف، ولكن كما قال الشاعر:

يا هِندُ، هل لكِ في شَيخٍ فتىً أبداً،
وقد يكونُ شبابٌ غيرَ فِتيانِ

وقال آخر:

وفتىً، وهوَ قد أنافَ على الخَمسين،
يَلقاكَ في ثياب غُلامِ

---

[1] الشاطر: المتصف بالدهاء والخباثة. المتفتك، من تفتك في امره: أخذ فيه لا يشاور احداً ولا ينتصح.

وقال آخر :

فَلِلنُّسْكِ منّي جانبٌ لا أضيعُهُ،
وللَّهْوِ منّي والبَطالة جانبُ

وقال حَبيب :

كَهْلُ الأناةِ فتى الشَّذاة ، إذا عَدا
للرَّوْعِ كانَ القَشْعَمَ الغِطْرِيفا[1]

ومن قولنا في هذا المعنى :

إذا جالسَ الفِتْيانَ ألفيتَه فتىً؛
وجالسَ كَهْلَ الناسِ ألفيتَه كَهْلا

ونظيرُه قول ابن حِطّان :

يوماً يمانٍ ، إذا لاقيتَ ذا يَمَنٍ؛
وإن لقيتَ مَعَدِيّاً ، فَعَدْناني

وقولُ عمران بن حِطّان هذا يحتمل غيرَ هذا المعنى ، إلا أنّ هذا أقربُ إليه وأشبهُ به ، لأنه أراد أنه مع اليَماني يمانيّ ومع العَدْناني عدنانيّ ، فيُحتمل أنّ ذلك لخوف منه أو مساعدة ، وكلّ ذلك داخلٌ في باب الحُنْكة والحِذق والتّجربة .

•

١ الشذاة : الحدة . القشعم : الأسد . الغطريف : السيد الشريف .

وقالوا : اصحَبِ البَرَّ لتتأسّى به ، والفاجرَ لتتحنّك به .

وقالوا : مَن لم يَصحبِ البَرَّ والفاجرَ ولم يؤدِّبه الرَّخاءُ والشِّدة مَرَّةً، ولم يخرج من الظلِّ إلى الشمس مَرَّةً، فلا ترجُه .

ومن هذا قولهم : حلب فلانٌ الدهرَ أشطُرَه ، وشرِب أفاويقه ، إذ فهِمَ خيرَه وشرَّه ، فإذا نزَلَ به الغِنى عرَفه ولم يُبْطره ، وإذا نزَلَ به البلاء صبر له ولم يُنكِره .

وقال هُدْبة العُذْريّ :

ولستُ بمِفراحٍ ، إذا الدَّهرُ سرَّني،
ولا جازعٍ مِنْ صرفهِ المُتَقلِّبِ

ولا أتمنّى الشَّرَّ ، والشَّرُّ تاركي،
ولكن متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أرْكَبِ

وقال عبدُ العزيز بن زُرارة في هذا المعنى :

قد عِشْتُ في الدَّهر أطواراً على طُرُقٍ
شتَّى ، فصادفتُ منه اللينَ والفَظَعا

كلاً بَلوتُ ، فلا النَّعماءُ تُبْطِرُني،
ولا تَخشَّعتُ مِن لأوائه[1] جَزَعا

---

[1] اللأواء : الشدة .

لا يملأُ الأمرُ صدْري ، قبلَ وقعتِهِ ؛
ولا أضيقُ به ذرعاً ، إذا وَقَعا

•

وقال آخر[1] :

فإن تهدِمُوا بالغدرِ داري ، فإنها
تُراثُ كريمٍ لا يخافُ العَواقِبا

إذا همَّ ألقى بينَ عينيهِ عَزْمَهُ ،
وأضرَبَ عن ذكرِ العَواقبِ جانِبا

ولم يستشِرْ ، في أمرِه ، غيرَ نَفْسه ؛
ولم يرضَ : إلا قائمَ السَّيف، صاحِبا

سأغسِلُ عني العارَ بالسَّيف ، جالباً
عليَّ قضاءُ الله ، ما كانَ جالبا

•

وسُئِلت هِنْدُ عن مُعاوية ، فقالت : والله لو جُمِعت قريشٌ من أقطارها ثم رُمي به في وسَطها لخرَجَ من أي أعْراضها شاء .

---

١ هو سعد بن ناشب من بني مازن ، أصاب دماً فهدم بلال بن أبي بردة داره .

وهذا نظير قول الشاعر :

بَرِئْتُ إلى الرَّحمن من كلِّ صاحبٍ
أُصاحبُه ، إلا عِراكَ بن نائلِ

وعلمي به ، بين السّماطين ، أنّه
سَيَنْجو بحقٍّ ، أو سينجو بباطل

•

وقال آخر :

لَئِنْ كنتُ محتاجاً إلى الحِلم ، إنني
إلى الجَهلِ ، في بعض الأحايين، أحوجُ

وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدناً وصاحباً ؛
ولكنني أرضى به حين أُحْرَجُ

فإن قال قومٌ : إنّ فيه سماجةً ؛
فقد صَدَقوا ، والذُّلّ بالحُرِّ أَسْمج

ولي فَرَسٌ ، للحِلم ، بالحِلم مُلجَمٌ ؛
ولي فرس ، للجَهْل ، بالجهل مُسْرج

فمَنْ شاءَ تَقويمي ، فإني مُقوَّمٌ ؛
ومَن شاء تَعويجي ، فإني مُعَوَّج

•

وقال مُعاوية في سُفيان بن عَوف الغامديّ : هذا الذي لا

يُكفكَف من عَجَلة ، ولا يُدفع في ظهره من بُطء ، ولا يُضْرَب على الأمور ضَرْبَ الجمل الثِّفَال[1] .

وقال الحسنُ بن هانيء :

مَن للجِذاع ، إذا المَيدانُ ماطَلها ،
بشأو مُطَّلع الغايات ، قد قرَحا[2]

من لا يُغَضغض منه البُؤسُ أغلةً ؛
ولا يُصعِّد أطرافَ الرُّبى فرَحا[3]

•

وقال جرير :

وابنُ اللَّبونِ ، إذا ما لُزَّ في قَرَن ،
لم يَستَطِع صولةَ البُزْل القَناعِيسِ[4]

---

١ الثفال: البطيء .

٢ الجذاع ، واحدها جذع : الفرس اذا استتم سنتين ودخل في الثالثة . ماطلها الميدان : طال عليها . الشأو : السبق . قرح الفرس : اذا تمت اسنانه .

٣ يغضغض : ينقص . يصعد : يرتقي . وقوله : لا يصعد اطراف الربى فرحاً ، أي لا يبطره الغنى .

٤ ابن اللبون : هو من الابل ما أتى عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمه لبوناً ، اي ذات لبن . لز في قرن : شد به وضيق عليه. البازل من الابل : الذي استكمل الثامنة ودخل في التاسعة ، وفطر نابه . القناعيس ، واحدها قنعاس : العظيم من الابل .

في الرجل النفاع الضرار

يقال : إنه لخرّاج ولاّج، وإنه لحُوّل قُلّب ، إذا كان متصرّفاً في أموره ، نفّاعاً لأوليائه ، ضرّاراً لأعدائه .

وإذا كان على غير ذلك، قيل : ما يُحْلي ولا يُمِرّ، ولا يُعدّ في العِير ولا في النّفير[1]، وما فيه خير يُرْجى ولا شرّ يُتّقى .

•

وقال بعضُهم : لا يَرضى العاقلُ أن يكون إلا إماماً في الخير والشّر .

وقال الشاعر[2] :

إذا أنت لم تنفع، فضُرّ، فإنما يُرَجّى الفتى، كيما يضُرّ ويَنفعا

•

وقال حبيب :

ولم أرَ نفعاً عِند من ليس ضائراً،
ولم أرَ ضُرّاً عند من ليس يَنْفعُ

•

---

١ العير : القافلة . النفير : اراد الذهاب الى الحرب

٢ هذا البيت لقيس بن الخطيم .

وسمع أعرابيّ رجلاً يقول : ما أتى فلانٌ بيوم خير قطُّ .

فقال : إن لا يكن أتىٰ بيوم خير فقد أتى بيوم شر .

وقال الشاعر :

وما فعلتْ بنو ذُبيانَ خيراً، ولا فعلتْ بنو ذُبيان شرا

•

وقال آخر[1] :

قَبّح الإلهُ عداوةً لا تُتّقى، وقرابةً يُدلى بها لا تَنفعُ

•

وفَخَرَ رجل فقال: أبي الذي قتل الملوك، وغَصب المنابر، وفعل وفعل .

فقال له رجل : لكنه أُسِر وقُتل وصُلب .

فقال : دعني من أسْره وقتله وصَلبه ، أبوك هل حدّث نفسه بشيء من هذا قطُّ ؟

وقال رجل من العرب يذمّ قومه وأغارت بنو شيبان على إبله فاستنجدهم، فلم ينجدوه، وكان فيهم ضَعف، فقال فيهم[2]:

---

[1] هو ابو تمام .

[2] هذه الابيات لقريط بن انيف احد شعراء بلعنبر .

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح إبلي
بنو اللقيطة ، من ذُهلِ بن شيبانا

إذاً لقام بنصري معشرٌ خُشُنٌ
عند الحفيظة ، إن ذو لوثة لانا[1]

قومٌ ، إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم ،
طاروا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ،
في النائبات ، على ما قال بُرهانا

لكنّ قومي ، وإن كانوا ذوي عدد ،
ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ،
ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأنّ ربّك لم يخلق ، لخشيته ،
سواهم ، من جميع الناس ، إنسانا

فليت لي بهم قوماً ، إذا ركبوا ،
شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا[2]

---

١ اللوثة : الضعف . الحمق .

٢ قوله بهم : اي بدلا منهم .

ولم يُرِد بهذا أنه وصفهم بالحِلم ولا بالخَشْيَة لله، وإنما أراد به الذُّل والعجز، كما قال النَّجاشيّ في رَهْط تميم بن مُقبل:

قُبَيِّلَتُه لا يَخْفِرون بذِمَّةٍ،
ولا يَظلِمون الناسَ حبَّةَ خَرْدَلِ[1]

ولا يَرِدون الماءَ إلاّ عَشيّةً،
إذا صَدَرَ الوُرّادُ عن كلِّ مَنْهَلِ

•

وكل من نفع في شيء فقد ضرّ في شيء. وكذلك قول أشجع ابن عمرو:

يَصْطاد أعناقاً بِمُنْصُله، ويَفُكّ أعناقاً من الرِّقّ[2]

•

وقال الحسن بن هانىء:

يَرجو ويَخشى حالَتَيك الوَرى، كأنّكَ الجنّةُ والنّارُ

•

ومن قولنا في هذا المعنى:

مَن يَرتجي غيرَك، أو يَتّقي؟
وفي يَدَيْك الجودُ والباسُ

---

١ خفر الذمة: نقضها.

٢ المنصل: السيف.

ما عِشتَ عاشَ الناسُ في نِعمةٍ؛
وإن تَمُتْ ماتَ بكَ النّاس

•

وقال آخر :

وليس فتى الفتْيانِ مَن راحَ واغتَدى
لشُرْبِ صَبوحٍ، أو لِشُرْبِ غَبوقِ

ولكنْ فتى الفِتيانِ مَن راح واغتَدى
لِضَرِّ عدوٍّ ، أو لِنَفْعِ صَديقِ

•

في طلب الرغائب

واحتمال المغارم

في كتاب للهند: مَن لم يَرْكَبِ الأهوالَ لم يَنَلِ الرَّغائبَ؛ ومَن ترك الأمرَ الذي لعلَّه أن يَنال منه حاجتَه مخافة ما لعلَّه يُوقَّاه فليسَ ببالغٍ جَسيماً، وإنَّ الرَّجل ذا المُروءة ليكون خاملَ الذِّكرِ خافض المَنزلة، فتأبى مُروءتُه إلا أن يَستَعلي ويَرتَفع، كالشُّعلة من النار التي يَصونها صاحبُها وتأبى إلا ارتفاعاً؛ وذو الفَضْل لا يَخْفى فضْله وإن أخفاه، كالمِسْك الذي يُختَم عليه ثم لا يَمْنع ذاك رِيحَه من التَّذكّي والظُّهور.

ومن قَولنا في هذا المعنى:

خُتِمت فأرةُ مِسْكٍ، فأبتْ إلاّ التَّذكّي[1]
ليس يَخْفى فَضْلُ ذي الفَضْلِ، بزُورٍ وبإفْكِ
والذي بَزّ، في الفَضْلِ، غنيٌّ عن مُزَكّي
رُبَّما غُمَّ هِلالُ الفِطْرِ، في لَيْلة شَكِّ

---

[1] فأرة المسك: وعاؤه. التذكي، من تذكى: سطعت رائحته.

ثم تجلّى وجهه النّو ر، فجلّى كلّ حلك[1]
إنّ ظهرَ اليمّ، لا تر كبه من غير فلك[2]
ونظامَ الدرّ، لا تع قده من غير سلك
ليس يصفو الذهبَ الابْ ريز، إلا بعدَ سبْك
هذه جملة أمثا ل، فمن شاء فيحكي
أبطلت كلّ يمانيّ وشاميّ ومكّي
ليس ذا من صوغ عين يّ، ولا من نسج عكّي[3]

•

وقالوا: لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين: إما في الغاية من طلب الدنيا؛ وإمّا في الغاية من تركها. ولا ينبغي له أن يُرى إلا في مكانين: إمّا مع الملوك مكرّماً؛ وإمّا مع العبّاد متبتّلاً. ولا يعدّ الغُرْم غُرْماً إذا ما ساق غُنماً؛ ولا الغُنْم غُنماً إذا ما ساق غُرْماً.

ونظر معاوية الى عسكر عليّ، رضي الله عنه، يوم صفّين،

---

١ الحلك: شدة السواد.

٢ الفلك: السفينة.

٣ اراد بالعيني الشاعر ابا اسحاق العنزي، منسوباً الى عين تمر، وبالعكي شاعراً يلقب بهذا اللقب، منسوباً الى عك، بلد في اليمن.

فقال : مَن طلب عظيماً خاطَر بعَظيمته ؛ وأشار الى رأسه .

•

وقال حبيبٌ الطائيّ :

أعاذِلَتي ! ما أخشنَ اللّيلَ مَركباً ؛
وأخشن منه في المُلِمّات راكِبُهْ

ذَريني وأهوالَ الزّمان أقاسِها ؛
فأهوالُه العُظْمى، تليها رغائبُه

•

وقال كَعْبُ بنُ زُهير :

ولَيْسَ لمن لم يَرْكبِ الهَوْلَ بُغْيَةٌ ؛
وليس لِرَحْلٍ حطّه اللهُ حامِلُ

إذا أنْتَ لم تُعْرِضْ عن الجهل والخَنى،
أصبتَ حليماً ، أو أصابَكَ جاهل

•

وقال الشَّمَّاخ :

فَتًى ليس بالرّاضي بأدْنَى مَعيشة ،
ولا في بُيوت الحَيّ بالمُتَولّج ِ[1]

---

١ المتولج : الداخل .

فتىً يملأُ الشِّيزَى ، ويُرْوِي سِنانَه،
ويَضْرِبُ في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّج[1]

•

وقال امرؤ القيْس :

فلَو أنَّني أسعَى لأدْنى مَعيشةٍ،
كَفاني، ولم أطْلُبْ، قليلٌ منَ المالِ

ولكنَّما أسعَى لمَجْدٍ مُؤثَّلٍ؛
وقد يُدْرِكُ المجدَ المُؤثَّلَ أمثالي

•

وقال آخر :

لولا شَماتةُ أعداءٍ ذوي حَسَدٍ،
أو أنْ أنالَ بِنَفْعي مَن يُرَجِّيني

لما خَطبتُ من الدُّنْيا مَطالبَها؛
ولا بذلتُ لها عِرْضي ولا دِيني

لكنْ مُنافسةُ الأكْفاء تَحْمِلني
على أُمورٍ ، أراها سوف تُرْدِيني

---

١ الشيزى : جفان تسوى من خشب الجوز أو الابنوس . الكمي : الشجاع المتكمي في سلاحه اي المتستر .

وكيفَ، لا كيفَ، أنْ أرضى بمنزلة،
لا دِينَ عندي ولا دُنيا تُواتيني

•

وقال الحُطيئة في هجائه الزِّبْرِقان بن بَدر :

دَعِ المكارمَ لا تَرْحلْ لبُغْيتها،
واقعُدْ، فإنّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسي

فاستعدى عليه عمرَ بنَ الخطاب وأسمعه الشّعرَ ؛ فقال : ما أرى بما قال بأساً .

قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما هُجيت ببيت قطُّ أشدَّ عليَّ منه .

فأرسل الى حسّان فسأله : هل هجاه ؟

فقال : ما هجاه ، ولكنه سَلَح عليه .

وقد أخذ هذا المعنى من الحُطيئة بعضُ المُحدَثين فقال :

إنّي وجدتُ مِن المَكارم، حَسْبُكم
أنْ تَلْبسوا خزَّ الثّياب، وتَشْبَعُوا

فإذا تُذوكِرَتِ المكارمُ مَرّةً،
في مَجلسٍ أنتم به، فتَقَنّعوا

•

وقالوا : مَن لم يَرْكَبِ الأهوال لم يَنلِ الرّغائبَ ، ومن طلب العظائمَ خاطرَ بعَظيمته .

وقال يزيدُ بن عبد الملك لما أُتي برأس يزيدَ بن المُهلّب فنال منه بعضُ جلسائه، فقال : إنّ يزيدَ رَكِبَ عظيماً ، وطَلَبَ جَسيماً ، ومات كريماً .

وقال بعض الشعراء :

لا تَقْنَعَنَّ ومَطْلَبٌ لك مُمْكِنٌ ،
فإذا تضايقت المطالبُ فاقْنَعِ

•

ومما جُبِل عليه الحُر الكريم، أن لا يَقنع من شَرف الدنيا والآخرة بشيءٍ مما انبسط له، أملاً فيما هو أسنى منه درجةً وأرفع منزلةً ؛ ولذلك قال عمرُ بن عبد العزيز لدُكَين الراجز : إنّ لي نَفْساً تَوّاقة ، فإذا بلغك أنّي صِرْتُ إلى أشرف مِن منزلتي هذه ، فَبعَيْنٍ ما أرَيْتُك .

قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان بن عبد الملك ، فلما صارت اليه الخلافةُ قَدِمَ عليه دُكَين ، فقال له : أنا كما أعلمتُك أنّ لي نَفْساً تَوّاقة ، وأنّ نفسي تاقت إلى أشرف منازل الدُّنيا، فلما بلغتها وجدتُها تَتوق إلى أشرف منازل الآخرة .

ومن الشاهد لهذا المعنى ، أنّ موسى ، صلوات الله عليه ،

لما كلّمه الله ، عزّ وجلّ ، تكليماً ، سأله النظرَ اليه ، إذ كان ذلك لو وصل اليه أشرفَ من المنزلة التي نالها، فانبسط أملُه إلى ما لا سبيلَ اليه، ليُستدلّ بذلك على أنّ الحرّ الكريم لا يَقنع بمنزلةٍ إذا رأى ما هو أشرفُ منها .

ومن قولنا في هذا المعنى :

والحرُّ لا يَكتفي من نَيْلِ مَكْرُمةٍ ،
حتى يَرومَ التي من دونِها العَطَبُ

يَسْعى به أملٌ ، مِن دونه أجلٌ ،
إنْ كفّه رَهَبٌ يَسْتَدْعِهِ رَغَب

لذاكَ ما سالَ مُوسى ربّه أرِني ،
أنظرْ إليكَ ، وفي تَسْآله عَجَب

يَبْغي التزيُّدَ فيما نال من كرم ،
وَهْوَ النّجيُّ لديه الوَحْيُ والكُتُب

•

وقال تأبّط شرّاً في ابن عمّ له يَصفه برُكوب الأهوال وبَذْل الأمْوال :

وإنّي لَمُهْدٍ مِن ثَنائي ، فقاصدٌ
به لابن عمّ الصّدْقِ ، شَمْسِ بنِ مالكِ

أَهُزُّ به في نَدْوةِ الحيّ عِطْفَهُ،
كما هزّ عِطْفي بالهِجان الأوارِكُ[1]

قليلُ التَّشكّي للمُهِمّ، يُصيبُهُ؛
كثيرُ النَّوى شتّى الهوى والمسالكِ

يَظَلّ بمَوْماةٍ، ويُمسي بغيرها،
وحيداً ويَعْروري ظُهورَ المهالكِ[2]

ويَسبِقُ وَفْدَ الرّيح من حيثُ يَنتحي،
بمُنْخَرِقٍ من شَدّه المُتَدارِكِ[3]

إذا خاطَ عَيْنَيْهِ كَرى النّوم، لم يزل
له كالِئٌ من قلبِ شَيْحانَ فاتِكِ[4]

ويَجعلُ عَيْنَيْهِ رَبيئةَ قلبِه،
إلى سَلّةٍ من جَفْنِ أخلَقَ باتِكِ[5]

---

١ الهجان من الابل : البيض الكرام . الاوارك : التي اعتادت أكل الاراك.
٢ الموماة : المفازة . يعروري : يركب .
٣ وفد الريح : أولها . المنخرق : السريع . الشد : العدو. المتدارك: المتلاحق.
٤ الشيحان : الحازم .
٥ الربيئة: الرقيب. السلة : المرة من سل السيف، اذا جرده. الاخلق: الاملس.
الباتك : القاطع.

إذا هزّه في عَظمِ قِرْنٍ ، تهلّلت
نواجذُ أفواه المنايا الضّواحك[1]

•

وقال غيرُه من الشعراء :

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدّ جدُّه،
أضاعَ وقاسى أمرَه وهو مُدْبِرُ

ولكنْ أخو الحزْمِ، الذي ليس نازلاً
به الخطبُ ، إلا وهو للقصْدِ مُبْصِرِ

فذاكَ قَريعُ الدّهرِ، ما عاش حُوّلٌ،
إذا سُدّ منه مِنْخَرٌ جاش مِنْخر[2]

•

١ التهلل: الضحك .

٢ قريع الدهر : المجرب للامور . الحول : البصير بتحويل الامور .

في الحركة والسكون

قال وهب بن مُنبّه : مكتوب في التوراة : ابنَ آدم ، خلقتك من الحركة للحركة ، فتحرّك وأنا معك .

وفي بعض الكتب : ابنَ آدم ، امدُد يدَك إلى بابٍ من العمل أفتح لك باباً من الرّزق .

وشاور عُتبةُ بن رَبيعة أخاه شَيْبةَ بن ربيعة في النُّجْعة ، وقال : إني قد أجدبتُ ، ومن أجدب انتجع . فذهبت مثلاً. قال له شَيْبة: ليس من العزّ أنْ تتعرّض للذُّل . فذهبت مثلاً. فقال عُتبة: لن يَفرِسَ الليثُ الطّلى[1] وهو رابض. فذهبت مثلاً .

أخذه حبيب فقال :

أراد بأن يَحْوي الغِنى، وهو وادِعٌ،
ولن يَفرِس الليثُ الطّلى وهو رابِضُ

•

وقيل لأعشى بكر : إلى كم هذه النُّجعة والاغتراب ؟ أما

---

١ الطلى : الاعناق . يفرسها : يدقها .

ترضى بالخَفْض والدَّعة ؟

فقال : لو دامت الشمسُ عليكم لَمَلِلْتموها .

أخذه حبيبٌ فقال :

وطُول مُقام المَرْءِ، في الحيّ، مُخلقٌ
لديباجتَيه ، فاغتَرِبْ تتجدَّدِ

فإني رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبَّةً
إلى النّاس، إذ ليستْ عليهم بِسَرْمد

•

قال أبو سَعيد أحمدُ بن عبد الله المكّي : سمعتُ الشافعيَّ يقول : قلت بيتين من الشّعر، وأنشدنا :

إنّي أرى نَفسي تَتُوق إلى مِصْرِ،
ومِن دونها خَوض المَهامِهِ والقَفْرِ

فوالله ما أدْرِي ألِلْخَفْضِ والغِنى
أُقادُ إليها ، أم أُقادُ إلى قَبْري

فدخل مصر فمات .

وقال موسى بن عِمْران، عليه السلام : لا تذُمّوا السفرَ، فإني أدركتُ فيه ما لم يُدرِكْ أحدٌ. يريد أنّ الله، عزَّ وجلَّ، كلّمه فيه تكليماً .

•

وقال المأمون : لا شيء ألذّ من سفر في كفاية، لأنّك في كلّ يوم تحلّ محلّة لم تحلّها ، وتعاشر قوماً لم تعاشرهم .

وقال الشاعر :

لا يمنعنّك خفضُ العيش ، في دعة ،
من أن تبدّل أوطاناً بأوطانِ

تلقى بكلّ بلادٍ ، إن حللتَ بها،
أهلاً بأهلٍ وإخواناً بإخوان

مع أن المُقام بالمَقام الواحد يورث الملالة .

•

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم : زُرْ غِبّاً تزدَدْ حبّاً.

وقالت الحكماء: لا تُنال الرّاحةُ إلا بالتّعب، ولا تُدْرك الدّعة إلا بالنّصَب .

وقال حبيب :

بَصُرتَ بالرّاحة الكبرى ، فلم ترَها
تُنال إلاّ على جِسرٍ من التّعَبِ

وقال أيضاً :

على أنّني لم أحْوِ وَفراً مُجمّعاً،
فَرَرْتُ به ، إلا بشَمْلٍ مُبدَّدِ[1]

---

١ الوفر : المال الكثير .

ولم تُعْطِنِي الأيَّامُ نَوْماً مُسكّناً
ألذُّ بـه ، إلا بنَـوْمٍ مُشرَّدِ

وقال أيضاً :

ورَكْبٍ ، كأطرافِ الأسنَّةِ ، عرَّسوا
على مِثلِها ، والليلُ تَسْطُو غَياهِبُهْ[1]

لأمرٍ عليهم أن تَتِمَّ صُدُورُهُ ،
وليس عليهم أن تَتِمَّ عواقبُهْ

•

وبعدُ فهل يجوز في وَهْمٍ ، أو يتمثّل في عقل ، أو يَصح في قياس ، أن يُحصد زَرْعٌ بغير بَذْرٍ ، أو يُجْنَى ثمرة بغير غَرْسٍ ، أو يُورَى زَنْدٌ بغير قَدْحٍ ، أو يُثْمِر مال بغير طَلَبٍ؟ ولهذا قال الخليلُ بنُ أحمد: لا تَصِل إلى ما تَحتاجُ اليه إلاّ بالوُقوف على ما لا تحتاجُ اليه .

فقال له أبو شَمِر المتكلّم : فقد احتجتَ إذاً إلى ما لا تحتاج اليه ، إذ كنتَ لا تَصل إلى ما تحتاج اليه إلا به .

قال له الخليلُ : وَيْحك! وهل يَقْطع السَّيفُ الحُسامُ إلا

---

١ عرسوا : نزلوا ليلا . الغياهب ، واحدها غيهب : الظلام .

بالضَّرْب، أو يجْري الجَوادُ إلا بالرَّكْض، أو هل تُنال نهايةٌ أو تُدْرَك غاية إلا بالسَّعي اليها، والايضاع نحوَها؟ وقد يكون الإكْداء مع الكدّ، والخيْبة مع الهيْبة.

•

وقال الشاعر:

وما زِلْتُ أقطع عَرْضَ البِلادِ،
مِن المَشرقَينِ إلى المَغربَينِ

وأدَّرِع الخَوْفَ تحت الدُّجى؛
وأستَصْحِب الجَدْيَ والفَرْقَدَين[1]

وأطْوي وأنشرُ ثوْبَ الهُموم،
إلى أنْ رَجعتُ بخُفَّيْ حُنَيْن[2]

إلى كَمْ أكونُ، على حالةٍ،
مُقِلاً من المال صِفْرَ اليدَيْن

---

١ ادرع: البس درعاً. الجدي: نجم الى جنب القطب تعرف به القبلة ويقال له جدي الفرقد. الفرقدان: احدهما نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر اخفى منه، فهما فرقدان.

٢ رجع بخفي حنين: مثل يضرب في الرجوع بالخيبة.

فَقِيرَ الصَّدِيقِ ، غَنِيَّ العَدُوِّ ،
قليلَ الجَداء عَن الوالدِين؟[1]

•

ومثلُ هذا قليلٌ في كثير ، وإنما يُحكَم بالأعمّ والأغلب ، والنُّجحُ مع الطَّلب والحِرْمان لِلعجْز أَصْحب .

وقد شرح حبيبٌ هذا المعنى ، فقال :

هِمَمُ الفَتى، في الأرض، أغْصانُ الغِنى،
غُرِسَت ، وليسَتْ كلَّ حِينٍ تُورِقُ

•

وقال اسماعيلُ بن إبراهيم الحَمْدونيّ في المطالب :

لكِ ألحاظٌ مِراضٌ ودَلُّ ، غيرَ أنّ الطَّرْفَ عنها أكَلُّ
وأرى خَدَّيْكِ وَرْداً نَضِيراً ، جادَه من دَمْعِ عَيْنَيّ طَلُّ
عَذْبَةُ الألفاظ لو لم يَشِنْها كَرُّ تَفْنِيدٍ بِسَمْعي يُضِلُّ[2]
إنّ عَزْمى ، التي أنِفَت بي عَنْ سواها ، كَثْرُها لي قُلّ
ظَلْتُ في أفياء ظِلّكِ ، حتى ظَلّ فوقي للمَتالِف ظِلّ

---

١ الجداء : الغنى .

٢ يشنها : يعيبها . التفنيد : التخطئة ، والتضعيف .

إنَّ أَوْلى منكَ بي لَمَرامٌ ، لا يحُلُّ الهَوانُ حيثُ يحُلُّ
ما مُقامي ، وحُسامي قاطعٌ ، وسِناني صارمٌ ما يُفَلُّ[١]
وسَنائي مِثلُ رَوْضةِ حَزْنٍ ، أضحَكَتْها دِيمَةٌ تَستَهِلُّ[٢]
ودَليلي بين فكّيَّ ، يَعلو كلَّ صَعْبٍ رَيِّضٍ ، فَيذِلُّ[٣]
ثَمِلاً من خَمْرةِ العَجْزِ، أسقى نَهَلاً ، مِن بعده ليَ عَلُّ
إنْ يَكُنْ قُرْبكَ عندي جليلاً، فأقلُّ الحَزْمِ منه أجَلُّ
أقعيداً للقعيدة إلْفاً ، كلُّ إلفٍ بي لعُدْمي مُخِلُّ[٤]
ويْكَ ليس اللّيثُ لليث يُضحي مُخرِجاً،من غِيله،وهو كَلُّ[٥]
فاترُكي عَتْباً ولَوْماً،ودَعي، وعلى الاقتار عَتْبُكِ كُلُّ
هو سَيفٌ غِمْدُه بُرْدَتاه، يَنتَضيه الحَزْمُ حين يُسَلُّ

---

١ يفل : يثلم .

٢ الحزن : موضع لبني يربوع ، من أجل مرابع العرب . الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق . استهل المطر : اشتد انصبابه .

٣ دليلي : اراد لساني . الريض : ضد الذلول .

٤ القعيدة : المرأة . أخل به : لم يف له .

٥ يريد : ان الشجاع اذا كان غير متأهب لا يمكنه ان يقوى على شجاع مثله . الكل : الضعيف .

لا يَشُكُّ السِّمْعُ، حين يراه، أنّه بالبيد سِمْعٌ أزَلُّ[1]

بين ثَوْبَيْهِ أخو عزَمات، يَتّقيها الحادثُ المُصْمَئِلُّ[2]

ليس تَنْبُو بي رحالٌ وبيدٌ، إنْ نبا بي مَنزِلٌ ومَحَلُّ[3]

فأقِلّي بعضَ عذلِ مُقِلٍّ، لا يرى صرْفَ الزّمان يَقِلُّ

إنّ وخْدَ العِيس أثمارُ رِزْق، يجتنيها المُسْهِبُ المُشْمَعِلُّ[4]

لا تَفُلّي حدّ عزْمي بلَوْم؛ إنّني للعَزْم والدّهرِ خِلُّ

فالفتى مَن ليس يرْعى حِماه، طَمَعاً، يوماً له، مُسْتَذِلُّ

مَن إذا خَطْبٌ أطلّ عليه، فله صَبْرٌ عليه مُطِلُّ

يَصْحَبُ الليلَ الوليدَ إلى أنْ يَهْرَمَ الليلُ، وما إنْ يَمَلُّ

ويرى السَّيرَ قد يُلَجْلِجُ منه مُضغةً، لكنّها لا تَصِلُّ[5]

---

١ السمع: ولد الذئب من الضبع. الازل: الخفيف الوركين.

٢ المصمئل: الشديد.

٣ تنبو، من نبا به المكان: لم يجد به قراراً.

٤ الوخد: ضرب من سير الابل، وهو سعة الخطو في المشي. المسهب: الفرس السريع الجري. المشمعل: السريع من الابل والناس.

٥ يلجلج: يردد في فمه اللقمة للمضغ. شبه جسمه بالمضغة، وفعل السير فيه باللجلجة. تصل: تنتن.

شُمِّرت أثوابُه تحتَ لَيلٍ ، ثَوبُه ضافٍ عليه رِفَلٌ[1]
سأضيعُ النومَ ، كما تَرَينَني ، ومُضيعي مُعظَمٌ لي مُحِلٌ
فابتناءُ العزِّ هدمُ المَهاري ، وانحلالُ العُدمِ سَيرٌ وحِلٌ[2]

•

1 رفل : واسع .
2 العدم : الفقر .

التماس الرزق

وما يعود على الأهل والولد

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : العائد على أهله ووَلده كالمُجاهد المُرابط في سَبيل الله .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وابدأ بنَفْسك ثم بمَنْ تَعول .

وقال عمرُ بن الخطّاب: لا يَقعُدْ أحدُكم عن طلب الرِّزق ويقول : اللهم ارْزُقني، وقد عَلِم أنّ السّماء لا تُمطِر ذهباً ولا فِضّة؛ وإنّ الله تعالى إنما يَرْزق الناسَ بعضَهم من بعض.

وتلا قولَ الله، جلّ وعلا: « فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانتشِروا في الأرْض وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ واذْكروا اللهَ كثيراً لَعلّكم تُفلِحُون . »

وقال محمدُ بن إدريس الشافعي : احْرِصْ على ما يَنفعك ودَعْ كلامَ الناس؛ فإنّه لا سَبيل الى السّلامة من ألسنة العامّة.

ومثلُه قولُ مالك بن دِينار : مَن عرف نَفْسَه لم يَضِرْه ما قال الناسُ فيه .

وقال طاهر بن عبد العزيز: أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز، قال: أنشدنا أبو عبيد القاسم بن سَلاّم:

لا يَنقص الكاملَ، مِنْ كمالِه، ما ساقَ مِن خَيْرٍ إلى عِيالِه

•

وقال عمرُ بن الخطّاب، رضي الله عنه: يا معشر القُرّاء، التمسوا الرِّزْق، ولا تكونوا عالةً على الناس.

وقال أكثمُ بن صَيفيّ: مَن ضَيَّع زاده اتّكل على زادِ غيره.

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: خَيرُكم مَن لم يَدَع آخرتَه لدُنياه ولا دُنياه لآخرته.

وقال عمرو بن العاص: اعملْ لدُنياكَ عَملَ من يَعيش أبداً، واعمل لآخرتك عملَ من يموت غداً.

•

وذُكر رجلٌ عند النبيّ، صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في العِبادة والقُوّة على العمل، وقالوا: صَحِبْناه في سَفر فما رأينا بعدكَ يا رسول الله أعْبَدَ منه، كان لا يَنْفتل من صلاة، ولا يفْطِر من صيام.

قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: فمن كان يَمُونه ويقُوم به؟

قالوا : كلُّنا .

قال : كلُّكم أعبدُ منه .

ومرّ المسيحُ برجل من بني إسرائيل يتعبّد، فقال: ما تصنع؟

قال : أتعبّد .

قال : ومَن يقوم بك ؟

قال : أخي .

قال : أخوك أعبدُ منك .

•

وقد جعل الله طَلَبَ الرِّزق مَفروضاً على الخَلْقِ كلّه ، من الإنس والجنّ والطير والهوام، منهم بتَعْليم، ومنهم بإلهام. وأهلُ التّحصيل والنّظر من الناس يَطْلبونه بأحسن وجوه من التصرّف والتّحرز، وأهلُ العَجْز والكَسل يَطْلبونه بأقبح وجوه من السُّؤال والاتكال والخِلابة[1] والاحتيال .

•

---

١ الخلابة : الخداع .

في فضل المال

قال الله تعالى : « المالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا والباقياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وخَيْرٌ أملاً .»

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، للمُجاشعيّ : إن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك خُلُق فلك مُروءة ، وإن كان لك دِين فلك كَرَم .

وقال عمرُ بن الخطّاب : حَسَب الرجل ماله ، وكَرَمه دِينه ، ومروءته خُلُقه .

•

وفي كتاب الأدب للجاحظ : اعلم أنّ تَثْمير المال آلةٌ للمكارم ، وعَوْنٌ على الدّين ، وتأليفٌ للإخوان ؛ وأنّ مَن فَقَد المالَ قلّت الرّغبةُ اليه والرّهبة منه ، ومَن لم يكن بمَوْضع رَغْبة ولا رَهْبة استهان الناسُ به ؛ فاجْهَد جَهْدك كلّه في أنْ تكون القلوبُ مُعلّقة منك برَغْبة أو رَهْبة في دِين أو دُنيا .

وقال حكيم لابنه : يا بُنيّ ، عليك بطلَب المال ، فلو لم

يكن فيه إلاّ أنّه عِزٌّ في قَلبك وذُلٌّ في قلب عدوّك لكفى .

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : الدُّنيا العافية ، والشّباب الصّحّة ، والمروءة الصبر ، والكرم التّقوى ، والحسَب المال .

وكان سعدُ بن عُبادة يقول : اللهم ارزقني جِدّاً ومجداً . فإنه لا مَجد إلا بفَعال ولا فَعال إلا بمال .

وقالت الحكماء : لا خيرَ فيمن لا يَجمع المالَ يَصون به عِرْضه ، ويحْمي به مُروءته ، ويَصِل به رَحِمه .

وقال عبد الرحمن بن عَوْف : يا حبّذا المالُ أصونُ به عِرْضي ، وأتقرّبُ به الى ربي .

وقال سُفيان الثّوريّ : المالُ سِلاحُ المؤمن في هذا الزمان .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ العَونُ على طاعة الله الغِنى ، ونِعْمَ السُّلّم إلى طاعة الله الغنى . وتلا : « ولو أنّهم أقاموا التّوْراةَ والإنْجيلَ وما أُنزِلَ اليهم مِن ربّهم لأكَلُوا مِن فوْقِهم ومِن تَحْتِ أرْجُلِهم . » وقوله : « واستَغفِرُوا رَبّكم إنه كانَ غفّاراً . يُرْسل السّماءَ عليكم مِدْراراً . ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبَنين .. »

•

وقال خالدُ بن صَفْوان لابنه : يا بُنيَّ ، اوصيك باثنتين ، لن تزال بخَير ما تمسّكت بهما : دِرْهمك لمعاشك، ودِينك لمعادك.

وقال عُروة بن الوَرْد :

دعِيني للغِنى أسعى ، فانّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ
وأحقرُهم وأهونُهم عليهم ، ... وإنْ أمسى له حَسَبٌ وخِيرُ[1]
يُباعده القريبُ ، وتزدريه ... حليلتُه ، ويَنْهره الصّغيرُ
وتُلْفي ذا الغنى، وله جَلالٌ، ... يكاد فؤادُ صاحبه يَطيرُ
قَليلٌ ذنبُه ،والذّنبُ جمٌّ ؛ ... ولكنْ لِلْغَني رَبٌّ غَفور

•

وقال آخر :

سأكسِبُ مالاً ، أو أموتَ ببلدة ،
يَقِلُّ بها قَطْرُ الدُّموع على قَبْري

•

وقال آخر :

سأعْمِل نَصَّ العيس ، حتى يَكُفّني
غِنى المالِ يوماً ، أو غِنى الحدَثانِ[2]

---

١ الخير : الشرف ، الكرم ، الاصل .
٢ نص العيس : أقصى ما عندها من سير .

فلَلْموتُ خيرٌ من حياة يُرى بها
على المرْء ، بالإقلال ، وسْمُ هَوان

إذا قال لم يُسْمَع لِحُسْن مَقاله؛
وإن لم يَقُل قالوا عَدِيمُ بَيان

كأنّ الغِنى عن أهْله ، بُورِكَ الغِنى ،
بغَيْرِ لِسانٍ ، ناطِقٌ بلسان

•

الرّياشيّ قال : أنشدنا أبو بكر بن عَيّاش :

حَيْران ، يَعلم أنّ المالَ ساقَ له
ما لم يَسُقْهُ له دِينٌ ، ولا خُلقُ

لولا ثلاثون ألفاً ، سُقْتُها بِدَراً
إلى ثلاثين ألفاً ، ضاقت الطُّرق

فمن يَكُن عن كرام الناس يَسْألني،
فأكْرم الناس مَن كانت له وَرِق[1]

•

---

[1] الورق : الدرام المضروبة .

وقال آخر :

أجَلَّكَ قومٌ حينَ صِرْتَ الى الغِنى ،
وكلُّ غَنيٍّ ، في العُيون ، جَليلُ

ولو كنتَ ذا عقل ، ولم تُؤْتَ ثروةً ،
ذَلَلْتَ لديهم ؛ والفقيرُ ذليلُ

•

وقال محمودٌ الورّاق :

أرى كلَّ ذي مالٍ يُبَرُّ لماله ،
وإنْ كان لا أصلٌ ، هناك ، ولا فضْلُ

فَشَرِّفْ ذَوي الأموال ، حيثُ لَقيتَهم ،
فقَوْلُهُمْ قَوْلٌ ، وفِعْلُهمُ فِعْلُ

•

وأنشد أبو مُحَلِّم لرجل من وَلد طَلَبَةَ بن قَيس بن عاصم :

وكنتُ ، إذا خاصمتُ خَصْماً كَبَبْتُهُ
على الوَجْه ، حتى خاصَمَتْني الدَّراهمُ

فلمّا تنازعنا الخُصومةَ غُلِبْتُ
عليَّ ، وقالوا : قُمْ ، فإنّكَ ظالمُ

•

وأنشد الرِّياشيّ :

لم يَبْقَ ، مِن طلب الغِنى ، إلاّ التّعرُّضُ للحُتُوفِ
فلأقْذِفَنّ بمُهْجَتي بين الأسِنّة ، والسُّيوفِ
ولأطْلُبَنّ ، ولو رَأيتُ الموتَ يلمعُ في الصُّفوفِ

•

وكان لأحَيْحَة بن الجُلاح بالزّوراء[1] ثلثمائة ناضح[2] ، فدخل بُستاناً له ، فمرّ بتَمْرة فلقطها فعوتب في ذلك ، فقال : تمْرة إلى تمرة تمرات ، وجَمَل إلى جَمل ذَوْد[3] . ثم أنشأ يقول :

إني مُقيم على الزّوْراء ، أعمُرُها،
إنّ الحبيب، إلى الإخوان، ذو المالِ

فلا يَغرّنْكَ ذو قُرْبى وذو نَسَب،
من ابن عمٍّ ، ومن عمٍّ ، ومن خال

كلّ النّداء، إذا ناديتُ، يَخْذُلني،
إلا نِدائي ، إذا ناديتُ ، يا مالي

•

---

١ الزوراء : أرض لاحيحة هذا ، سمبت ببئر كانت فيها .
٢ الناضح : البعير أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .
٣ الذود : الابل .

ومن قولنا في هذا المعنى :

دَعْني أصُنْ حُرَّ وَجْهي عن إذالته،
وإن تَغرَّبتُ عن أهلي وعن وَلدي

قالوا: نأيتَ عن الإخوان، قلتُ لهم:
ما لي أخٌ غيرُ ما تُطْوَى عليه يَدِي

•

كان الرُّماحِس بن حَفْصة بن قَيْس وابنُ عمٍّ له يُدعى رَبيعة بن الوَرْد يَسكُنان الأرْدُنّ ، وكان ربيعة بن الوَرْد مُوسِراً ، والرُّماحِسُ مُعْسِراً كثيراً ما يَشكو اليه الحاجة ويَعْطف عليه ربيعةُ بعضَ العَطْف ، فلما أكثَر عليه كتب إليه :

إذا المَرْءُ لم يَطْلُب مَعاشاً لنفسه،
شكا الفقرَ ،أو لامَ الصَّدِيقَ ،فأكْثَرا

وصار على الأدْنَيْن كَلاًّ ،وأوْشَكت
صِلاتُ ذَوي القُرْبى له أن تَنَكَّرا

فَسِرْ في بِلاد الله ، والتمس الغِنى
تَعِشْ ذا يَسارٍ ، أو تموتَ فتُعْذَرا

فما طالبُ الحاجات، مِنْ حيثُ تُبتغى
من المال ، إلاَّ مَنْ أجدَّ وشمَّرا

ولا تَرضَ مِنْ عَيْشٍ بدُونٍ ،ولا تَنَم؛
وكيفَ يَنام الليلَ من كان مُعسِرا؟

•

وقال بعضُ الحُكماء : المالُ يُوَقِّرُ الدَّنيّ، والفقرُ يُذِلُّ السَّنيّ . وأنشد :

أرى ذا الغِنى في النّاس يَسْعَون حوله،
فإنْ قال قولاً تابَعُوه ، وصدَّقُوا

فذلك دأبُ النّاسِ ما كان ذا غِنىً ،
فإنْ زال عنه المالُ يوماً تَفرَّقُوا

•

وأنشد :

ما النّاس إلا مع الدُّنيا وصاحِبِها،
فحيثُما انقلبتْ يوماً بـه انقلَبوا

يُعظِّمون أخا الدُّنيا ، فإن وَثبتْ،
يوماً عليه ، بما لا يَشتهي وَثَبوا

صنوف المال

قال معاوية لصَعْصعة بن صُوحان: إنما أنت هاتِف بلسانك لا تَنْظُر في أوَد الكلام ولا في استقامته ، فإن كنتَ تَنْظر في ذلك فأخْبِرني عن أفضل المال .

فقال : والله يا أمير المؤمنين إني لأدع الكلامَ حتى يَخْتَمِر في صَدْري ، فما أرْهِف به[1] ولا أتَلَهَّق[2] فيه ، حتى أُقِيم أوَده[3] ، وأحرِّر[4] مَتْنه . وإنّ أفضلَ المال لبُرَّة[5] سَمْراء في تُرْبة غَبْراء ، أو نَعْجَة صَفْراء في رَوضة خَضْراء ، أو عَين خَرّارة في أرض خَوّارة[6] .

قال معاوية : لله أنتَ ! فأين الذَّهب والفِضّة ؟

---

١ ارهف بالكلام : ركب البديهة .

٢ اتلهق : اكثر من الكلام .

٣ اوده : عوجه .

٤ احرر : اصلح .

٥ البرة ، واحدة البر : الحنطة .

٦ خوارة : لينة ، سهلة .

قال : حَجَران يَصْطَكّان ، إن أقبلتَ عليهما نفِدا ، وإن تركتَهما لم يَزِيدا .

وقيل لأعْرابيّة : ما تقولين في مائة من المَعز ؟

قالت : قُنَى[1] .

قيل لها : فمائة من الضأن ؟

قالت : غِنَى .

قيل لها : فمائة من الإبل ؟

قالت : مُنَى .

وقال عبدُ الله بن الحسن : غَلّةُ الدُّور مَسْألة ، وغَلّة النَّخل كَفاف[2] ، وغَلّة الحَبّ مِلْك .

وفي الحديث : أفضل أمْوالكم فَرَسٌ في بَطنها فرس يَتْبعها فرس ، وعَيْنٌ ساهرة لعَيْن نائمة[3] .

•

وأنشد فرج بن سلاّم لبعض العِراقيّين :

ولقد أقولُ لحاجبٍ ، نُصْحاً له:
خَلِّ العُروض وبِعْ لنا أرْضا

---

١ قنى ، واحدتها قنية : ما اكتسب .

٢ الكفاف : ما كفى عن الناس وأغنى .

٣ مر تفسير هذا الكلام .

إني رأيتُ الأرضَ يَبقى نَفعُها،
والمالَ يأكل بعضُــــه بعضا

واحذَرْ أناساً يُظهرون محبّـة،
وعيونُهم وقلوبُهــم مَرْضى

حتى إذا أمكنتَهم من فُرْصة،
تركوا الخِداع وأظهروا البُغضا

•

تدبير المال

قالوا : لا مالَ لأخرَق ولا عَيْلة على مُصلح ، وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمته .

وقال صاحبُ كليلة ودِمْنة : لِيُنْفق ذو المال ماله في ثلاثة مواضع : في الصّدقة إن أراد الآخرةَ ، وفي مُصانعة السُّلطان إن أراد الذّكْر ، وفي النّساء إن أراد نَعِيمَ العيش .

وقال : إنّ صاحب الدنيا يَطلب ثلاثة ولا يُدْركها إلاّ بأربعة ؛ فأما الثلاثة التي تُطلب : فالسّعة في المعيشة ، والمنزلة في النّاس ، والزادُ إلى الآخرة .

وأما الأربعة التي تُدرك بها هذه الثلاثة : فاكتساب المال من أحسن وجوهه ، وحُسْن القيام عليه ، ثم التّثمير له ، ثم إنفاقه فيما يُصلح المعيشةَ ويُرْضي الأهلَ والاخوان ويَعُود في الآخرة نَفْعه ؛ فإن أضاع شيئاً من هذه الأرْبعة لم يُدْرك شيئاً من هذه الثلاثة ؛ إن لم يَكْتسب لم يكنْ له مالٌ يَعيش به ، وإنْ كان ذا مال واكتساب ولم يُحسن القيامَ عليه يُوشك أن يَفنى ويَبْقى بلا مال ، وإن هو أنفقه ولم يُثمّره لم تمنعه قِلّةُ الانفاق من سُرْعة النّفاد ، كالكُحْل الذي إنما يُؤخذ منه على المِيل

مثلُ الغبار، ثم هو مع ذلك سريعٌ نفادُه؛ وإن هو اكتسب وأصلح وثمّر ولم يُنفق الأموالَ في أبوابها كان بمنزلة الفقير الذي لا مالَ له، ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يُفارقه ويذهب حيثُ لا منفعة فيه، كحابس الماء في الموضع الذي تنصبّ فيه المياه، إن لم يَخرج منه بقدْر ما يَدخل فيه مَصَل وسال من نواحيه، فيذهب الماء ضياعاً.

وهذا نظير قول الله تعالى: «والذينَ إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقتُروا وكان بَيْنَ ذلكَ قواماً.»

وقوله، عزّ وجلّ، لنبيّه، صلى الله عليه وسلم: «ولا تجعَلْ يدكَ مَغلولةً إلى عُنقِكَ ولا تبسُطْها كلَّ البَسْط فتقعُدَ مَلوماً محسوراً.»

•

ونظر عبد الله بن عبّاس الى دِرْهم بيد رَجُل، فقال له: إنه ليس لك حتى يَخرُج من يدك. يريد أنه لا ينتفعُ به حتى يُنفِقه ويَستفيدَ غيرَه مكانَه.

•

وقال الحُطيئة:

مُفيدٌ ومِتلافٌ، إذا ما سألتَه تَهلّلَ، واهتزّ اهتزازَ المُهنّدِ

•

وقال مُسلِم بن الوَليد :

لا يَعْرِف المالَ إلا رَيْثَ يُنفِقه،
أو يومَ يجمعه للنَّهب والبَدَدِ

•

وقال آخر : — مُهلِكٌ مالٍ ومُفيدُ مال .

•

وقال سُفيان الثَّوريّ: مَن كان في يَده شيءٌ فليُصْلِحْه، فإنّه في زمان إن احتاجَ فيه ، كان أولَ ما يَبْذُله دِينُه .

•

وقال المُتلَمِّس :

وحَبْسُ المالِ أيْسَرُ من بُغاهُ، وضَرْبٍ في البِلادِ بغَيْرِ زادِ
وإصْلاحُ القليلِ يَزيدُ فيه ، ولا يَبقى الكثيرُ مع الفَساد

•

سَعْد القَصير قال : وَلاّني عُتْبةُ أموالَه بالحِجاز ، فلما ودّعته ، قال لي: يا سَعْد ، تعاهدْ صَغيرَ مالي فيَكْثُرَ ولا تُضيِّع كثيرَه فيَصْغُر ، فإنه ليس يَشْغلني كثيرُ مالي عن إصلاحِ قَليله، ولا يَمْنعني قليلُ ما في يدي عن الصَّبر على كثير مما يَنُوبني .

قال: فقَدِمْت المدينةَ فحدَّثت بها رجالاتِ قُريش، ففرّقوا بها الكتب على الوكلاء .

الاقلال

قال أرِسْطاليس : الغِنى في الغُرْبة وطَن ، والمُقِلّ في أهله غريب . أخذه الشاعرُ فقال :

لَعَمْرُكَ ما الغريبُ بذي التّنائي،
ولكنّ المُقِــلّ هو الغريبُ
إذا ما المرءُ أعوزَ ضاقَ ذَرْعاً
بحاجته ، وأبعـدَه القريب

•

وقال ابراهيمُ الشّيبانيّ : رأيتُ في جدار من جُدُر بيت المقدس بيتين مكتوبين بالذّهب :

وكُلُّ مُقِلّ ، حين يَغدُو لحاجةٍ،
الى كُلّ مَن يَلقى من النّاس مُذْنِبُ
وكان بَنُو عَمّي يقولون مَرْحباً،
فلمّا رأوْني مُقْتِراً مات مَرْحب[1]

•

---

[1] مقتراً : فقيراً .

ومن قولنا في هذا المعنى :

أعاذِلَ قد آلـَمْتَ ، وبكِ ، فلُومي،
وما بَلَغ الإشراكُ ذَنْبَ عديمِ

لقد أسْقطتْ حقّي عليك صَبابتي،
كما أسْقط الإفْلاسُ حقّ غَريم

وأعْذَرُ ما أدْمى الجُفُونَ، من البُكا،
كريمٌ رأى الدُّنيا بكفّ لئيم

أرى كلّ قَدْمٍ قدتَبَحْبَح في الغِنى،
وذو الظّرف لا تَلْقاه غيرَ عَديم[1]

•

وقال الحسن بن هانىء :

الحمدُ لله ليس لي نَشَبٌ ، فَخَفّ ظَهْري ومَلّني وَلدي
مَن نَظَرتْ عَيْنُه إليّ، فقد أحاطَ عِلْماً بما حوَته يَدي

•

١ القدم : العي الاحمق . تبحبح في الغنى : توسع غناه . وقد كرر لفظة عديم بعد مرور ثلاثة ابيات، وهو عيب في القافية يسمى الايطاء . واجازوا التكرار بعد سبعة أبيات .

وكان أبو الشَّمَقْمَق الشاعر أديباً ظريفاً مُحارَفاً[1] صعلوكاً مُتبرّماً، قد لزم بيتَه في أطمار مَسْحوقة[2]، وكان إذا استَفتح عليه أحدٌ بابه خرج فنظر من فُرَج الباب، فإن أعجبه الواقف فتح له، وإلا سكتَ عنه. فأقبل اليه بعضُ إخوانه فدخل عليه، فلما رأى سُوء حاله، قال له: أبشِر أبا الشَّمَقْمَق، فإنّا رَوَينا في بَعض الحديث أنّ العارِين في الدُّنيا هم الكاسون يومَ القيامة.

قال: إن كان والله ما تقول حقّاً لأكونَنّ بزّازاً[3] يوم القيامة! ثم أنشأ يقول:

أنا في حالٍ، تَعالى اللهُ ... ربّي، أيّ حالِ
ولقد أهزلتُ، حتى ... مَحَت الشمسُ خَيالي
مَن رَأى شيئاً مُحالاً، ... فأنا عَينُ المُحال
ليس لي شيءٌ، إذا قيـ ... ـل: لِمَنْ ذا؟ قلتُ: ذا لي
ولقد أفلستُ، حتى ... حلّ أكْلي لعِيالي
لو أرى في النّاس حُرّاً، ... لَمْ أكنْ في ذا المِثال

---

١ محارفاً: محروماً
٢ اطمار مسحوقة: ثياب بالية.
٣ البزاز: بياع البز، الثياب من الكتان او القطن.

وقال أيضاً :

أتُراني أرَى ، من الدّهر ، يوماً،
لِيَ فيه مَطِيّةٌ غيرُ رِجْلي؟

كُلّما كُنتُ في جَميع ، فقالوا:
قَرّبوا للرّحيل ! قَرّبتُ نَعْلي

حيثُما كنتُ لا أُخَلّف رَحْلا،
مَن رآني ، فقد رآني ورَحْلي

وقال أيضاً :

لو قدرأيتَ سَريري كنتَ ترْحَمني؛
اللهُ يَعلم ما لي فيه تَلْبيس[1]

واللهِ يَعلم ما لي فيه شابكَةٌ ،
إلا الحَصِيرةُ والأطْمارُ والدّيس[2]

وقال أيضاً :

بَرَزتُ من المنازل والقِبابِ ،
فلم يَعْسُر على أحدٍ حِجابي

١ تلبيس : أي ليس عنده شيء يلبسه سريره .

٢ الشابكة : شيء مضموم بعضه الى بعض . الديس : لعلها لفظة عامية تطلق على شيء من خسيس ماعون المنزل .

فمنزلِيَ الفضاءُ، وسقفُ بيتي
سماءُ الله، أو قِطَعُ السّحاب

فأنتَ، إذا أردتَ، دخلتَ بيتي
عليّ، مُسلّماً من غيرِ باب

لأنّي لم أجِد مِصراعَ باب،
يكونُ من السّحاب الى التّراب

ولا انشقّ الثّرى عن عُود تخت،
أؤمّل أنْ أشُدَّ به ثِيابي[1]

ولا خِفتُ الاباقَ على عَبيدي؛
ولا خِفتُ الهلاكَ على دوابي

ولا حاسبتُ يوماً قَهْرماناً
مُحاسبةً، فأغلَط في حِسابي

وفي ذا راحةٌ وفَراغُ بال؛
فدَابُ الدّهرِ ذا أبداً ودابي

•

وفي كتاب للهند: ما التّبع والاخوان والأهلُ والأصدقاء

---

١ التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

والأعوان والحَشَم إلا مع المال، وما أرى المروءة يُظهرها إلا المال ، ولا الرّأيَ والقوّة إلا بالمال ، ووجدتُ مَن لا مالَ له إذا أراد أن يَتناول أمراً قعد به العُدْم فيبقى مُقصّراً عما أراد، كالماء الذي يَبقى في الأودية من مَطر الصَّيف فلا يجري الى بحر ولا نهر ، بل يَبْقى مكانه حتى تَنْشَفَه الأرضُ .

ووجدتُ مَن لا إخوانَ له لا أهلَ له ، ومَن لا وَلد له لا ذِكْر له ، ومَن لا عَقْل له لا دُنيا له ولا آخرةَ له ، ومَن لا مال له لا شيءَ له ؛ لأن الرجل إذا افتقر رَفَضَه إخوانه وقَطَعه ذوو رَحِمه، وربما اضطرته الحاجةُ لِنَفْسه وعياله إلى التماس الرِّزق بما يُغرِّر فيه بدينه ودُنياه ، فإذا هو قد خَسِر الدُّنيا والآخرة ، فلا شيءَ أشدُّ من الفقر .

والشَّجَرةُ النابتةُ على الطريق، المأكولةُ من كلّ جانب،أمثلُ حالاً من الفَقير المُحتاج الى ما في أيدي الناس ، والفَقْرُ داعٍ صاحِبَه إلى مَقْت الناس، ومُتْلِفٌ للعَقْل والمروءة، ومُذْهِب للعِلمِ والأدب ، ومَعْدِنٌ للتُّهمة ، ومَجْمَع للبَلايا .

ووجدتُ الرجلَ إذا افتقر أساء به الظنَّ مَن كان له مُؤتمناً، وليس مِن خَصْلة هي للغنيّ مَدْح وزَيْن إلا وهي للفَقِير ذَمّ وشَيْن ، فإن كان شُجاعاً قيل أهْوج ، وإن كان جَواداً قيل مُفسد ، وإن كان حَليماً قيل ضَعيف ، وإن كان وَقوراً قيل

بليد، وإن كان صَمُوتاً قبل عَيّ، وإن كان بليغاً قبل مِهْذار. فالموت أهونُ من الفقر الذي يَضْطَر صاحبَه الى المسألة، ولا سِيّما مسألةَ اللئام، وإنّ الكريم لو كُلِّف أن يُدخل يده في فم تِنّين ويُخرجَ منه سُمّاً فيَبْتلِعه، كان أخفّ عليه من مَسألة البَخيل اللئيم.

السؤال

قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: لأنْ يأخذ أحدُكم أحبُلَه فيَحتطب بها على ظَهره أهونُ عليه مِن أن يأتيَ رجلاً أعطاهُ الله من فَضْله فيسألَه ، أعْطاه أو منعه .

وقال : مَن فتح على نفسه باباً من السُّؤال فتح اللهُ عليه سبعين باباً من الفقر .

وقال أكثمُ بن صَيفيّ : كلُّ سؤالٍ وإن قلّ أكثرُ من كلِّ نوالٍ وإن جلّ .

ورأى عليُّ بن أبي طالب ، كرّمَ الله وجهَه، رجلاً يسأل بعرَفات ، فقنّعه بالسَّوط[1] ، وقال : وَيلك ! أفي مِثل هذا اليوم تَسأل أحداً غيرَ الله ؟

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : المساكينُ لا يَعودون مَريضاً ، ولا يَشهَدُون جِنازةً ، ولا يَحضُرون جُمعة ، وإذا اجتمع الناسُ في أعيادهم ومساجدهم يَسألون الله من فَضْله ، اجتمعوا

---

١ قنعه بالسوط : غشاه به .

يسألون النَّاسَ ما في أيديهم .

وقال النُّعمان بن المُنذر : مَن سأل فَوْقَ حقِّه استحقَّ الحِرْمان ، ومَن ألحَفَ في مَسألته استحقَّ المَطْلَ ، والرِّفق يُمْن ، والخُرْق شُؤْم ، وخَير السَّخاء ما وافَق الحاجة ، وخَير العَفْو مع المَقْدِرة .

وقال شُرَيح : مَن سأل حاجةً فقد عَرَضَ نَفْسَه على الرِّقّ ، فإن قضاها المسؤولُ استعبده بها ، وإن رَدَّه عنها رَجَع كلاهما ذليلا : هذا بذُلِّ البُخْل ، وذاك بذُلِّ الرَّد .

وقال حبيب :

ذُلُّ السُّؤال شَجاً، في الحَلْق، مُعترِضُ،
مِن دونِه شَرَقٌ من تحته جَرَضُ[1]

ما ماءُ كَفِّك إن جادتْ، وإن بَخِلَتْ،
مِن ماءِ وَجْهِيَ ، إن أفنيتُه ، عِوَضُ

•

الخُشَني قال : قال أبو غسَّان : أخبرني أبو زَيد قال: سأل سائلٌ بمسجد الكوفة وقتَ الظُّهر فلم يُعطَ شيئاً، فقال: اللهم إنك بحاجتي عالم لا تُعلَّم ، أنت الذي لا يُعوِزك نائل ، ولا

---

١ الشرق : الغصص بالريق . الجرض : ابتلاع الريق بجهد .

يُحفيك[1] سائل، ولا يَبْلغ مَدْحَكَ قائل، أسألك صبراً جميلاً، وفرَجاً قريباً، وبصَراً بالهُدى، وقوّة فيما تُحبّ وترضى.

فتبادَروا اليه يُعطونه، فقال: والله لا رَزأتكم[2] الليلة شيئاً، وقد رفعتُ حاجتي إلى الله؛ ثم أنشأ يقول:

ما نالَ باذلُ وَجْهه، بِسؤاله،
عِوَضاً، ولو نالَ الغِنى بِسؤالِ

وإذا النّوالُ، مع السّؤالِ، وزَنْتَه،
رَجَحَ السّؤالُ وشالَ كلُّ نَوالِ

•

وقال مُسْلم بنُ الوَليد:

سلِ الناسَ، إني سائلُ اللهِ وحدَه،
وصائنُ عِرْضي عن فُلانٍ وعن فُلِ

•

وقال عَبيدُ بنُ الأبرص:

من يَسْألِ الناسَ يحْرِمُوه؛ وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ

•

---

١ لا يحفيك: لا يلح عليك.

٢ رزأتكم: أصبت منكم.

وقال ابنُ أبي حازم :

لَطَيُّ يومٍ وَليلتينِ ، ولُبْسُ ثوبينِ باليَبْنِ
أهوَنُ من مِنّةٍ لقومٍ ، أغضُّ منها جفونَ عَيْني
إني ، وإن كنتُ ذا عيالٍ ، قليلَ مالٍ ، كثيرَ دَيْنِ
لأحمَدُ اللهَ ، حين صارتْ حوائجي بَيْنَه وبَيْني

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

سُؤالُ الناسِ مِفتاحٌ عَتيدٌ
لِبابِ الفقْرِ ، فالْطُفْ في السُّؤالِ

•

ورَوى أشعبُ الطمّاع عن عبد الله بن عُمر عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : يَحْشُرُ الله ، عز وجل ، يوم القيامة قوماً عاريةً وجوهُهم قد أذهب حياءَها كثرةُ السؤال .

•

سؤال السائل من السائل

مَدح أبو الشَّمَقْمَق مروانَ بن أبي حَفْصة ، فقال له : أبا الشَّمَقْمَق ، أنت شاعرٌ وأنا شاعر ، وغايتنا كلّنا السؤالُ .

وذكر أعرابيّ رجلًا بالسُّؤال، فقال : إنّه أسألُ من ذي عَصَوَيْن .

وقال حبيب :

لم يَخْلُق الرحمنُ أحمقَ لِحْيةً مِن سائلٍ يَرْجو الغِنى من سائلِ

•

الأصمعيُّ عن عيسى بنِ عمر النّحويّ قال: قَدِمْتُ من سَفر، فدخل عليّ ذو الرُّمّة الشاعر، فعَرَضتُ أن أعْطيه شيئاً، فقال: كلا ، أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطي .

•

الشيب

قال قيسُ بن عاصم : الشيبُ خِطامُ المنيّة .

وقال غيرُه : الشيبُ نذيرُ الموت .

وقال النُّمَيريّ : الشيبُ عُنوان الكِبَر .

وقال المُعتَمر بن سُليمان : الشيبُ موت الشَّعَر ، ومَوت الشَّعَر عِلّة لموْت البشر .

وقال أعرابيّ : كنتُ أنكِر البَيْضاء فصِرْتُ أنكر السَّوداء ، فيا خيرَ مَبْدول ويا شرّ بَدَل .

وقيل للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم : عَجِل عليك الشَّيبُ يا رسولَ الله !

قال : شَيَّبَتْني هُود وأخواتُها[1] .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : عَجِل عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين !

قال : شَيَّبني ارتقاءُ المنابر وتَوَقُّع اللّحن .

وقيل لرجل من الشُّعراء : عَجِل عليك الشَّيبُ !

---

١ قيل ان المراد بأخواتها : عبس والمرسلات والنازعات ، من سور القرآن .

فقال : وكيف لا يَعْجَل وأنا أعْصِر قَلْبي في عَمل لا يُرْجى ثوابُه ، ولا يُؤمَن عِقابُه ؟

وقال حبيبٌ الطائيّ :

غَدا الشَّيبُ مُخْتَطّاً بِفَوْدي خُطَّةً ،
طريقُ الرَّدى منها الى النَّفْس مَهْيَعُ[1]

هُو الزَّوْرُ يُجْفى ، والمُعاشِر يُجتَوى ،
وذو الإِلْف يُقلى ، والجديدُ يُرَقَّع[2]

له مَنْظر في العَيْن أبيضُ ناصعٌ ،
ولكنّه في القَلْب أسْودُ أسفَع

•

وقال محمود الورّاق :

بَكيتُ لقُرْبِ الأجَلْ ، وبُعْدِ فَواتِ الأمَلْ
ووافِدِ شَيْبٍ طَرا ، بعَقْبِ شَبابٍ رَحَل
شَبابٌ كأنْ لم يَكُن ، وشَيْبٌ كأنْ لم يَزَل
طَواكَ بَشيرُ البَقا ، وجاء بَشيرُ الأجَل[3]

---

١ المهيع : الطريق الواضح .
٢ الزور : الزائر .
٣ طواك : جاوزك .

وقال أيضاً :

لا تَطْلُبَنْ أثراً بعَيْنْ ؛ فالشَّيْبُ إحدى المِيتَتَيْنْ
أَبْدى مَقابحَ كلِّ شَيْن ، ومَحا مَحاسِنَ كلِّ زَيْن
فإذا رَأَتْـك الغانيات ، رأينَ منك غُرابَ بَين
ولرُبَّما نافَسْنَ فيك ، وكُنَّ طَوْعاً لليَدَين
أيَّامَ عمّمكَ الشَّبابُ ، وأنت سَهلُ العارِضَين[1]
حتّى إذا نَزَل المَشيبُ ، وصِرْتَ بينَ عِمامَتين
سَوْداءَ حالكةٍ ، وبَيْضاءِ المَناشر كاللُّجَين
مَزَج الصُّدودُ وِصالَهنّ ، فكُنَّ أمراً بَيْنَ بَيْن
وصَبَرن ، ما صَبَرَ السَّواد، على مُصانَعةٍ ومَيْن[2]
حتى إذا شَمِلَ المَشيبُ ، فَجازَ قُطْرَ الجانبَيْن
قَفَّيْنَ شرَّ قَفِيَّةٍ ، وأخَذْنَ منك الأطْيَبَيْن[3]
فاقْنَ الحَياءَ، وسَلْ نفسك، أو قَنادِ الفَرْقَدَين

١ العارض : صفحة الخد .

٢ المين : الكذب .

٣ قفين شر قفية : اتين شر خلف . الاطيبان : قيل هما الشحم اي قوة البدن والشباب ، وقيل غير ذلك .

ولئنْ أصابتْكَ الخطوبُ بكلِّ مكروهٍ وشينِ
فلقد أمِنْتَ بأن يُصيبَكَ ناظرٌ أبداً بعينِ

•

وقال حبيبٌ الطائيّ :

نظرتْ إليّ بعينِ مَن لم يَعدِلِ ،
لمّا تمكّنَ حبُّها من مَقتَلي

لمّا رأتْ وَضَحَ المَشيبِ بلِمّتي ،
صَدّت صُدودَ مُجانبٍ مُتجمِّلِ

فجعلتُ أطلبُ وصلَها بتلطُّفٍ ،
والشّيبُ يَغمِزُها بأن لا تفعَلي

•

وقال آخر :

صَدّت أمامةُ ، لمّا جئتُ زائرَها ،
عنّي بِمَطْروفةٍ إنسانُها غَرِقُ[1]

وراعَها الشيبُ في رأسي ، فقلتُ لها :
كذاكَ يَصفَرُّ بعد الخُضرةِ الوَرَقُ

•

---

١ المطروفة : العين أصابها شيء فدمعت . انسانها : ما يرى في سوادها .

وقال محمد بن أُميّة :

رأتني الغواني ، الشيبُ لاح بعارضي،
فأعرضْنَ عنّي بالخُدود النّواضِرِ

وكُنّ ، إذا أبْصرنني أو سَمِعْن بي،
دَنَوْن فرقّعن الكُوَى بالمحاجر[1]

•

وقال العَلويّ :

عَيّرتْني بشَيْب رَأسي نَوارُ،
يابنةَ العمّ ليس في الشّيب عارُ

إنّما العارُ في الفِرار من الزّحْف،
إذا قِيلَ أينَ أينَ الفِرار

•

ومن قولنا في الشّيب :

بَدا وَضَحُ المَشيبِ على عِذاري؛
وهَل ليلٌ يكونُ بلا نَهارِ؟

---

١ رقعن : سددن . الكوى ، واحدتها كوة : الخرق في الحائط . المحاجر : اراد بها العيون.

وألبسني النُّهى ثوباً جديداً؛
وجرَّدني من الثَّوب المُعار

شَرَيتُ سوادَ ذا ببياضِ هذا،
فبدَّلتُ العِمامة بالخِمار

وما بِعتُ الهوى بَيعاً بشرطٍ؛
ولا استثنيتُ فيه بالخِيار

•

ومن قولنا فيه :

قالوا: شبابُكَ قد وَلَّى، فقلتُ لهم:
هل من جديدٍ على كَرِّ الجَديدَينِ؟

صِلْ من هَويتَ، وإن أبدى مُعاتبةً؛
فأطيبُ العيشِ وصلٌ بين إلفَين

واقطَعْ حبائلَ خِدْنٍ لا تُلائمُه؛
فربَّما ضاقتِ الدُّنيا على اثنين

•

ومن قولنا فيه :

جارَ المشيبُ على رأسي، فغيَّره،
لمَّا رأى عندنا الحُكَّامَ قد جارُوا

كأنَّما جَنَّ ليلٌ في مَفارقه ،
فاعتاقَه ، من بَياض الصُّبح ، إسفار

•

ومن قولنا فيه :

سَوادُ المرْء تُنفِدُه الليالي ،   وإنْ كانت تَصير الى نَفادِ
فأسودُه يَعود الى بَياضٍ ؛   وأبيضُه يَعود الى سَواد

•

ومن قولنا أيضاً :

أطْلالُ لَهْوك قد أقْوَتْ مَغانيها ،
لم يَبْق من عَهدها إلا أثافيها
هذي المَفارقُ ، قد قامت شَواهدُها
على فَنائِك ، والدُّنيا تُزَكّيها
الشَّيبُ سُفْتَجةٌ ، فيها ، مُعنْونةٌ ،
لم يَبْقَ للموتِ إلاّ أن يُسحّيها[1]

•

ومن قولنا أيضاً :

نُجومٌ في المَفارق ما تَغُورُ ،   ولا يَجْري بها فَلَكٌ يَدُورُ

---

١ السفتجة : هي ان تعطي مالا لرجل فيعطيك خطاً يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر . يسحيها ، من سحى القرطاس : قشره .

كأنّ سوادَ لِمّته ظلامٌ ، أغارَ ،من المَشيبِ عليه، نور
ألا إنّ القتيرَ وَعيدُ صدْق، لنا لو كان يَزْجُرنا القتيرُ[1]
نذيرُ الموت أرْسلَه إلينا ، فكذّبْنا بما جاء النّذير
وقلنا للنّفوس : لعلّ عُمْراً يطول بنا ، وأطولُه قصير
متى كُذبتْ مواعدُها وخانت، فأوّلُها وآخرُها غرور
لقد كاد السلوُّ يُميت شوْقي ، ولكنْ قلّما فُطم الكبير
كأني لم أرُق ، بل لم ترُقني شُموسٌ في الأكِلّة أو بُدور
ولم ألقَ المُنى في ظلّ لَهْوٍ ، بأقمارٍ سحائبُها السُّتور

•

ولآخر :

والشّيبُ تَنغيصُ الصّبا ، فاقضِ اللُّبانةَ في الشّباب

•

وقال ابن عبّاس : الدنيا الصحّة والشباب .

•

ولبعضهم :

في كلّ يوم أرى بَيضاء قد طلَعت،
كأنّما طلعت في ناظرِ البَصرِ

---

١ شبه الشيب في سواد الشعر برؤوس مسامير حلق الدروع في بياضها الظاهر في سواد الدروع .

لَئِن قَصَصْتُكَ بالمِقْراضِ عن نَظَري،
لَما قَصَصْتُكَ عن هَمّي ولا فِكَري

•

ولابن المعتزّ :

جاء المَشيب، فما تَعِسْتُ بِهِ؛ ومَضى الشّباب، فما بُكايَ عليهْ

وقال أيضاً :

ماذا تُريدين من جَهْلي ، وقد غَبَرت
سِنُو شَبابي، وهذا الشَّيْبُ قد وَخَطا

أرفَعُ الشَّعرةَ البَيْضاء مُلْتقطاً،
فيُصْبِحُ الشَّيبُ للسوداء مُلتقِطا

وسَوْف،لا شَكّ، يُعْيِيني، فأتْرُكه،
فطالما أعْمِلُ المِقْراضَ والمُشُطا

•

الشباب والصحة

قال أبو عمرو بن العَلاء: ما بَكت العربُ شيئاً ما بَكت الشّباب، وما بلغت به ما يستحقّه.

وقال الأصمعيّ: أحسن أغاط الشّعر المَراثي والبُكاء على الشّباب.

وقيل لكُثَيِّر عَزّة: ما لك لا تقول الشعر؟

قال: ذهب الشّبابُ فما أطرب، ومات عبدُ العزيز فما أرغب.

وقال عبدُ الله بن عبّاس: الدُّنيا العافية، والشّباب الصحة.

وقال محمود الورّاق:

أليسَ عَجيباً بأنّ الفتَى يُصاب ببَعض الذي في يَدَيْهِ
فمن بين باكٍ له مُوجَع؛ وبين مُعزّ مُغِذّ اليه[1]
ويَسْلُبه الشّيبُ شَرْخَ الشبا بِ، فليس يُعزّيه خَلْقٌ عليه

•

[1] مغذ: مسرع.

وقال ابن أبي حازم :

ولّى الشّبابُ ، فخلّ الدّمعَ ينهملُ ،
فَقْدُ الشّبابِ بِفَقْدِ الرُّوحِ مُتّصِلُ

لا تُكْذَبَنّ ، فما الدُّنيا بأجمعها ،
مِنَ الشّبابِ بيومٍ واحدٍ ، بَدَلُ

•

وقال جرير :

ولّى الشّبابُ حميدةً أيامُهُ ، لو كان ذلكَ يُشترى أو يُرجعُ

•

وقال صريعُ الغواني :

واهاً لأيّام الصّبا وزمانِه ، لو كان أسعفَ بالمُقام قليلا
سَلْ عيشَ دهرٍ ، قد مضت أيامُهُ : هل يستطيعُ إلى الرُّجوعِ سبيلا؟

•

وقال الحسنُ بن هانىء :

وأراني ، إذ ذاك ، في طاعة الجهلِ ،
وفوقي من الصّبا أمراءُ

تِرْبَ عَبَثٍ ، لِرَيْطَتي فضلُ ذَيْلٍ ،
ولرأسي ذُؤَابةٌ فَرْعاءُ

بقِناعٍ من الشَّبابِ جديدٍ،
لم تُرقّعه بالخِضابِ النّساء

قَبل أنْ يَلبَسَ المَشيبَ عِذاري،
وتُبلّى عِمامتي السَّوداء[1]

•

وقال أعرابيٌّ :

لله أيامُ الشبابِ وعَصرُه ، لو يُستعار جديدُه فيُعارُ
ما كان أقصرَ ليلَه ونهارَه ؛ وكذاكَ أيامُ السُّرورِ قِصار

•

ومن قولنا في الشباب :

ولّى الشبابُ، وكنتَ تَسكن ظِلّه،
فانظُرْ لنفسك أيَّ ظلٍّ تَسكنُ

ونَهى المَشيبُ عن الصِّبا ، لو أنّه
يُدلي بحُجّتِه إلى مَنْ يَلقَنُ[2]

•

١ تبلى : تجعل بالية .

٢ يلقن : يفهم .

ومن قولنا فيه :

قالوا : شبابُكَ قد مضتْ أيامُه
بالعَيْش ، قلتُ : وقد مَضت أيّامي

لله ! أيّة نِعمةٍ كان الصِّبا،
لو أنها وُصِلت بِطول دوام

حَسَر المَشيبُ قِناعَه عن رأسه،
وصَحا العواذلُ بعد طول مَلام

فكأنّ ذاكَ العيشَ ظِلُّ غمامة؛
وكأنّ ذاكَ اللهوَ طيفُ منام

•

ومن قولنا فيه :

ولو شئتُ راهنتُ الصَّبابةَ والهوى،
وأجْريتُ في اللّذات من مائتين[1]

وأسبلتُ من ثَوْب الشَّباب، وللصِّبا
عليّ رداءٌ مُعْلَم الطرَفَيْن

•

---

[1] من مائتين : اراد من مسافة بعيدة .

وقال آخر :

إنّ شَرْخَ الشّباب والشّعَرَ الأسْود،
ما لم يُعاصَ ، كان جُنونا[1]

•

وقال آخر :

قالتْ : عَهِدْتُكَ مجنوناً، فقلتُ لها:
إنّ الشّبابَ جُنونٌ بُرْؤُه الكِبَرُ

•

ومن قولنا في الشباب :

كنتُ إلْفَ الصِّبا، فَوَدّعني وَداعَ مَن بانَ غيرَ مُنْصَرِف
أيامُ لَهْوي كظِلٍّ إسْحَلة ، وذا شَبابي كروضة أُنُف[2]

•

ومن قولنا فيه :

شَبابي! كيفَ صِرْتَ إلى نَفادِ، وبُدِّلْتَ البياضَ مِنَ السّوادِ
وما أبْقى الحوادثُ منكَ،إلاّ كما أبْقَتْ من القَمَرِ الدّآدي[3]

---

١ شرخ الشباب : أوله . يعاص: يعصى .

٢ الاسحلة ، واحدة الاسحل : شجر يستاك به . انف : لم ترع .

٣ الدآدي ، واحدتها دأداءة : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحاق .

فِراقُكَ عرَّفَ الأحزانَ قلبي ، وفرَّقَ بين جَفْني والرُّقاد

فيا لنَعيمِ عَيْشٍ قد تولّى ؛ ويا لغليلِ حُزْنٍ مُستَفاد

كأني مِنْكَ لم أرْبعْ برَبْعٍ ، ولم أرْتَدْ به أحْلى مَراد

سَقى ذاكَ الثَّرى وبلُ الثريّا ، وغادى نَبْتَه صَوْبُ الغوادي

فكم لي من غَليلٍ فيه خافٍ ؛ وكم لي من عَويلٍ فيه بادي

زمانٌ كان فيه الرُّشدُ غَيّاً ؛ وكان الغَيُّ فيه من الرَّشاد

يُقبّلني بدلٍّ من قَبُولٍ ؛ ويُسْعِدني بوَصْلٍ من سُعاد

وأجْنُبه ، فيُعْطيني قِياداً ؛ ويَجْنُبُني ، فأعْطيه قِيادي[1]

•

---

١ أجنبه : أقوده وهو الى جنبي .

الخضاب

قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : غيّروا هذا الشَّيبَ وجنّبوه السوادَ .

وكان أبو بكر يَخضِب بالحِنّاء والكَتَم[1] .

وقال مالك بن أسماء بن خارجة لجاريته : قومي اخضبي رأسي ولحيتي .

فقالت : دَعْني ، قد عَييتُ بما أرقّعك .

فقال مالك بنُ أسماء :

عَيَّرتِني خَلَقاً أبليتُ جِدّته ، وهل رأيتِ جديداً لم يَعُدْ خَلَقا؟

•

ودخل أبو الأسود الدُّؤليّ على معاوية وقد خَضَب ، فقال: لقد أصبحتَ يا أبا الأسود جميلاً ، فلو علّقتَ تميمة .

فأنشأ أبو الأسود يقول :

أفنَى الشّبابَ ، الذي فارقتُ بهجتَه ،
مَرُّ الجديدَيْنِ من آتٍ ومُنْطلقِ[2]

---

١ الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

٢ الجديدان : الليل والنهار .

لم يُبقيا ليَ ، في طول اختلافهما ،
شيئاً يُخاف عليه لذْعةُ الحَدَق

•

وذُكر عن الأصمعي قال : بَلغني عن بعض العَرب فصاحةٌ ، فأتيتُه فوجدتُه يَختضِب ، فقال: يابن أخي، ما الذي أقصدك إليّ؟

قلتُ : الاستئناسُ بك والاستماع من حديثك .

قال : يابن أخي ، قَصَدْتَني وأنا أختضِب ، والخضاب من مُقدِّمات الضَّعف، ولطالما فزّعتُ الوُحوش، وقُدْتُ الجُيوش؛ وَرَوَّيْتُ السَّيف ، وقَرَيتُ الضَّيف ؛ وحَميتُ الجارَ ، وأبَيتُ العار ؛ وشَرِبْتُ الرَّاح ، وجالستُ المِلاح؛ وعاديتُ القُروم[1] ، وعَلوتُ الخُصوم؛ واليوم يابن أخي الكِبَرُ وضعف البصر ، تَركا من بعد الصَّفو الكَدَر ؛ وأنشأ يقول :

شَيْبٌ نُعَلِّله ، كيما نُسَرُّ بـه ،
كهيئة الثَّوب مَطْوِيّاً على خِرَق

فكنتُ كالغُصْن يَرْتاح الفؤادُ به ،
فصِرْتُ عُوداً بلا ماءٍ ولا وَرَق

---

١ القروم ، واحدهم قرم : السيد .

صَبْراً على الدَّهر، إنَّ الدَّهر ذو غِيَرٍ،
وأهْلُه منه بين الصَّفو والرَّنَقِ[1]

•

ودخل معاوية على ابن جعفر يعوده، فوجده مُفيقاً[2] وعنده جاريةٌ في حِجْرِها عودٌ، فقال: ما هذا يابن جعفر؟

فقال: هذه جارية أُروِّيها رقيقَ الشعر فتَزيده حُسناً بحُسْنِ نَغْمتها.

قال: فلْتَقل.

فحرَّكت عُودَها وغنَّت، وكان معاوية قد خَضَب:

أليس عندك شُكْرٌ للّتي جَعلتْ،
ما ابيضَّ من قادمات الرِّيش كالحُمَمِ[3]

وجَدَّدتْ منك ما قد كان أخْلَقه
رَيْبُ الزمان، وصَرْفُ الدَّهر والقِدَمِ

فحرَّكَ معاويةُ رجلَه، فقال له ابن جعفر: لِمَ حرَّكتَ رجلَك يا أميرَ المؤمنين؟

---

١ الرنق: الكدر.
٢ مفيقاً: رجعت اليه صحته بعد مرض.
٣ الحمم، واحدتها حمة: لون بين الدهمة والكمتة.

قال : كلُّ كريم طَروب .

•

وقال محمود الورّاق في الخِضاب :

للضَّيف أنْ يُقرى ويُعرفَ حقُّه؛
والشَّيبُ ضيفُكَ ، فاقْرِه بخِضابِ

وافى بأكْذَبِ شاهدٍ ، ولربَّما
وافى المَشيبُ بشاهدٍ كذّاب

فافسَخ شهادتَه عليك بخَضْبِه،
تَنْفِ الظُّنونَ به عن المُرتاب

فإذا دنا وَقتُ المَشيب ، فخلّه
والشَّيبَ يذهبْ فيه كلَّ ذَهاب

•

وقال آخر :

وقائلةٍ تقولُ ، وقد رَأتْني ، أَرَقْعُ عارِضيَّ من القَتيرِ
عليكَ الخِطْرَ ، عَلَّكَ أن تُدنّى إلى بيضٍ ترائبُهنّ حُورِ[1]
فقلتُ لها : المَشيبُ نذيرُ عُمري، ولستُ مُسوِّداً وجهَ النَّذيرِ

•

---

[1] عليك : اسم فعل بمعنى الزم . الخطر : نبات يختضب به .

وقال غيرُه :

إنّ شيباً ، صلاحُه بخضابٍ ،
لَعذابٌ مُوكَّلٌ بِعَذابِ

فوَحقّ الشبابِ ، لولا هوى البيضِ ،
وأنْ تَشْمَئِزّ نفسُ الكَعاب

لأرَحْتُ الخَدَّيْنِ مِن وَضرِ الخِطْرِ ،
وآذنتُ بانقضاء الشَّباب

•

وقال غيرُه :

بَكرتْ تُحسّن في سوادِ خِضابي ،
لكأنّ ذاكَ يُعيدني لِشَبابي

وإذا أديمُ الوَجْه أخلَقه البِلى ،
لم يُنتَفَع فيه بحُسْن خِضاب

ماذا تَرى يُجدي عليكِ سوادُه ،
وخلافُ ما يُرْضيكِ تحت ثِيابي؟

ما الشَّيبُ عندي ، والخضاب لواصِفٍ ،
إلا كَشَمسٍ جُلِّلت بسَحاب

تَخفى قليلاً ثم تَقشَعه الصَّبا،
فيصيرُ ما سُتِرَت بـه لِذَهاب

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

أصمَّمَ في الغَواية أم أنابا،
وشَيْبُ الرَّأس قد خَلَس الشَّبابا

إذا نَصَلَ الخِضابُ بَكى عليه؛
ويضحَك كلما وَصَل الخضابا[1]

كأنَّ حمامةً بيضاءَ ظلَّت
تُقاتِل، في مَفارقه، غُرابا

•

---

١ نصل : تغير لونه .

فضيلة الشيب

قال النبيّ، صلى الله عليه وسلم: مَن شاب شَيْبةً في الاسلام كانت له نُوراً يومَ القيامة .

وقال ابن أبي شيبة: نهى رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، عن نَتْف الشَّيب ، وقال : هو نُور المؤمن .

وقالوا: أوّل من رأى الشَّيبَ إبراهيمُ خليل الرحمن فقال: يا ربّ ، ما هذا ؟

قال له : هذا الوَقار .

قال : ربّ زِدْني وَقاراً .

•

وقال أبو نواس :

يَقولون : في الشَّيب الوَقارُ لأهْلِه،
وشَيْبي بحمد الله غيرُ وَقارِ

وقال غيره :

يَقُولون : هلْ بعدَ الثلاثين مَلْعب؟
فقلتُ : وهل قبلَ الثلاثين مَلْعبُ؟

لقد جلّ قدرُ الشيب، إن كان كلّما
بدت شيبةٌ، يعرى من اللهو مركب

•

دخل أبو دُلَف على المأمون وعنده جارية ، وقد ترك أبو دُلف الخِضابَ، فغمز المأمونُ الجارية فقالت له: شِبْتَ أبا دُلف، إنا لله وإنا اليه راجعون ، لا عليك !

فسكت أبو دُلف . فقال له المأمون : أجِبْها أبا دُلف .

فأطرق ساعةً ، ثم رفع رأسه ، فقال :

تهزّأتْ أن رأت شيبي ، فقلتُ لها :
لا تهزئي ، من يطُلْ عمرٌ به يَشبِ

شيبُ الرّجال لهم زينٌ ومكرُمة؛
وشيبكنّ لكنّ الويلُ، فاكتئبي

فينا لكُنّ، وإنْ شيبٌ بدا، أربٌ؛
وليس فيكنّ بعد الشيب مِن أرَب

•

وقال محمود الوراق :

وعائبٍ عابني بشيبٍ ، لم يعْدُ لمّا ألمّ وقتَه
فقلتُ للعائبي بشيبي : يا عائبَ الشيب لا بلغتَه

أنشدني أبو عبد الله الاسكندراني ، معلّم الاخوة :

وممّا زادَ في طُول اكتئابي طلائعُ شَيْبَتين ألمّتا بي
فأمّا شَيْبَةٌ ، ففَزِعْتُ فيها، الى المِقْراض،من حُبِّ التّصابي
وأمّا شَيْبَةٌ ، فعَفَوتُ عنها، لتَشْهد بالبَراء من الخِضاب

•

وقال محمد بن مُناذر :

لا سلامٌ على الشّبابِ ، ولا حـ يّا الالهُ الشبابَ من مَعْهودِ
قد لبِسْتُ الجديدَ من كلّ شيء، فوجدتُ الشّباب شرَّ جديد
صاحبٌ ما يزال يَدْعو إلى الغَـ يّ ، وما من دُعاً له برَشيد
ولَنِعم المَشيب،والوازع الشَيْـ بُ ، ونِعْمَ المُفادُ لِلْمُستفيد

•

كبر السن

قيل لأعرابيّ قد أخذته كَبْرة السّن : كيف أصبحتَ ؟

فقال : أصبحتُ تُقيِّدني الشّعرةُ ، وأعثُر بالبَعْرة ، قد أقام الدهر صَعَري[1] ، بعد أن أقمتُ صَعَره .

وقال آخر : لقد كنتُ أُنكِر البيضاء ، فصِرْت أُنكِر السوداءَ ، فيا خير مَبْدول ويا شرّ بَدَل .

ودخل المُستَوْغِر بنُ ربيعة على معاويَة بن أبي سُفيان وهو ابنُ ثلثمائة سنة ، فقال : كيف تَجِدك يا مُستَوغِر ؟

فقال: أجدني يا أمير المؤمنين، قد لان مني ما كنتُ أحبّ أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يَلين، وابيضّ مني ما كنت أحبُّ أن يسودّ، واسودّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يَبْيضّ؛ ثم أنشأ يقول :

سَلْني ! أُنبّئْكَ بآيات الكِبَرْ:
نومُ العِشاءِ ، وسُعالٌ بالسَّحَرْ

---

[1] صعري : امالة خدي كبراً .

وقِلّةَ النّومِ ، إذا الليل اعتكر،
وقِلّةَ الطُّعْمِ ، إذا الزّاد حضر
والناسُ يَبْلَوْن كما يَبْلى الشّجَر

•

وقال أعرابيّ :

أشكو إليك وجعاً بِرُكبتي، وهَدَجاناً لم يكن في مِشْيتي[1]
كهَدَجانِ الرّأل خلفَ الهَيقتِ[2]

•

وقال آخر :

وللكبير رَثَياتٌ أربعُ : الرُّكبتان والنَّسا والأخدعُ[3]

•

وقال جرير :

تَحِنّ العظامُ الراجفاتُ من البِلى،
ولَيْسَ لداءِ الرُّكبتين طبيبُ

•

---

١ الهدجان : المشي رويداً في ضعف .

٢ الرأل : ولد النعام . الهيقت : انثى النعام ، واصلها الهيقة بالتاء المربوطة، صير التاء مبسوطة للروي .

٣ الرثيات، واحدتها رثية: داء في المفاصل. النسا : عرق من الورك الى الكعب. الأخدع : أحد عرقين في جانبي العنق قد خفيا .

وقال أعرابيّ في امرأة عَجوز :

يا بِكرَ حوّاءَ من الأولادِ، وأقدمَ العالمِ في الميلادِ
عُمرُكِ ممدودٌ إلى التّنادي، فحدّثينا بحديثِ عادِ[1]
ومُبْتدا فِرعون ذي الأوتادِ، وكيف حالُ السّيلِ بالأطوادِ[2]

•

وقال آخر :

إذا عاش الفتى سَبْعين عاماً، فقد ذَهبَ المسرّةُ والفتاء

•

كان في غَطفان نَصْر بنُ دُهْمان ، قادَ غَطفان وسادَها حتى خَرِف وعُمّر تسعين ومائة سنة حتى اسودّ شَعَرُه ونَبَتت أضراسُه وعاد شابّاً، فلا تُعرف في العرب أعجوبة مثله.

وقال محمد بن مُناذر في رجل من المُعمّرين :

إنّ مُعاذَ بنَ مُسلمٍ رَجلٌ،
قد ضجّ من طول عُمره الأبدُ
قد شابَ رأسُ الزّمانِ واكتهل الدّهرُ،
وأثوابُ عُمره جُددُ

١ التنادي : القيامة.
٢ السيل : اراد به سيل العرم. الأطواد، واحدها طود: الجبل، يشير الى سد مأرب.

يا نَسْرَ لُقمان ! كم تَعيشُ ، وكم
تَسْحَبُ ذَيْلَ الحياةِ يا لُبَدُ[1]؟

قد أصبحتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ ،
وأنت فيها كأنَّك الوَتِد

تَسْألُ غِرْبانها ، إذا حجَلَت ،
كيفَ يكون الصُّداع والرَّمد؟

•

ودخل الشَّعبيّ على عبد الملك بن مَرْوان ، فوجده قد كبا مُهتَمّاً ، فقال : ما بالُ أمير المؤمنين ؟

قال : يا شعبيّ ، ذكرتُ قولَ زُهير :

كأنّي، وقد جاوزتُ سَبْعين حِجّةً ،
خَلعتُ بها عنّي عِذارَ لجامي

رمَتني بناتُ الدَّهر من حيث لا أرى،
فكيف بِمَن يُرْمى وليس بِرامِي؟

فلوْ أنني أُرْمى بِنَبْلٍ رأيتُها،
ولكنّني أُرْمى بغيرِ سِهام

---

١ لبد : آخر نسور لقمان . واسطورة لقمان وسبعة انسره مشهورة .

على الرّاحتين ، تارةً ، وعلى العصا

أنوء ثلاثاً ، بعدهنّ قيامي

قال له الشّعبيُّ : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لَبيدُ بن ربيعة ، وقد بلغ سبعين سنة :

كأنّي، وقد جاوزتُ سَبْعين حِجّةً،

خلعتُ بها عن مَنكِبيَّ رِدائيا

فلما بلغ سبعاً وسبعين قال :

باتت تَشكّى إليّ النفسُ مُجهِشةً،

وقد حملتُكِ سبعاً بعد سَبْعينا

فإن تَزادي ثلاثاً تَبْلُغي أملاً،

وفي الثلاثِ وفاءٌ للثّمانينا

فلما بلغ مائة سنةٍ قال :

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطُولها،

وسُؤالِ هذا الخَلْقِ كيف لَبيدُ

فلما بلغ مائة سنةٍ وعشراً قال :

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رجلٌ،

وفي تكامُلِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ؟

فلما بلغ ثلاثينَ ومائةً وقد حضرَتْه الوفاة قال :

تَمَنَّى ابنتاي أن يَعيشَ أبوهما،
وهل أنا إلاَّ من رَبيعةَ أو مُضَرْ؟

فقُوما وقُــولا بالذي تَعْلَمانه،
ولا تَخْمِشا وَجْهاً ولا تَحْلِقا شَعَر

وقولا : هو المرءُ الذي لا صَديقَه
أضاع ، ولا خانَ الخليلَ ولا غَدر

إلى الحَوْلِ ، ثم اسمُ السلام عليكما؛
ومَن يَبْكِ حولاً كاملًا فقد اعتَذَر

قال الشّعبيّ : فلقد رأيتُ السرورَ في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها .

•

وقال لبيدٌ أيضاً :

أليسَ ورائي ، إن تراخَتْ مَنيَّتي،
لُزُومُ العَصا تُحنَى عليها الأصابعُ؟

أُخَبِّر أخبارَ القُرون التي مَضت؛
أدِبُّ كأنّي كلما قمتُ راكِع

فأصبحتُ مثلَ السيفِ أخْلقَ جَفْنَه
تقادمُ عهدِ القَيْنِ ، والنَّصلُ قاطِع

•

وقالوا : مكتوب في الزَّبور : مَن بَلغ السَّبعين اشتكى من غير علّة .

وقال محمد بن حسّان النَّبطي : لا تَسأل نفسك العامَ ما أعطتك في العام الماضي .

وقال مُعاويةُ لمّا أسنَّ : ما مَرَّ شيءٌ كنتُ أستلذّه وأنا شابٌّ فأجِده اليومَ كما أجده إلا اللبن والحديث الحَسَن .

عاش ضِرارُ بن عمرو حتى وُلد له ثلاثةَ عشرَ ذكراً، فقال: مَن سَرَّه بنوه ساءته نفسُه .

وقال ابنُ أبي فَنَن :

مَن عاشَ أخْلقتِ الأيامُ جِدَّتَه،
وخانَه ثِقتَاه : السَّمعُ والبَصرُ

قالت : عَهِدْتُك مجنوناً ، فقلتُ لها:
إنَّ الشَّبابَ جُنونٌ ، بُرْؤُه الكِبَر

•

قال أبو عُبيدة : قيل لشَيْخ : ما بَقِيَ منك ؟

قال: يَسبقني مَن بين يديّ ويُدركني مَن خلفي، وأذكر القديمَ ، وأنسى الحديثَ ، وأنعس في الملا، وأسهرُ في الخلا، وإذا قمتُ قَرُبَتِ الأرض مِنّي، وإذا قعدتُ تباعدت عنّي.

•

وقال حُميد بن ثورٍ الهِلاليّ :

أرى بَصري قد رابَني بعد صِحّةٍ؛
وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما

•

وقال آخر :

كانَتْ قَناتي لا تَلينُ لغامزٍ، فألانَها الإصْباحُ والإمْساءُ
ودعوتُ ربّي بالسّلامة جاهداً، لِيُصحّني ، فإذا السلامةُ داء

•

وقال أبو العتاهية ويروى للقُطاميّ :

أسْرَعَ في نَقْصِ امرىءٍ تَمامُهُ

•

وقالت الحكماء: ما زادَ شيءٌ إلا نَقَص ،ولا قامَ إلا شَخَص[1] .

•

---

١ شخص : ذهب وانتقل .

وقال بعض المُحْدَثين :

ألستَ ترى أنّ الزّمانَ طواني،
وبدّل عقـــــلي كلّه وبَراني؟

تَحَيّفَني عُضْواً فعُضْواً ، فلم يَدَع
سوى اسمي صحيحاً ، وحدَه، ولِساني[1]

ولو كانت الأسماء يَدْخُلها البِـلى،
إذاً بَلِيَ اسمي لامتـدادِ زَماني

وما لِيَ لا أبْلى لِسَبْعينَ حِجّةً
وسَبْعٍ ، أتَتْ مِن بعدها سَنَتان

إذا عَنّ لي شيءٌ ، تخَيّـلَ دونـه
شَبِيهُ ضَبابٍ ، أو شَبِيهُ دُخان

●

وقال الغزّال :

أصبحتُ واللهِ محْسوداً على أمدٍ،
مِنَ الحياة ، قصيرٍ ، غيرِ مُمتَـدّ

حتى بقيتُ بحمد الله في خَلَفٍ،
كأنّني بينهم من وَحْشةٍ وَحدي

---

١ تحيفني : تنقصني .

وما أفارق يوماً مَن أفارقه،
إلا حَسِبْتُ فِراقي آخِرَ العَهد

•

وقال آخر :

يا مَن لشيخٍ قد تخدَّد لحمُه، أفنى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا[1]
سوداءحالكة،وسحقَ مفوَّفٍ، وأجدَّ لوناً بعد ذاك هِجانا[2]
قصَرَ اللّيالي خَطْوَه، فتَدانى، وحَنَيْنَ قائمَ صُلبه، فتحانى[3]
والموتُ يأتي بعد ذلك كلّه، وكأنما يُعْنى بذاك سِوانا

•

وقال سُفيان الثّوريّ في مَدْح كِبَره :

إنّي، وإن كان مسَّني كِبَرٌ:
على ما قد ترَيْنَ من كِبَري

أعرفُ، من قبل أن تُفارِقَني،
موقعَ سَهْمي، والسهمُ في الوتَر

---

١ تخدد لحمه : اضطرب من الهزال وتشنج . واراد بالعمائم الثلاث : تبدل الوان شعره .

٢ اراد بسحق مفوف : اختلاط سواد الشعر ببياضه . والسحق : الثوب البالي . والمفوف : البرد المخطط بالبياض . الهجان : الابيض الخالص .

٣ حنين قائم صلبه : قوسن ظهره .

من صحب من ليس من نظرائه

لخصال فيه

كان حارثةُ بن بَدرٍ الغُداني فارسَ بني تميم ، وكان شاعراً أديباً ظريفاً ، وكان يعاقر الشَّرابَ ويَصْحب زياداً ، فقيل لزياد : إنك تَصْحب هذا الرجلَ وليس من شاكِلتك ، إنهُ يُعاقر الشراب .

فقال : كيف لا أصحبه، ولم أسأله عن شيء قطُّ إلا وجدتُ عنده منه عِلماً، ولا مَشى أمامي فاضطرَّني أن أناديه، ولا مَشى خلفي فاضطرَّني أن ألتفتَ اليه، ولا راكَبني فمسَّتْ رُكبتي رُكبتَه .

فلما هلك زيادٌ قال حارثةُ بنُ بَدْرٍ يرثيه :

أبا المُغيرةِ ، والدُّنيا مُغرِّرَةٌ ،
وإنَّ مَن غرَّت الدُّنيا لمَغرورُ

قد كان عِندك للمَعْروف مَعْرِفةٌ ؛
وكان عندك للتَّنْكير تَنْكير

لو خلَّدَ الخيرُ والإسْلامُ ذا قِدَمٍ ،
إذاً لخلَّدكَ الاسلامُ والخير

وتمامُ هذه الأبياتِ قد وقعتْ في الكتاب الذي أفرَدناه للمَراثي .

وكان زياد لا يُداعب أحداً في مجلسه ولا يَضْحَك، فاختصم اليه بنو راسِب وبنو الطُّفاوَة في غُلام أثبته هؤلاء وهؤلاء، فتحيَّر زيادٌ في الحكم. فقال له حارثةُ بن بدر: عِنْدي، أكرمَ الله الأميرَ، في هذا الغُلام أمرٌ، إن أذِن الأميرُ تكلَّمت به فيه؟

قال : وما عندك فيه ؟

قال : أرى أن يُلقَى في دِجْلة فإن رَسَب فهو لِبني راسِب ، وإن طفا فهو لبني الطُّفاوة .

فتبسَّم زياد وأخذ نَعْليه ودَخل ، ثم خرج، فقال لحارثة: ما حَملَك على الدُّعابة في مجلسي ؟

قال: طَيِّبةٌ حضرتْني، أبقى الله الأميرَ، خِفتُ أن تفوتني.

قال : لا تَعُد إلى مثلها .

•

ولما وَليَ عُبيد الله بن زياد بعد موت أبيه اطَّرحَ حارثةَ ابنَ بدر وجفاه . فقال له حارثةُ : ما لك لا تُنزلني المنزلةَ التي كان يُنزلني أبوك ؟ أتدَّعي أنكَ أفضلُ منه أو أعقل ؟

قال له : إنَّ أبي كان بَرَع في الفضل بُروعاً لا تضرُّه صُحْبةُ مثلك ، وأنا حدَثٌ أخشى أن تحْرِقني بنارك ، فإنْ

شئتَ فاترُك الشراب وتكون أوّلَ داخل وآخِرَ خارج .

قال : والله ما تركتُه لله فكيف أتركه لك ؟

قال : فتَخَيَّرْ بلداً أُوَلِّيكه .

فاختار سُرّق من أرض العِراق، فولاّه إياها . فكتب اليه أبو الأسود الدُّؤلي ، وكان صديقاً له :

أحارَ بنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ وِلايَةً،
فكُنْ جُرَذاً فيها تَخُونُ وتَسرِقُ

وباهِ تَميماً بالغِنى ، إنّ للغِنى
لِساناً ، به المَرْءُ الهَيُوبة يَنطِقُ[1]

وما النّاس إلا اثنان ، إمّا مُكذّبٌ
يقول بما يَهْوى ، وإمّا مُصدّق

يقولون أقوالاً ولا يُحْكِمُونها،
فإنْ قيل يوماً : حقّقوا، لم يُحقّقوا

فَدَعْ عنك ما قالوا، ولا تَكْتَرِث بهم،
بحظّك من مالِ العِراقَين سُرّق

فوقّع في أسفل كتابه : لا بَعُدَ عنك الرّشَد .

•

---

١ الهيوبة : الشديد الخوف .

وكان ابن الوليد البَجَليّ، وهو ابنُ أختِ خالد بن عبد الله القَسْريّ، وَليَ أصبهان، وكان رجلاً مُتَسَمِّتاً[1] مُتَصلِّحاً، فقَدِمَ عليه حمزةُ بن بِيض بن عَوْف راغباً في صُحْبته، فقيل له: إنّ مثل حمزة لا يَصْحب مثلَك، لأنه صاحبُ كِلاب ولهو؛ فبعث اليه بثلاثةِ آلاف دِرْهم وأمره بالانصراف. فقال فيه:

يابنَ الوليد المُرْتَجَى سَيْبُه، ومن يُجلّي الحَدَثَ الحالِكا
سَبيلُ مَعْروفِك منّي على بالٍ، فما بالي على بالِكا
حشوُ قميصي شاعرٌ مُفْلِقٌ، والجودُ أمسى حَشْوَ سِرْبالِكا
يلومك النّاسُ على صُحبتي؛ والمسكُ قد يَستَصحب الرّامِكا[2]
إنْ كنتَ لا تَصْحب إلا فتىً مِثْلك، لن تُؤْتى بأمثالِكا
إني امرؤٌ جئتُ أريد الهُدى، فَعُدْ على جهلي بإسلامِكا

قال له: صَدقتَ؛ وقرّبه وحَسُنتْ منزلته عنده.

•

وكان عبدُ الرحمن بن الحكم الأمير قد عَتَب على ندمائه، فأمرَ نَصْراً الفتى بإسقاطهم من ديوان عَطائه، ولم يَستبدل بهم. فلما كان بعد أيام استوحش لهم، فقال لِنصر: قد استَوحشنا

---

١ متسمتاً: متعبداً.

٢ الرامك: شيء أسود يخلط بالمسك.

لأصحابنا أولئك .

فقال له نصر : قد نالهم من سُخْط الأمير ما فيه أدبٌ لهم، فإن رأى أن يُرْسل فيهم أرْسلت ؟

قال : أرْسِل. فأقبل القومُ وعليهم كآبة، فأخذوا مجالسهم، ولم يَنشرحوا ولا خاضوا فيما كانوا يَخُوضون فيه ، فقال الأمير لِنصر : ما يَمنع هؤلاء من الانشراح ؟

قال: عليهم، أبقى الله الأميرَ، وَجْمَةُ[1] السُّخط الذي نالهم.

قال : قُلْ لهم : قد عَفَوْنا فليَنْشرِحوا .

قال : فقام عبدُ الرحمن بن الشّمر الشاعر المُتَنجّم ، فجثا بين يديه، ثم أنشد شعراً له أقذع فيه على بعض أصْحابه إلا أنه خَتَمه ببيتين بديعين وهما :

فيا رَحْمَةَ الله في خَلْقه ، ومَن جُودُه أبداً يَسْكُبُ
لئن عِفتَ صُحْبةَ أهل الذّنوب، لقلّ من النّاس من يُصْحَبُ

•

وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قولُ النابغة :

ولسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمّه
على شَعَثٍ ، أيّ الرّجال المُهَذّبُ؟

---

١ الوجمة : السكوت ، والعجز عن الكلام خوفاً .

قولهم في القرآن

كتبَ المرِيسيّ إلى أبي يحيى مَنصور بن محمد: اكتب إليّ: القُرآن خالق أو مَخلوق ؟

فكتب اليه : عافانا الله وإيّاك من كلّ فِتنة ، وجَعَلنا وإيّاك من أهل السُّنّة ، وممن لا يَرغب بنَفْسه عن الجماعة ، فإنه إن تَفْعل فأعْظِم بها مِنّة ، وإن لا تَفْعل فهي الهَلَكة ، ونحن نقول : إنّ الكلامَ في القرآن بِدعة ، يتكلّف المُجيبُ ما ليس عليه ، ويتعاطى السائل ما ليس له ، وما نعلم خالقاً إلا الله ، وما سوى الله فمخلوق ، والقرآنُ كلام الله ، فانْتَهِ بنفسك إلى أسمائه التي سمّاه الله بها فتكونَ من المُهتدين ، ولا تُسَمّ القُرآن باسمٍ من عندك فتكون من الضالين ، جَعلنا الله وإياك من الذين يَخْشَون ربّهم بالغيب ، وهم من الساعة مُشْفقون[1] .

•

---

١ مشفقون : خائفون .

رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

ابناء النور

٣

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ أبناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الأعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

•